



الجمهورية العربية السورية
جامعة دمشق
كلية الآداب والعلوم الانسانية
قسم التاريخ

الانجازات العمرانية والحضارية في العصر الآشوري الحديث (912-612 ق.م)

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في تاريخ الشرق القديم ولغاته

إعداد

وليد خالد الهلال

إشراف

أ.د. عيد مرعي

فهرس المحتويات

ملخص الموضوع

المقدمة

1

تمهيد

4

الفصل الأول مدن آشورية جديدة في العصر الآشوري الحديث

22

أولاً- كلخو مدينة الخلود (Kalhu):

25

1- الخلفية الجغرافية والتاريخية

25

2- البحث الأثري ومراحله

27

3- مخطط المدينة وأقسامها:

29

أ- القصور:

30

-القصر الشمالي الغربي (قصر آشور ناصر بال الثاني)

30

- قصر الحاكم

36

- القصر المحروق

37

- قصور أخرى

38

- حصن شلمنصر (Ekal Mascharti) (القصر العسكري)

39

ب- الأبنية الدينية:

43

-معبد الإله نابو (Nabu)

44

- معبد الإله نينورتا (Ninurta)

46

- معابد الآلهة الأخرى

47

- زقورة كلخو (Ziggurat)

47

ثانياً: دور شاروكين (العاصمة المنكوبة) Dur-sarrukin:

48

1-الخلفية الجغرافية والتاريخية

48

2- التنقيبات في دور شاروكين

52

3- مخطط المدينة وأقسامها

55

57	أ-أبنية القلعة:
57	- قصر شاروكين الثاني
63	- المنطقة الجنوبية (مجمع المعابد)
64	- معبد الإله سين
65	- معبد شماش (إله الشمس)
65	- معابد أدد، نينورتا، إيا، نينجال
66	- الزقورة
67	-معبد الإله نابو
71	-المساكن الحكومية الضخمة:
73	ب- الأبنية خارج القلعة
75	ثالثاً: مدينة بلوات (Balawat):
75	1-الخلفية الجغرافية والتاريخية
76	2- البحث الأثري في الموقع
77	3-الوصف العام للمدينة
80	4-البوابات البرونزية
81	أ- العصابات البرونزية وموضوعاتها على بوابات كل من شلمنصر الثالث وآشور ناصر بال الثاني
83	رابعاً: مدينة كخت (تل بري) Kahat:
83	1- الخلفية الجغرافية والتاريخية
85	2-التقنيات الأثرية

- 85 3- كخت (نل بري) في المصادر القديمة، وفي ضوء اللقى الأثرية الآشورية
- 90 **الفصل الثاني التجديدات العمرانية في العصر الآشوري الحديث**
- 92 **أولاً: مدينة آشور (Ashur):**
- 92 1- الخلفية الجغرافية والتاريخية
- 94 2- التنقيب الأثري في المدينة
- 95 3- التجديدات العمرانية في مدينة آشور
- 96 أ- التجديدات العمرانية في الفترة ما بين (912-827 ق.م)، من فترة حكم أدد
نيراري الثاني (912-891 ق.م) إلى نهاية حكم شلمنصر الثالث (858-
827 ق.م).
- 104 ب- التجديدات العمرانية في الفترة ما بين (824-722 ق.م)، من عهد شمشي
أدد الخامس (824-810 ق.م) إلى عهد شلمنصر الخامس (727-722
ق.م)
- 106 ج- التجديدات العمرانية في عهد السلالة الشاروكينية (722-612 ق.م)
- 106 - شاروكين الثاني (722-705 ق.م)
- 107 - سنحريب (704-681 ق.م)
- 110 - أسرحدون
- 113 - أشوربانيبال (668-627 ق.م)
- 115 - سن - شار - إشكون (Sin- shar - ishkun) (623-612 ق.م)
- 116 **ثانياً: مدينة نينوى:**
- 116 1- الخلفية الجغرافية والتاريخية
- 117 2- التنقيب في نينوى
- 118 3- التجديدات العمرانية في نينوى في العصر الآشوري الحديث (912-612 ق.م)

- 118 أ- التجديدات العمرانية في نينوى في الفترة (912-705 ق.م)-من عهد أدد
نيراري الثاني (912-891 ق.م) إلى عهد شاروكين الثاني (722-
705 ق.م)
- 123 ب- التجديدات العمرانية في عهد سنحريب (704-681 ق.م)
- 124 - أسوار المدينة وبواباتها وتحصيناتها، الساحات والشوارع، والطريق
الملكي
- 126 - القصر الملكي
- 129 - التجديد في معابد المدينة
- 130 - مخزن الأسلحة (إيكال مشرتي)
- 132 ج- تجديدات خلفاء سنحريب في مدينة نينوى
- 132 - الملك أسرحدون (680-669 ق.م)
- 134 - الملك آشور بانيبال (668-627 ق.م)
- 136 ثالثاً: مدينة تل برسيب (تل أحمر) (Til Parsip)
- 136 1-الخلفية الجغرافية والتاريخية
- 138 2-التنقيبات الأثرية
- 139 3- الوصف العمراني والرسوم الجدارية في تل برسيب
- 141 أ- الغرفة 24
- 141 ب- الغرفة 47
- 142 ج- الممرات 24 و 28
- 142 د- الغرفة 46

- 144 الفصل الثالث: الحدائق والبساتين ومشاريع الري الملكية.
- 145 أولاً: مدينة كلخو:
- 146 1- الحدائق والبساتين الملكية
- 146 أ- حدائق القصر الملكي والبساتين المحيطة
- 151 ب- حدائق الحيوان الملكية
- 153 2- الحدائق والبساتين (حدائق النبات والحيوان) من وجهة نظر المشاهد الفنية
- 156 3- قناة الخصوبة (باتي هيجالي) Batti Hegalli
- 158 ثانياً: مدينة دور شاروكين:
- 158 1- الحدائق والبساتين الملكية في دور شاروكين
- 161 2- نماذج منتخبة لأعمال فنية تصور الحدائق الملكية في دور شاروكين.
- 163 3- تزويد دور شاروكين بالمياه (قناة شاروكين الثاني).
- 165 ثالثاً: مدينة نينوى :
- 165 1- حدائق سنحريب الملكية وبساتين نينوى
- 174 أ- حدائق وبساتين نينوى الملكية (حدائق النبات والحيوان) في ضوء المشاهد الفنية .
- 177 2- مشاريع سنحريب الملكية لإرواء حدائق وبساتين نينوى
- 178 أ- المرحلة الأولى :بناء سد على نهر الخوصر وتحويل مجراه عبر قناة كيسييري وتوسيع الينابيع في أعالي نهر الخوصر .
- 180 ب- المرحلة الثانية :
- 180 - توسيع الينابيع في جبال موصري وجبال تاس .
- 181 - انشاء المستنقع (البحيرة) قرب نينوى.

- 182 - انشاء سد على نهر الكومل .
- 183 - قناة سنحريب بين الكومل والخورصر .
- 184 - عبارة جروان كجزء من قناة سنحريب (The Jerwan Aqueduct) .
- 188 الفصل الرابع : المكتبات في العصر الآشوري الحديث وتاريخ الكتاب
- 189 أولاً: نشأة المكتبة
- 195 ثانياً: أصل كلمة المكتبة والكاتب .
- 197 ثالثاً: المكتبات في العصر الآشوري الحديث .
- 197 1- مكتبة تجلات بليصر الأول (1117-1077 ق.م)
- 199 2- مكتبة شاروكين الثاني (722-704 ق.م)
- 204 3-مكتبة آشور بانبيال (668 - 627 ق.م)
- 204 أ- استقراء في شخصية آشور بانبيال .
- 207 ب- مكتبة آشور بانبيال (التنظيم والإدارة)
- 212 ج- مكتبة آشور بانبيال (النسخ والترجمة)
- 217 د- مكتبة آشور بانبيال (التذييلات والشروحات والتعليقات)
- 220 هـ - مكتبة آشور بانبيال (المحتويات)
- 222 - مجموعة نصوص العرافة والكهانة .
- 227 - مجموعة النصوص الدينية .
- 229 - مجموعة النصوص الأدبية والعلمية .

240	رابعاً: تاريخ الكتاب .
240	1- تاريخ الكتاب
245	أ- الوصف المادي للكتاب .
245	ب- مضمون الكتاب وتاريخه .
248	الخاتمة
252	قائمة الأشكال
289	المراجع العربية والمعربة
293	المراجع الأجنبية

قائمة الرموز والاختصارات

ARSB	Ancient Records of Assyrian and Babylonian
CAH	Cambridge Ancient History
JNES	Journal of Near Eastern Studies
AJA	American Journal of Archaeology
CAD	The Assyrian Dictionary of oriental institute of the university of Chicago

ملخص الموضوع

من المعلوم أنّ الازدهار الحضاري لأي شعب من الشعوب، ولأية أمة من الأمم، لا يتأتى إلا من الازدهار الاقتصادي، وهذا بدوره لا يكتب له النجاح إلا إذا ترافق مع استقرار سياسي، تشرف عليه وتدعمه السلطة السياسية.

إن العلاقة بين هذه الحوامل الثلاثة هي علاقة مترابطة ترابطاً جدلياً فلا يمكن بحال من الأحوال لأي منها أن يحدث بمعزل عن الآخر. وقد قيض للإمبراطورية الآشورية في العصر الآشوري الحديث (912-612 ق.م)، أن اجتمعت فيها تلك الحوامل فأبدعت حضارة مزدهرة طبعتها بطابعها الخاص الذي ميزها عن غيرها من حضارات المشرق العربي القديم وهذا لا يعني غياب التأثير والتأثير الحضاري المعتاد ضمن سلسلة الحضارات إذ أن المنطقة التي نشأت فيها (بلاد الرافدين الشمالية) كانت قابلة للتلاقح الحضاري.

انعكس الازدهار الحضاري للإمبراطورية الآشورية الحديثة بالعديد من الانجازات الحضارية التي كان الملوك الآشوريين أنفسهم أمناء على تنفيذها فمنها ما ظهر عمرانياً وفنياً تمثل ببناء العديد من العواصم الآشورية الحديثة وبتجديد المدن والعواصم القديمة، والتي عكست بأبنيتها الفخمة الحصينة وبزخارفها ومنحوتاتها النافرة وببساتينها وحدائقها الملكية التي ضمت نواذر المزروعات من النباتات والأشجار وغرائب الحيوانات المجلوبة وبمشاريع ريها المتطورة، عكست تميزاً آشورياً فريداً.

ومنها ما ظهر ثقافياً تمت ترجمته من خلال الشغف الشديد الذي أبداه العديد من ملوك العصر الآشوري الحديث في جمع مختلف أنواع النصوص المسمارية، وتشكيل مكتبات خاصة بهم ومحاولة إنشاء أول كتاب في التاريخ في عهد الملك شاروكين الثاني إلى أن توجت اهتماماتهم بمحاولة الملك آشور بانيبال إنشاء أول مكتبة شاملة في التاريخ تضم بين ثناياها شتات التراث الرافدي كاملاً.

كل هذه العناصر وعناصر أخرى عكست طبيعة الفكر الآشوري آنذاك وترجمة ما توصل إليه الآشوريين من ابداعات على مختلف الأصعدة.

المقدمة :

نقاس قيمة الأمم بمقدار ما تبذره من إنجازات حضارية في مختلف الميادين والأصعدة فالأمة بدون إنجازات حضارية هي أمة بلا تاريخ سيفنى ذكرها ويندثر والعكس صحيح.

لطالما وصف الآشوريون عبر تاريخهم الطويل بالقسوة واللاإنسانية وبأنهم رجال حرب وقتال إلا أن هذه الصورة وإن كانت صحيحة أثبتتها حوليات ونقوش الملوك الآشوريين وأعمالهم الفنية المتنوعة التي زينت مقراتهم الملكية إلا أنها لم تتصف الآشوريين كدولة وكشعب من شعوب مشرقنا العربي القديم ولم تعطِ الصورة الحقيقية الكاملة عنهم، فقد أبدع الآشوريون في عصر دولتهم الحديثة حضارة مزدهرة طبعوها بطابعهم الخاص، جعلتهم يأخذون مكانهم ضمن سلسلة الحضارات القائمة على مبدأ التأثير والتأثير، سيما وأنهم شكلوا جزء لا يتجزأ من حضارة بلاد الرافدين العريقة، فهم ورثة الحضارة البابلية التي انتقل إليهم من خلالها التراث السومري والآكادي.

هذه الإشكالية كانت دافعاً أساس لاختيار البحث الذي تتجلى أهميته بمحاولة إلقاء الضوء على الجانب الحضاري المشرق في تاريخ الإمبراطورية الآشورية الحديثة بعيداً عن ذلك الجانب المظلم القاتم السواد، من خلال دراسة أهم الجوانب الحضارية التي أبدعها الآشوريون سواءً في المجالات العمرانية والفنية أو المجالات الثقافية والفكرية. ويندرج تحت هذه الإشكالية الرئيسة العديد من الإشكاليات الأخرى الهامة التي سنتم محاولة معالجتها خلال البحث نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر قضية التحصينات والدفاعات الضخمة التي أحاطت بالمدن الآشورية التي تحولت بدورها إلى مايشبه القلاع والحصون، والسؤال هنا ما الأسباب الكامنة وراء ذلك؟ هل للقلق والخوف الدائم من الخطر المحدق علاقة بذلك أم يرتبط الأمر بما يسمى الدونو(قلعة حصينة) التي ظهرت في العصر الآشوري الوسيط (نحو القرن 13 ق.م).

ومن الإشكاليات الأخرى الهامة قضية نقل العواصم الآشورية من مكان لآخر والدوافع المتعلقة بذلك. كذلك لدينا الإشكاليات المرتبطة بالنواحي العمرانية والفنية كإشكالية مخطط كل من القصر والمعبد الآشوري في العصر الآشوري الحديث، فهل احتفظ مخططهما بشكله كما كان عليه في العصور السالفة أم طرأت عليه تغييرات وتعديلات جديدة؟

وهناك الإشكالية المتعلقة بحدائق النبات والحيوان التي أنشئها الملوك الآشوريون في قصورهم الملكية، وإشكالية التمييز بين النباتات والحيوانات الأصلية وتلك المجلوبة من خارج بلاد آشور، وإشكالية تنظيم تلك الحدائق وإدارتها.

أيضاً لدينا الإشكاليات المتعلقة بالمكتبات الآشورية منها إشكالية ألواح الكتابة الخشبية ومدى استعمالها والأدلة الدالة عليها، وإشكالية تاريخ ظهور الكتاب وعند أي من الشعوب ظهرت فكرته

الأولى. جميع هذه الإشكاليات وإشكاليات أخرى ستتم محاولة دراستها خلال البحث بهدف الوصول - قدر الامكان - إلى نتائج واضحة حولها.

أما المنهج المتبع في الدراسة فهو منهج الوصف التحليلي وذلك بعرض المعلومة التاريخية ومحاولة تحليلها بالقدر الذي تسمح به المعطيات التاريخية-الأثرية. كذلك أُتبع المنهج الاستقرائي من خلال طرح بعض التساؤلات ومحاولة الإجابة عليها. وعلى هذا تم تقسيم البحث الى أربع فصول سبقها دراسة تمهيدية تم التطرق فيها إلى النطاق الجغرافي الذي نشأ فيه الآشوريين مع إشارة مقتضبة إلى بيئة الرافدين عامة، وإلى نشأة الدولة الآشورية، ومن ثم توسعها وتحولها الى إمبراطورية مترامية الأطراف، وأخيراً تم عرض موجز لأبرز المصادر التاريخية التي تناولت الآشوريين وتاريخهم بدءاً من كتاب العهد القديم وانتهاءً بتقارير المنقبين الأوروبيين.

أما الفصل الأول فيتناول مدن أنشأت في العصر الآشوري الحديث وهي مدينة كلخو (نمرود حالياً)، مدينة دور شاروكين (خورسباد حالياً)، مدينة إمجور إنليل (بلوات حالياً)، ومدينة كخت (تل بري حالياً)، تم تناول هذه المدن بالدراسة من عدة نواحي تاريخية وتنقيبية وعمرانية وفنية تمثلت بدراسة أبرز القصور والمعابد التي أنشأت فيها وما حوته تلك الأبنية من ابداعات فنية تمثلت بالمنحوتات النافرة والرسوم الجدارية والمنحوتات العاجية، والشرائط المعدنية، والتماثيل المختلفة الأشكال...الخ.

ويتحدث الفصل الثاني عن المدن الآشورية القديمة (آشور، نينوى، تل برسيب (تل أحمر)) من خلال التركيز على التجديدات والإضافات العمرانية التي طرأت على بنيتها على يد ملوك العصر الآشوري الحديث، لذا وتسهيلاً للدراسة تم تقسيم التجديدات العمرانية بحسب الفترات التي مرّ بها التاريخ الآشوري الحديث، وسبق ذلك تقديم عرض جغرافي وتاريخي لكل مدينة من المدن الثلاثة إضافةً لعرض موجز لأهم التنقيبات التي حصلت في مواقع تلك المدن. جدير بالذكر أنه تم تتبع قضية التجديدات العمرانية والفنية في المدن الثلاثة من خلال ما خلفه الملوك الآشوريين من نقوش مسمارية حددت أعمالهم تلك، وذلك لأن عمليات التجديد المتكررة للأبنية تجعل قضية تتبع الأعمال العمرانية صعبة إن لم تكن شبه مستحيلة.

في حين يتحدث الفصل الثالث عن الحقائق الملكية ومشاريع الري المنفذة في العواصم الآشورية الثلاثة (كلخو، دور شاروكين، نينوى) حيث تم التطرق لأنواع النباتات المزروعة في تلك الحقائق ومحاولة التمييز بين النبات الأصلي منها والدخيل (المجلوب عن طريق الحملات العسكرية والهدايا الجزية والغنائم...الخ)، وتمت محاولة تتبع المخطط الذي كانت عليه الحديقة الملكية الآشورية وذلك بعرض بعض المنحوتات النافرة التي صورت الحقائق الملكية، وكذلك دراسة أهم مشاريع الري التي

أنجزها مؤسسي تلك العواصم، التي سمحت بدورها بتقديم صورة واضحة عن مدى تطور هندسة الري في العصر الآشوري الحديث.

أما الفصل الرابع فيدرس مسألة المكتبات الآشورية الحديثة التي عكست صورة الحياة الثقافية والفكرية في بلاد آشور والرافدين عامة، تم من خلالها التعرف على الأصل الأول لكلمة المكتبة والكاتب في المصادر القديمة، ثم التعرف على التطور التاريخي الذي مرت به المكتبات وذلك بعرض بعض النماذج من الجنوب الرافدي كمكتبة نيبور، ومن سوريا كأرشيف ومكتبة إبلا وأوجاريت وصولاً إلى العصر الآشوري الحديث، حيث تمت دراسة أهم المكتبات التي ظهرت آنذاك (مكتبة تجلات بليصر الأول، مكتبة شاروكين الثاني، مكتبة آشور بانيبال). ومن خلال هذه الدراسة تم التعرف على الآلية التي نظمت فيها المكتبات التي تبين أنها آلية متطورة جداً إذ اشتملت على فهارس وقوائم تضمنت تصنيفات للنصوص المكتوبة على الألواح الطينية المسمارية، بحسب مواضيعها ومحتوياتها وكاتبها وغير ذلك من أمور.

كما تم التعرف على أقدم المحاولات لإنشاء كتاب متعدد الألواح، والمتمثلة بكتاب كلخو العاجي المؤرخ في عهد الملك شاروكين الثاني، حيث تمت دراسة هذا الكتاب من حيث مادته التي صُنعت منها والآلية التي صُنعت فيها والمحتوى الذي تضمنه.

اختتم البحث بمجموعة النتائج التي تم التوصل إليها، والتي صبت جميعها في بوتقة واحدة، اسمها الحضارة الآشورية التي حُق لها أن تأخذ مكانها المميز بين حضارات المشرق العربي القديم، كما اختتم البحث أيضاً بمجموعة من المراجع العربية والمعرية، والمراجع الأجنبية التي شكلت أساساً علمياً غنياً بني عليه البحث.

تم تزويد البحث بمجموعة من المخططات والأشكال التوضيحية التي شكلت جزءاً لا يتجزأ من تكاملية البحث، وأسهمت في استجلاء صورته بشكل جيد.

أخيراً يطيب لي أن أقدم بكلمة شكر وتقدير لأستاذي أ. د. عيد مرعي لطول صبره وتوجيهه المستمر وتقويمه لكل إعوجاج في تفاصيل البحث، الأمر الذي كان له عظيم الأثر في إنجاز البحث بشكله الأخير فله مني وافر الامتنان والتقدير.

كذلك الشكر موصولاً للأستاذ الدكتور جباغ قابلو لما قدمه من نصح وإرشاد، فله مني كل الشكر والعرفان. واتقدم بالشكر لكل من قدم يد العون والمساعدة في إنجاز هذا البحث.

لقد حاولت بذل جهدي لإتمام البحث وإخراجه بصورة تليق بالبحث العلمي، وتليق بالمكانة العظيمة لبلد الحضارة، بلد الرافدين، وبمكانة مشرقنا العربي فأرجوا أن أكون قد وفقت لذلك.

والله ولي التوفيق

تمهيد:

وجدت في جزء هام من الشرق العربي العريق، منطقة شكلت شعبة مضيئة ومركزاً من أهم مراكز حضارة الشرق القديم، هذه المنطقة نُعتت باسم أرض الرافدين. لكن وكأية منطقة أخرى، فقد تنوعت التسميات المطلقة على هذه الرقعة من الأرض على الرغم من أنها تدل في مضمونها على رقعة جغرافية واحدة. ولعل هذا التنوع في التسمية مرده إلى الفترة الزمنية التي أُطلق فيها الاسم من جهة، وإلى اختلاف وجهات نظر مطلقيها سواء من الشعوب المجاورة للرافدين أو من قبل المؤرخين الذين تناولوها بالدراسة من جهة أخرى.

فمن تسمية بلاد الرافدين وبلاد ما بين النهرين إلى ميزوبوتاميا والعراق وإلى تسميات أكثر تحديداً من مثل ((بلاد بابل)) و ((بلاد آشور)).

السؤال المطروح ما هي الدلالات الجغرافية - التاريخية التي تنطوي عليها هذه التسميات: بلاد الرافدين أو بلاد ما بين النهرين: اسم أُطلق على المنطقة المحصورة بين نهري دجلة والفرات. وهو ترجمة للمصطلح الإغريقي Mesopotamia. يعتبر الجغرافي والمؤرخ الإغريقي سترابون Strabon (63 ق.م - 24 م) أول من استخدم هذا المصطلح مشيراً فيه إلى القسم الشمالي من تلك المنطقة، وأطلق على القسم الجنوبي منها Babylonia أي بلاد بابل. ثم أطلق بليني الكبير Bliny the Elder (23 - 79 م) مصطلح ميزوبوتاميا على بلاد الرافدين كلها حتى سواحل الخليج العربي ⁽¹⁾. أما الجغرافيون العرب فقد استبدلوا مصطلح ميزوبوتاميا بمصطلح ((الجزيرة)) للدلالة على القسم الشمالي من وادي الرافدين

أما تسمية العراق فقد ظهر استعمالها أواخر العهد الساساني (226 - 651 م)، وقد اختلف استعمالها ومدلولها لدى الجغرافيين العرب ⁽²⁾.

هذا الامتداد ترك أثراً بعيد المدى في نوع التركيبة السكانية لإقليم الرافدين، إذ جعله محط أنظار الأقوام المجاورة، فكانت هناك الأقوام الهندو أوروبية القادمة من النواحي الجبلية الشمالية والشمالية الشرقية، وأقوام المشرق العربي القديم القادمة من الصحراء العربية من النواحي الغربية والجنوبية الغربية، ومن يقرأ تاريخ هذه الأقوام وتحركاتها وتاريخ منطقة الرافدين يدرك عظيم أثرها على شعب وحضارة الرافدين ⁽³⁾.

(1) - مرعي، عيد : آثار الوطن العربي القديم (الجزيرة العربية وبلاد الرافدين) ، جامعة دمشق، 2009 - 2008، ص 11 .

(2) - باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، دار الوراق، 2009، ص 24-25 .

(3) - باقر، المرجع نفسه، ص 35 - 36 .

تضاريسياً تقسم أرض الرافدين لعدة أقسام يُكتفى هنا بتعدادها وتعيين مواقعها وهي كالآتي:

أ . السهل الرسوبي، ويقع وسط وجنوب الرافدين.

ب . الهضبة الصحراوية، وتحل القسم الغربي لأرض الرافدين.

ج . المنطقة الجبلية، وتشغل الأجزاء الشمالية الشرقية من الرافدين⁽¹⁾.

إذاً طبيعة متنوعة تضاريسياً، ستفرض بالنتيجة مناخاً متنوعاً، فهو معتدل شتاءً وصيفاً في القسم الجبلي وأمطاره تتراوح ما بين 40 و 100 سم سنوياً ليتحول إلى مناخ صحراوي في السهل الرسوبي والهضبة الصحراوية ذات الأمطار القليلة⁽²⁾.

أيضاً تنوع التضاريس والمناخ، إضافة لتنوع التربة، أدى لتنوع النبات الطبيعي على أرض الرافدين. فانتشرت الغابات في الجبال، وسادت الحشائش في السهول وقُلت في الصحارى⁽³⁾.

ضمن هذا الإطار الجغرافي عُرف مصطلحي ((بلاد آشور)) و ((بلاد بابل)). كان لكل من المصطلحين أبعاده الجغرافية والتاريخية والحضارية. فيشير المصطلح الأول إلى القسم الشمالي من بلاد الرافدين، ويشير الآخر إلى القسم الجنوبي منها⁽⁴⁾.

في هذا المقام سيقصر الحديث عن مصطلح ((بلاد آشور)) موضوع البحث. أما ((بلاد بابل)) فهي خارج هذا الإطار المكاني.

الحقيقة أنه توجد عدة تساؤلات تفرض نفسها حول بلاد آشور والآشوريين، فما المقصود بتسمية بلاد آشور، وما أصلها، ثم من هم الآشوريين وما أصلهم ؟ هذه أسئلة بحاجة إلى إجابة عليها.

إنّ صيغة الاسم بلاد آشور Assyria مأخوذة من اليونانية التي استمدت بدورها من الصيغة الأكادية mat Assur التي تعني أرض آشور⁽⁵⁾. لا يعلم من أين أتت التسمية هل من اسم مدينة آشور أو من اسم الإله آشور وبالتالي منح الآشوريين اسمهم، لكن المهم في الأمر أن تسمية آشور ذاع صيتها فأطلقت كما ذكر آنفاً على العاصمة، والإله القومي في آن واحد، وعلى الشعب فعرفوا

(1) - الخلف، جاسم محمد، محاضرات في جغرافية العراق الطبيعية والاقتصادية والبشرية، معهد الدراسات العربية العالمية، جامعة الدول العربية، 1959، ص 34 .

(2) - باقر، مرجع سابق، ص 34 .

(3) - الخلف، المرجع السابق، ص 117 .

(4) - كيرشباوم، إيفا كانجيك : تاريخ الآشوريين القديم، ترجمة فاروق اسماعيل، دار الزمان، طبعة أولى ، دمشق، 2008، ص 10 .

(5) - كيرشباوم، المرجع نفسه، ص 10 .

باسم الآشوريين، وكذلك على الدولة الآشورية بمراحلها المختلفة. ورد اسم آشور إضافة للمصادر الأكادية واليونانية، في المصادر الآرامية والعربية⁽¹⁾.

شكل القطاع الشرقي من السهل الشمالي في منطقة بلاد الرافدين الموطن الأصلي للآشوريين، وهو ما يعرف اليوم بالجزء الشمالي من العراق⁽²⁾. الذي كانت مراكز الاستيطان الرئيسة فيه تقع شرق نهر دجلة.

وهي محصورة بين نهري الزاب العلوي (الكبير) والزاب السفلي (الصغير)⁽³⁾ اللذين شكلا مع نهر الدهيم أهم روافد نهر دجلة. هذه الروافد بمجموعها مع نهر دجلة، شكلت الشرايين الزراعية الرئيسة بالنسبة للآشوريين⁽⁴⁾.

إذا كان الجزء الشمالي الشرقي من أرض الرافدين هو الموطن الذي استقر فيه الآشوريون، فما هو أصلهم ومن أين أتوا ؟

الآشوريون هم من أقوام المشرق العربي القديم، أي من المتكلمين بإحدى لغات المشرق العربي القديم وهي (الأكادية). يعتقد أنهم - وبحسب النظرية السائدة - قد هاجروا كغيرهم من أقوام المشرق العربي القديم من الجزيرة العربية واستقروا في بادية الشام وما جاورها، ثم انتقلوا إلى الجزء الشمالي الشرقي من أرض الرافدين مطلع الألف الثالث قبل الميلاد⁽⁵⁾ مؤسسين فيه أول مركز ثابت لهم في آشور التي تبعد عن قرية الشرايط الحديثة⁽⁶⁾. ليبدأوا بعد ذلك مسيرة تاريخية طويلة امتدت امتدت من مطلع الألف الثالث قبل الميلاد حتى العام (612 ق.م) حيث انتهت دورهم وتأثيرهم السياسي على ساحة الشرق الأدنى القديم ومجرياتهم، لكن بالتأكيد الآشوريون كشعب بقي موجوداً ولم يقض عليه بالكامل. هذا التاريخ الطويل مرّ بمراحل وأطوار تاريخية عديدة تراوحت ما بين الضعف والتبعية والخضوع وبين الاستقلال والقوة والجبروت.

درج الباحثون على تقسيم التاريخ الآشوري إلى ثلاثة أدوار تاريخية رئيسة، وذلك تسهيلاً للدراسة لا أكثر، منطلقين بهذا التقسيم من مبدأ التسلسل التاريخي للدولة الآشورية، هذه الأدوار هي: العصر

(1) - باقر، مرجع سابق، ص 517 - 518 .

(2) - Oats, Joan and David, Nimrud an Assyrian Imperial city revealed, London, 2001, p.13.

(3) - كيرشباوم، مرجع سابق، ص 10 .

(4) - لويد، ستينون : آثار بلاد الرافدين من العصر الحجري القديم حتى الغزو الفارسي، تر. محمد طلب، دار دمشق، 1992 - 1993، ص 24 .

(5) - باقر، مرجع سابق، ص 520 .

(6) - Oates, Joan and David, op.cit, p 13.

الآشوري القديم (1815 . 1365 ق.م)، العصر الآشوري الوسيط (1365 . 912 ق.م)، العصر الآشوري الحديث (912 . 612 ق.م)⁽¹⁾.

كانت بلاد آشور منتصف الألف الثالث قبل الميلاد، جزءاً من الإمبراطورية الأكادية (2334 - 2154 ق.م)⁽²⁾. ثم خضعت لسلطة أور الثالثة (2111 - 2003 ق.م)⁽³⁾. انتقلت آشور بعدها إلى مرحلة جديدة تمتعت فيها بالاستقلال، فبرزت قوة اقتصادية في عهد سلالة إلوشوما وإيريشوم⁽⁴⁾ يدل على ذلك آثار عدة مستوطنات تجارية أسسها تجار آشوريون في وسط الأناضول وأشهرها كاروم كانيش (كول تبه)⁽⁵⁾. بعدها برزت آشور قوة سياسية وعسكرية في عهد سلالة جديدة أسسها الملك الأموري الشهير شمشي أدد الأول (1815 - 1782 ق.م)، إذ أقام مملكة وصل نفوذها إلى منطقة الفرات الأوسط، كما ضم مدينة ماري إلى حكمه⁽⁶⁾. يمكن القول أن هذه هي البداية الأولى لآشور التي أضحت فيها مملكة قوية يشار لها بالبنان، لكن للأسف ظهر أن بقاء هذه المملكة مرتبط بشخص مؤسسها، إذ بعد وفاة شمشي أدد الأول تدهورت أحوال بلاد آشور وأصبح كيانها السياسي لثلاثمائة سنة، أي حتى نحو العام (1400 ق.م)، لا يتعدى الوجود الاسمي أولاً كمقاطعة من مملكة حمورابي البابلي (1792 . 1750 ق.م)، وبعد ذلك دخلت تحت نفوذ الحوريين. خلال القرن الخامس عشر لم تكن بلاد آشور أكثر من منطقة نفوذ للمملكة الميتانية⁽⁷⁾. بعدها استغلت آشور ضعف ميتاني نتيجة صراعاها مع الحثيين، لتنهض من جديد وتصبح لاعباً رئيساً على ساحة الشرق القديم وذلك في عهد ملكها آشور أوباليط الأول (1365 . 1335 ق.م)⁽⁸⁾. هو أول ملك في عصر جديد أطلق عليه اسم العصر الآشوري الوسيط. إذ قام آشور أوباليط ببناء قوة سياسية مماثلة لقوى عصره آنذاك، وأقام علاقات دبلوماسية مع كل من مصر وبابل الكاشية التي زاد نفوذه فيها على إثر علاقة المصاهرة السياسية مع ملكها الكاشي⁽⁹⁾.

(1) - مرعي، عيد، عبدالله، فيصل، أحمد، محمود عبد الحميد : آثار الوطن العربي القديم : العراق . سورية . مصر، منشورات جامعة دمشق، ط 2، 2003 . 2004، ص 167

(2) - كيرشباوم، مرجع سابق، ص 30 - 31 .

(3) - ساغس، هنري، جبروت آشور الذي كان، ترجمة آخو يوسف، دار الينايع، دمشق، 1995، ص 52 .

(4) - باقر، مرجع سابق، ص 526 .

(5) - Oates, Joan and David, op.cit, p . 14 .

(6) - ساغس، المرجع السابق، ص 63 .

(7) - مورتكات، أنطون، تاريخ الشرق الأدنى القديم، تعريب توفيق سليمان وآخرون، دمشق، 1967، ص 182

(8) - ساغس، هنري، المرجع السابق، ص 69 .

(9) - Buccellati, Giorgio : A primer of Mesopotamian political history, The International Institute for Mesopotamian area studies, 1981, p . 47.

من الملوك الكبار لهذا العصر شلمنصر الأول (1274 - 1244 ق.م) الذي قام بمد التوسع العسكري الآشوري باتجاه جديد، وسيبقى هذا ثابتاً في السياسة الخارجية للدولة الآشورية، إذ نقل شلمنصر جيوشه عبر سلاسل جبال طوروس الشرقية إلى منطقة الأناضول الشرقية، وتحديدًا في منطقة نايري التي قامت فيها مملكة أورارتو. كما قام شلمنصر ببناء مدينة كلخو (نمرود حالياً)، التي ستتحول في عهد آشور ناصر بال الثاني إلى عاصمة للإمبراطورية الآشورية الحديثة⁽¹⁾

الملك توكولتي نينورتا الأول (1244 - 1208 ق.م): كان من بين المدافعين الكبار عن العرش الآشوري. اشتهر بأعماله العسكرية والعمرانية⁽²⁾. حيث عزز توسعات أسلافه بسلسلة من الحملات العسكرية المتواصلة بكل الاتجاهات، وأضاف اتجاهًا آخر نحو الجنوب البابلي. وقام بإنشاء عاصمة جديدة شمال مدينة آشور سماها كار توكولتي نينورتا، لكن مقتله أغرق المملكة الآشورية بحالة من الضعف السياسي استمرت بما يقارب القرن من الزمان حتى مجيء أعظم ملوك العصر الآشوري الوسيط، إنه العظيم تجلات بيليسر الأول (1117 . 1077 ق.م) أعاد البلاد لسابق عهدها، وتم توطيد حدود المملكة الآشورية كما كانت في القرن الثالث عشر⁽³⁾. بعد أن خاض في سبيل ذلك العديد من الحروب، في الأناضول وفي بلاد بابل وفي سورية ووصل الساحل الفينيقي، هنا حُق لتجلات بيليسر أن يفتخر بقطعه الأشجار اللازمة لأعمال العمران والبناء الآشورية. كما تصدى للتدفق الآرامي على الفرات⁽⁴⁾.

في عهد هذا الملك تشكلت قواعد الحكم الملكي الآشوري الكامل ورسمت السياسة الآشورية التي تجلت بالرغبة في التوسع والسيطرة على العالم⁽⁵⁾. لكن أوضاع الدولة الآشورية تغيرت بعد مقتل تجلات بيليسر الأول فدخلت البلاد بفترة انتقالية حالحة السواد، وعانت من موجة الضغط التي سببتها القبائل الأرامية المهاجرة⁽⁶⁾ واستمرت لفترة طويلة، بقيت طوال عصرها الحديث تقريباً.

بعد تلك الفترة الانتقالية بدأت مرحلة جديدة من التاريخ الآشوري، تعرف بالعصر الآشوري الحديث (912 . 612 ق.م). فاتحة مجد الآشوريين وعصر الجيروت والعظمة الآشورية، إنه عصر التحول لإمبراطورية لم يخلق التاريخ لها مثيل. وعصر الرقي الحضاري للآشوريين، عصر أعطى

1) Buccellati, G – op, cit. p.48.

2)- مورتكات، مرجع سابق، ص 259 .

3)-Buccellati ,G, op.cit, p. 48 .

4)- مورتكات، المرجع السابق، ص 283 - 284 .

5)- Oates,Joan and David, op.cit, p 15.

6)- Postgate, Nicholas, The Assyrian empire, Cambridge University press, Cambridge , 1980 , p . 186 .

الحضارة الآشورية مكانها المميز ضمن سلسلة حضارات الشرق القديم. لكنه بالمقابل كان آخر حلقة من حلقات التاريخ الآشوري الطويل، إذ انتهى بسقوط مدوي لصرح الإمبراطورية العظيم.

بدأت تتضح ملامح هذا العصر مع آشور دان الثاني (932 . 912 ق.م) ثم خلفه على العرش ابنه أدد نيراري الثاني (911 . 890 ق.م)، اشتهر بعبقريته العسكرية وبحروبه التي هدفت للتحكم بطرق المواصلات التجارية بين آشور والأناضول وسورية ⁽¹⁾. لذا يعتبر المؤسس الجديد للإمبراطورية الآشورية ⁽²⁾. لتبدأ بعد ذلك سلسلة من حلقات عدة للتوسع الآشوري والانتصارات العسكرية على أيدي ملوك اعتبروا من أعظم ساسة الآشوريين والشرق القديم أجمع.

آشور ناصريال الثاني (884 . 859 ق.م) أول ملك عظيم في هذا العصر والملوك الثلاثة الذين سبقوه كانوا قد مهدوا الطريق أمامه لتشكيل الإمبراطورية الآشورية العظيمة ⁽³⁾. ورث عن سلفه اقتصاداً مزدهراً وعدداً كبيراً من الأيدي العاملة لتنفيذ طموحاته العسكرية والعمرانية ⁽⁴⁾. قام آشور ناصريال بأربعة عشر حملة كبيرة على الأقل خلال الخمس وعشرون عاماً من حكمه ⁽⁵⁾ افتتحها بحملة ضد الأراميين في مناطق الخابور والفرات الأوسط ⁽⁶⁾ ثم أخضع إقليم نايري على الحدود الشمالية الغربية وجعل منه مركزاً عسكرياً لقواته، وضرب تمرداً لمملكة بيت زمانى الآرامية ⁽⁷⁾.

م توغل في مرتفعات زاغروس وتمكن من إخضاع إقليم زاموا (881 - 880 ق.م) الواقع في الشرق قرب منبع نهر ديالى ⁽⁸⁾ ثم عاد من جديد لمناطق الخابور والفرات الأوسط لضرب تمرد الآراميين والطرف المحرك لها، مملكة بيت عديني ⁽⁹⁾ فاتحاً بذلك الطريق إلى الساحل السوري حيث غسل أسلحته في مياهه بحسب التقليد الرافدي القديم وتلقى الجزية من مدنه ليقوم بعدها مباشرة بحملة

1 -) بشور، أمل مخائيل، تاريخ الإمبراطوريات السامية في بابل وأشور، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، 2008، ص 155 .

2) - مورتکات، مرجع سابق، ص 287 .

3) –Grayson, A, Assyria : Ashur dan II to Ashur Nirari V (934 – 745B .C), C . A . H, vol 1, 1882, p. 253.

4)-Postgate,N, op.cit, p.187.

5) –Grayson, A, op.cit, p.253 .

6- (الحو، عبدالله، سوريا القديمة، مطبعة ألف باء الأديب، دمشق، 2004، ص 677 - 678 .

7) –Grayson,A, Assyrian Rulers of early first Millennium B . C(1114 – 859 B . C) ,
vol. 1, Toronto, London, 1991, p . 202 .

8) – Grayson ,A, Assyria : Ashur Dan II to Ashur Nirari V , pp . 253 – 254 .

9) – Luckenbill, D, D, Ancient Records of Assyrian and Babylonian, vol.1, Chicago, 1926
1926 , p . 144 .

ضد أورارتو في الشمال التي أخذ خطرهما يطل برأسه على الآشوريين ⁽¹⁾ رفع آشور ناصر بال الثاني الإمبراطورية الآشورية تقريباً إلى نفس المستوى الذي كانت قد بلغت أيام تجلات بيليسر الأول (1117 - 1077 ق.م) لكن بترابط أكثر. إن عظمة هذا الملك انعكست في أعماله العمرانية والفنية ولاسيما إعادته بناء مدينة كلخو (نمرود) ⁽²⁾

اعتلى العرش الآشوري بعد آشور ناصر بال الثاني ابنه شلمنصر الثالث (858 - 824 ق.م) دام عهده خمسة وثلاثين عاماً أثبت فيها حنكة عسكرية كبيرة، إذ بقي يقود جيشه بنفسه كل عام طوال سبعة وعشرين عاماً، أهم الحملات العسكرية وجهها إلى الشمال والغرب، حيث مملكة أورارتو الخطيرة، والمدن السورية الساعية للاستقلال من وطأة النير الآشوري. فأولى حملاته عام (858 ق.م) وجهها نحو الغرب حيث عبر نهري الفرات والعاصي ووصل إلى ساحل البحر المتوسط ⁽³⁾ أو بحر بلاد أمورو كما يسميه شلمنصر، فغسل أسلحته في مياهه بحسب التقليد القديم ⁽⁴⁾.

وجه شلمنصر أنظاره صوب مملكة بيت عديني ⁽⁵⁾، ساعياً من وراء ذلك إلى تأمين جسر عبور الفرات ⁽⁶⁾ فشن ضدها عدة حملات إلى أن تمكن من دخول عاصمتها تل برسيب (تل أحمر حالياً) في العام 855 ق.م ⁽⁷⁾.

بهذه السيطرة ترسخت السيادة الآشورية إلى حد الفرات وكان هذا الأمر إيذاناً لتنفيذ طموح شلمنصر في التوسع نحو الغرب والتوغل إلى داخل سورية وجنوبها. طبعاً لم يكن هذا التوسع مجرد نزهة سهلة، إذ اصطدم شلمنصر بسلسلة من التحالفات الكبيرة اضطر على إثرها لشن عدة حملات ⁽⁸⁾ وقبل التوجه إلى تحقيق هذا الهدف الكبير عمد شلمنصر إلى تأمين حدوده الشمالية والشرقية ⁽⁹⁾. توجه شلمنصر في السنة السادسة من حكمه (853 ق.م) على رأس جيش لاحتلال سورية الداخلية لكنه اصطدم بمقاومة كبيرة من قبل تحالف شكله ملكي دمشق وحماة بالتعاون مع اثنتي عشر مملكة

1 - (الطو، مرجع سابق، ص 678 - 679 .

2 - (مورتيكات، مرجع سابق، ص 287 - 288 .

3) - Grayson ,A, Ashur dan II to Ashur nirari V , p . 260 .

4)-Grayson,A, Assyrian Rulers...(858-745B.C), vol . 2 , p . 17 .

5 - (بيت عديني:مملكة آرامية نشأت في منطقة الفرات الأوسط عند المنعطف الكبير لنهر الفرات جنوب كركميش، سيتم الحديث عنها لاحقاً.

6)-Roux, George, Ancient Iraq, Third edition , Penguin Books , 1992, p. 298.

7)Grayson,A, Ashur dan II to Ashur nirari V , p . 260 .

8)Grayson, A, Ashur dan II to Ashur nirari V, p.261 .

9 - (مرعي، عيد، عبدالله، فيصل، تاريخ الوطن العربي القديم (بلاد الرافدين)، ط 4، جامعة دمشق، 2001 - 2002، ص 330 .

أخرى، وخاض معهم معركة قرقر على العاصي بالقرب من حماة وعلى الرغم من ادعاءات النصر التي دونها شلمنصر⁽¹⁾ إلا أن نتيجة المعركة لم تكن حاسمة بدليل الحملات اللاحقة التي شنّها شلمنصر⁽²⁾.

إنّ إصرار شلمنصر وإلحاحه للسيطرة على دمشق يدل على مركزها الهام وخطورتها بأن واحد على مشروعه الطموح الهادف للسيطرة الكاملة على سورية. وعلى الرغم من ذلك الفشل فقد احتفظ شلمنصر بمراقبة الطريق الذاهب من الفرات إلى الأمانوس والبحر المتوسط⁽³⁾.

شن شلمنصر حملات باتجاه الشمال فغزا العديد من مدن كيليكية، وباتجاه الشمال الشرقي ضد مملكة أورارتو التي انتصر عليها في حملة العام (856 ق.م)⁽⁴⁾. أما في بلاد بابل تدخل شلمنصر فيها في العام (850 ق.م) تلبية لنداء الإستغاثة الذي أطلقه ملكها الشرعي (مردوك زاكير شومي) ضد أخيه المتمرد (مردوك بيل أوساتي)⁽⁵⁾. بيد أن سلسلة الانتصارات التي حققها شلمنصر لم تحل دون تراجع الإمبراطورية أواخر أيامه، لتدخل البلاد بوفاته مرحلة من الضعف والانحدار استمرت قرابة الثمانين عاماً⁽⁶⁾، إلى أن جاء للعرش الآشوري شخصية مخضومة عادت معها الدولة الآشورية إلى مسرح الساحة الدولية، وبجسد إمبراطورية عظمى إنها شخصية تجلات بيليصر الثالث (744-727 ق.م) لم يقم فقط بإعادة تشكيل الإدارة الآشورية وإنما وصف على أنه المؤسس الحقيقي للإمبراطورية الآشورية الجديدة، فأحيا اللقب القديم (ملك الجهات الأربعة)⁽⁷⁾

اتجه تجلات بيليصر بعد أن رتب أوراقه الداخلية لمعالجة المشاكل الخارجية الطارئة ابتداءً نشاطه مع الجارة الجنوبية (بلاد بابل) فشن حملة ضد القبائل الكلدية والآرامية وأخضعها لسلطته، ووصل إلى شاطئ البحر الأدنى (الخليج العربي)⁽⁸⁾. ثم ترك تجلات بيليصر بابل بعد أن سمح ببقاء نابو نصر على عرشها، ولم يعد إليها إلا في العام (734 ق.م) حيث دخلها وأعلن نفسه ملكاً عليها⁽⁹⁾.

1-) Grayson, A, Assyrian Rulers... (858-745 B.C), vol.2, p.45.

2-) Roux, G, op.cit, pp. 297 - 298.

3-) -مرعي، عبدالله، مرجع سابق، ص 333 .

4) - Grayson , Assyria : Ashur dan II to Ashur nirari V ,pp. 263 - 264 .

5)- Ibid ,p.265.

6-) -باقر، مرجع سابق، ص 255 - 256 .

7) - Oates, Joan and David, op.cit, pp.19 - 20 .

8) - Luckenbill, D, D, ARAB , vol.1, pp. 269 -270 .

9-) -مورتكات، المرجع السابق، ص 297 - 298.

قام تجلات بيليسر في السنة الثانية من حكمه بحملة على مناطق جبال زاغروس التي أخذ خطرهما بالازدياد⁽¹⁾، ثم اتجه بأنظاره صوب سورية، قبلة الآشوريين التي ما فتأوا يحاولون بسط السيطرة عليها، فانتصر على تحالف آرامي تزعمه ملك مملكة أرباد الآرامية وكان هذا التحالف مباركاً من قبل ساردور الثالث الملك الأورارتي القوي⁽²⁾. على ما يبدو أن ساردور الثالث كان يطمح لمد نفوذه نحو سورية، وبنفس الوقت كان يسعى لإبعاد الخطر الآشوري عن دولته بإثارة التمردات في صفوف الممالك السورية الخاضعة للسيادة الآشورية بشكل أو بآخر.

شرقاً كان تجلات بيليسر قد أخضع أغلب مناطق زاغروس الداخلية (حملات عام 737 و 736 ق.م)، بعدها نظم هجوماً مباشراً على أورارتو في العام 735 ق.م لكن لم يكن النجاح حليفه⁽³⁾. توجه بعدها تجلات بيليسر إلى سورية التي أخذت وتيرة التمردات تشتعل فيها، فسحق تحالف ممالك الجنوب السوري (عسقلان، السامرة، غزة، ممالك شرقي الأردن) ثم أخضع دمشق لسلطته⁽⁴⁾.

مرت الإمبراطورية الآشورية بعد تجلات بيليسر بفترة انتقالية اعتلى على إثرها شاروكين الثاني العرش الآشوري (722 – 705 ق.م)⁽⁵⁾.

ابتدأ شاروكين الثاني عهده بالقضاء على الفوضى الداخلية، ثم تفرغ لأعماله العسكرية لإعادة سلطان الدولة إلى سابق عهدها، لاسيما وأن أعدائها العيلاميين والمصريين والأورارتيين ما فتأوا يحرضون الأقاليم الخاضعة لها لشق عصا الطاعة⁽⁶⁾.

بدأ شاروكين نشاطه العسكري عام 720 ق.م بالزحف ضد بلاد بابل التي اغتصب عرشها الكلدي مردوك أبال إدينا وتحالف مع العيلاميين، لكن على ما يبدو أن شاروكين لم يوفق في حملته تلك بدليل بقاء إدينا على العرش حتى العام 710 ق.م⁽⁷⁾. أما في سورية فقد أخذت وتيرة التمردات بالازدياد لاسيما مع التحريض المصري المستمر وهنا أثبت شاروكين جدارته العسكرية إذ تمكن من سحق كل التمردات وخاصة التحالف الكبير الذي تزعمه ملكي حماة وغزة عام 720 ق.م⁽⁸⁾ شمالاً

1 - بشور، مرجع سابق، ص 167 – 168.

2) - Luckenbill , D , D , ARAB , vol.1, pp.272 – 273 .

3) - Roux,G, op.cit, p . 309 .

4 - ساغس، مرجع سابق، ص 138 .

5 - مورتكات، مرجع سابق، ص 302 .

6 - باقر، المرجع السابق، ص 563 – 564 .

7 - السعدون، نصار سليمان، بلاد الرافدين وعيلام، دار إنانا، دمشق، 2010، ص 180

8) - Luckenbill, D, D, ARAB , vol.2, 1927, p.3.

انتصر شاروكين على أورارتو بحملة العام 714 ق. م وتوغل حتى شمال بحيرة وان⁽¹⁾، كما أخضع كل الممالك الحثية الجديدة في طوروس. وهكذا مع بداية العام 710 ق. م كان شاروكين هو المنتصر في كل مكان وحينئذٍ تفرغ لبابل التي لطالما شكلت شوكة نازحة في خاصمة الآشوريين، فهاجمها وتمكن من دخولها ثم اعتلى عرشها⁽²⁾.

هذا النشاط العسكري الكبير لشاروكين لم يُحل بينه وبين ممارسة نشاط معماري كبير، إذ لا شك أن العظمة الإمبراطورية دغدغت شعوره فترجمها ببناء عاصمة جديدة أطلق عليها اسم دور شاروكين (حالياً خورسباد)⁽³⁾.

اعتلى العرش الآشوري بعد موت شاروكين أحد أبنائه المدعو سنحريب الذي دامت فترة حكمه ثلاثة وعشرين عاماً (704 - 681 ق. م)، قاد خلالها الحملات على مختلف الجبهات لاسيما الجبهتين الجنوبية والغربية⁽⁴⁾.

كانت بلاد بابل من أبرز وأخطر المشاكل التي واجهت سنحريب وشكلت له هاجساً مرعباً لاسيما وأن مردوك أبال إدينا لم يكف عن محاولة السيطرة على العرش البابلي.

دخل سنحريب في عدة مواجهات مع البابليين ومن ورائهم حلفائهم العيلاميين في الأعوام (694، 693، 691، 689 ق. م)⁽⁵⁾. شكل العام الأخير 689 ق. م اللحظة الحاسمة في العلاقات البابلية الآشورية إذ قرر سنحريب بعد العناء الطويل مع هذا المرض العضال أن يستأصله من شأفته، فكان أن زحف على بابل وتمكن من احتلالها بعد حصار طويل⁽⁶⁾ وهنا كانت الكارثة إذ عاث سنحريب فيها دماراً وخراباً ((ومثل البركان النائر هاجمتها، ودمرتها مثل العاصفة، ولم أرحم سكانها.... ثم هدمت المدينة وبيوتها.... ولكي تنسى في المستقبل حتى تربة معابدها أتلقتها بالماء وحولتها إلى مراعي....))⁽⁷⁾

(7)

1 - بشور، مرجع سابق، ص 174 .

2) - Roux,G, op.cit ,pp . 314 – 315.

3 - ساغس، مرجع سابق، ص 149 .

4 - باقر، مرجع سابق، ص 569 .

5 - ساغس، المرجع السابق، ص 152 – 154 .

6 - كيرشباوم، مرجع سابق ، ص 81 .

7) - Roux,G, op.cit, p . 323 .

أما في سورية قام سنحريب في العام 701 ق. م بضرب تمرد لملوك صيدا وعسقلان ويهوذا وهزم جيشاً مصرياً أتى لنجدة المتمردين ⁽¹⁾ ثم حاصر أورشليم وحاول دخولها لكنه فك الحصار عنها نتيجة اتفاق مع ملكها وهو الرأي الراجح ⁽²⁾.

مع مقتل سنحريب دخلت البلاد في حرب أهلية استمرت إلى أن تمكن أسرحدون (680 - 669 ق. م) من السيطرة على الموقف وارتقاء العرش الآشوري ⁽³⁾.

اتخذ أسرحدون أول قراراته بإعادة إعمار بابل، الأمر الذي أكسبه صداقة البابليين ⁽⁴⁾ وأتاح له فرصة أن ينصرف لتثبيت سلطته في المناطق الأخرى من الإمبراطورية. ففي سورية حصلت كالمعتاد بعض المحاولات للتخلص من السيطرة الآشورية ومثالها عبيد ملكوتي ملك صيدا ⁽⁵⁾ الذي ضربت عنقه، أما مدينته ((مزقت وألقيت في وسط البحر)) . كفل هذا الإجراء الصارم السلام على ساحل المتوسط على الأقل لفترة وجيزة من الزمن ⁽⁶⁾.

تركز الخطر في الحدود الشمالية الشرقية من البلاد، فقد كان على أسرحدون أن يتعامل مع جموع السكيثيين وهم أقرباء الكميريين الذين أتوا من جنوب روسية ما جعل اجتماعهم يشكل تهديداً للنفوذ الآشوري في آسيا الصغرى ⁽⁷⁾.

تعامل أسرحدون مع هذا الخطر بالحزم تارة وبالدبلوماسية تارة أخرى فنجح في إبعاد خطر هذه الجموع عن آشور ⁽⁸⁾. قام بعدها بإرسال عدة حملات ضد الميديين المقيمين في الهضبة الإيرانية الجنوبي شرقي بحيرة أورميا لكنها لم تؤت أكلها ⁽⁹⁾. أما في وسط زاغروس فقد استطاع أسرحدون أن يعين صنيعة له على العرش العيلامي ويدعى أورتيكي.

1) - Luckenbill, D, D, ARAB , vol.2, pp. 118 - 120 .

2 -) بايك، أي رويستن، ترجمة يوسف داود عبد القادر، قصة الآثار الآشورية، مطبعة أسعد، بغداد، 1972، ص 114 - 113 .

3) - Luckenbill, D, D, ARAB , vol.2, pp . 200 -202 .

4) - Roux, G, op.cit, pp. 325 - 326.

5 -) ساغس ، مرجع سابق ، ص 160 .

6) -Roux,G, op.cit , p . 326 .

7 -) باقر، مرجع سابق، ص 574- 575 .

8 -) مرعي، عبدالله، مرجع سابق، ص 372 .

9) - Roux,G, op.cit , p . 327 .

اهتم أسرحدون بمسألة وراثة العرش إذ أعلن في العام 672 ق. م تولية ابنه آشور بانيبال ولياً للعهد على العرش الآشوري وابنه الآخر شمش شوم أوكين ولياً للعهد على عرش بابل⁽¹⁾. من المؤكد أن هدف أسرحدون من وراء هذا الإجراء هو ضمان استقرار الإمبراطورية بعد وفاته وعدم حصول صراع على العرش كالذي حصل بعد مقتل أبيه سنحريب.

رتب أسرحدون قضية وراثة العرش وبعدها انصرف لعمله العسكري الكبير ألا وهو غزو مصر في عقر دارها خاصة وأن مصر عادت من جديد لتلعب بالورقة السورية في محاولة منها لاستعادة نفوذها فيها⁽²⁾. شرع أسرحدون بتنفيذ هدفه في العام 671 ق. م بعد أن أمن جميع حدوده وضمن الطريق إلى مصر. ليتمكن بعدها من دخولها والاستيلاء على العاصمة ممفيس، ثم ما لبث أن ثارت مصر من جديد وجعلت أسرحدون يسارع للعودة إليها لكنه مرض وتوفي في الطريق عام 669 ق. م⁽³⁾ تاركاً المهمة لخليفته آشور بانيبال (668 - 627 ق. م) الذي نجح في القضاء على التمرد، لكن هيهات أن تنتهي المتاعب الآشورية في بلد مثل مصر إذ بقيت تشتعل نار الثورة حتى تمكنت من إنهاء السيطرة الآشورية في العام 655 ق. م وإزالة احتلال دام خمسة عشر عاماً (670 - 655 ق. م)⁽⁴⁾.

كان لحرب مصر وقعاً سلبياً على الجبهات الأخرى للإمبراطورية الآشورية، إذ بدأت بوادر العصيان والتمرد بالظهور، ففي فينيقية تمرد ملكا صور وأرواد على السلطة الآشورية⁽⁵⁾.

أما الحدود الشرقية والشمالية فقد شهدت تطورات عدة في الفترة ما بين 665 - 655 ق. م، إذ تم إرسال حملة ضد المانيين والميديين، أيضاً تم التحالف مع السكيثيين.

اتجه آشور بانيبال بعد ذلك لمواجهة مشكلة أطماع عيلام فخاض ضدها أكثر من معركة لاسيما تلك التي جرت في توليز على نهر الكرخ⁽⁶⁾، ثم في العام 646 ق. م حولها آشور بانيبال إلى إلى تابع لسلطته⁽⁷⁾ واستمر الأمر على هذا النحو حتى العام 639 ق. م عندما تمردت عيلام من جديد فكانت بهذا التمرد قد كتبت نهايتها ولكن على يد آشور بانيبال وجيوشه التي اكتسحتها وعاثت

1 - السعدون، مرجع سابق، ص 198 .

2 - ساغس، مرجع سابق، ص 162 .

3) - Roux,G, op.cit , p .238 .

4 -) باقر، مرجع سابق، ص 578- 579

5) - Luckenbill, D, D, ARAB , vol.2, pp . 296 - 297 .

6) - Roux, G,op.cit.pp.332-333 .

7 -) مرعي، عبدالله، مرجع سابق، ص 385 .

فيها خرابا. وبهذه النهاية تكون قد طويت صفحة عيلام من مسرح أحداث الشرق القديم ودخلت في غياهب التاريخ⁽¹⁾.

إن أخطر تمرد واجهه آشور بانيبال خلال فترة حكمه كان تمرد أخيه ملك بابل شمش شوم أوكين الذي شق عصا الطاعة وأعلن الثورة ضد أخيه⁽²⁾، بيد أن آشور بانيبال تدارك الموقف ففضى على التمرد وتمكن من دخول بابل في العام 648 ق. م⁽³⁾. تمكن آشور بانيبال من الحفاظ على الإمبراطورية الآشورية، وإعادة الهدوء والاستقرار إلى أرجائها، لكن للأسف، هذا الهدوء والاستقرار كان يخفي تحته بوادر عاصفة قوية آخذة في التشكل، أطاحت بالإمبراطورية الآشورية ودكت بنيانها من القواعد. إذ أن السنوات الأخيرة من حياة آشور بانيبال تميزت بالاضطراب، ليفارق الحياة بعدها نحو العام 627 ق. م تاركاً الإمبراطورية تسير لمصيرها المجهول⁽⁴⁾ في وقت تفاقمت فيه الأخطار الخارجية التي أطلت برأسها مهددة الإمبراطورية في عقر دارها.

ما هي الأخطار وكيف كانت نهاية الإمبراطورية العظيمة ؟

اجتمعت عدة قوى للقضاء على الإمبراطورية الآشورية المنهكة وهي: القوة الميديّة بزعامة كياكساريس⁽⁵⁾، وقوة الجنوب البابلي بزعامة نابو بولاصار الذي خلع طاعة الآشوريين واستقل بعرش بابل، ثم بدأ الزحف نحو بلاد آشور نفسها⁽⁶⁾، بالمقابل بدأ الهجوم الميدي على المناطق الآشورية لتتلاقى بذلك مصالح الأعداء فتم عقد حلف بين نابو بولاصار وكياكساريس من أجل إطلاق رصاصه الرحمة على الإمبراطورية المترنحة والآيلة للسقوط. لبدأ الهجوم الثنائي الكاسح والأخير على مدينة نينوى التي سقطت بيد المتحالفين في العام 612 ق. م وقبلها بعامين كان الميديون قد سيطروا على مدينة آشور، كان سقوط نينوى إعلاناً نهائياً لغياب شمس إمبراطورية حكمت الشرق الأدنى بقوة السلاح لعدة قرون⁽⁷⁾.

يظهر من هذا السرد التاريخي السريع، أن الدولة الآشورية مرت بمراحل مختلفة تراوحت ما بين الصعود والقوة والضعف والانحدار. هذا الأمر ارتبط بشكل كبير بالشخصيات الملكية التي تولت

1 -) باقر، مرجع سابق، ص 580 .

2 -) كيرشباوم، مرجع سابق، ص 95.

3 -) بشور، مرجع سابق، ص 180.

4 -) ساغس، مرجع سابق، ص 174 .

5 -) مرعي، عبدالله، مرجع سابق، ص 389 .

6 -) بشور، المرجع السابق، ص 182 .

7 -) مورتكات، مرجع سابق، ص 323 - 324 .

العرش الآشوري. هذه الفكرة صحيحة لحد ما، لكن مما لا شك فيه أن للوضع الدولي والقوى المحيطة بآشور الدور الأكبر في هذا الأمر.

حتمّ القدر على هذا التاريخ الطويل للآشوريين وعلى حضارتهم، أن يبقى دفيناً تحت تراب الشمال الرافدي لأكثر من 2500 عام، حتى بدأت من جديد قصة بعث هذا التاريخ الضخم وكتابته. لكن هذه المرة لم يكتب على أيدي الآشوريين أنفسهم، وإنما خُطّ بواسطة معاول الهواة والمنقبين والآثاريين. لهذه التفتقيات قصة تروى، لعل أعظم نتائجها التي أسفرت عنها الكشف عن الماضي الرافدي عامة والآشوري خاصة. السؤال المطروح ما هي القنوات التي تناهت عبرها أخبار الحضارات الشرقية إلى مسامع الأوربيين، لبيدؤوا معها عملية البحث الطويل عن تلك الحضارات ؟

كانت أسفار التوراة بقصصها من أولى هذه القنوات، وتشكل نقطة البدء للمعارف الأوربية. إذ أعتقد أن جنة عدن كانت تقع في مكان ما في منطقة بلاد الرافدين بين دجلة والفرات وهي الأنهار التي احتفظت بأسمائها القديمة. كما وردت إشارات عن بابل وآشور، فهناك إشارة لملوك مثل سنحريب الذي جاء من بلد تدعى آشور ليغزو ويخضع فلسطين⁽¹⁾. جدير بالتنويه أن هذه الأخبار لا يؤخذ بها قبل نقدها وتمحيصها⁽²⁾.

ثاني هذه القنوات هي المصادر الكلاسيكية، ويقصد بها كتابات المؤرخين اليونان والرومان. الذين أوردوا بين ثنايا أعمالهم جزء عن تاريخ ما بين النهرين وجغرافيته وأقاليمه وشعوبه. يقف على رأس هؤلاء المؤرخ الشهير هيرودوت (480 . 425 ق. م). لكن هذه الشهرة لم تشكل إلزاماً لهيرودوت ليتحرى الدقة والموضوعية في أخباره⁽³⁾. وهناك المؤرخ الإغريقي كزينوفون Xenophon (454 . 430 ق. م) أورد طائفة هامة من الأخبار عن آثار وخرائب المدن في شمال بلاد الرافدين، ضمّنها في كتابه المَعنون بـ أناباسيس Anabasis.

كان قد اطلع على تلك المنطقة أثناء عودته إلى بلاده من حملة فاشلة في بلاد فارس⁽⁴⁾ ومن المؤرخين المشهورين نذكر ديودور الصقلي (نحو 90 إلى 21 ق. م). كتب عن الآشوريين ولاسيما عن حياة الملكة سميراميس، وعن الحروف المسمارية⁽⁵⁾. وجدير بالذكر التنويه إلى الجغرافي والمؤرخ

1) - Reade, Julian, Assyrian sculpture , British Museum press, London, 1983, p . 52.

2) - مرعي، عيد، فرزات، محمد حرب: دول وحضارات في الشرق العربي القديم: سومر وأكاد- بابل وآشور- أمورو وآرام، دار طلاس، دمشق، 1990، ص 30 - 31 .

3) - باقر، مرجع سابق، ص 125 .

4) - مرعي، المرجع السابق، ص 11 .

5) - سارونوف، ماتقييف، حضارة ما بين النهرين العريقة، ترجمة حنا آدم، دار المجد، دمشق، 1991 م ، ص 156.

الإغريقي سترابون Strabon (63 ق.م . 24 م)، والعالم والموسوعي الروماني بليني الكبير Pliny the Elder (23 . 69 م)⁽¹⁾. أما سترابون فقد وضع كتاباً عن الأقاليم الجغرافية المعروفة آنذاك ومنها بلاد بابل وآشور. وقد ذكر سابقاً أثناء الحديث عن جغرافية الرافدين، التسميات التي أطلقها سترابون على أقاليمه. أما بليني الكبير، اشتهر بمؤلفاته التاريخية والجغرافية وأكثرها شهرة كتابه الموسوم ((التاريخ الطبيعي)) ذكر فيه أشياء مهمة عن العراق ولاسيما أنهاره وأحوال الري فيه⁽²⁾. هذه القنوات كانت أبرز المصادر التي شكلت حافزاً قوياً للعديد من الأوربيين، فبدأوا برحلات المغامرة والبحث عن حضارات الشرق التي سمعوا عنها.

كانت رحلة الإسباني بنيامين التيطلي Benjamin of Tudela من أوائل الرحلات في القرن الثاني عشر الميلادي. وصف في هذه الرحلة ما شاهده من أطلال بعض المدن القديمة مثل نينوى وبابل، وعين موقع المدينة الأولى بالنسبة إلى الموصل⁽³⁾. ورحلة الإيطالي بترو ديلا فالي Pietro della valle (1586 . 1652 م) الذي نقل أولى الألواح الطينية المنقوشة إلى أوروبا، كما أنه من أوائل الذين حددوا بدقة موقع مدينة بابل⁽⁴⁾.

شكل القرن السابع عشر نقطة الانطلاق لمحاولات فك رموز الكتابة المسمارية، لاسيما مع التقارير التي نشرها فالي وفيما بعد كارستن نيبور⁽⁵⁾.

إن أخبار الشرق هذه لم تثر اهتمام المغامرين والأكاديميات العلمية فحسب، وإنما الأوساط السياسية أيضاً، فهذا فريدريك الخامس ملك الدنمرك يجد في العام 1761 م بارسال بعثة لاكتشاف العديد من المناطق في الشرق، وكان لرئيس البعثة كارستن نيبور Niebuhr ولتقاريره التي نشرها عن الرحلة وعن النقوش التي نسخها أثر في دفع المزيد من الرحالة والمهتمين للتوجه نحو الشرق⁽⁶⁾. كما يعود الفضل لنيبور في تقديم وصف دقيق لبقايا نينوى وبابل ورسم مخططات لهما⁽⁷⁾. ظهر في بدايات القرن التاسع عشر رحالة ومؤرخ وهابي مشهور، إنه البريطاني كلوديوس جيمس ريك C. J.

1 - (مرعي، مرجع سابق، ص 11 .

2) - باقر، مرجع سابق، ص 126 - 127 .

3) - المرجع نفسه، ص 131 .

4) - سازونوف، مرجع سابق، ص 162 - 163 .

5) - ساغس، المرجع السابق، ص 401 .

6) - سازونوف، مرجع سابق، ص 163 - 164 .

7) - باقر، المرجع السابق، ص 132 .

Rich (1787 - 1820 م) ⁽¹⁾ قام ريك برسم خارطة بابل وجمع الآثار القديمة التي عثر عليها، وهي التي شكلت نواة مجموعة بلاد الرافدين في المتحف البريطاني ⁽²⁾ لا بل شكلت الأساس للدراسات الرافدية في بريطانية بعد أن نشرت أغلب أبحاثه ولاسيما تقاريره المشهورة عن آثار بابل.

يعود الفضل لريك في تقديم أول تقرير أثري جغرافي عن منطقة بلاد الرافدين الشمالية في القرن التاسع عشر ⁽³⁾. أيضاً قام ريك بدراسة معمقة لخرائب نينوى ونمرود، هذه الدراسة شكلت الأساس للحفريات اللاحقة التي قام بها البريطاني أوستن هنري لايارد ⁽⁴⁾.

في الوقت الذي كان فيه الحماس يتزايد للبحث عن الآثار الرافدية، كانت عملية فك رموز الكتابة المسمارية تسير بخطى متسارعة. إذ حصلت العديد من النجاحات في هذا المضمار حققها كل من الألماني جورج فريدريش غروتيفيند G. F. Grotefend في العام 1802 والبريطاني هنري كرسويك راولنسون H. C. Rawlinson في العامين 1844 و 1857 ⁽⁵⁾ هذا بالإضافة إلى إسهامات هامة لعلماء آخرين من أمثال الإيرلندي إدوارد هنكس Edward Hincks، والفرنسي جوليوس أوبير Julius Oppert ⁽⁶⁾.

أسهمت عملية فك رموز الكتابة المسمارية في التحول من عملية الدراسة النظرية والسطحية للمواقع الأثرية إلى الشروع بعملية التنقيب والحفر العملي لهذه المواقع. تولى هذه المهمة قناصل الدول الأوروبية المتواجدين على أرض الرافدين، يدفعهم لذلك الهواية وحب امتلاك الكنوز الأثرية ⁽⁷⁾. كانت البداية عام 1842 على يد القنصل الفرنسي في الموصل بول إميل بوتا P. E. Botta (1802 - 1870). بدأ بوتا الحفر في تل قوينجيق أكبر تلال نينوى لكنه لم يتوصل لشيء مهم. فانتقل بناء على اقتراح أحد المزارعين لموقع آخر هو خورسباد

1) -Bienkowski, Piotr and Millard, Alan, Dictionary of the ancient Near East, British Museum press, London, 2000 , p . 241 .

2)-Reade,J, op.cit,p.5 .

3)- Bienkowski.P and Millard.A , op.cit , p . 241 .

4)- مرعي، مرجع سابق، ص 13 .

5)- كيرشباوم، مرجع سابق، ص 24 - 25 .

6)- بشور، مرجع سابق، ص 45 .

7)- مرعي، المرجع السابق، ص 14 .

(مدينة دور شاروكين). وبمجرد البدء بالحفر تكشف العديد من الغرف والممرات المزينة بمنحوتات ظهرت عليها آثار التعرض للحرق، ما وجده بوتّا كان قصر الملك شاروكين الثاني استمر عمل بوتّا حتى عام 1844 عندما قرر أنه لم يبق شيء للبحث عنه ⁽¹⁾.

مع نجاحات بوتّا سارع الإنكليز للشروع بتنقيبات في موقع نمرود (كلخو) على يد الإنكليزي أوستن هنري لايارد (1817 - 1894) الذي عمل في الموقع من عام (1845 - 1847) ومن (1849 - 1851) محققاً العديد من الاكتشافات ⁽²⁾. كما نقب لايارد في موقع العاصمة نينوى، ثم خلفه في النشاط الأثري مواطنه هنري راولنسون (1810 - 1895) الذي تابع مع مساعده هرمز رسام التنقيبات في نينوى. وخلف بوتّا، الباحث الفرنسي فكتور بلاس (1818 - 1875) ⁽³⁾. الذي نقب في خورسباد فكشف عن قصر الملك شاروكين الثاني ⁽⁴⁾. بدأ بعد ذلك تنافس فرنسي إنكليزي مشين في سباق البحث عن الآثار ونهبها شمل كل أرض الرافدين ⁽⁵⁾.

رغم اتسام تنقيبات القرن التاسع عشر بالعشوائية واللاعلمية ⁽⁶⁾ إلا أنه يمكن القول أن هذا القرن القرن شهد تطورات جدّ هامة، على صعيد تطور المعرفة التاريخية والأثرية بالشرق القديم وحضاراته. إذ حُقق نجاح كبير في فك رموز الكتابة المسمارية، والذي أدى بدوره إلى تأسيس علم جديد في ميدان البحث الأثري الرافدين. أطلق عليه ((علم الدراسات الآشوري)) (Assyriology)، رغم أن حقبة تاريخية وحضارية كبيرة سبقت الظهور السياسي والحضاري للآشوريين، وكتبت شعوبها بالمسمارية أيضاً ⁽⁷⁾، لعل هذه التسمية لها ما يفسرها فأولى الاكتشافات الأثرية في أرض الرافدين كانت آشورية بامتياز، ولاسيما العائدة بتاريخها إلى الألف الأول قبل الميلاد، وهي فترة العصر الآشوري الحديث. في هذا العصر بلغ كل من العمارة والفن الآشوريين درجة كبيرة من الرقي والإبداع الحضاري، واللذين أُريد منهما أن يعكسا المجد السياسي والعسكري للإمبراطورية الآشورية. لكن جدير بالقول أن تسمية

1 - Read,J, op.cit , p . 5 - 6 .

2 - Bienkowski.p and Millard.A, op.cit , pp . 176 - 177 .

3 - باقر، مرجع سابق، ص 136 .

4 - Bienkowski.P and Millard.A, op.cit, p . 231 .

5 - باقر، المرجع السابق، ص 136 .

6 - مرعي، مرجع سابق، ص 19 .

7 - غافليكوفسكا، كريستينا، الفن في بلاد ما بين النهرين، ترجمة كبرو لحدو، دار البناييع، دمشق، 1995، ص143 .

هذا العلم ((علم الدراسات الآشوري)) لا تعني اقتصار البحث الأثري على التراث الآشوري فحسب، وإنما اتسع ليهتم بدراسة كل حضارات بلاد الرافدين ⁽¹⁾.

بدأ التنقيب الأثري مع أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين يعتمد طرق منهجية وعلمية في البحث ويعود الفضل في ذلك لأعمال المهندسين المعماريين الألمان من أمثال روبرت يوهان كولدفاي R. J. Koldewey الذي كشف عن بابل القديمة (1899 - 1914)، وفالتر أندريه W. Andrea الذي نقب في آشور (1903 - 1914) ⁽²⁾. لم تتوقف أعمال التنقيب الأثري إلا فترة الحرب العالمية الأولى (1914 . 1918)، ثم استؤنفت من جديد مع انتهاء الحرب. وفي هذه الفترة كان نطاق البحث قد اتسع ليشمل كل مناطق الشرق القديم.

عادت التنقيبات للتوقف مرة أخرى مع اندلاع الحرب العالمية الثانية (1939 . 1945) لتستأنف مرة أخرى بعد نهايتها. ودخلت آنذاك البعثات الوطنية إلى جانب البعثات الأجنبية حقل التنقيب الأثري ⁽³⁾.

1 - (مرعي، فرزات، مرجع سابق، ص 34 .

2 - (بشور، مرجع سابق، ص 46 .

3 - (مرعي، فرزات، المرجع السابق، ص 40 - 41 .

الفصل الأول

مدن آشورية جديدة في العصر الآشوري الحديث

أولاً- كلخو مدينة الخلود (Kalhu)

- 1- الخلفية الجغرافية والتاريخية
 - 2- البحث الأثري ومراحله
 - 3- مخطط المدينة وأقسامها:
- أ- القصور:
- القصر الشمالي الغربي (قصر آشور ناصر بال الثاني)
 - قصر الحاكم
 - القصر المحروق
 - قصور أخرى
 - حصن شلمنصر (Ekal Mascharti) (القصر العسكري)
- ب- الأبنية الدينية:

- معبد الإله نابو (Nabu)

- معبد الإله نينورتا (Ninurta)

- معابد الآلهة الأخرى

- زقورة كلخو (Ziggurat)

ثانياً- دور شاروكين العاصمة المنكوبة (Dur-Sarukin)

- 1- الخلفية الجغرافية والتاريخية
 - 2- التنقيبات في دور شاروكين
 - 3- مخطط المدينة وأقسامها
- أ- أبنية القلعة:
- قصر شاروكين الثاني
 - المنطقة الجنوبية (مجمع المعابد)
 - معبد شماش (إله الشمس)
 - معابد أدد، نينورتا، إيا، نينجال
 - الزقورة
 - المساكن الحكومية الضخمة:
 - الأبنية خارج القلعة

ثالثاً - مدينة بلوات (Balawat)

1- الخلفية الجغرافية والتاريخية

2- البحث الأثري في الموقع

3- الوصف العام للمدينة

4-البوابات البرونزية

أ- العصابات البرونزية وموضوعاتها على بوابات كل من شلمنصر الثالث وآشور ناصر بال

الثاني

رابعاً -مدينة كخت (تل بري)(Kahat):

1- الخلفية الجغرافية والتاريخية

2- التنقيبات الأثرية

3- كخت (تل بري) في المصادر القديمة، وفي ضوء اللقى الأثرية الآشورية

العوامل المؤثرة في إنشاء المدن الآشورية الجديدة:

تاريخياً يعتبر تأسيس مدينة جديدة من قبل ملك آشوري حدثاً استثنائياً فلقرون كانت معظم مشاريع البناء الملكية محصورة ببناء أو إعادة بناء أو ترميم المعابد والقصور وأسوار المدن.

سيتم في هذا الفصل استعراض مجموعة من أهم المدن الحديثة التي عكف ملوك العصر الآشوري الحديث على إنشاءها والتي اعتبرت من الناحية العمرانية أبرز ميزات العصر الآشوري الحديث، ففيها انعكست العقلية الآشورية، وفيها ظهرت العظمة الإمبراطورية الآشورية، فكانت خير معبر عن القوة والجبروت الذي وصلته آشور آنذاك.

السؤال المطروح ماهي الدوافع التي حدت بملوك العصر الآشوري الحديث للانتقال من عاصمة إلى أخرى، وفي عصر يعتبر قصير نسبياً لم يتجاوز الثلاثة قرون، حتى أن بعض المدن المشيدة لم يكتمل بناءها ولم يتح لأصحابها السكن فيها إلا لفترة وجيزة كما هو الحال مع دور شاروكين عاصمة الملك شاروكين الثاني؟

يمكن القول أن الملوك الآشوريين انطلقوا من عدة عوامل دفعتهم لتشييد المدن، يمكن تلخيصها كالتالي:

العامل الإستراتيجي: غالباً لم تكن العاصمة القديمة المكان الأمثل لتمركز الحكومة في ظل وضع معين ⁽¹⁾ أي أن موقع المدينة الجغرافي قد لا يخدم حالة سياسية أو عسكرية ما. ومثال ذلك آشور ناصر بال الثاني (884-859 ق.م) الذي كان أول حاكم بعد توكولتي نينورتا الأول (1244-1208 ق.م) يعود إلى محاولة بناء مقر رسمي جديد له في كلخو (نمرود حالياً)، وكان آشور ناصر بال الثاني قد قام قبل ذلك بإنشاء مدينة توشخا الواقعة على ضفة نهر دجلة، لتكون موقعاً حصيناً ضد كاشياري (طور عابدين)، وبلاد نايري (أورارتو) على الجبهة الشمالية من آشور، ومن هنا أدرك أن احتياجات الإمبراطورية تقتضي وجود عاصمة شمالية تحمي الحدود ⁽²⁾ وتكون بنفس الوقت نقطة انطلاق فعلية للجيش، ومستودعاً للغنائم وهذا ما كرسه شلمنصر الثالث بإنشاءه ترسانة عسكرية (حصن شلمنصر) في المدينة ⁽³⁾.

هناك ما يمكن تسميته **بالعامل الاجتماعي** الذي يتداخل مع العوامل الاقتصادية والسياسية والدينية، ويمكن تفسيره بالتوترات الحاصلة ما بين سكان العاصمة والحكومة فمع استمرار السلطة الحاكمة في تقديم الامتيازات لمواطني المدن القديمة كالإعفاء من الضرائب والسخرة وحقوق وراثية

(1) - ساغس، هنري، مرجع سابق، ص 86 .

(2) - كيرشباوم، مرجع سابق، ص 61 .

(3) - Mallowan, M, Nimrud and its Remains, I, London, 1966, p. 76 .

الأراضي، تصبح تلك الامتيازات مع مرور الزمن من الأمور التقليدية لسكان العاصمة، غير أن احتياجات الخزينة الملكية في بعض الظروف تحت الملك على السعي إلى تعديل الامتيازات القديمة التي ينتج عنها بعض المشاكل والتي يمكن تفاديها بتغيير العاصمة، وهذا ما فعله توكولتي نينورتا الأول (1244-1208 ق.م) عندما بنى مدينة كار توكولتي نينورتا المجاورة للعاصمة آشور⁽¹⁾. كما إن تزايد نفوذ فئة الكهنة والأسر القديمة في العاصمة آشور، وتعاضم قوتها الاقتصادية التي قد تهدد السلطة المركزية للملك، دفعت شاروكين الثاني إلى بناء مدينة دور شاروكين لتحميه من التكتلات السياسية والحزبية والاضطرابات المتكررة، حيث أن وجود سكان جدد من خليط متنوع يحمي الملك من هكذا تحيزات على اعتبار أن نفوذ سكان العاصمة الجدد سيكون ضعيفاً في البداية وسيحتاج إلى زمن طويل ليشكل تهديداً على السلطة المركزية⁽²⁾.

العامل الاقتصادي: إن الانتصارات العسكرية التي حققها الملوك الآشوريين في حملاتهم العسكرية المتتالية، وما نجم عن ذلك من سيطرة على أقاليم غنية تقطنها شعوب متعددة، أدت إلى تدفق الثروات على الخزينة الملكية الآشورية، وإلى توفير أعداد ضخمة من اليد العاملة، وهذا بدوره مكنهم من القيام بمشاريع عمرانية ضخمة⁽³⁾.

العامل الشخصي (النفسي): اتضح أن معظم الملوك الذين كانت لهم نشاطات عسكرية كبيرة كانت لهم بالمقابل نشاطات عمرانية ضخمة، ولعل دافع العظمة والمجد والغرور اللامتناهي، والرغبة في تخليد الذكر، كان حافزاً قوياً على ذلك⁽⁴⁾.

أولاً- كلخو مدينة الخلود (Kalhu):

1-الخلفية الجغرافية والتاريخية:

نمرود هو الاسم الحديث لمدينة كلخو، وذلك بحسب ما ورد في النصوص الآشورية الحديثة⁽⁵⁾، أما في الكتاب المقدس (العهد القديم) فوردت بصيغة كالح، وهناك إشكالية فيما إذا كانت كلخو المدينة المدمرة لاريسا Larisa المذكورة من قبل كزينوفون Xenophon (430-354 ق.م)⁽⁶⁾.

(1)- ساغس، مرجع سابق، ص 86 .

(2)- مرعي، عبدالله، مرجع سابق، ص 357-358.

(3)- بيتينانتو، جيوفاني، سميراميس ملكة آشور وبابل، تر: عيد مرعي، روافد للثقافة والفنون، سورية، دمشق، 2008، ص 104 .

4)-Mallowan,M,Nimrud and its Remains,I,p.75 .

5)-Parpola, Simo, and Porter, Miichal, The Helsinki Atlas of the Near East in the New-Assyrian Period, Helsinki, p.11.

6)-Bienkowski. P and Millard. A,op.cit, p.212.

تعتبر كلخو من أهم وأبرز مدن العصر الآشوري الحديث، شغلت منصب العاصمة للإمبراطورية الآشورية الحديثة منذ القرن (9 ق.م)⁽¹⁾، تقع على الجانب الشمالي الشرقي من نهر دجلة، يحيط بها سهل واسع من جهتي الغرب والجنوب، وانتشرت خلف المدينة أراضي زراعية تزرع بالحبوب⁽²⁾. أما موقع المدينة بالنسبة للمدن الآشورية الأخرى، فهي تقع جنوب نينوى (الموصل) بمسافة (35 كم)، وجنوبي شرقي مدينة دور شاروكين (خورسباد) بمسافة (40 كم)، وإلى الشمال من مدينة آشور بما يقارب (60 كم)⁽³⁾. وبذلك يتبين أن كلخو تقع في موقع متميز هو من الأهمية بمكان، وقد ذكر في تمهيد هذه الفصل الأسباب التي حدت بأشور ناصر بال الثاني لاختيار هذا الموقع.

مرت المدينة بمراحل تاريخية طويلة، إذ أظهرت الاكتشافات (كسر أواني فخارية من طبقة نينوى الخامسة) أنه تم استيطان الموقع منذ عصور ما قبل التاريخ⁽⁴⁾ ثم نشط وازدهر في العصر الآشوري الوسيط (912-1365 ق.م) عندما تحول إلى مدينة عامرة على يد الملك شلمنصر الأول (1272-1243 ق.م) نحو العام 1270 ق.م⁽⁵⁾، إلا أن ازدهار المدينة ارتبط بمؤسسها إذ ما لبثت أن تحولت تحولت إلى خراب بعد عهد شلمنصر الأول. عادت المدينة وازدهرت من جديد على يد الملك آشور ناصر بال الثاني (884-859 ق.م)، الذي شرع بإعادة بنائها نحو العام 878 ق.م، بتنفيذه برنامج عمراني واسع النطاق لم يكتمل إلا في عهد ابنه شلمنصر الثالث (859-827 ق.م)⁽⁶⁾.

وقد سخر آشور ناصر بال الثاني في سبيل هذا المشروع عدد ضخم من اليد العاملة تم الحصول عليه بشكل أساسي من أسرى الحروب من مناطق جبال زاغروس في الشرق، ومناطق سورية في الغرب.

وهنا يؤكد الباحث وايزمن أن هؤلاء الأسرى هم أنفسهم الذين شكلوا نواة سكان المدينة الجديدة⁽⁷⁾، وهذا ما يذكره آشور ناصر بال نفسه إذ يقول:

1) -مرعي، عيد، رحلة في عالم الآثار -آثاريون ومدن أثرية-، روافد للثقافة والفنون، دمشق، 2010، ص252.
2) -Reade, Julian, Nimrude in: (Curtis, John, Fifty years of Mesopotamian Discovery: the work of the British School of Archaeology in Iraq (1932-1982), London 1982, p.99.

3) -سازونوف، المرجع السابق، ص168.

4) - Mallowan.M, The Excavations at Nimrud (Kalhu), 1950, Iraq, Vol.7, 1951, p.39.

5) -كيرشباوم، المرجع السابق، ص61.

6) - Bienkowski.P, and Millard.A, op.cit, p.212.

7) - Wiseman. D.J,A-New Stela of Assum-Nasir-Pal II, Iraq, vol.24, Part 1, 1952, pp25-26.

((... أخذت الناس (الأسرى) الذين جلبتهم من البلاد التي غزوتها وأخضعتها لسيادتي من أرض سوخي Suhi⁽¹⁾، بلاد لاقى Laqa⁽²⁾ كلها، من مدينة سيرقو Sirqu التي تقع في طريق العبور على نهر الفرات، كامل أرض زاموا Zamua⁽³⁾، من بيت عديني Bit-Adini، وفي بلاد خاتي Hatti⁽⁴⁾.... أنا وطنتهم فيها....))⁽⁵⁾.

في هذا النص دليل واضح على أن أهل تلك البلاد شكلوا عنصراً أساسياً من سكان كلخو. وهذه الفكرة تعتبر نقطة حسنة تسجل لصالح الآشوريين الذين لم تكن لديهم على ما يبدو أية نزعة عرقية، ولكن بالمقابل لا شك أنه كانت لديهم أسباب دفعتهم نحو هذا التصرف، يضيق المقام هنا لشرحها، ولكن باختصار يمكن القول أنها كانت لخدمة أهدافهم السياسية.

افتتح آشور ناصر بال الثاني مدينته الملكية بعد (14عام) من بدء المشروع أي نحو العام (864 ق.م) وتم ذلك وسط احتفال مهيب دام عشرة أيام، خلده الملك في نقشه الشهير المعروف ((مسلة المأدبة))⁽⁶⁾. بقيت مدينة كلخو محتفظة بأهميتها السياسية والإدارية كعاصمة للإمبراطورية، إلى أن اتخذ الملك شاروكين الثاني من مدينة دور شاروكين (خورسباد حالياً) عاصمة له، تحولت بعدها إلى مركز إداري محلي، إلى أن تم تدميرها نهائياً على يد التحالف الميدي الكلداني في الفترة الممتدة بين 614-612 ق.م.⁽⁷⁾

2-البحث الأثري ومراحله:

بدأ التنقيب في موقع العاصمة كلخو على يد الانكليزي هنري لايارد A.H.Layard، في العام 1845، وقد نقب في الموقع على فترتين الأولى من العام 1845 حتى 1847، والثانية من العام 1849 حتى 1851. حقق لايارد خلال ذلك العديد من الاكتشافات الأثرية الهامة فكشف عن أجزاء هامة من القصر الشمالي الغربي (قصر آشور ناصر بال الثاني). واستخرج منه العديد من اللقى

- (1)- سوخي، أرض تقع في منطقة الفرات الأوسط. انظر: مرعي، عبد الله، المرجع السابق، ص319.
- (2) - (لاقى: مقاطعة في منطقة الفرات الأوسط، امتدت على ضفتي الفرات، عاصمتها سيرقو (تل العشارة حالياً يبعد 15 كم عن مدينة الميادين). انظر: المشعل، أحمد. الإمارات الآرامية في منطقة الفرات الأوسط، في العصر الآشوري الحديث 1000-612 ق.م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة دمشق، 2012، ص78.
- (3) - (زاموا: وردت في المصادر الآشورية بهذا الاسم أو باسم مزاموا mazamua وهي مقاطعة تقع إلى الشرق من حدود بلاد آشور، وهي وادي السليمانية اليوم. انظر: مرعي، عبد الله، مرجع سابق، ص330.
- (4)- خاتي المقصود فيها سوريا. انظر: مرعي، عبد الله، المرجع نفسه، ص333.
- (5) - Grayson. A, Assyrian, Rulers of early First Millennium B.C, vol. I, p.223.

(6)- كيرشباوم، مرجع سابق، ص61.

(7)- Mallowan. M, The Excavations at Nimrud (Kalhu), 1956, Iraq, Vol.19, 1957, p.2.

الأثرية (منحوتات نافرة، تماثيل الأسود والثيران المجنحة.... إلخ)، واكتشف عدة قصور أخرى كالقصر الغربي للملك أدد نيراري الثالث، والقصر الجنوبي الغربي للملك أسرحدون، والقصر المركزي لشلمنصر الثالث. كما تمكن من الكشف عن معبد الإله نينورتا في المرحلة الثانية من تنقيباته.⁽¹⁾ وخلال الفترة ما بين المرحلتين الأولى والثانية قام (لايارد) بنشر نتائج أعماله في كتابه الموسوم ((نينوى وبقاياها)) (Nineveh and its remains).

خلف لايارد في تنقيباته في الفترة الممتدة بين عامي 1852-1854 مساعده هرمزد رسام Hormuzd Rassam، وهو عراقي من الموصل عُرف بتعصبه لطريقته في التنقيب الأثري وبعدم احترامه لأبسط مبادئ الأخلاق الدولية. أبرز اكتشافاته تحديد موقع مجمع الإله نابو (إله الكتابة والحكمة).⁽²⁾

تولى التنقيب في كلخو بعد ذلك القنصل الفرنسي و. ك. لوفتوس (W.K.Loftus) في العام 1845، فكشف النقاب عن القصر الذي عُرف فيما بعد بالقصر المحروق، عثر فيه على كميات من العاجيات اعتبرت أول مظهر من مظاهر المهارة الفنية الحرفية.⁽³⁾ ثم توقفت أعمال التنقيب مع اندلاع اندلاع حرب القرم عام 1855، لتعود وتبدأ من جديد وعلى نطاق واسع جداً على يد بعثة مدرسة الآثار البريطانية The British School of Archaeology in Iraq برئاسة الإنكليزي ماكس مالوان Max Mallowan، ومرة أخرى يبدأ الإنكليز من جديد كتابة فصل جديد من تاريخ الاكتشافات في كلخو عبر مشروع يعتبر الأكبر والأطول أمداً على هذه المدينة، فقد تمت متابعة التنقيبات سنوياً بانقطاعين حتى 1963، مع نشر تقارير مستمرة ظهرت في مجلة العراق (Iraq) التي تصدرها المدرسة البريطانية.⁽⁴⁾

أعاد مالوان التنقيب في القصر الشمالي الغربي، فكشف عن أجزاء جديدة فيه، وحقق في اكتشافاً مهماً إذ عثر على نصب تدشين القصر ((مسلة المأدبة))⁽⁵⁾، كما ظفر منه بمجموعات هامة

1 - لويد، سيتون، مرجع سابق، ص 269-270.

2 - المرجع نفسه، ص 269-270.

3 - بيتاننتو، مرجع سابق، ص 129.

4) Reade.J, Nimrude, op.cit, p.99.

5) - مسلة المأدبة: تتعلق بتخليد الاحتفال الذي أقامه آشور ناصر بال الثاني بمناسبة افتتاح قصره، وتحتوي على نص منقوش يقدم معلومات تاريخية غاية في الأهمية تتعلق بأعماله العسكرية خلال السنوات الخمس الأولى من حكمه، وكذلك أعماله العمرانية الفريدة، كما يقدم النص قوائم هامة تعدد أنواع الطعام والشراب المقدم في الاحتفال، ويذكر أنواع الأشجار المزروعة في البساتين الملكية، كما تصور المسلة آشور ناصر بال بالزي الملكي الرسمي. وهي محفوظة اليوم في متحف الموصل. انظر: Wieseman.D, op. cit, pp24-27.

من اللقى العاجية التي اعتبرت من أبرز إبداعات الشرق القديم⁽¹⁾. وكشف النقاب عن قصر الملك أدد نيراري الثالث، القصر (AB)، وقصر الحاكم، وأعاد اكتشاف القصر المحروق ومعبد نابو، ونقب أيضاً في موقع معبد الإله نينورتا عند سفح الزقورة⁽²⁾. أما أهم اكتشافات مالوان فتمثلت بترسانة المدينة أو ((حصن شلمنصر)) كما أسماه مكتشفه⁽³⁾.

تولى ديفيد أوتس David Oates التنقيب في الموقع بعد مالوان منذ العام 1958، وكان مسؤولاً بالدرجة الأولى عن التنقيب في الترسانة العسكرية للمدينة، بينما تولى جفري أوركارد Jeffery Orchard التنقيبات في الموسم الأخير عام 1963⁽⁴⁾.

جدير بالذكر أن علماء الآثار العراقيين كانوا قد بدأوا أعمال الترميم الأولى للموقع منذ العام 1956، وقاموا أيضاً بالعديد من التنقيبات الأخرى في الموقع، وتمكنوا بجهودهم من تحويل مدينة كلخو إلى وجه سياحية مهمة.

أيضاً نقتب في الموقع بعد استعادته من قبل دائرة الآثار العراقية، التي امتلكت زمام الأمور التنقيبية فيه، بعض البعثات الأجنبية الأخرى الإيطالية والبريطانية والبولونية، فعلى سبيل المثال قامت بعثة بولونية تابعة للمركز البولوني لعلم الآثار المتوسطية Polish Center of Mediterranean Archaeology بقيادة كازميرز ميشالوفكسي Michalowski بالتنقيب في الموقع عام 1974 واستمرت لغاية 1976، وأتمت فيها ثلاث حملات تنقيبية تركزت في المنطقة الجنوبية من القلعة فكشفت عما سمته بالقصر المركزي لتجالات بليصر الثالث⁽⁵⁾.

3- مخطط المدينة وأقسامها:

بلغت مساحة المدينة نحو 1670x2100 م، كان لها شكل مستطيل⁽⁶⁾ تألفت بشكل رئيسي من قسمين أساسيين، الأول وهو القلعة تركزت عليها الأبنية الرئيسية من قصور ومعابد، والثاني ما تبقى من المدينة الذي يضم أبنية إدارية ثانوية، إضافة إلى بيوت العامة⁽⁷⁾ (الشكل 1).

1) -Reade.J, Nimrude, op.cit, p106.

2) -Mallowan, M. E. L , The Excavations at Nimrud , 1957, Iraq, Vol.20, part 2, 1958, p103.

3) -Reade.J, Nimrude, op.cit, p107.

4) - Ibid, p.99.

5) - Mizejeweski. A and Sobolewski.R, polish excavations at Nimrud. Kalhu 1974-1976, Sumer, vol36,1980, pp151-154.

6) -بيتيناتو، مرجع سابق، ص129.

7) - Oates, Joan and David, op.cit, p.27.

أحيطت المدينة بسور دفاعي ضخّم مزود بأبراج مراقبة تظهر على فواصل على امتداد السور الذي كان مزوداً ببوابات لم تكتشف بشكل كامل⁽¹⁾، وقد بلغ طوله الإجمالي نحو 7,5 كم⁽²⁾، بني من الآجر، واستعملت الأساسات الحجرية (الكلسية) في المناطق المعرضة للانجراف بالماء، كما في الجانب الغربي من القلعة. وقد رُمّم أكثر من مرة لاسيما في عهد الملك أسرحدون⁽³⁾.

أحيطت المدينة بخندق مائي على الجانبين الشمالي والشرقي، لزيادة التحصين أما من الجانبين الغربي والجنوبي فهناك مجاري مائية طبيعية (نهر دجلة غرباً)، واصطناعية (قناة آشور ناصر بال الثاني المأخوذة من الزاب الأعلى جنوباً)، قامت مقام الخندق⁽⁴⁾. أحيطت القلعة بسور منيع وصلت سماكته في الجانب الشرقي إلى نحو 37م، ولا يزال قائماً على ارتفاع 13م⁽⁵⁾.

إن النظام الدفاعي المعقد للمدينة، يدفع المرء إلى القول بأن الآشوريين كانوا قد عاشوا حالة من الترقب والقلق الدائم لخطر محقق مجهول، فأرادوا أن يتهيئوا له ويدفعوه عنهم قدر الإمكان، وهذا الأمر حول المدن الآشورية إلى ما يشبه القلاع العسكرية الحصينة، وسنرى أن نظام التحصين هذا سيصبح سمة بارزة من سمات العمارة الآشورية الحديثة.

داخل هذا النظام الدفاعي الحصين وعلى التلة المرتفعة التي حولت بدورها إلى قلعة حصينة أقيمت القصور الملكية والأبنية الحكومية، والمعابد الدينية.

فيما يلي سيتم تناول أبرز تلك الأبنية وأهمها، وسيكتفى بالإشارة إلى بعضها الأقل أهمية ووضوحاً من الناحية الأثرية والعمرانية.

أ- القصور:

- القصر الشمالي الغربي (قصر آشور ناصر بال الثاني):

من أعظم الصروح العمرانية والفنية في العصر الآشوري الحديث، يقول عنه مورتكات:
(... أول صرح للفن الآشوري الحديث)).⁽⁶⁾

1)-Oates, Joan and David, op. cit, p.28.

2) - Reade.J, Nimrude, op. cit, p102.

3)-Oates, Joan and David, op. cit, p.30.

4) -Oates.David, Fort Schalmaneser-an interim report,Iraq,vol.21,part2,1959,p.98.

5)-Mallowan.M, The Excavations at Nimrud (Kalhu),Sumer, 1950, p.49.

6)- مورتكات، أنطون، الفن في العراق القديم، تر: عيسى سليمان وسليم طه النكريتي، مطبعة الأديب البغدادية، بغداد 1975، ص 363.

لذا تأتي أهمية هذا القصر من التجديدات والإبداعات الفنية، لاسيما الرواية التاريخية التي قدمتها منحوتات القصر النافرة⁽¹⁾، إضافةً لمخطط بنائه.

يقع القصر داخل القلعة إلى الجنوب من معبد الإله نينورتا⁽²⁾، يبلغ امتداده أكثر من 200 م من الشمال إلى الجنوب، وعرضه نحو 120 م، لتكون مساحته الكلية التي يشغلها 2-4 هكتار. وأما مخططه فيمكن القول أنه على شاكلة مخطط القصر الذي شاع بناءه في العصر الآشوري الوسيط مع بعض الإضافات أو ما يمكن تسميتها بتجديدات عمرانية آشورية، حيث تألف من عدة أقسام (الشكل 2)، هي:

البابانو (الجزء الإداري من القصر)، والبيتانو (الجزء الذي أحيطت به الشقق الخاصة)، وقاعة العرش التي ربطت بين الجزأين.⁽³⁾

يرى مورتكات أن غرفة العرش هذه تمثل ظاهرة مميزة للقصر الملكي الآشوري الحديث، فهي لم تكن موجودة في مخطط قصر أدد نيراري الأول (1307-1275 ق.م) في مدينة آشور⁽⁴⁾. لعل قصد مورتكات أن موقع قاعة العرش المتوسط بين البابانو والبيتانو لم يكن موجوداً في قصر أدد نيراري الأول، لكنه وجد في إحدى أركان القصر الأخرى.

إن مخطط هذا القصر سيصبح نموذجاً يحتذى به حتى نهاية العصر الآشوري الحديث.

- **منطقة البابانو:** تقع في الجزء الشمالي من القصر، كان الجانب الغربي منها قد تآكل بشكل كبير، إلا أن الأدلة الأثرية دلت على أن هذه المنطقة كانت مقسمة إلى ساحتين واحدة في الشرق والأخرى في الغرب، أما الأبنية الباقية في الشمال والشمال الشرقي فقد اصطُلح على

تسميتها بمنطقة (Z T) وهي صف من الغرف أُعتقد بداية أنها تتبع بناء الزقورة، وذلك قبل أن ترسخ علاقتها البنائية بالقصر⁽⁵⁾. (الشكل 3).

ضمت منطقة البابانو مجموعات من الغرف والمكاتب الإدارية، فعلى امتداد جانبها الشمالي وجدت العديد من المكاتب⁽⁶⁾، وفي الزاوية الشمالية الشرقية منها تم التعرف على جناح استقبال يحتوي

1)Oates, Joan and David, op. cit, p.68.

2)Oates. D, the excavations of the British School of Archaeology in Iraq. in (Curtis, Mc call, Collon and AL-Gilani. Werr, New Light on Nimrud, British Institute for the study of Iraq in association with the British Museum, London, 2008, p.31.

3 -) غافليكوفسكا، مرجع سابق، ص 158.

4-) مورتكات، الفن في العراق القديم، ص 367.

5 -)Oates, Joan and David, op.cit, p.36.

6-) Ibid, p.42.

يحتوي غرفة استقبال من نمط قاعة العرش الملكية - سيأتي شرحها لاحقاً - إضافة إلى مجموعة غرف أصغر تمثل مكاتب إدارية، وبمحاذاة هذه الغرف كان هناك مخزن الزيت الخاص بالقصر، وربما أيضاً قبو للنبذ. وعثر في الزاوية الشمالية الغربية المتأكلة بشدة، على جزء من جناح استقبال مشابه، ومجموعة من المكاتب.

جدير بالذكر أنه عثر في منطقة المكاتب على العديد من الألواح المسمارية، كانت عبارة عن رسائل إدارية، تعرف حالياً باسم ((رسائل نمرود))، تقدم معلومات هامة على صعيد السياسة الخارجية نهاية القرن التاسع ق.م⁽¹⁾.

تم تجديد الجناح الشمالي من البابانو من قبل شلمنصر الثالث، ثم طرأت عليه تجديدات في القرنين الثامن والسابع ق.م⁽²⁾.

وقامت جنوب ساحة البابانو مجموعة قاعة العرش ببوابتها العملاقة، وجنوب هذه المجموعة قامت الأجنحة الاحتفالية التابعة، التي أحاطت بالساحة (Y)، وخلفها مباشرة وجد البيتانو أو الجناح العائلي⁽³⁾.

-مجموعة قاعة العرش وملحقاتها (الكتلة المركزية في القصر):

تشكل الكتلة المركزية الكبيرة، جوهر القصر الملكي، ضمت العديد من الغرف وقاعات الاستقبال الكبيرة التي كانت تلتف حول الفناء المركزي (Y)، وكانت قاعات الاستقبال الكبيرة تتقابل مع بعضها بانسجام وتناغم واضح⁽⁴⁾، أما قاعة العرش فتميزت باتساعها الكبير، حيث بلغ طولها نحو الخمسين متراً، وهي جد مستطيلة لا يزيد عرضها عن عشرة أمتار، ويتم الدخول إليها من الساحة الأمامية الشمالية عبر بابين أحدهما في نهايتها الغربية، والآخر في نهايتها الشرقية⁽⁵⁾، وقد انتصبت على جانبيهما تماثيل اللاماسو الضخمة⁽⁶⁾.

1)- Oates. D, the Excavations of the British School of Archaeology in Iraq, p.32.

2)- Mallowan.M, Nimrud and its remains, I, London, 1966, p.167.

3)-Oates, Joan and David, op. cit, p.36

4)-Mallowan.M, Nimrud and its remains, I, pp.94-96.

5)- مورتكات، الفن في العراق القديم، ص367.

6)- تألفت هذه التماثيل من جسم ثور أو أسد، وجناحي نسر، ورأس بشري، وكانت ذات أربعة أرجل وأحياناً خمسة، نصبت على بوابات المدن والقصور والقاعات الآشورية لحماية القاطنين من الأرواح الشريرة، ولبث الرعب والرهبه في نفوس الأعداء والزائرين، يعتقد أن أصل هذه التماثيل من شمال سوريا. انظر: غافليكوفسكا، المرجع السابق، ص159.

قامت داخل قاعة العرش وعلى الضلع الشرقية منها، قاعدة العرش فوق مصطبة رخامية ذات درجتين⁽¹⁾، وكانت الأرضية التي أمام قاعدة العرش مباشرة مرصوفة ببلاطات حجرية مستطيلة الشكل يعتقد أنه كان يقوم فوقها أداة للتدفئة في فصل الشتاء (قد تكون مواقد متحركة مزودة بعجلات)⁽²⁾.

تقوم في الناحية الجنوبية من قاعة العرش وموازية لها الغرفة (F) التي تؤدي عبر باب في جدارها الجنوبي إلى ساحة القصر الداخلية⁽³⁾ يعتقد أن لهذه الغرفة وظيفة شعائرية، إذ احتوت على رسومات تمثل طقوساً شعائرية مختلفة⁽⁴⁾. أما الجانب الغربي من قاعة العرش فقد ارتبط بغرفة صغيرة هي بمثابة بيت لسلم يؤدي إلى السطح.⁽⁵⁾

ازدانت قاعة العرش بزخارفها ومنحوتاتها البارزة التي عكست العظمة والفخامة السلطوية الآشورية، وقد تنوعت مواضيع تلك المنحوتات النافرة بين أعمال قصصية تاريخية عسكرية وسياسية واحتفالية، ومن ضمنها مشاهد المعارك وتقديم الجزية، والمشاهد الدينية الخاصة بالشجرة المقدسة، وحملات الصيد الملكي.

يقول أوتس بخصوص هذه المنحوتات: ((كانت هذه لا تشكل فقط واحدة من أقدم المحاولات للدعاية التاريخية، بل أيضاً واحدة من الأكثر ثباتاً...))⁽⁶⁾.

تشرح هذه المقولة باختصار أحد الأسباب الكامنة وراء الإغراق في تزيين قاعة العرش والبناء عامة، إنها تعكس الهيبة الملكية الخالدة التي نجح صاحبها في إيصالها إلينا.

وفيما يلي بعض الأمثلة من قاعة العرش يجد المرء خلف قاعدة العرش منحوتة حجرية تصور الملك على جانبي الشجرة المقدسة (شجرة الحياة) (الشكل 4)، ذات الأصل السومري، وخلفه الملاك الحارس وفي الأعلى يظهر القرص الممجد رمز الإله آشور⁽⁷⁾ - سيتم تفصيل هذا المشهد في الفصل الثالث. وعلى طول الجدارين الشمالي والجنوبي لقاعة العرش، تم ترتيب المنحوتات البارزة والرسوم من مستوى سطح الأرض في طبقتين يفصل بينهما خط من النقوش التي تدون أعمال الملك، أقيمت في

1- بصمه جي، فرج، نمرود، سومر، مج 8، 1952، ص 204.

2- Turner, Geoffery, The State Apartments of Late Assyrian Palace, Iraq, vol.32, part.2, 1970, p.186.

3 -مورتكات، الفن في العراق القديم، ص 367.

4- Mallowan.M, Nimrud and its remains, I, p.99.

5 -مورتكات، الفن في العراق القديم، ص 367.

6- Oates, Joan and David, op.cit, p.48.

7 -Turner, G, op. cit, p.185.

الطبقة السفلية المنحوتات الحجرية، الأورثوستات (Orthostates) ⁽¹⁾ التي زاد ارتفاعها عن المترين وذلك كي تلائم طريقة الآشوريين السردية في عرض الأحداث. إن أبرز ما يميز فن النحت البارز في قصر آشور ناصر بابل هو التركيز على جميع التفاصيل وعلى المراحل المتتالية لمجرى الأحداث (المعارك الحربية من لحظة خروج الجيش وحتى نهاية المعركة)، والسمة الأبرز أنها مفعمة بالحيوية والحركة إضافة إلى الشعور بالعمق، فلم يعد يصور الأشخاص واقفين جنباً إلى جنب بل يحجب أحدهم الآخر، ويعتبر هذا برأي غافيلكوفسكا ثورة في فن الشرق الأدنى القديم ⁽²⁾.

واحتوت كانت الطبقة الثانية التي تعلو خط النقوش رسوماً ملونة شابته موضوعاتها غالباً موضوعات المنحوتات النافرة، أما سقف قاعة العرش فيعتقد أنه كان مزيناً هو الآخر الأمر الذي يضفي رونقاً جميلاً لشكل قاعة العرش ⁽³⁾.

يكتمل التصميم النموذجي لمجموعة قاعة العرش أو الكتلة المركزية، مع مدخل مركزي كبير يؤدي إلى الساحة (Y) التي تفرع عنها العديد من الغرف والقاعات الاستقبالية، التي حملت منحوتات ورسوم ملونة أيضاً ⁽⁴⁾.

– منطقة البيتانو:

يكتمل تصميم القصر الشمالي الغربي مع المساكن العائلية (البيتانو)، أو الحرم بحسب التسمية العربية. كانت هذه المنطقة مفصولة عن المناطق الأكثر عمومية بالمرين Z و P اللذان يمتدان شرقاً وغرباً عبر البناء عند الحد الأدنى من الساحة (Y). وقد تكونت من مجموعة من الأجنحة المختلفة الأحجام التي كانت تدار من خلال عدد من الأفنية والساحات والممرات الموصلة إليها (الأجنحة) بأقسامها المختلفة من قاعات وغرف للملكات، وحمامات، ومخازن وغيرها من المرافق، فالمرمر P الذي يصل الشقق الرسمية والخاصة يتجه نحو الشرق إلى ساحة مفتوحة تقود إلى جناح داخلي يحتوي عدداً من المساكن الفخمة وملحقاتها، ويبدو أنها كانت منطقة سكن ملكية، أو منطقة استقبال لضيوف الحرم الملكي.

(1) – أحجار مربعة عمودية أو ألواح كانت توضع عند قاعدة الأبنية التذكارية. كانت تستخدم أيضاً لحماية الأسوار والجدران وتزيينها، كما في المنحوتات الجدارية النافرة على جدران القصور الآشورية، انظر: مرعي، عيد، رحلة، ص 299.

(2) – غافيلكوفسكا، مرجع سابق، ص 160 – 163.

3) – Oates, Joan and David, op.cit., p.50

4) – Mallowan, Nimrud and its remains, I, p.102.

إلى الشرق مباشرة من الممر P قام جناح آخر من الغرف يتم الدخول إليه من ساحة مفتوحة (1). ويبدو أنه خدم كشقق للنساء الملكيات (2). من الاكتشافات الهامة في هذا الجناح (الجناح القائم إلى الشرق من الممر P)، مجموعة من القطع العاجية استخرجت من بئرين من آبار الجناح، حملت تأثيرات فينيقية ومصرية، من أبرزها عاجية تسمى الموناليزا تصور فتاة فاتنة (الشكل 5) ظهرت على ملامحها دقة في الصنع، ولمسة إبداعية، تعكس خبرة اليد الصانعة، ارتفاعها لا يقل عن 16 سم. (3) وهناك عاجية اللبوة التي تفترس زنجياً (الشكل 6)، يظهر فيها التأثير المصري جلياً (4) سيأتي الحديث عنها لاحقاً، شكلت الغرف (OO) و (VV) صلة وصل بين الجناح الداخلي الفخم، والجناح الواقع شرق الممر P. (5)

وجد إلى الجنوب من الغرف القائمة في النهاية الغربية من الممر Z العديد من الغرف السكنية والعائلية أهمها غرف الاستقبال الكبيرة، ومجموعة حمامات. يعتقد أن هذا الموضع كان المسكن الخاص بالملكة نتيجة الحجم الكبير للقاعات، والمحتويات الفنية القيمة، إضافة للجدران المزخرفة بعناية برسومات هندسية ونباتية وبشرية. (6)

أخيراً لا بد من ذكر بعض النقاط التي ميزت الجناح الجنوبي (العائلي) عن الجناح الشمالي (الإداري)، لقد تميزت جدران الجناح العائلي بأنها أكثر سماكة من جدران الجناح الإداري، كما أنها كانت مطلية بالجص الأبيض وزينت بعض القاعات بالرسوم الملونة (7)، ومن الميزات العامة في الجناح العائلي وجود ما يمكن تسميته بنظام تكييف هوائي حيث احتوت الجدران على فتحات كانت تسمح بمرور تيار هوائي (8)، ولعل هذا النظام هو ميزة موجودة في كل القصور الآشورية الحديثة وحتى في البيوت العامة.

1)- Oates.M,Joan and David,op.cit, p.62.

2)-Mallowan.M, Nimrud and its remains, I, p.120.

3)- Mallowan.M, Nimrud and its remains, I, pp.127-128.

4)- Ibid, p.139.

5)- Ibid, p.120.

6)- Oates, Joan and David,op.cit, pp.65-67.

7)- Mallowan.M, Nimrud and its remains, I, p.118.

8)-Roux.G, op.cit, p.294.

-قصر الحاكم:

يقع إلى الشمال من شارع شلمنصر مقابل معبد الإله نابو والقصر المحروق (الشكل 7). سمي بهذا الاسم نسبة إلى حاكم كلخو نحو القرنين الثامن والسابع ق.م⁽¹⁾، يظهر مخططه المكتشف من قبل بعثة مالوان أنه صمم لاستيعاب عدد كبير من الأشخاص حيث اكتشف فناء مركزي كبير قامت على الجانبين الشمالي والجنوبي منه اثنتان من قاعات الحضور الكبرى أكبرها بطول 16م وعرض 4م، وأحاط بالفناء وبجوانب القاعتين الطويلتين صف مزدوج من المكاتب والغرف الصغيرة بدليل الألواح المسمارية المكتشفة فيها، ما يجعل للقصر صفة إدارية. إن تفرع القصر للعديد من الأقسام دليل كافٍ على أهميته⁽²⁾، مع أن مخططه لا يظهر التزاماً بالمخطط التقليدي للقصر الآشوري (بابانو، بيتانو، قاعة الآشوري (بابانو، بيتانو، قاعة عرش في الوسط).

شيدت جدرانه وفرشت أرضياته بنوعين مختلفين من الآجر، أما تزييناته لا سيما في القاعات الكبرى، فهي رسوم جدارية مصبوغة بألوان زاهية هي: الأبيض، الأسود، الأحمر، والأزرق، تمثل أشكالاً هندسية ونباتية، إلا أن القصر يفتقر للمنحوتات النافرة⁽³⁾.

تم الكشف في الزاوية الجنوبية الغربية من القصر عن حمام مستطيل وغرفة وضوء. بلطت أرضية الحمام بالآجر وغطيت بالقار لمنع نفوذ الماء، كما احتوت على فتحة لتصريف الماء، وتميز برسوماته الجدارية التي حددت بخطوط أفقية سوداء وبيضاء⁽⁴⁾.

يُعتقد أن باني القصر هو الملك أدد نيراري الثالث، وذلك بالاعتماد على الألواح المسمارية المكتشفة من عهده. تعرض القصر للتخريب بعد الثورة التي اندلعت عقب وفاة الملك شاروكين الثاني، ثم أعيد تجديده على يد الملك سنحريب، ثم هُجر بعد ذلك وتحول موقعه إلى مدافن أواخر عهد الإمبراطورية الآشورية.

أهم اللقى المكتشفة في موقع القصر هي الرقم المسمارية ذات المضامين التجارية والإدارية والتاريخية، فضلاً عن أنواع من الفخاريات التي أُرخت بنهاية القرن الثامن وبداية القرن السابع ق.م⁽⁵⁾.

1- بصمه جي، مرجع سابق ص 199.

2- Mallowan.M, Nimrud and its remains, I, p.40.

3 -بصمه جي، المرجع السابق، ص 199-200.

4- Mallowan.M, Nimrud and its remains, I, p.40.

5 -بصمه جي، المرجع السابق ص 199-200.

- القصر المحروق:

يقع في الركن الجنوبي الشرقي من القلعة، إلى الغرب من معبد الإله نابو عبر الشارع الشمالي الجنوبي الذي امتد عبر المبنين (الشكل 8)⁽¹⁾، نقت فيه بعثة مالوان منذ العام 1951 وحتى 1955⁽²⁾.

يمتلك القصر من حيث الشكل والخصائص كل مظاهر القصور، وهو من حيث الحجم ثاني أكبر قصر بعد القصر الشمالي الغربي⁽³⁾، يتألف من مجموعة من الأجنحة مختلفة الوظائف (الجناح الغربي استخدم للأغراض اليومية بدليل آثار أفران الخبز وأدوات المطبخ، الجناح الشرقي له وظيفة رسمية، وقام في الطرف الشمالي من القصر فناء توزعت حوله مجموعة من الغرف يعتقد أنها كانت مقراً لضباط من رتب عالية)⁽⁴⁾.

بلغ قياس قاعة العرش الواقعة بين جناحي القصر الغربي والشرقي نحو (6.5x17.5 م)⁽⁵⁾، توضع العرش في النهاية الشرقية منها، رصفت أمامه قطع حجرية كبيرة من أجل موقد النار المتحرك. عثر بجانب العرش على مجموعة كبيرة من قطع العاجيات المحترقة بشدة. زينت قاعة العرش برسوم جدارية هندسية مدهونة بالأخضر والأحمر والأزرق يعتقد أنها تعود إلى عهد شاروكين الثاني، استبدلت في مراحل القصر الأخيرة بشرائط حمراء على خلفية بيضاء ما يشير إلى تراجع فني كبير⁽⁶⁾. كانت جدران القصر قد بنيت من الآجر ذو السماكة الكبيرة (3-5م)، ورصفت الأرضيات بالآجر المشوي⁽⁷⁾. أما واجهة القصر فقد حددت بسلسلة من المحاريب والتجاويف مع أعمدة صغيرة تشبه نموذج العمارة البابلية الحديثة⁽⁸⁾.

تعود الأهمية التاريخية لهذا القصر بتقديمه أضخم تعاقب تاريخي تم كشفه في كلخو، تألف من تسع مراحل للسكنى من بداية استيطانه الأول في عصور ما قبل التاريخ حتى فترة العصر

1)- Oates, Joan and David, op.cit, p.124.

2)-Mallowan.M, Nimrud and its remains, I, p.200.

3)-Mallowan.M, The Excavations at Nimrud , 1951, Iraq, Vol.14, 1951,p.17.

4)- Mallowan.M, Nimrud and its remains, I, p.207.

5)-Mallowan.M, The Excavations, Iraq, Vol.14, 1951,p.17.

6)- Oates, Joan and David, op.cit, p.125.

7)- Mallowan.M, Nimrud and its remains, I, pp.203-204.

8)-Mallowan.M, The Excavations, Iraq, Vol.14, 1951,p.17.

الهيلينستي⁽¹⁾. ومع ذلك لم يتم الاهتداء إلى باني القصر الحقيقي، غير أن الآثار المكتشفة تدل على أنه رمم عدة مرات في القرنين الثامن والسابع ق.م.⁽²⁾

أبرز اللقى في هذا القصر المجموعة الكبيرة من العاجيات التي ظهرت عليها آثار الحرق الشديد ومن هنا سمي القصر بالقصر المحروق لدى جمهور الباحثين، إضافة إلى الألواح المسمارية (المتضمنة رسائل متنوعة)، وبعض تماثيل صغيرة لإنات وحيوانات كالعجول والثيران⁽³⁾.

تشكل القصور الثلاثة المذكورة آنفاً أبرز القصور التي نقبت في قلعة كلخو، نتيجة لما قدمته من دلائل أثرية وعمرانية، إضافة إلى أنها نقبت بشكل واسع نسبياً فتم إظهار القسم الأكبر من مخططاتها، لذا تعتبر إنموذجاً للقصور الآشورية في كلخو.

بالمقابل وجدت قصور أخرى في القلعة لكنها لم تقدم مادة أثرية وعمرانية واضحة كسابقتها لذا سيكتفى بتعدادها وذكر مواقعها:

- قصور أخرى:

- القصر الجنوبي الشرقي (القصر AB):

نسبة إلى موقعه في الركن الجنوبي الشرقي من القلعة إلى الجنوب من معبد الإله نابو. نقب فيه لايارد، وبعثة مالوان عام 1957. يعتقد أن تاريخ بناءه يعود إلى عهد آشور ناصر بال أو إلى عهد شلمنصر الثالث⁽⁴⁾، وأعاد بناءه الملك أدد نيراري الثالث.

لا يختلف مخططه عن باقي القصور الآشورية⁽⁵⁾، أما تزييناته الجدارية فكانت على شكل أسرطة أفقية صفراء وخضراء وحمراء⁽⁶⁾، إلا أنه اكتشف فيه (الغرفة AB6) عنصر تزييني فريد عبارة عن غطاء عاجي أصم غطى الجدار الشمالي لتلك الغرفة، يُعتقد أنه تجديد لاحق من قبل الملك آشور إيتل إيلاني. نهب القصر ودمر بشكل نهائي مع دمار المدينة عام 612 ق.م.⁽⁷⁾

1)- Oates.D and Reade. J.H The burnt palace and The Nabu Temple. Nimrud Excavations, Iraq, vol.18, part.1,1956, p.23.

2)-Oates.D and Reade, ibid, p24.

3)- Oates, Joan and David,op.cit, p.129.

4)-Oates,Joan and David, op.cit p.130.

5)- Mallowan.M, The Excavations at Nimrud, 1957, Iraq, Vol.20,part.2 1958,p.103.

6)- Oates, Joan and David, op.cit, p.132.

7)-Mallowan.M, The Excavations at Nimrud, 1957, Iraq, Vol.20, p.104.

- قصر أدد نيراري الثالث:

كشفت عنه التنقيبات العراقية الحديثة عام 1993، يقع إلى الجنوب من القصر الشمالي الغربي، بناه أدد نيراري الثالث لوالدته سميراميس⁽¹⁾.

- مجموعة قصور المنطقة المركزية:

تم الكشف عن بقاياها في المنطقة المركزية من القلعة، لكنها كانت قليلة الأهمية كونها لم تقدم مادة أثرية غنية، ولم يتم التوصل إلى مخطط واضح لها. ومع ذلك قامت بعثة بولونية تابعة للمركز البولوني لعلم الآثار المتوسطية بالتنقيب بالمنطقة (1974-1976)، وقدمت مخططاً لها تضمن ما يسمى بالبناء المركزي لآشور ناصر بال الثاني، والقصر المركزي لتجلات بليصر الثالث، ومنطقة الثيران المركزية لشلمنصر الثالث⁽²⁾.

- القصر الجنوبي الغربي:

نسبة إلى موقعه في أقصى الزاوية الجنوبية الغربية من القلعة، جنوب القصر المركزي⁽³⁾، ينسب ينسب بناءه إلى الملك أسرحدون الذي لم يتمكن من اكماله، الصفة المميز في هذا القصر استخدام الأعمدة التي دلت على توظيف أسرحدون نمط بناء بيت خيلاني (أو عيلاني) المأخوذ من الشمال السوري، وهناك ميزة أخرى أخرى في هذا القصر وهي استخدام تماثيل أبو الهول الجائمة التي يبدو أن الأعمدة قد نصبت فوقها بدليل القواعد التي خلف الرأس⁽⁴⁾.

يمكن القول أنه وجد مخطط أساسي لعمارة القصر الآشوري الحديث تألف من البابانو والبيتانو وفي الوسط قاعة العرش، لكن أدخل على هذا المخطط في كثير من الأحيان مخطط بناء بيت خيلاني المقتبس من الشمال السوري كما هو الحال في قصر أسرحدون الجنوبي الغربي الأمر الذي شكل تمازجاً بين المخططين الآشوري والسوري، أما القصور الأخرى التي كانت لكبار الموظفين فقد استعيض عن قاعة العرش بقاعة استقبالية ضخمة.

- حصن شلمنصر (Ekal Mascharti) (القصر العسكري):

بناء ذو طراز فريد من نوعه، يعتبر قصراً ومركزاً عسكرياً في آن واحد، التسمية الأكثر شيوعاً له هي حصن شلمنصر، أما تسميته الآشورية فهي ((إيكال مشرتي)) (المخزن الترسانة)⁽⁵⁾، أما عن

1)- Oates, Joan and David, op.cit, p.70.

2)- Mizejewski.A and Sobolewski.R, Iraq , vol.36, , p151.

(3)- بصمه جي، مرجع سابق، ص198.

4)- Oates, Joan and David, op.cit, p.75.

5)-Oates, D ,Fort Shalmaneser –an interim report, Iraq, vol.21, part.2, 1959, p110.

سبب اجمال هذا المبنى ضمن فئة القصور الآشورية الهامة فهي لامتلاكه كل مواصفات مخطط القصر الآشوري الحديث (بابانو وبيتانو وقاعة عرش).

يقع خارج القلعة في الزاوية الجنوبية الشرقية من المدينة ⁽¹⁾. تم تنقيبه من قبل بعثة مالوان، ويعود الفضل الأكبر بتنقيب هذا المبنى إلى ديفيد أوتس الذي ترأس البعثة بعد مالوان، حيث أسفرت تنقيباته عن كشف المخطط الرئيسي للبناء ⁽²⁾.

ينسب بناء هذا القصر (القصر الحصن) إلى شلمنصر الثالث الذي كان قد انتهى منه نحو العام 846 ق.م ⁽³⁾.

وعلى ما يبدو كان وجود الترسانات العسكرية أمراً شائعاً في العواصم الآشورية، كما هو الأمر في القصر (F) في العاصمة دور شاروكين (خورسباد)، والترسانة غير المكتشفة في تلة النبي يونس في نينوى ⁽⁴⁾.

وينبئنا نص عائد لأسرحدون، حول وظيفة هكذا نوع من الأبنية:

((لغاية التخيم والحفاظ على الأحصنة ومركباتها وكذلك أسلحة ومعدات الحرب والغنائم التي يتم الحصول عليها من الأعداء...)) ⁽⁵⁾

هذا النص يحمل باختصار الوظيفة التي الأساسية التي أنشأ لأجلها الحصن.

أما التصميم العمراني للبناء فيقوم في محيط كبير قياسه 250x350 م (5-7 هكتار) (الشكلان 9 و 10) وفي الواقع يستحق هذا البناء أن يسمى بالحصن إذ وجد فيه نظام دفاعي هو من المتانة والمنعة بمكان، سيما مع وجود تلال العزr الكائنة في الزاوية الجنوبية من الحص ⁽⁶⁾ فقد أحيط بأسوار دفاعية عظيمة بنيت من الآجر، وزودت بأبراج دفاعية ناتئة نحو الخارج بنحو 2م تقريباً ⁽⁷⁾. وهنا قد يطرح المرء تساؤلاً هل يمكن اعتبار الترسانة العسكرية تطوراً عن الدونو التي ظهرت في العصر الآشوري الوسيط نحو القرن 13 ق.م وهي قلعة محصنة أنشأت في المناطق المسيطر

1)- Reade.J, Nimrud.in: (curtis.j, Fifty years, op.cit. p.107).

2)Kertal. David, Kalhu s Palaces of War and peace: Palace of Architecture at Nimrud in the ninth Century B.C, Iraq, vol.73,2011,pp71-72

3)-Mallowan.M, Nimrud and its remains,. II, the British School of Archaeology in Iraq, London, 1966, p.377.

4)- Turner.G, op. cit, p.180.

5)-Mallowan.M, Nimrud and its remains,. II, p.376.

6)- Mallowan.M, Nimrud and its remains,. II, p.371.

7)- Oates ,D ,Fort Shalmaneser, op. cit, p.100.

عليها حديثاً لغايات إدارية واقتصادية وعسكرية ؟قد هذه الفكرة مقبولة إذا ما تذكر المرء وظيفة الترسانة العسكرية⁽¹⁾

يقع المدخل الرئيسي للحصن على السور الغربي حيث البوابة الغربية التي تميزت بقنطرتها ذات الشكل نصف الدائري، والتي أحيطت على جانبيها بأبراج بارزة⁽²⁾. وعثر على آثار بوابة أخرى للحصن في السور الشمالي وهي لا تختلف كثيراً عن البوابة الغربية لكنها أقل أهمية منها⁽³⁾.
قسم الحصن إلى أربع وحدات أو ساحات رئيسية لم تكن منتظمة التخطيط إضافة لكونها مختلفة الحجم وقد أعطيت الأسماء التالية تسهيلاً للبحث:

(NE) الفناء الشمالي الشرقي، (NW) الفناء الشمالي الغربي، (SE) الفناء الجنوبي الشرقي، (SW) الفناء الجنوبي الغربي⁽⁴⁾، وفي الوسط وجدت ساحة الاستعراضات العسكرية وقد أقيمت على جانبها منصة ملكية مخصصة لجلوس الملك⁽⁵⁾.

- القطاع الشمالي: الفناءان الشمالي الشرقي والشمالي الغربي:

كان الفناء الشمالي الشرقي متضرراً بشكل كبير جداً، ومع ذلك أمكن تتبع بعض عناصره العمرانية، فعلى الجانب الشرقي منه اكتشفت آثار لعدة غرف، واكتشف في الجانب الجنوبي بوابة واسعة تؤدي إلى القطاع الجنوبي الشرقي (SE)، في حين فصلت سلسلة من الغرف الفنائين (NE) و (NW)، وفي النهاية الشرقية من سلسلة الغرف تلك، وجد جناح يفصل القطاع (NE) عن القطاع (SE)، ويبدو أنه كان مقر إقامة أحد ضباط الحصن.

- الفناء الشمالي الغربي:

تميز بوجود حجرات طويلة على جوانبه التي يبدو أنها خدمت كمخازن متنوعة، كحجرة المؤونة (NW14) التي اكتشف أن أرضيتها رصفت بنوع من الآجر كان شائعاً من السلالة السرجونية⁽⁶⁾.

1 - (فينولوس، جوان لويس مونيروس، من القرية في العصر الحجري الحديث إلى المدينة السورية الراقية، تر:سوزان ديبو، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2016، ص236.

2 - (Oates ,D ,The Excavations at Nimrud , (Kalhu), 1961, Iraq, vol.24, part.1, 1962, pp5-6.

3) - Ibid, p.12.

4) - Oates ,D ,Fort Shalmaneser, op. cit, p.98.

5 - (لويد، مرجع سابق، ص298.

6) - Oates ,D ,Fort Shalmaneser, op. cit, p.101.

أدى القطاع الشمالي من الحصن عدة وظائف إذ تبين أن الغرف التي تحيط بأفنيته كانت ورشات للنجارين والحدادين وصانعي الدروع، ومخازن مؤونة، إضافة إلى بعض الشقق والأجنحة البسيطة لعلها كانت مكاتب للضباط أو خدمت كمهاجع عسكرية.⁽¹⁾

– القطاع الجنوبي: الفناءان الجنوبي الغربي والجنوبي الشرقي:

تكون **الفناء الجنوبي الغربي** من أربع ساحات صغيرة، وانتشرت على الأطراف مخازن طويلة مرتبة بجانب بعضها البعض وجدت فيها أنواع مختلفة من الأسلحة⁽²⁾، وجرار متنوعة بعضها مخصص لحفظ الحبوب، والمواد الغذائية، والآخر لحفظ الزيت والخمر كما في المخزن (SW6) المخصص للنبذ⁽³⁾، إلا أن أهم المخازن على الإطلاق المخزن (SW37) الذي عُثر فيه على كميات هائلة من قطع العاجيات المكسدة على عجل، لعل ذلك كان قبيل الهجوم الميدي على المدينة (614 ق.م).

تم تأريخ أغلب العاجيات من فترة منتصف القرن السابع والثامن ق.م⁽⁴⁾، وتعتبر المنطقة (S) من المناطق الهامة في الفناء الجنوبي الغربي، تقع إلى الجنوب من منطقة المخازن، ضمت العديد من الأجنحة منها ما يمثل سكن محلي وأخرى تمثل شقق وقاعات فخمة وما يبدو أنه جناحاً ملكياً وجناح للحريم وتنفصل هذه الأقسام عن بعضها بساحات مزودة بممرات تصل فيما بينها⁽⁵⁾.

تقع الأبنية الأهم في المنطقة (S) حول الفناء (S6) إذ ضم ما يمكن تسميته بجناح قاعة عرش صغيرة (S3-5)⁽⁶⁾، (قاعة عرش طويلة وضيقة نسبياً، غرفة انتظار، حمام)، انتصب العرش في النهاية الشرقية من قاعة العرش، التي زُينت برسومات جدارية تصور حرس الملك⁽⁷⁾.

– أما **الفناء الجنوبي الشرقي** فتميز بوجود ساحات واسعة صممت لاستيعاب حركة المرور العسكرية بما فيها العربات العسكرية، فبلغت مساحة إحدى الساحات نحو 80-100 م ويبدو أنها كانت مخصصة للعروض العسكرية بدليل العثور على منصة العرش الملكية في الزاوية الجنوبية الغربية منها⁽⁸⁾.

1)– Kertal D, op. cit, p.73.

2)– Oates ,D ,Fort Shalmaneser, op. cit, p.102.

3)– Mallowan.M, The Excavations, Iraq, Vol.20,part.2, 1958, p.107.

4)– Oates ,D ,The Excavations at Nimrud, Iraq, 1961, Vol.24,part.1, 1962, pp.2-3.

5)– Oates ,D ,Fort Shalmaneser, op. cit, p.114.

6)– Oates ,D ,The Excavations at Nimrud , (Kalhu), 1960, Iraq, vol.23, part.1, 1961, p5. p5.

7)– Mallowan.M, Nimrud and its remains,. II, p.379.

8)– Ibid, p378.

وعلى طول الجانب الغربي من الفناء (SE) والجانب الشمالي توزعت غرف الإيواء الطويلة، وفي الزاوية الشمالية الغربية من الفناء (SE) وجد جناح إقامة للموظفين⁽¹⁾، أما الجانب الشرقي من الفناء (SE) فكان ملاصقاً لسور المدينة، في حين قام على الجهة الجنوبية منه جناح قاعة العرش الكبرى بغرفه المتنوعة التي كانت من نفس النموذج الموجود في القصور المدنية⁽²⁾، وقد بلغ قياس قاعة العرش (42.10 م) طولاً و (9.80 م) عرضاً، وكان يُدخل إليها من ثلاثة مداخل، وقد تميزت بسماكة جدرانها وارتفاعها عن الأبنية المحيطة.

الغريب في هذه القاعة أنها قليلة اللقى، وقد فسر ذلك بأنها كانت مفرغة ومهجورة قبل الانهيار النهائي للمدينة، إلا أن أهم اكتشاف فيها هو منصة العرش (الشكل 11) القائمة على الجدار الشرقي، تحفظ اليوم في المتحف العراقي في بغداد، يبلغ قياسها 2.28م عرضاً و 3.82م طولاً⁽³⁾، وهي منقوشة بنقوش ومنحوتات نافرة كانت بمثابة سجل لأعمال الملك شلمنصر الثالث، فتُظهر تسلمه الجزية من الممالك السورية والكلدية، لكن المشهد الأهم الذي يصور اللقاء التاريخي بين شلمنصر الثالث والملك البابلي مردوك زاكير شومي⁽⁴⁾.

الزخارف الأساسية الباقية لقاعة العرش (T1)، والأجنحة السكنية قليلة للغاية ومع ذلك تؤكد استخدام الرسوم الجدارية ذات الموضوعات الهندسية، كما ظهر أحد المشاهد يمثل الحرس الملكي الذي يحيط بالملك.

وهناك سمة أخرى وهي غياب المخلوقات الحارسة للأبواب⁽⁵⁾.

باختصار يمكن القول كما قال مورتكات:

((كان قصر شلمنصر في كلخو عملاً نفعياً وليس عملاً فنياً))⁽⁶⁾.

ب- الأبنية الدينية:

أقيم على القلعة إضافة للقصور الملكية والأبنية الحكومية، العديد من الأبنية الدينية تمثلت بمجموعة من المعابد، إضافة إلى زقورة المدينة.

1)- Oates ,D ,Fort Shalmaneser, op. cit, pp107-108.

2)- Turner, G, op. cit, p.180.

3)- Oates ,D ,The Excavations at Nimrud, Iraq, 1962, Vol.25,part.1,1963, pp.9-10.

(4)- بيتياننن، مرجع سابق، ص131.

5)-Oates ,D ,The Excavations, Iraq, 1963, Vol.25 ,part.1, pp.28-29.

(6)- مورتكات، الفن في العراق القديم، ص385.

- معبد الإله نابو (Nabu):

المعبد الأهم بين مجموعة المعابد التسعة التي يفخر آشور ناصر بال الثاني بتشييدها في عاصمته الملكية.⁽¹⁾

نابو هو إله الكتابة والحكمة البابلي، وكان يسمى معبده باسم (معبد إيزيدا) وهو الاسم الذي يطلق عليه في موطنه في المدينة الدينية بورسيبا، وتعني كلمة إيزيدا بالسومرية البيت الثابت أو البيت المكين.⁽²⁾

كان قد ارتفع شأنه (الإله نابو) لدرجة كبيرة في الألفية الأولى قبل الميلاد وأصبحت لعبادته شعبية كبيرة في بلاد آشور، بدليل العثور على آثار معبده في أغلب المدن الآشورية الرئيسية⁽³⁾.

نسب بناء المعبد إلى الملك آشور ناصر بال الثاني، أما نسخته المنقبة فهي عائدة للملك أدد نيراري الثالث⁽⁴⁾. يقع في الزاوية الجنوبية الشرقية من القلعة⁽⁵⁾، ويتم الدخول إليه مباشرة من شارع شلمنصر، بلغت أبعاده نحو 80x85 م، توزع بناءه حول فناءين مستطيلين شكلا جناحين متفاوتي الأهمية، جناح جنوبي وهو الأهم وآخر شمالي أقل أهمية من سابقه (الشكل 12).

أما الجناح الجنوبي الأقدم والأهم كان يضم محرابي الإله نابو وزوجته تاشميتوم⁽⁶⁾، إذ شغلت الجهة الغربية منه بمحرابين ضخمين (NT 4,5)، كلاً منهما له منصة مرفوعة في نهايتها الغربية ويتم الوصول إليها من خلال مجموعة من الدرجات.

وقد بلطت أرضية المحرابين بالحجارة، وكذلك الأمر بالنسبة لمحرابي الجناح الشمالي، في حين بُلط باقي المعبد بالآجر المشوي، وبُنيت جدرانه بالآجر مع أساسات حجرية⁽⁷⁾.

وكان لكل من المحرابين حجرة انتظار خاصة.

قامت على الجهة الشرقية من الجناح (الجنوبي) مجموعة من الغرف ذات الأهمية الخاصة حيث كانت تجري فيها عملية نسخ الألواح المسمارية وحفظها، وقد عثر على مكتبة ضخمة في هذا

1)- Oates, Joan and David, op.cit, p.111.

2)- آغا، عبد الله الأمين، ملاحظات حول مخطط بناية إيزيدا: معبد نابو في نمرود، سومر، مجلد 44، ج 1+2، 1985-1986، ص 42.

3)- Oates, Joan and David, op.cit, p.111.

4)- Reade. J.E, The Ziggurat and the Temples of Nimrud, Iraq, vol.64, 2002, pp196-197.

5)- آغا، المرجع السابق، ص 42.

6)- Mallowan.M, The Excavations at Nimrud , 1956, Iraq, Vol.19, part.2, 1957, pp6-7.

7)- Oates, Joan and David, op.cit, pp.112-114.

الموضع من المعبد⁽¹⁾، تتوعت موضوعات نصوصها بين اتفاقيات ووثائق تجارية، ونصوص دينية، وأدبية كملحمة جلجامش الشهيرة، وهناك نصوص سجلت مناطق مختلفة من المعبد فأحدثت ارتباطاً استثنائياً بين الأدلة المعمارية والنصية⁽²⁾.

- الجناح الشمالي:

كان من حيث التصميم مشابهاً للجناح الجنوبي، ففي الشمال الغربي منه توضع زوج من المحاريب طابقت تلك القائمة في الجناح الجنوبي لكن بقياس صغير جداً، وبجوار هذه المحاريب انفتح مدخل على فناء داخلي صغير تبين أنه جناح استقبال، وهنا يظهر الاختلاف عن الجناح الجنوبي، احتوى غرفة للعرش، تم التعرف على صفتها من خلال منصتها الحجرية وخطي الموقد المتحرك، ومجموعة غرف أخرى منها غرف نوم، وهنا قد يتسائل المرء عن سبب وجود غرفة العرش داخل المعبد هل كانت تتم فيها بعض الاجتماعات الإدارية، أم هل كان للملك دور في قضية الزواج المقدس التي تجري مع احتفالات رأس السنة الجديدة والتي يرى أوتس أنها كانت تتم في هذا الجزء من المعبد؟⁽³⁾.

جدير بالتنويه أنه تم الكشف في غرفة العرش عن مجموعات هامة من العاجيات وكسر الألواح المسمارية، وعُثر فيها على نص الاتفاقية التي رتبت أمر وراثته العرش بعد أسرحدون⁽⁴⁾.

قامت على الجانب الشرقي من الجناح الشمالي سلسلة من الغرف ربما كانت مكاتب إدارية لإدارة شؤون المعبد⁽⁵⁾.

أخيراً وبإجراء مقارنة بسيطة بين هذا المعبد ومعابد نابو الأخرى في مدينة آشور وخورسباد يتضح أن معبد كلخو كان ذو طبيعة غير منتظمة ومفككة إلى حد ما، وذلك بالمقارنة مع مخطط معبد خورسباد⁽⁶⁾، كما أن هذا الأخير أكبر من حيث المساحة من معبد كلخو، إلا أنهما متشابهان جداً جداً في العناصر الأساسية للبناء⁽⁷⁾، كما أن فناء محرابي نابو في مدينة آشور، كان على شكل

1) Oates, Joan and David, op.cit, p.115.

2)- Reade.J, Nimrude. In (fifty years...), p111.

3)- Oates. D, the Excavations of the British School of Archaeology in Iraq, pp.33-34.

4)- Reade.J, Nimrude. In (fifty years...), p111

5)- Oates, Joan and David, op.cit, pp.115-116.

6)- Mallowan.M, The Excavations, 1956, Iraq, Vol.19,p.9.

7)-Postgate. J.N, The Bit Akiti in Assyrian Nabu Temples, Sumer, vol.30, part.1-2, 1974, p.52.

مستطيل، عكس الفناء شبه المربع في معبد كلخو، أيضاً محرابي معبد نابو في آشور لم يكونا متجاورين وإنما منفصلين بغرفتين اثنتين عكس معبد كلخو⁽¹⁾.

– معبد الإله نينورتا (Ninurta)⁽²⁾:

بناه الملك آشور ناصر بال الثاني، حيث ورد اسم نينورتا في العديد من نصوصه الملكية مما يدل على أنه تمتع بحظوة كبيرة لدى الملك دفعته لأن يؤسس معبد خاص له زين محرابه بالحجارة النفيسة ورصّعه بالذهب وخصّه بالاحتفالات:

((... مدينة كلخو أسست فيها معبداً للإله نينورتا رمزاً لألوهيته، مصنوعاً من أفضل الحجارة ومزين بالذهب الأحمر، واعتبرته من أكثر آلهة كلخو ألوهية،.... أقمت هذا المعبد بكامله.... أنا شيدتُ معابد الآلهة...))⁽³⁾

يقع المعبد في الطرف الشمالي من القلعة بجانب القصر الشمالي الغربي، يقترب من سطح الزقورة ويلامسها مباشرة، إن توضع المعبد على مقربة كبيرة من الزقورة يجعل المرء يفترض وجود علاقة ما بينهما⁽⁴⁾.

نُقب المعبد من قبل لايارد الذي كشف ثلاث غرف رئيسية تبين أنها تشتمل على حرم رئيسي وآخر ثانوي وهذا الأخير كان في أقصى النهاية الشمالية من المعبد ولا يُعلم فيما إذا كان قد خُصص للإله إنليل الذي يُذكر وجود محرابه في معبد نينورتا كما ورد في نص مسلة المأدبة⁽⁵⁾.

تم استجلاء مخطط المعبد بشكل أوضح من قبل بعثة مالوان فتم اكتشاف باب مسدود خلف الحرم الرئيسي يؤدي إلى رواق مقنطر شمالي جنوبي، لا يزال الهدف منه مجهولاً⁽⁶⁾.

كشف مالوان إلى الجنوب من الحرم الرئيسي عن سلسلة من الغرف تبين أنها تمثل مخازن للمعبد عُثر فيها على العديد من الجرار كانت مرتبة في أربع صفوف مثبتة بما يشبه المقاعد من

1)– Mallowan.M, The Excavations, 1956, Iraq, Vol.19,pp.8-10

2)– نينورتا: إله سومري يعني اسمه (سيد الأرض) وهو ابن الإله إنليل، زوجته هي إلهة الشفاء (جولا)، حافظ على اسمه في الديانة الأكادية، وهو إله للخصب والحرب في آن واحد. انظر: اذار.د.ر، بوب.م.ه، رولينغ.ف، قاموس الآلهة والأساطير في بلاد الرافدين (السومرية والبابلية)– في الحضارة السورية (الأوغاريتية والفينيقية)، تعريب.محمد وحيد خياطة، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان، حلب، سورية، د.ت، ص173.

3)– Grayson.A, Assyrian Rulers...(1114-859B.C),vol.1,P.212.

4)– Mallowan.M, Nimrud and its remains,. I, pp. 85-87.

5)– Ibid, p.87.

6)– Oates, Joan and David,op.cit,p.110.

الآجر، والممتع أنه قد سجل على هذه الجرار سعتها من المقاييس الآشورية (الشكل 13)⁽¹⁾.

أما تزيينات المعبد فيمكن التعرف عليها من خلال نص مسلة المأدبة، ومن خلال بعض اللقى الأثرية، وإن مقتطف من نص المسلة قد يعطي صورة ما عن طبيعة تلك التزيينات ((...وضعت عوارض الأرز كسقف وصنعت أبواب عالية من الأرز التي ربطتها برباطات برونزية... وطعمت ضريح (محراب) الإله نينورتا، سيدي، بالذهب والحجارة اللازوردية... وصنعت ثعابين (تنانين) مصطفه من الذهب وثبتها على قاعدة المحراب.... وحددت احتفالاته...))⁽²⁾.

تكتمل هذه الصورة البديعة مع الجدران التي اتضح أنها كانت مزينة بمنحوتات دُون عليها نقوش ملكية طويلة تُخلد انتصارات الملك ومنجزاته⁽³⁾.

- معابد الآلهة الأخرى:

يقول آشور ناصر بال الثاني في نقش مسلة المأدبة: ((في كلخو عاصمتي الملكية والمعابد التي لم توجد من قبل معبد إنليل ونينورتا اللذين أسستهما فيهما، معبد إيا ودامكاني معبد أدد وشالا معبد جولاً، معبد سين، معبد نابو، معبد عشتار بيل ماتي، معبد سيبيتي، معبد عشتار كيدموري، معابد الآلهة العظيمة مجدداً داخل (المدينة) جدتها وجملتها جميعاً...))⁽⁴⁾.

يؤكد هذا النص إقامة آشور ناصر بال الثاني للمعابد المذكورة أسمائها آنفاً، إلا أن البقايا الأثرية الدالة على وجودها - باستثناء معبدي نابو ونينورتا - لا يمكن أن يُبنى عليها للوصول لمخططاتها، وكل ما يمكن قوله أنها إذا وُجدت فعلاً فإنها تركزت جنوب شرقي الزقورة.⁽⁵⁾

-زقورة كلخو (Ziggurat):

ينسب بناء الزقورة إلى الملك شلمنصر الثالث بدليل الآجر المنقوش باسمه، تقوم على الزاوية الشمالية الغربية من القلعة، إلى الشمال من معبد الإله نينورتا⁽⁶⁾، بقاياها القائمة إلى اليوم عبارة عن لبها الطيني (الآجري) إضافة لطبقتين من الحجر المنحوت في منصتها السفلية التي قدر عرضها بـ (50م) وتأخذ شكلاً أقرب ما يكون للمربع⁽⁷⁾، وعلى هذا فإن طبقات الأساس السفلية للزقورة بنيت من

1)- Mallowan.M, Nimrud and its remains,. I,p.91.

2)- Wiseman.J.A, op. cit, P.31.

3)- Oates, Joan and David,op.cit,P.107.

4)- Wiseman.J.A, op. cit, PP.30-31.

5) -بصمه جي، مرجع سابق، ص 198.

6)- حنون، نائل، المدافن والمعابد في حضارة بلاد الرافدين القديمة - المعابد وزقوراتها-، دار الخريف، دمشق، 2006، ص99.

7)- Reade. J.E, The Ziggurat and the Temples of Nimrud, Iraq, vol.64, 2002, p.158.

من الحجارة التي ارتفعت بحسب تأكيد لايارد إلى نحو (6.15م)، سويت طبقتها الأخيرة بمنصة القصر الشمالي الغربي ومنصة معبد نينورتا.

وكان لايارد قد كشف في الأساسات الشمالية والغربية للزقورة عن محاريب سطحية تزينها، وفي منتصف الجانب الشمالي عُثر على عمود غائر جزئياً بعرض (5م)⁽¹⁾.

وقد اعتبر جوليان ريد المحاريب صفة تزيينية للأبنية المقدسة وافترض أن البنية الفوقية الآجربة للزقورة كانت مزينة أيضاً بمحاريب مشابهة، ويناظر ريد هذه الزينة مع زقورة تل الرماح الأقدم زمنياً⁽²⁾. تلا الأساس الحجري الآجر الذي شكل نواة الزقورة، والذي يعتقد أن وجهه الخارجي كان مصقولاً ولعله حمل ألوان مختلفة، وهذا التكهن عائد إلى أنه لم يبقَ أي دليل يشير إلى تلك الألوان⁽³⁾.

أكدت تنقيبات مالوان عام 1956 في الواجهتين الجنوبية والشرقية من الزقورة أن الوجه الشرقي والذي يقابل الجدار الشمالي لمعبد نينورتا قد يكون فيه غرفة للدرج، والذي يفترض أنه كان منحدرًا بقوة⁽⁴⁾، ومما قد يدعم ذلك زعم جورج سميث عام 1873 بأنه قد لاحظ معالم درج على الجانب الجنوبي للزقورة، ويؤكد أوتس بأن الممر لا بد أن يكون من الشرق أو من الجنوب وبأنه وصل المنصة الأولى عن طريق درج داخلي ضمن فناء معبد نينورتا، وهذا قياساً على الوضع في زقورة معبد أنو - أدد في مدينة آشور⁽⁵⁾.

وأخيراً جدير بالتنويه على احتواء واجهة الزقورة الشمالية والشمالية الغربية على أبراج كانت بنتوء نصف دائري⁽⁶⁾ ما يُظهر تأثير الأبنية الدينية بنمط العمارة المدنية الحصينة.

ثانياً- دور شاروكين (العاصمة المنكوبة) Dur-sarrukin:

1-الخلفية الجغرافية والتاريخية :

شاروكين، الملك العظيم الذي انتصر على كل الجبهات ووطد الأمن والاستقرار داخل الإمبراطورية الآشورية يحق له أن يخلد انتصاراته العسكرية والسياسية بأبدة عمرانية تعكس بتصميمها ومنحوتاتها سطوته وجبروته، ومن هنا كان قراره، وعلى غرار آشور ناصر بال الثاني، في بناء مقر ملكي جديد يكون رمزاً للإمبراطورية.

1)- Oates, Joan and David, op.cit, p.105.

2)-Reade. J, The Ziggurat..., Iraq, vol.64, 2002, pp. 165-166.

3)- Oates, Joan and David, op.cit, p.106.

4)-Mallowan.M, Nimrud and its remains, I,p.86.

5)-Oates, Joan and David, op.cit, pp.106-107.

6)- Reade. J, The Ziggurat, Iraq, vol.64, p.165.

شرع شاروكين الثاني بتنفيذ هذا المشروع نحو العام 717 ق.م وقد احتاج إلى عشر سنوات لإنجازه، فلم يتمكن من الانتقال لمقره الجديد إلا في العام 707 ق.م⁽¹⁾، بلغت خلالها حماسة شاروكين واهتمامه بمشروعه درجة جعلته يشرف بنفسه على سير عملية البناء ويتابعها خطوة بخطوة وهذا ما نلمسه بكل وضوح في مراسلاته الملكية وفي نقوشه، يقول في واحدة منها: ((أنا خططت وفكرت ليل نهار لكي أصمم هذه المدينة، بتشديد مقاماتها كمساكن للآلهة العظيمة، والقصور لمقري الملكي)⁽²⁾.

إن كلام شاروكين هذا لا يعني بالضرورة أنه كان عالماً عمرانياً، لكن لعله أراد أن ينقل لنا مدى اهتمامه وعنايته بالمشروع. لم يكتف شاروكين بذلك ولكن زيادة في التخليد الأبدي لشخصه فقد أصبغ اسمه على المدينة الجديدة، يدلنا على ذلك نقش وجد على إحدى قطع الحجر المشوي في قاعة العرش الملكية ((شاروكين ملك العالم، ملك آشور (يقول): لأنني أردت أن أبني مدينة أنا منحتها اسم شاروكين.....))، ومعنى الاسم (Dur-Sarrukin) هو (قلعة شاروكين)⁽³⁾. عرفت المدينة بهذا الاسم (دور شاروكين) في المصادر الآشورية الحديثة، في حين وردت بصيغة صرعون في معجم البلدان وذلك بفتح الصاد وسكون الراء، ومن الواضح أن هذه الصيغة هي تحريف لصيغة صرعون أو سرجون نسبة إلى شاروكين الثاني الذي يعرف في بعض المصادر باسم سرجون الثاني⁽⁴⁾.

كان شاروكين الثاني قد اختار لبناء المدينة موقعاً بكرةً على أرض زراعية⁽⁵⁾ تتبع قرية صغيرة كانت قائمة آنذاك قريباً من الموقع تدعى مغانوبا Magganobba عند أسفل جبل موصري⁽⁶⁾ ((...الجبل الذي ينتصب مثل البرج (ليشرف) على منابع نينوى وضواحيها)). إن جبل موصري هذا يطابق تماماً جبل بعشيقا على ما يقول به بعض الباحثين⁽⁷⁾.

1)-Bienkowski, piotr and Millard ,alan,Dictionary of the ancient near east ,Britsh Museum prees,London.2000.p.168.

2) -Parpola.Simo,the construction of Dur-sarrukin in the Assyrian Royal correspondence:in(the Assyrian Royal correspondence),louvre,francaise ,1994,p,52.

3)-Loud,Gordon,Khorsaoad I:Excavations in the palace and at a city gate,the University of Chicago press,Chicago,1936,p.129

(4)-الحموي، ياقوت ،معجم البلدان ،باب الصاد والراء، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، ج3، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ص456

5)-Bienkowski.P and Millard.A, op.cit,p168.

6)-Albenda,Pauline,the Palace of Sargon, King of Assyria ,Paris ,1986 , p.35 .

(7)-حنون، نائل، مدن قديمة ومواقع أثرية - دراسة في الجغرافية التاريخية للعراق الشمالي خلال العصور الآشورية، دار الزمان، دمشق، سورية، 2009، ص 170 .

إذا لم تقم المدينة على أنقاض قرية مغانوبا كما يظن وإنما على الأرض الزراعية التابعة لها وهذا ما أثبتته التنقيبات إذ لم يتم العثور على أية آثار تحت طبقة الأنقاض العائدة لدور شاروكين. أما الاسم الحديث للمدينة فهو خورسباد Khorsabad نسبة إلى القرية الحديثة القائمة بجوارها ⁽¹⁾ والواقعة على نهر الخوصر أحد روافد نهر دجلة ⁽²⁾ وهي تقع حالياً على بعد 18 كم شمال شرق نينوى (الموصل) وتبعد 12 كم عن نهر دجلة ⁽³⁾ و نحو 40 كم شمال شرق العاصمة القديمة كلخو ⁽⁴⁾.

الخطوة الثانية لشاروكين بعد اختيار الموقع هي الحصول على الأرض وتنظيم كادر العمل وقد أكدت المراسلات الملكية هذه الخطوة إذ أظهرت أن شاروكين قام بشراء الأرض من أصحابها لقاء مبالغ مالية معينة وعوض البعض الآخر منهم بأراض واقعة في مناطق أخرى ⁽⁵⁾ فأظهر أحد النقوش أن الملك: ((أعاد دفع الفضة والبرونز إلى مالكي الحقول لقاء وثائق البيع)) ⁽⁶⁾ إن هذا الأمر يلفت يلفت الانتباه إلى نقطة هامة هي أن شاروكين الثاني ((ملك الجهات الأربع)) لم يعتمد إلى الحصول على الأرض بشكل قسري مع أنه قادر على ذلك، فلعلها حسنة تحسب له.

ومن خلال المراسلات الملكية ونقوشها نعلم أيضاً الآلية التي وفر فيها الملك الأموال اللازمة لتمويل مشروعه الضخم. تقول إحدى الرسائل الموجهة لأحد المسؤولين عن عملية البناء في دور شاروكين: ((الملك سيدي أخبرني: "لا أحد سيعيد القروض حتى ينتهي العمل في دور شاروكين!") الآن بعد أن شيدت دور شاروكين (قد ردت حصة التجار، لكن ولا أحد ذكر الملك بخصوصي: 750 كغ من الفضة الممهورة بختمي والمستحقة الدفع هذه السنة لم تسدد بعد، عندما الملك سيدي، يبيع الذهب والأحجار الثمينة... ليسمح الملك سيدي بأن يدفع لبيتي كيما أستطيع أن أدفع التزاماتي لهؤلاء الأشخاص...)). هذه الرسالة لا تدع مجالاً للشك بأن جزء كبير من نفقات البناء قد مؤل من خلال قروض مأخوذة بشكل شخصي من المرابين، إضافة لذلك يخبرنا الكاتب بأن الملك كان يستخدم خدمه لتحويل الذهب والأحجار الثمينة إلى مال والذي لم يكن ضرورياً للدفع إلى مالكي الأرض وحسب لكنه ربما يخدم غايات أخرى مثل امتلاك المواد الخام ومنتجات أخرى لم تكن موجودة داخل

1)- Loud, Gordon and Altman, Charles, Khorsabad II : The Citadel and the town , the University of Chicago press, Chicago, 1938, p.4 .

2)- بابلون، أرنست، الآثار الشرقية لحضارات كلدية وآشور وبابل وفارس وسورية وفينيقية واليهودية وقرطاجة وقبرص، ترجمة مارون عيسى الخوري، دار جروس برس ودار حكمت شريف، طرابلس، لبنان، 1987، ص 57 .

3)- Bienkowski.P and Millard.A ,op.cit,p.168 .

4)- سازونوف، مرجع سابق، ص 167 .

5)- Albenda,P,op.cit,p.35 .

6)- Parpola.S, op.cit,p.53 .

الإمبراطورية ⁽¹⁾ طبعاً لا يفوتنا الإشارة إلى أن الحملات العسكرية وفرت مصادر ضخمة من الثروات والمواد الثمينة التي وظفت ولا شك في عملية البناء، وترتبط بالحملات العسكرية قضية اليد العاملة إذ أظهرت المراسلات الملكية طبيعة اليد العاملة المسخرة في بناء المدينة، فكانت في أغلبها من أسرى الحروب التي خاضها شاروكين الثاني ضد الشعوب الأجنبية: **((بطبقة العمال من الشعوب الأجنبية الذين أسرتهم))** أما أصول هؤلاء العمال فيمكن معرفتها من التاريخ السياسي والعسكري لشاروكين الثاني - والذي ذكر سابقاً في الفصل التمهيدي - ليعلم المرء أن اليد العاملة كانت من سورية والأناضول ومن الجنوب البابلي، وهذا ما أثبتته بالفعل نقوش شاروكين الثاني ومراسلاته الملكية فهذه رسالة تكشف عن وجود أسرى مرحلين من مدينة السامرة، وقد أسرههم شاروكين في الحملة الأولى لعهد: **((بشأن ما كتبه لي سيدي الملك، "زودني بكل السامريين الذين هم تحت يدك للعمل في دور شاروكين.))** ⁽²⁾

أيضاً ومن خلال النقوش المسمارية نعلم أن اليد العاملة في دور شاروكين لم تقتصر على أسرى الحروب وحسب، وإنما تألفت أيضاً من مواطنين آشوريين ألزموا بالعمل على مبدأ أن كل الآشوريين الذين يقومون بخدمات عسكرية يسخروا أيضاً لخدمات عمالية لصالح أعمال الملك ⁽³⁾.

إن فئات العمال هذه ولاسيما أسرى الحروب هم أنفسهم شكلوا نواة العاصمة الجديدة للملك، بمعنى أنهم أصبحوا مواطنين آشوريين. وهذا ما نجده بقوة في نصوص شاروكين: **((وطنت في وسطها المنفيين من البلاد المهزومة، وجعلتهم يتكلمون لغة واحدة، وحسبتهم مواطنين آشوريين، أخصائيين من كل صنعة، مراقبين وقادة، كلهم لكي يعلموهم التصرف الصحيح والإجلال الحق تجاه الإله والملك))** ⁽⁴⁾.

إن هذا النص يشير بوضوح أن سكان دور شاروكين كانوا من فئات وشعوب مختلفة أتى بها شاروكين وصهرها في بوتقة واحدة، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على وعي سياسي عميق لمتطلبات الاستقرار السياسي الذي تستلزمه الإمبراطورية، وأيضاً هي حسنة تسجل لصالح شاروكين ولجميع ملوك آشور وتبعد عنهم صفة التمييز العرقي، الذي وللأسف نحن نعاني منه اليوم، نحن سكان القرن الواحد والعشرون !!! لكن ما من شك أن عمل ملوك آشور هذا، كان لغايات سياسية وبعيد عن الإنسانية كل البعد.

1)- Parpola.S, op.cit,pp.53-54 .

2)- Ibid,pp,54-55 .

3)-Ibid,p.55 .

4)- Ibid,p.55 .

العام 707 ق.م، العام الخامس عشر من حكم شاروكين، العام الذي انتقل فيه إلى عاصمته الملكية الجديدة بمباركة كبرى الآلهة في بلاد آشور التي نقلت تماثيلها لتستقر في معابدها في العاصمة الملكية الجديدة، تخلل ذلك تقديم القرابين اللاتقة بالآلهة وصاحبها حفل تدشين ملكي كبير⁽¹⁾، وذلك وسط أمنيات ملكية بالحياة المديدة لشخصه وبالأزدهار والاستمرار لعاصمته الملكية: ((هل للآله آشور أن يمنحني أنا شاروكين الحياة الطويلة والصحة في الجسد والبهجة في القلب والاشراق في الروح))⁽²⁾.

إلا أن هذه الأمنيات ذهبت أدراج الرياح، إذ ما لبث شاروكين أن خرَّ صريعاً في إحدى حملاته نحو العام 705 ق.م مخلفاً وراءه مدينته التي لم تحض بشرف أن تكون عاصمة أبدية إلا لسنتين إذ سرعان ما يمم خليفته وابنه سنحريب وجهه إلى نينوى متخذاً منها مقراً لحكمه⁽³⁾ لتتحول دور شاروكين إلى مركز محلي للولاة المحليين⁽⁴⁾ واستمرت كذلك حتى دمارها النهائي عام 612 ق.م على يد التحالف الميدي الكلداني.

2-التنقيبات في دور شاروكين :

مرت عملية التنقيبات في دور شاروكين بثلاثة مراحل أساسية: الأولى على يد القنصل الفرنسي بأول إميل بوتّا (1843-1845)، والثانية على يد القنصل الفرنسي فيكتور بلاس (1852-1855)، أما المرحلة الثالثة فكانت على يد بعثة معهد شيكاغو الأمريكي للدراسات الشرقية (1927-1935)، هذا بالإضافة إلى بعض التنقيبات الثانوية⁽⁵⁾.

بدأ بوتّا عمله الأثري في كانون الأول عام 1842 في قوينجيق إلا أنه ما لبث أن تركها بعد فشله في الحصول على أشياء ثمينة وتحول إلى موقع قرية خورسباد الحديثة بعد أن أتاه أحد فلاحي هذه القرية وأخبره بوجود كميات ضخمة من الحجارة التي يبحث عنها القنصل، فما كان من بوتّا، بعد أن تيقن من الخبر، إلا أن خف مسرعاً إلى الموقع الجديد وشرع بالعمل من فوره، وهنا كان النجاح حليفه⁽⁶⁾.

1)-Albenda ,P,op.cit,p,36 .

2)-Roux,G,op,cit,p,317 .

3)-Ibid,p.317 ,

4)-حنون، مدن قديمة ومواقع أثرية، ص170 .

5)-Bienkowski.P and Millard.A , op.cit,p.168 .

6)- زاماروفسكي، فوتيك، في البدء كانت سومر، تر:أحمد حسان، وزارة التعليم العالي، مطبعة جامعة دمشق، 2015م، دمشق، 2015م، ص38-39 .

يمكن تلخيص نتائج اكتشافات بوتّا: بسلسلة من جدران الغرف والممرات المزدانة بالمنحوتات النافرة، وكذلك العديد من الرقم الطينية، وتماثيل الثيران المجنحة ذوات الرؤوس البشرية. إن هذه الاكتشافات لم تكن إلا أنقاض قصر شاروكين الثاني وبذلك كان بوتّا هو الرجل الذي نال المجد العظيم باعتباره أول إنسان في العصر الحديث يدخل قصر ملك آشوري⁽¹⁾.

هذه المكتشفات ما إن وصلت متحف اللوفر حتى أثارت إعجاب الرأي العام وكذا الرأي الرسمي الذي تعهدوا بمزيد من الدعم، الأمر الذي سمح لبوتّا بإكمال تنقيباته لاسيما مع وصول الرسام الفرنسي الشهير إيوجين فلاندين Flandin الذي عمل على رسم وتسجيل المكتشفات في الموقع⁽²⁾. هذه الرسوم إضافة إلى رسوم بوتّا وتسجيلاته شكلت فيما بعد محتوى الكتاب ذو المجلدات الخمسة الذي أصدره في العام 1849-1850 بعنوان ((نصب نينوى))⁽³⁾.

توقف بوتّا عن التنقيب بعد الأحداث السياسية التي طرأت في فرنسا ونقله من عمله إلى دولة أخرى، وبذلك فاتته فرصة معرفة حقيقة اكتشافاته إذ أنه اعتقد مخطئاً أنه اكتشف نينوى بدليل اسم مؤلفه سالف الذكر⁽⁴⁾. ومهما يكن من أمر فإن أعظم نتائج عمل بوتّا تبقى أنه أول من لفت الانتباه إلى الموقع الأثري (دور شاروكين) وأول من نصب فيه.

بعد تنقيبات بوتّا حصلت عمليات تنقيبية متقطعة ليست بذات أهمية كبيرة أبرزها كشف السير هنري لايارد عام 1849 عن البناء الذي دعاه بالبناء المستقل⁽⁵⁾.

نأتي إلى عام 1852 مع الحملة الفرنسية بقيادة قنصل الموصل الجديد فكتور توماس بلاس الذي استمر بعمله حتى مطلع عام 1854⁽⁶⁾. حقق بلاس خلالها اكتشافات جد هامة يمكن تلخيص نتائجها بالتالي :

تم تحديد المخطط شبه الكامل لقصر شاروكين الثاني الملكي إذ كشف عن أكثر من (209) غرف وعدد كبير من الساحات (31 ساحة)⁽⁷⁾، إن هذا العدد الكبير من الغرف والساحات قد شمل القصر وملحقاته وهو يعكس الحجم الضخم للقصر من جهة ويظهر لنا الجهد الجبار الذي قام به

(1)- بابل، رويستن أي، قصة الآثار الآشورية، تر: يوسف داود عبد القادر، مطبعة أسعد، بغداد، 1972، ص 45 .

(2)- Raede, Julian, Assyrian Sculpture, British Museum press, London, 1983, p.6 .

(3)- كونيّنو، جورج ، الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور ، تر: سليم طه التكريتي وبرهان عبد التكريتي، منشورات الجمل، بيروت، بغداد، 2015، ص 205-206 .

(4)- لويد، مرجع سابق، ص 271 .

(5)- Albenda, P, op.cit, p.38 .

(6)- Ibid, pp.38-39 .

(7)- لويد، المرجع السابق، ص 271-272 .

بلاس من جهة أخرى. وقد قام الرسام فيليكس توماس Felix Thomas مساعد بلاس برسم أغلب المنحوتات المكتشفة والمخططات البنائية المكتشفة⁽¹⁾.

يعود الفضل لبلاس في الكشف عن ثلاثة معابد إضافة إلى الزقورة وكامل امتداد سور المدينة بأساساته الحجرية وبواباته السبعة⁽²⁾ وفي هذه الأبنية عثر بلاس على العديد من اللقى الأثرية القيمة، لاسيما الثيران المجنحة، لكن قصة الاكتشافات الرائعة انتهت بمأساة أثرية كبيرة إذ غرقت أغلب الآثار في نهر دجلة بعد أن كانت معدة للنقل إلى باريس⁽³⁾، وكأنها آثرت أن تعود إلى باطن الأرض التي خرجت منها على أن تنقل إلى متاحف الغرب بلا عودة.

ومهما يكن من أمر فإن فضل بلاس في دور شاروكين يبقى عظيماً فإذا كان الفضل عائداً لبوتا في لفت الانتباه إلى الموقع فإن الفضل كل الفضل يعود لبلاس في تحديد مخطط المدينة وأقسامها، هذا التحديد الذي سيكون مرجعاً وأساساً للعمليات التنقيبية الواسعة التي قام فيها معهد شيكاغو الأمريكي للدراسات الشرقية منذ عام 1927 واستمرت ثمانية أعوام⁽⁴⁾ وخلال هذه الفترة حققت البعثة الأمريكية نتائج عظيمة، فارتكزت أولاً على مخططات ورسومات بوتّا وبلاس، الأمر الذي أتاح لها اكمال العمل بسهولة بدلاً من البدء من الصفر⁽⁵⁾ فوسعت نطاق التنقيب واكتشفت مناطق لم تكن مكتشفة سابقاً وأثبتت حقيقة أن ما كان يدعى بمساكن الحريم من القصر هي سلسلة من المعابد الملحقة به⁽⁶⁾، ونظفت البوابة (7)، وعثرت على بوابة جديدة تحرسها الثيران المجنحة أفضت إلى اكتشاف العديد من الأبنية ضمن منطقة القلعة ومن ضمنها خمسة قصور تبين أنها كانت مساكن لكبار الموظفين والضباط، درست البعثة أيضاً ما سمي بمستودع الأسلحة (القصر F) كما أعادت البعثة دراسة الزقورة من جديد⁽⁷⁾ وتوصلت إلى أن المدينة لم تكن مكتملة تماماً وهذا ما عزز صوابية الشكوك السابقة لكل من بوتّا وبلاس⁽⁸⁾.

1)-Albenda.P,op.cit,p.39 .

(2)-لويد، مرجع سابق، ص 272 .

3)-Reade.J,Assyrian Sculpture,p11 .

(4)-حنون، مدن قديمة ومواقع أثرية، ص 170 .

⁵)-كونتينو، مرجع سابق، ص 210 .

6)-Albenda.P,op.cit ,pp.39-40 .

(7)- لويد، المرجع السابق ، ص 277-279 .

(8)-كونتينو، المرجع السابق، ص 210 .

3- مخطط المدينة وأقسامها:

أخذ محيط دور شاروكين شكلاً أقرب ما يكون للمربع، فكل جانب منها يبلغ طوله أكثر من 1.5 كم⁽¹⁾، (الشكل 14) أحيطت هذه المساحة بسور ضخم يشبه في بنيته وتكوينه نمط السور الآشوري الحديث، من حيث السماكة التي قدرت هنا بـ 24 م⁽²⁾، والارتفاع الكبير والأجزاء المكونة، إذ ظهر أساس من كتل حجرية ضخمة غير مشذبة تلاها طبقات من الآجر الطيني⁽³⁾، وعلت السور سور مجموعة من الأبراج الدفاعية أظهرت المدينة كالحصن المنيع، قدر عددها بـ 183 برج⁽⁴⁾، وينتهي القسم العلوي من السور والأبراج بشرفات ذات فتحات فاصلة بينها علل وجودها لغاية إطلاق السهام⁽⁵⁾ ولاشك أنها أعطت البناء منظراً جمالياً رائعاً.

استمرت عملية اكتشاف السور بعد بوتا على يد بلاس الذي أظهر زواياه الأربعة وبين أن الوجه الخارجي للسور يضم دعائم مستطيلة وجدت على مسافات منتظمة فيما بينها⁽⁶⁾ فسرت بأنها لغرض تدعيم بنية السور، وقد تمكن بلاس من تحديد مواقع سبعة بوابات للسور والبعض يقول ثمانية على الرغم من أن موقع المدينة لم يتطلب ذلك⁽⁷⁾.

أعطى بلاس لكل بوابة رقماً معيناً، بعضها كشفت بشكل جزئي كالبوابة الواقعة على الجانب الشمالي الشرقي وأخرى كشفت بشكل شبه كامل كالبوابة (3) القائمة على الجانب الجنوبي الشرقي إذ تكونت من سلسلة من ما يمكن أن نسميه ثلاث ساحات مفتوحة الواحدة على الأخرى⁽⁸⁾، في حين كانت المداخل التي ربطت الساحات مع بعضها مقنطرة ومزينة بالآجر الملون المصقول، وقام على مدخل البوابة زوج من الثيران المجنحة انتصبت خلفها المخلوقات الحارسة⁽⁹⁾ وهناك البوابة التي أسماها بوتا البوابة (7)، أعادت بعثة شيكاغو التنقيب فيها فظهرت بأنها مقنطرة وذات مدخلين، واحتوت حرتان خصصت إحداهما كسلم يفضي إلى السور والأبراج⁽¹⁰⁾.

1)-Roux.G,op.cit,p.315 .

(2)-مرعي، رحلة، ص 192 .

3)-Albenda.P,op.cit,pp.40-41 .

(4)-مرعي، رحلة، ص 192 .

(5)-لويدي، مرجع سابق، ص 280 .

6)-Albenda.P ,op.cit,pp.40-41 .

(7)- غافليكوفسكا، مرجع سابق، ص 192 .

8)-Albenda.P,op.cit,p.41 .

9)-Ibid ,p.41 .

10)-Loud,G,op.cit,p.5 .

لم تقتصر تحصينات المدينة على السور الخارجي وحسب وإنما ضمت أيضاً سوراً داخلياً أحاط بالقلعة التي أنشأ على أرضها الأبنية الملكية والدينية الهامة⁽¹⁾ لكن الغريب هو التخطيط الفوضوي لأبنيتها مع أنه لا يوجد أي إعاقات طبيعية تمنع تنظيمها بشكل جيد⁽²⁾.

بالعودة إلى سور القلعة، تبين أنه سور منظم ما عدا الامتداد القصير بين البوابة A وسور المدينة، ويحتوي على بوابتين رئيسيتين البوابة A والبوابة B، نقبت الأولى بشكل كامل وكانت بحالة جيدة أما البوابة B فلم يتم الكشف سوى عن الأوجه الخارجية منها وكانت في حالة سيئة جداً نتيجة التتقيبات السابقة التي طالتها لذا تم مطابقتها مع البوابة A وهذه الأخيرة شابهت بوابة المدينة كما ذكر بلاس مع اختلاف بسيط، جاور مدخلها برجان وكانت تحرسها الثيران المجنحة، واحتوت على أربعة حجرات اثنتان مركزيتان تتصلان بباب مركزي في حين أدت إحدى الحجرتين الثانويتين إلى سلم يصعد منه إلى السقف، وقد عملت الحكومة العراقية على إعادة ترميم هذه البوابة وحفظ منحوتاتها في موقعها⁽³⁾.

أما خارج سور القلعة وداخل سور المدينة فلم يكن هناك الكثير من الأبنية باستثناء القصر (F) القائم في القسم الجنوبي الغربي من المدينة، خدم كترسانة عسكرية للمدينة، وهناك المعلم Z القائم على مسافة ليست ببعيدة من القلعة من جهة الجنوب. ولم تذكر التقارير التنقيبية أي شيء عما يمكن تسميته مساكن العامة على غرار ما تحدث عنه مالوان في كلخو، إن التفسير المنطقي لذلك هو أن موت شاروكين وضع حداً لبرنامج البناء في المدينة وهذا السر الكامن وراء المساحات الفارغة الكبيرة التي أحاطها سور المدينة⁽⁴⁾.

كانت دور شاروكين نموذجاً مقتبساً وبشكل واضح من مدينة كلخو لاسيما إذا علمنا أن هذه الأخيرة كانت تتم فيها عملية إعداد المنحوتات النافرة وغيرها من الأمور العمرانية والفنية من أجل العاصمة الجديدة، هذا ناهيك عن أن شاروكين قد أقام في كلخو قبل الانتقال إلى عاصمته الجديدة⁽⁵⁾.⁽⁵⁾ إن المنظر العام لهذه المدينة نجده في ارتفاع القلعة والقصر فوق مصاطب ناتئة أمام السور، إنه يظهرها كمعازل مهيمنة في الوقت ذاته على المدينة ومحيطها وبشكل رمزي على العالم الخاضع للملك وكذلك على أرض الأعداء التي لم يتم الاستيلاء عليها بعد⁽⁶⁾.

1)-Roux.G,op.cit,p.315 .

2)- Loud.G and Altman.C ,op.cit , p.53 .

3)- Ibid, pp.53-54 .

(4)- غافليكوفسكا، مرجع سابق، ص172 .

(5)-مورنكات، الفن في العراق القديم، ص402 .

(6)- غافليكوفسكا، المرجع السابق، ص172 .

أ-أبنية القلعة(الشكل15):

-قصر شاروكين الثاني

درة ومفخرة دور شاروكين، أعاد للفن الآشوري رونقه وإبداعه بعودة المنحوتات النافرة للظهور كمظهر فني أساسي في فن التزيين الآشوري، الذي كان قد تراجع بعد عهد شلمنصر الثالث (858-827 ق.م). وهو القصر الأكثر وضوحاً وكمالاً من الناحية الأثرية على ما يقول به جمهور الباحثين نتيجة بساطة طبقاته الأثرية وقلتها، وهو أول القصور الآشورية المكتشفة في القرن التاسع عشر.

أريد لهذا القصر أن يكون مسكناً ملكياً لائقاً بشاروكين الثاني وبالعظمة الإمبراطورية الآشورية وهنا يحضر المرء قول مورتكات: ((إذا كانت كلخو وقصرها الشمالي الغربي الذي بناه آشور ناصربال الثاني، تعبيراً عن المفهوم الآشوري للملكية وصفاتها وبطولتها، فإن دور شاروكين هي تعبير عن العالمية التي وصلتها الإمبراطورية الآشورية ووصلها الفكر الإمبراطوري الآشوري، أصبحت الآن صورة للعالم الذي يحكمه الملك الآشوري))⁽¹⁾.

أقيم القصر في الجزء الشمالي من القلعة ⁽²⁾، قدرت مساحته بنحو 10 هكتار ⁽³⁾ وأحيط بسور حصين له بوابة رئيسية واحدة ⁽⁴⁾ (الشكل16) وبذلك أصبح القصر محمياً بثلاثة خطوط دفاعية أولاً سور المدينة الخارجي يليه سور القلعة ثم أخيراً سور القصر، إن هذا الأمر يعكس لنا قللاً ملكياً كبيراً من أي خطر داهم.

فضلاً عن هذه التحصينات فقد أقيم القصر فوق مصطبة عالية قدر ارتفاعها بنحو (15م) وهذا ما أثبتته تنقيبات بوتنا ورسوماته إذ اتضح أن مصطبة القصر قد بنيت بشكل اصطناعي أو على الأقل في أجزاء منها وذلك بعد أن كشف عن جدار عالي بارتفاع 15م تكون من مداميك عديدة من الكتل الحجرية، حجز خلفه كومة من التراب ⁽⁵⁾ اتضح أنها تشكل تلة طبيعية تم الاستفادة منها وتثبيتها بشكل مناسب لتحمل القصر، ولعل المرء يجد هذا واضحاً في حديث شاروكين في احتفال التأسيس إذ يقول أنه أسس (رصيفها التأسيسي على صخر الجبل العالي).

(1)- مورتكات، الفن في العراق القديم، ص402 .

(2)-مرعي، رحلة، ص192 .

(3)-بابلون، مرجع سابق ص58 .

(4)-كونتينو، مرجع سابق، ص211 .

5)-Albenda.P,op.cit,p.43 .

هذا الأمر قد يعلل المخطط الغريب وغير المنتظم لمصطبة القصر⁽¹⁾ إذ امتدت نحو الشمال خارجة من حدود سور المدينة إلى العالم الخارجي⁽²⁾ بمعنى أن المخطط اتبع شكل التلة. إن هذه المصطبة تعطي انطباعاً وكأنها شرفة تواجه المناطق الجبلية ذات المناظر الخلابة⁽³⁾، ثم تمتد إلى الجنوب داخلة إلى العالم المنتظم⁽⁴⁾. أيضاً نقطة جد هامة، فمن أجل استقرار المصطبة تم بناؤها بجوانب منحدرية، والأهم من ذلك، الذي يثبت براعة الآشوريين على ما في أسلوبهم من فوضى، أن المنصة احتوت على نظام جد متقدم من المصارف الداخلية التي كانت تضمن انصباب مياه الصرف في مجاري خاصة⁽⁵⁾.

يتم الدخول للقصر من خلال بوابته الرئيسية القائمة في الجهة الجنوبية داخل نطاق سور المدينة، وهي بوابة ضخمة مزدانة بأزواج من الثيران المجنحة والمخلوقات الحارسة، كانت تبرز إلى الأمام عن بقية البناء وهي تتفتح على ممر في الجدار تم تثخينه بشكل خاص في هذه النقطة، هذا الأمر هياً مدخلاً إلى ساحة داخلية مربعة⁽⁶⁾.

طبعاً لم يشذ مخطط القصر عن النمط الآشوري التقليدي، فتألف من البابانو (القسم الإداري) والبيتانو (القسم السكني) وفي الوسط تقع غرفة العرش⁽⁷⁾ هذه الأقسام الثلاثة أديرت وفق نظام الساحات التي توزعت حولها أجنحة الاستقبال ومساكن خاصة للملك وحاشيته ومساكن للنساء وأماكن إقامة الخدم وغيرها من الملحقات الخدمية⁽⁸⁾.

مجموعة قاعة العرش:

نبدأها مع الفناء (8) الذي يعتبر من الأجزاء الأساسية لمجموعة جناح العرش، أعادت كشفه بعثة معهد شيكاغو وكشفت فيه عن مجموعة من الغرف (10-11-12). الغرفة (10) هي عبارة عن ممر يؤدي إلى المدخل الرئيسي للفناء الرئيسي (7) الذي يفضي بدوره إلى قاعة العرش الملكية⁽⁹⁾ كما

1)- Loud.G, and Altman.C , op.cit,p.54 .

2)-مورتكات، الفن في العراق القديم، ص403 .

3)-غافليكوفسكا، مرجع سابق، ص174 .

4)-مورتكات ، الفن في العراق القديم، ص403 .

5)-كونتينو، مرجع سابق، ص211 .

6)-المرجع نفسه، ص210-212 .

7)-مرعي، رحلة، ص192 .

8)-بابلون، مرجع سابق، ص59 .

9)-Loud.G,op.cit,p.28 .

كما تشكل الغرفة (10) القسم الرئيسي الذي يصل بين الأقسام الرسمية والسكنية للقصر،⁽¹⁾ ازدانت جدران هذه الغرفة بالمنحوتات الحجرية النافرة التي ترتفع لنحو 3م وهي تظهر مواكباً لحاملي الجزية من الأمم الأجنبية المقهورة، ويتقدم كل موكب خادم آشوري⁽²⁾ بقيت الأجزاء السفلية من هذه المنحوتات فاستطاعت أن تقدم لنا صورة عن نجاح النحات (الآشوري) في الحصول على الحس بالحركة، وإن كانت توسم بالهدوء والسكينة مقارنة مع منحوتات القصر الشمالي الغربي⁽³⁾، وهنا نقف قليلاً مع بعض الميزات الفنية للمنحوتات النافرة التي عادت للظهور من جديد على يد شاروكين الثاني بعد أن كانت قد تراجعت لصالح الرسوم الجدارية، طبعاً ذلك عائد لأسباب عدة لا مجال لذكرها في هذا المقام.

كانت هذه المنحوتات عبارة عن سجل تصويري للحوليات الملكية خلال السنوات الخمس عشرة لعهد شاروكين الثاني (مسيرات حربية، حصارات، إعدام المهزومين، مواكب حاملي الجزية) تلك هي الموضوعات التي شغلت حيز البلاطات المنحوتة التي قسمت بدورها إلى صنفين تفصل بينهما نقوش كتابية، وقد لوحظ تحرر نحاتو شاروكين الثاني كلياً من أجواء التراكم المغلقة الموروثة عن الأورتوستات، فتميزت المنحوتات هنا بالاستمرارية فلم تشكل الحدود الفاصلة بين بلاطة وأخرى حاجزاً بين مشهدين مختلفين، كما أن زخرفة كل قاعة مالت لوحدة الموضوع، واحتلت المنحوتات التي تصور الملك ورجالاته كامل ارتفاع البلاطات، كما يلاحظ في هذه المنحوتات أن شاروكين الثاني كان عديم الاهتمام بالصيد بخلاف سابقيه من العظماء، ترجع غافليكوفسكا ذلك إلى أن قوة الملك وعظمته لا يبحثان عن تأكيد وهما خارج دائرة الشك⁽⁴⁾ ويمكن إضافة مقترح بهذا الخصوص، لعل شاروكين لم يكن لديه متسع من الوقت للقيام بمثل هذا النشاط الترفيهي فقد كان على رأس جيشه بشكل دائم وما سقوطه مجندلاً في إحدى معاركه وبعد مضي أكثر من (15 عام) إلا دليلاً على هذا.

نعود للممر (10) حيث انتصبت في كلا نهايتيه الثيران المجنحة وخلفها المخلوقات الحارسة⁽⁵⁾. أما الغرف 11-12 فأعطيت صفة الحمام (12) وغرفة ملابس (11) كان الحمام بقياس (6×8.5م²) ومرصوفاً ببلاطات حجرية وجدرانه مزدانة بالنوافر ذات الأشكال البطولية أما السقف وأعلى المنحوتات فهو من الجص الملون⁽⁶⁾. في الحقيقة كل جدران الفناء (8) كانت مزدانة

1)- Loud.G,op.cit ,p.40 .

2)-Albenda.P,op.cit,p.45 .

3)-Loud.G,op.cit,p.40 .

(4)-غافليكوفسكا، مرجع سابق، ص176-177 .

5)-Albenda.P,op.cit,p.45 .

6)-Loud.G,op.cit,pp.20-21-23 .

بالمشحورات النافرة وهناك اعتقاد أن هذه المنحوتات لعبت دور المرشد لكيفية الوصول إلى المقر الملكي إذ بعد الموكب الذي يصور حاملي الجزية يقع مدخلان صغيران على جانبي البوابة الرئيسية الضخمة المزدانة بالثيران المجنحة التي انتصبت على جانبي البوابة وكذلك في الجهات المواجهة للفناء (8) وتفصل بين الثيران منحوتة نافرة للبطل جلجامش الذي يظهر وهو يحمل تحت إبطه أسداً بحجم القطة وينظر باتجاه المشاهد⁽¹⁾، (الشكل 17) لكن ما الذي أدى لعودة ظهور هذا العنصر السومري الموهل في القدم؟ لا شك أنه اعتبر كرمز لعظمة الملك وجبروته. تلي الثيران المجنحة الأرواح الحارسة (لها جسد إنسان وجناحي طائر ورأس بشري أو رأس طائر، نسر غالباً، وظيفتها طرد الأرواح الشريرة) ثم المشهد الملكي مع الخدم⁽²⁾ (الشكل 18) وبشكل عام كل المنحوتات هنا تدور حول موضوع الموكب. ومع جدران الفناء (8) المزدانة بالمنحوتات فإن أرضيته لم ترق للمستوى المطلوب فعلى الرغم من رصفها بالبلاط الحجري إلا أنها لم تكن منتظمة، وتحت أرضية هذا الفناء توصلت بعثة شيكاغو إلى استنتاج فني هام إذ تم العثور على بقايا شظايا حجرية فقالت البعثة بأن المنحوتات النافرة ركب بلاطه قبل نحته وقبل رصف أرضية الفناء⁽³⁾.

الفناء 7 وقاعة العرش :

كان الفناء (7) ذا الشكل المستطيل والحجم الكبير والموقع الممتاز بالنسبة للفناء الرئيسي (8) يحتوي على ثلاث مداخل، مدخل كبير في الوسط واثنان جانبيين أصغر، وقد سبق ذكرها آنفاً في الفناء (8). وقد أسهم اكتشاف هذه المنطقة في كشف قاعة العرش الملكية فمن الفناء (7) انفتحت غرفة تبين أنها غرفة الانتظار التابعة لقاعة العرش، وقد عثر فيها على كميات من الجص الملون ذو الأشكال المتنوعة كان يزين الأجزاء العلوية من الجدران فضلاً عن السقف الخشبي الذي حملت بقاياه آثاراً للجص الملون⁽⁴⁾ ولنا أن نتخيل جمالية المنظر وروعته إذا ما اكتمل مع المنحوتات النافرة التي زينت وبدون شك أسفل الجدران، ليتم الدخول بعدها إلى قاعة العرش الملكية التي يصل ارتفاع جدرانها نحو (12م)⁽⁵⁾ وتبلغ أبعادها 47×10,50 م⁽⁶⁾ وهي تشبه بذلك قاعة عرش القصر الشمالي الغربي في كلخو من حيث الحجم والشكل المستطيل. داخل قاعة العرش ومقابل المدخل الرئيسي يوجد

1)- Loud.G,op.cit ,pp.38-39 .

2)-Albenda.P,op.cit,p.45 .

3)- Frankfort,Henri,Tell Asmar,Khafage and Khorsabad, Secend preliminary report of the Iraq Expedition, the Oriental Institute of the University of Chicago press,Chicago 1933,p.96 .

4)-Loud.G,op.cit,p.56-57 .

(5) -لويد، مرجع سابق، ص 278 .

6) - Loud.G,op.cit,p.61 .

بقايا محراب ضخم بعرض 5م ويمتد إلى أعلى المنحوتات النافرة أو حتى السقف، وهناك محراب آخر يقع خلف منصة العرش التي تحتل المنطقة المركزية في الجدار الجنوبي الشرقي. تنفتح قاعة العرش على ممر يؤدي إلى (الغرف 22-24) تحوي سلماً يؤدي إلى السطح وهذا حسب مخطط بلاس وقد أكدت بعثة شيكاغو هذا الأمر وقامت أيضاً بمشاهدة هذا الترتيب مع ذلك الذي ثبت في تنقيباته في القصر (F) وفي كل المساكن الخاصة. كما تنفتح قاعة العرش عبر اثنين من المداخل على الغرفة 27⁽¹⁾ وهي غرفة طولانية واسعة عليها قاعة استقبال وهي بدورها تؤدي عبر ممر إلى ساحة خاصة تتجمع حولها غرف الأجنحة الخاصة بإقامة الملك⁽²⁾. وبالعودة إلى منصة العرش فقد احتوت على درجتين صغيرتين تؤديان للعرش، حمل الجانب الشمالي الشرقي لمنصة العرش نقشاً نافراً يظهر الملك في عربته يقف في أرض المعركة وأمامه جنوده وقد صنعوا هراً من رؤوس المهزومين، ويبدو أن المعركة نهية بدليل وجود شريط أفقي يمثل ماءً فيه أسماك تسبح وأسفل الشريط وجد شريط آخر من الورود يمثل إطاراً وعلى الوجه المقابل لمنصة العرش نقش مشهد آخر ذو صبغة عسكرية وهذه المرة ضد مدينة جبلية محصنة ويبدو فيها أن المحاصرين قد هزموا بدليل تساقطهم من الأعلى ويوجد أيضاً شريط من الورود يشكل إطاراً⁽³⁾.

تشبه منصة العرش هذه منصة عرش القصر الشمالي الغربي في كلخو فهي تتكون أيضاً من درجتين لكن خلف منصة عرش كلخو وجدت منحوتة حجرية تصور الملك على جانبي الشجرة المقدسة وتحميه الأرواح الحارسة (الجن)، في حين أن منصة عرش شاروكين وجد خلفها محراب ضخم.

لقد خيبت قاعة عرش شاروكين الثاني آمال المنقبين من الناحية الفنية إذ أن عواتي الزمن أتت عليها فجعلتها في حالة سيئة للغاية وزاد هذه الخيبة فقرها بالمنحوتات النافرة وعلل ذلك باحتمالية أنها نقلت من مكانها لإعادة استخدامها في مكان آخر⁽⁴⁾ وهذا استنتاج منطقي إذ من غير المعقول ألا تكون قاعة العرش مزدانة بالمنحوتات النافرة لاسيما بعد عودة استخدامها في هذا العهد.

ومع هذا نعود لإكمال المنظر العام لقاعة العرش، الذي يكتمل مع وجود طبقة من الجص الملون حيث توصلت التنقيبات إلى أن تصاميم رائعة زرقاء وحمراء وصفراء ذات أشكال هندسية ونباتية مختلفة زينت الأجزاء العلوية من الجدران وكذلك السقف⁽⁵⁾ كما وجدت شرائط من الزينة

1)-Loud.G ,and Altman.C,op.cit,p.55.

(2)-لويد، مرجع سابق، ص 278 .

3)-Loud.G,op.cit,p.65 .

4)-Ibid,pp.57-58 .

(5) -سازونوف، مرجع سابق، ص 183-185 .

الهندسية والنباتية فوق وتحت سلسلة الأشكال المصورة وفي الأعلى أيضا قرب الزاوية المتشكلة من الجدار والسقف يوجد نموذج نخلة مترافق مع شريط من الدوائر يضيفي انتقالاً مميزاً من تصاميم الجدار الحرة إلى الزينة الهندسية والنباتية للسقف حتى أن الدعامات الخشبية نفسها كانت مزينة من أوجهها الثلاثة ⁽¹⁾.

-الجناح السكني:

أقيم في موقع مناسب لأن يكون جناحاً سكنياً للملك وعائلته إذ يقوم في الجهة الشمالية الغربية من القصر ⁽²⁾ في موقع الشرفة التي برزت خارج سور القلعة وأحيطت بسور خاص ذو شرفات ⁽³⁾ وبالتالي فهو في موقع متميز فلا يقابل المدينة وصخب الحياة العامة بل يواجه نهر الخوسر والجبال ذات القمم التي تغطيها الثلوج على مدار العام تقريباً، ويضيفي عليه موقعه خصوصية أكثر من أي جزء آخر من القصر ⁽⁴⁾ إذ لا يوجد اتصال بينه وبين بقية القصر إلا ممر (الغرفة 10) يؤدي إلى ساحة خارجية (الساحة 3) وهي بدورها تتفتح عبر أبواب إلى داخل الجناح الملكي ⁽⁵⁾ الذي تكون من (12) غرفة ⁽⁶⁾ تتفتح على بعضها البعض بممرات، واختلفت وظائفها وأحجامها ما بين غرف صغيرة وأخرى كبيرة مستطيلة تشبه قاعات الاستقبال.

كان بوتاً أول من قام باستكشاف هذه المنطقة فظهر الغرف التي كانت مزدانة بالمنحوتات النافرة التي غطت جدرانها وممراتها بارتفاع يصل إلى (3م) وفي أماكن أخرى يصل إلى ارتفاع (5م) ⁽⁷⁾ كانت الأشكال في هذه المنحوتات صغيرة وتضيفي الود والحميمية للسكان ⁽⁸⁾. وبعد بوتاً تابع بلاس عملية استكشاف هذه المنطقة ⁽⁹⁾.

لم تقتصر عملية الكشف عن الغرف الداخلية وحسب فقد تم تتبع الجدران الخارجية للقصر ففي الساحة الخارجية (3) تم الكشف فيها عن جدارين طويلين الجدار الشمالي الشرقي وله ثلاثة مداخل تقدم ممراً إلى داخل الجناح السكني (الأبواب P,M,Q) وقد زينت هذه الأبواب بالمخلوقات الحارسة

1)-Loud.G,op.cit,p.68 .

2)-Albenda.P,op.cit,p.44 .

3)-Loud.G and Altman.C ,op.cit,p.55 .

4)-Ibid, op.cit,p.72

5)-Albenda.P,op.cit,p.45 .

6)-Loud.G, op.cit,p.72 .

7)-Albenda.P,op.cit,p.45

8)-Loud.P,op.cit,p.72 .

9)-Albenda.P,op.cit,p.44 .

المجنحة وغير المجنحة في حين احتوى الباب الرئيسي (M) على زوج من الثيران المجنحة. وبشكل عمودي على الجدار الشمالي الشرقي وجد جدار آخر يسمى الجانب الجنوبي الشرقي وقد برز خارجا بمسافة قصيرة على داخل الساحة المفتوحة (الساحة 3) وحمل منحوتات نافرة تمثل موكبا ملكيا للملك. أما الجدار الآخر أطلق عليه اسم الجانب الشمالي الغربي وكان بثلاثة أبواب (Z,D,P) أدى الباب الرئيسي (D) إلى داخل الغرفة 10، وهذا الجدار كسابقه كان مزدانا بالمنحوتات النافرة التي تحمل نفس المواضيع⁽¹⁾.

لدينا الساحة الخارجية (I) في أقصى الجانب الشمالي الغربي من القصر والمطلق عليها من قبل بوتا ورسامه فلاندين بالجانب K (الواجهة L,M) وقد زينت الجدران هنا بالمنحوتات النافرة أيضا فأظهرت مواكب من الخدم الآشوريين متجهين نحو هيئة الملك⁽²⁾. إن عملية تكرار المواضيع على النوافر أكسبها نوع من الرتابة المملة للأشكال في المواكب يسير الواحد تلو الآخر حتى يصلوا المركز وهو الملك، أيضا يلاحظ تراجع الرواية التاريخية السردية التي شاعت في القرن (9 ق.م)⁽³⁾.

تظهر في اللوحات النافرة نقطة هامة وهي أن ارتفاع الأفراد ولا سيما الملك كان يشغل كامل ارتفاع المنحوتة⁽⁴⁾. يلاحظ في هذا الجناح الإسراف الكبير في استخدام المنحوتات النافرة سواء على الجدران الداخلية أو الخارجية للقصر إننا أمام عودة قوية جداً في مجال استخدام النوافر بعد أن تراجع استخدامها سابقا لصالح الجداريات الملونة، وهنا لابد من الاعتراف بفضل بوتا وفلاندين اللذان قاما برسم المنحوتات النافرة وتسجيلها وبالتالي حفظها من الضياع⁽⁵⁾.

– المنطقة الجنوبية (مجمع المعابد) (الشكل 19)

تمثل هذه المنطقة من القصر تداخل السلطتين الدينية والدنيوية، وكان بلاس قد اعتبرها منطقة الحريم في القصر إلى أن جاءت تنقيبات بعثة شيكاغو خلال الموسم 1931-1932 وأكدت عدم صوابية هذا الرأي وأنها ليست إلا منطقة المعابد في القصر⁽⁶⁾ كما طرحت البعثة فرضية أن تكون هذه المنطقة فكرة تالية للمخطط الأساسي للقصر بدليل الانحرافات المعمارية في مخطط هذه المنطقة ما يدل على فشل المهندس المعماري في دمج هذه المنطقة بشكل كامل وجميل مع المخطط العام

1)-Albenda.P,op.cit,pp.45-46 .

2)- Ibid,pp.46-47 .

3)-Lloyd,Seton,The Art of the ancient Near East ,London,1965,p.201 .

4)- Ibid,p.196 .

5)-Loud.G,op.cit,p.72

6)-Frankfort.H,op.cit,p.97 .

للقصر، ومع أنه لا يمكن أن يكون هناك أدنى شك من أن هذه المنطقة مرتبطة بالقصر وقدمت البعثة الأدلة الأثرية الكافية على ذلك بدليل الممرات المؤدية إليها⁽¹⁾.

أديرت منطقة المعابد من خلال الساحة المركزية (27) إذ انفتحت عليها خمسة من ست معابد على اعتبار توجد ساحة أخرى أصغر هي الساحة (31) انفتح عليها معبد نينجال⁽²⁾. يتم الدخول إلى الساحة (27) عبر فناء أمامي من الغرفة 187 المدخل الوحيد من الخارج⁽³⁾ أما الساحة (31) فيتم الدخول إليها من الساحة الأمامية عبر الغرفة 181⁽⁴⁾. أما المعابد التي انفتحت على هاتين الساحتين فيخبرنا بها شاروكين نفسه: ((شيدت معابد رائعة مبنية كعقدة الأبدية للآلهة إيا، وسين، وشماش، ونابو، وأدد، ونيورتا وزوجاتهم العظيمات...))⁽⁵⁾.

-معبد الإله سين: إله القمر، يقوم هذا المعبد على الجدار الشمالي الغربي للساحة (27) ببوابته المقنطرة (Z) ومدخله الضخم المزدهن بالرسوم الجدارية على جانبيه وهنا تمكن بلاس من استعادة لوحة جدارية بحالة ممتازة⁽⁶⁾ تمثل أسداً وغراب وثور وشجرة (تشبه شجرة التين) ومحراث، وقد بقيت رمزيها لغزاً محيراً⁽⁷⁾، وزينت واجهة مدخل المعبد بمجموعة من سبعة أعمدة نصفية متشابكة لم تغطِ كامل الجدران، وذلك بحسب اعتقاد بعثة شيكاغو، وقام على جانبي المدخل تماثيل أعدت على ما يبدو لتحمل شيء ما بدليل وجود القواعد المربعة المرتكزة أعلاها⁽⁸⁾ (الشكل 20).

ضمت بوابة المعبد ممراً بعرض 3,60 م⁽⁹⁾ يؤدي إلى حجرة انتظار طويلة ذات إضاءة شاحبة يفتح منها باب يؤدي إلى غرفة تشبه الرواق ومباشرة مقابل البوابة الخارجية توجد بوابة ضخمة ثانية تؤدي إلى الغرفة الرئيسية للمعبد (الحرم) التي ينتصب في عمقها المقدس ويوصل إليه عبر مجموعة درجات عريضة، كما نجد كوة مدعومة بأعمدة نصفية مدمجة تشكل خلفية لتمثال الإله المقام في مركز المقدس، ويبدو أن الجزء الرئيسي من طقوس المعبد كان يتم في الغرفة (26) القاعة المركزية

1)-Loud.G, and Altman.C,op.cit,p.56 .

2 - نينجال: إلهة سومرية يعني اسمها السيدة الكبيرة وهي زوجة إله القمر السومري (نانا) والأكادي (سن) وأم إله الشمس، انتقلت عبادتها إلى سورية منذ نهاية الألف الثالث قبل الميلاد وأصبحت تعرف باسم نيكال. انظر: -ادزارد ورولينغ، المرجع السابق، ص 170 .

3)-Loud.G,op.cit,pp.87-88 .

4)- Ibid,p.109 .

5)- غافيكوفسكا، مرجع سابق، ص 175 .

6)-Loud.G,op.cit,pp.89-94 .

7 غافليكوفسكا، المرجع السابق، ص 175 .

8)Loud.G,op.cit,pp.98-99 .

9)- Ibid,p.89 .

للمعبد وربما أن المتعبدين لم يدخلوا الحرم المقدس الذي خصص لكهنة المعبد، في حين أن الغرفة 164 كانت غرفة تخزين لأثاث المعبد على الوجه الأرجح وقابلها في الجانب الآخر للمقدس الغرفة 163، وهناك اعتقاد بأن أغلب الغرف كانت مسقوفة بسطوح مستوية وبعضها مقنطر وإلا فإنها ستغمر بماء المطر تباينت سماكة الجدران في هذا المعبد ما بين 3م إلى 4/80 م بنيت من اللبن أما الأرضيات فيعتقد أنها رصفت ببلاط حجري كما في حجرة الانتظار وقد يكون من الأجر المشوي في بعض الأماكن الأخرى⁽¹⁾ أما الجدران فكانت مزدانة بالجص ذي الألوان الباقة في حين غطت منحوتات نافرة جوانب الممرات⁽²⁾. وبذلك فإن مخطط معبد سن لم يشذ عن مخطط المعبد التقليدي الذي شاع استعماله في العصر الآشوري الوسيط(مدخل عرضاني، حرم طولاني، مقدس في عمق الحرم).

– معبد شماش (إله الشمس):

يقوم مدخل هذا المعبد على الجدار الجنوبي الغربي من الساحة (27) وهو مدخل ضخم يشابه مدخل معبد سين من حيث السمات العمرانية والتزيينية⁽³⁾ لا بل إن مخططات معبدي سين وشماش متشابهة إلى حد بعيد وبالتالي فإن إعادة عرض مخطط شماش سيكون بمثابة تكرار ممل للمعلومات، أما الاختلاف بين البنائين فكان في بعض التفاصيل الثانوية كتغير في اتجاه بعض الأبواب ووجود بعض الكوات الجانبية في بعض الجدران والتي لم تتوصل التنقيبات لمعرفة الهدف منها هل هي تزيينية أم أنها خدمت كنوافذ⁽⁴⁾.

– معابد أدد، نينورتا، إيا، نينجال:

يقوم مدخل معبد أدد (إله العاصفة) في الزاوية الغربية للجدار الشمالي الغربي من الساحة (27) وهو مدخل بسيط ليس كسابقه⁽⁵⁾ يؤدي إلى غرفة واحدة (الغرفة 166) مساحتها 11/10×5/70م وقد استبدل المقدس هنا بمنصة تمتد على طول النهاية الشمالية الغربية للغرفة، ومحراب مرتفع عميق يوصل إليه من خلال مجموعتين من الدرجات التابعة للمنصة ونصب تمثال الإله في كوة مثبتة ضمن الجدار ورصفت أرضية هذه الكوة ببلاطات حجرية في حين أن باقي أرضية المعبد قد رصفت بالآجر المغطى بالقار، قد يكون ذلك للحيلولة دون تسرب المواد التي تدخل في عملية تقديم القرابين أو للحيلولة دون تسرب دماء الحيوانات المقدمة كقرابين.

(1) – Loud.G, op. cit, pp. 114-116 .

(2) – لويد، مرجع سابق، ص 279 .

(3) – Loud.G, op. cit, p. 102 .

(4) – Ibid, pp. 125-126 .

(5) – Ibid, p. 101 .

بقيت جدران المعبد منتصبة لارتفاع يقارب 6 م ويغطيها الجص الأبيض أما زينة الكوة فلا شيء أكد عنها لكن بلا شك أنها كانت تحمل زينة معينة⁽¹⁾.

أما بالنسبة لمعبدي نينورتا وإيا فإنهما لا يختلفان بشيء عن معبد أدد، كلاهما يتألف من غرفة واحدة تحمل نفس التصميم، يقع معبد نينورتا قرب الزاوية الشمالية من الجدار الجنوبي الغربي للساحة (27) في حين يقع معبد إيا على الجدار الشمالي الشرقي للساحة (27) أما معبد نينجال فله وضع خاص إذ أنه يفتح لوحدة على الساحة (31) من جهتها الشمالية الغربية بمدخل عرضه 3/40 م ويبدو أن هذا المعبد هو من نمط معبدي سين وشماش بدليل واجهته المشابهة أما باقي المعبد فلم يتم تنقيبه من قبل بعثة شيكاغو قد يكون نتيجة تلف وضياح آثاره⁽²⁾. وعلى هذا فقد انقسمت المعابد الستة المذكورة آنفاً إلى قسمين: ثلاثة منها احتوت على حجر رئيسية ومقادس مستقلة وهذا هو نمط المعبد الآشوري الذي تشكل في العصر الآشوري الوسيط (حرم طولاني، مدخل عرضاني يدخل إليه من الفناء وفي عمق الحرم يوجد المقدس الذي يتم بلوغه بواسطة الدرج، وهذا المقدس له عادة شكل مشكاة (كوة) أو حجرة مستطيلة)، أما الثلاثة الأخرى فهي ذات حجرة واحدة⁽³⁾. أما الزينة العامة لواجهات هذه المعابد فهي من الآجر المزجج الذي يصور بالألوان حيوانات ورموز مختلفة، وسمّة عامة أخرى أن جميع عتباتها كانت منقوشة بنقوش رسمية وتحمل أسماء آلهتها⁽⁴⁾.

-الزقورة:

وبقرب مجموعة معابد القصر أقام معماريو شاروكين الثاني زقورة ملحقة. ورد ذكر هذه الزقورة في إحدى الرسائل الموجهة للملك ولم تذكر بشكل واضح في نصوصه الرسمية، جاءت هذه الرسالة عندما ضربت هزة أرضية مدينة دور شاروكين في العام 707 ق.م فأرسل حاكم المدينة رسالة إلى مليكه يطمئنه عن حال مدينته: ((...أخبرت عن حدوث هزة أرضية في دور شاروكين في Adar9... لم يحدث شيء المعابد، الزقورة والقصر، سور المدينة وأبنية المدينة جميعها سليمة، يمكن أن يبتهج سيدي ومليكي))⁽⁵⁾.

توضعت الزقورة إلى الغرب من القصر وإلى الشمال قليلاً من مجمع المعابد، لا تزال إلى اليوم تحتفظ بثلاث طبقات كاملة وبقسم من الطبقة الرابعة⁽⁶⁾. وقد نقت من قبل بعثة بلاس ثم أعادت بعثة

(1)-Loud.G,op.cit,pp.122-124-125 .

(2)-Ibid,pp.107-109 .

(3)-غافليكوفسكا، مرجع سابق، ص174-175 .

(4)-Lloyd.S,op.cit ,p.204 .

(5)-Parpola.S,op.cit.67 .

(6)-بابلون، مرجع سابق، ص62 .

بعثة شيكاغو دراستها بالاعتماد على مخططات بلاس⁽¹⁾ كانت الطبقة الأولى مربعة الشكل، طول ضلعها 43/10 م، وارتفعت كل طبقة من طبقاتها السبعة نحو 6 م ليكون الارتفاع الكلي نحو 43م⁽²⁾ وقد زينت من الخارج بطبقة من المينا وحملت كل طبقة من طبقاتها لوناً معيناً أمكن التعرف عليها من خلال بقايا حطامها ومن خلال مقارنتها مع نظيراتها التي ذكرت عند المؤرخين الكلاسيكيين، فلونت على التوالي بالأبيض والأسود والأحمر والقرمزي والرمادي والفضي والذهبي⁽³⁾.

أما الارتفاع إلى الزقورة فقد اختلف الباحثون في كيفية حدوثه إلا أن الاحتمال الأغلب كان بواسطة مرقى منحدر يدور حول طبقاتها (سلم حلزوني)، ويبلغ عرض ذلك المرقى حوالي 1/80م وله من الجهة الخارجية حاجز ذو شرفات مسننة⁽⁴⁾.

نأتي الآن إلى أضخم المعابد في القلعة وفي المدينة كلها -معبد الإله نابو:

إن وجوده في هذه المدينة وبهذه الضخامة دليل كافي على أهميته، وهو من حيث الحجم أكبر من معبد نابو في كلخو⁽⁵⁾ ومع هذه الضخامة فإن جزءاً صغيراً خصص لعبادته والطقس الفعلي المقام المقام على شرف عبادته كان محصوراً بالمعبد الداخلي أما مجموعة الغرف خلف الساحة المركزية وما تبقى من البناء فكانت مساكن للكهنة وأجنحة للخدمة⁽⁶⁾.

يقوم المعبد عند مدخل بوابة المدينة (A) بجانب الشارع المرصوف⁽⁷⁾ على منصة اصطناعية يبلغ ارتفاعها 6/3 م فوق مستوى الأرضية، وغطيت واجهاتها بالجص كالبنية الفوقية للمعبد كما احتوت على كوات بسيطة قامت بينها دعائم سائدة، وأنشئ في بطن المنصة نظام تصريف معقد لمياه المعبد يمتد إلى الشارع⁽⁸⁾ الذي احتوى ولا شك على المصرف الرئيسي.

يتم الدخول للمعبد عبر مدخل وحيد هو عبارة عن درج غير منتظم الشكل يأخذ بالاتساع من 16-36 م وهذا الدرج يفتح على الساحة الأمامية المفتوحة أمام القصر وهنا تتصل الزاوية الجنوبية من مصطبة القصر الملكي مع معبد نابو بواسطة جسر مقنطر يمر فوق الشارع فشكل الجسر هنا

(1)-لويدي، مرجع سابق، ص 279 .

(2)-بابلون، مرجع سابق، ص 62 .

(3)-سازونوف، مرجع سابق، ص 182 .

(4)-حنون، نائل، المدافن والمعابد في حضارة بلاد الرافدين القديمة (المعابد وزقوراتها)، دار الخريف، دمشق، 2006، ص 101 .

(5)-Postgate.N,op.cit,p.52 .

(6)-Loud.G, and Altman.C,op.cit,p.57 .

(7)-لويدي، المرجع السابق، ص 278 .

(8)-Loud.G and Altman.C,op.cit,p.57 .

صلة الوصل بين البنائين ⁽¹⁾ (الشكل 21) لعله الممر الملكي للمعبد ما قد يشير مجدداً إلى مكانة نابو في نفس شاروكين الثاني ولعله يشير إلى الارتباط الوثيق بين الملك وعالم الآلهة أو كون نابو إلهاً دنيوي مختص بالحكمة والكتابة ⁽²⁾.

نعود الآن إلى المدخل المؤدي إلى ساحة المعبد الأمامية، لا تزال الآثار باقية إلى اليوم تشير إلى واجهة المدخل التي احتوت على بوابة محاطة بالتماثيل ودعامات جانبية وعتبة في أرضيتها، ويعتقد أن هذه الواجهة لم تكن مزخرفة وإنما مغطاة بالآجر المزجج. تؤدي بوابة المدخل الأمامية إلى غرفة عرضانية (3) أدت بدورها عبر بوابة أخرى إلى ساحة المعبد الأمامية ⁽³⁾ وهي الساحة الأضخم من بين كل الساحات الأخرى، تفتتح عليها العديد من الغرف التي يعتقد أنه كانت تتم فيها التعاملات والإجراءات أو حتى الصفقات بين العالم المدني والديني ممثلاً بالكُهان ⁽⁴⁾ ومن أهم الغرف هنا الغرفة (5) التي اتضح أنها عبارة عن مكتبة بدليل الألواح المسماة المكتشفة فيها ⁽⁵⁾.

رصفت أرضية الساحة وبقية الساحات ببلاط من الآجر، أما واجهات الجدران فكانت مخصصة وغير مزخرفة باستثناء الجدار الجنوبي الغربي الذي يشكل واجهة مزخرفة بشدة كونها تحوي المدخل المؤدي إلى الساحة المركزية عبر الغرفة العرضانية (13) وبوابتها ذات الآجر المزجج الملون بالأشكال المختلفة (لوحة تصور الأسد ثور، غراب، محراث، شجرة) واستخدمت ألوان الأحمر، الأصفر، الأسود، الأخضر. وعلى زوايا البوابة وجدت تماثيل تم استعادتها وترميمها، أما عن باب هذه البوابة فهو ذو درفتين ومزدان بشرائط برونزية مثبتة أفقياً ⁽⁶⁾.

تلا هذه البوابة الساحة المركزية التي انفتحت عليها مجموعة من الغرف أدت ولا شك وظائف دينية معينة، ويشكل الجدار الجنوبي الغربي من هذه الساحة واجهة المعبد الداخلي حيث يحتوي على البوابة المركزية التي لا تختلف عن البوابات السابقة برسومها الجدارية وبابها المغطى بالبرونز. تقضي هذه البوابة إلى غرفة الانتظار (19) ذات الرصيف الحجري الكلسي والجدران الجصية.

تميزت جدران الساحة المركزية باحتوائها كوات متناوبة تفصل بينها خطوط عمودية أطلق عليها المنقبون اسم أعمدة قصبية ⁽⁷⁾. بهذا الترتيب يشابه معبد نابو في هذه المدينة نظيره في كلخو من

(1)-Loud.G, and Altman.C, op.cit,p.56-58 .

(2)- مورتكات، الفن في العراق القديم، ص 403 .

(3)-Loud.G, and Altman.C, ,op.cit,pp,58-59 .

(4)-Ibid,p.57 .

(5)-Postgate.N,op.cit,p.52 .

(6)-Loud.G, and Altman.C ,op.cit,pp.58-60 .

(7)-Ibid, pp.61-62 .

حيث وجود الساحتين الأمامية والمركزية إلا أن هناك اختلاف بينهما في طريقة الدخول للحرم ففي دور شاروكين كان المدخل يؤدي مباشرة إلى الحرم أما في كلخو فعند الوصول إلى الساحة الأمامية للحرم كان على المرء أن يدور إلى اليمين ليواجه الحرم⁽¹⁾.

نصل الآن إلى قلب المعبد الداخلي، نقطة المركز في المعبد، احتوى على حرمان أحدهما أكبر من الآخر، أما الحرم الأكبر فكانت أرضية المقدس أعلى من أرضية الحرم ويتم الوصول إليها من خلال درج حجري منقوش قامت بجانبه منصتان صغيرتان منقوشتان ورصفت هذه الأرضية بالحجر الكلسي لكن الغريب في هذا الحرم أنه كان خالياً من الزخرفة باستثناء ما يشبه قواعد أعمدة سوداء امتدت على الجوانب. وتشغل منصة طوبية المكان المركزي مباشرة أمام الكوة (المحراب)، وعلى جانب المقدس انفتحت الغرفة (25) أدت بدورها إلى الغرفة (26) والتي ظهرت كرواق يمتد عبر خلفية المعبد الداخلي ويعتقد أن لهذه الغرفة علاقة بطقوس المقدس على اعتبار أنها تنفتح عليه. أما الحرم الأصغر فهو نسخة مصغرة عن الحرم الأكبر، إلا أنه لا يحتوي على منصة. الغرفة (20) تنفتح على حجرة الانتظار (19) أما الغرفة (28) فهي تظهر كالرواق وتنفتح على الساحة المركزية. أما طريقة العبادة التي تمت في هذين الحرمين فلا تزال غير معلومة وغير مفهومة⁽²⁾.

يكتمل مخطط المعبد مع مساكن الكهنة والقسم الخدمي، كان هذا الجزء من المعبد الأقل حفظاً. يمكن الدخول لهذا القسم من الساحة الأمامية عبر الغرفة (29) التي تؤدي إلى الساحة (4) وهي مركز النشاط الخدمي، وتنفصل عن الساحة (3) بواسطة جدار بدلاً من سلسلة الغرف المعتادة⁽³⁾ وعلى طول الجانب الجنوبي الشرقي للساحة (4) عثر على بقايا أفران ومصارف والعديد من كسر الأدوات المطبخية⁽⁴⁾ وينفتح باب في النهاية الجنوبية الغربية من الساحة (4) عبر الغرفة (37) مشكلاً معبراً إلى الساحة (5) التي تعتبر الساحة الرئيسية لسكن الكهنة. يمكن الوصول إلى المقرات السكنية من الساحة الأمامية عبر ممر لولبي (الغرفة 31) يؤدي للساحة (3) والتي تؤدي بدورها إلى الساحة (5) ويبدو أن هذا الممر لتجنب المرور ضمن المنطقة الخدمية⁽⁵⁾. وقد تمتعت الساحة (3) بأهمية كبيرة بدليل ارتباطها مع الساحة المركزية وهنا يطرح بوستغيت فرضية أن احتفال أكيتو الخاص بالزواج المقدس كان يجري فيها⁽⁶⁾.

(1)-Postgate.N,op.cit,p.52 .

(2)-Loud.G, and Altman.C,op.cit,pp.61-62 .

(3)-Ibid,pp.63-64 .

(4)-Postgate.N,op.cit,p.54 .

(5)-Loud.G,and Altman.C,op.cit,pp.63-64 .

(6)-Postgate.N,op.cit,p.54 .

لعبت الغرفة (44) في الزاوية الغربية من الساحة (5) كمرر يؤدي إلى غرف تقع في الزاوية الجنوبية من المعبد (الغرف 40-41-45-46) والشئ المميز في الغرفة 45 أنه في نهايتها الشمالية الغربية توضع درج ضيق يفضي إلى السطح (1).

أخيراً لابد من كلمة بخصوص الزينة العامة للمعبد كانت الجدران بأغلبها من الجص الملون أو الآجر المزجج، أما الرسوم الجدارية وإن كانت هي العنصر الأساسي فإنها كانت قليلة في حين كان هناك غياب شبه كامل للمنحوتات النافرة.

-البناء X:

البناء X أو البناء المنعزل حسب ما أسماه مكتشفه بوتنا (2) يجاور القصر الملكي، دمر معظم هذا البناء نتيجة الحت الشديد ولم يبق منه إلا بعض الأجزاء (3) وهذا ما أكد عليه لايارد الذي قال بوجود بقايا درجات تحيط بمبنى صلب يعتقد أنه معبد صغير من الحجر الأسود وأنه هو البناء X (4) وقد اتفق اتفاق بلاس مع كل من بوتنا ولايارد من أن هذا البناء قد يكون معبداً أو أنه قاعة ملكية مستقلة، وباعتماد بلاس على مخطط الرسام فلاندين فإن مخطط الأرضية يظهر أن سلماً واسعاً أدى إلى داخل قاعة بأربعة أعمدة محاطة بغرف أخرى مرتبة بشكل متناسق، وقد اعتقد بلاس أن هذا النمط العمراني مشتق من الطراز المصري إلا أن المرجح أنه ينتمي إلى نمط بناء بيت عيلاني (5) الآرامي (6)، ولعله ولعله ذلك البناء الذي يذكره شاروكين في نصوصه من أنه أسس في جزء من قصره مبنى على نمط بيت عيلاني: ((...شيدت مبنى على النمط... الذي يدعونه باللغة الآرامية بيت خيلاني Bit Hilani ونصبت أمام البوابات ثمانية أسود أزواجاً...جئت من جبال الأمانوس بأربعة أعمدة من الأرز...ونصبتها دعائم لتثبيت المدخل)) (7).

ومع أنه لم يتم اكتشاف أي أثر للأعمدة وقواعدها إلا أنه لا يمكن التشكيك بوجودها

(1)-Loud.G and Altman.C,op.cit,PP.63-64 .

(2)-Reade,Julian ,Real and imagined "Hittite Palaces "at Khorsabad and elsewhere,Iraq,vol:70,2008,p.13 .

(3)-Albenda.P,op.cit,p.47 .

(4)-Reade.J,Real and imagind,op.cit,p.13 .

(5)- بيت خيلاني :طراز معماري شاع في شمال سورية في الألف الأول ق.م،ويطلق على الرواق الذي كان يبنى أمام أمام بوابات القصر ،يحمل هذا الرواق على الأعمدة التي غالبا ما كانت بشكل شخصيات بشرية وتقوم على قواعد لأشكال حيوانية (أسود)،يؤدي الرواق بدوره على غرفة فسيحة،انظر :

Beinkowski.P and Millard.A,op.cit,p.53 .

(6)-Albenda.P,op.cit,p.48 ,

(7)-Luckenbill.D.D,ARAB,No73,vol.2,p.37.

بدليل النص السابق وهذه الرسالة تؤكد ذلك أيضاً: ((بما يتعلق بما كتبه لي الملك، سيدي: "متى سيبنون قواعد أعمدة البوابة من أجل أعمدة بيت عيلاني؟... قالوا لي ما يلي: "سبنني أربعة قواعد أعمدة من البرونز لاثنتين من بيوت، بيت عيلاني، أسود عيلاني الصغيرة ستبنى مع الأسود الكبيرة في الربيع))⁽¹⁾.

وعلى هذا فإن وجود هذا البناء تم تأكيده نصياً، وبدرجة أقل أثرياً، ودل على تأثر آشوري كبير بالثقافات الأخرى.

1-2-3-3 المساكن الحكومية الضخمة:

- المسكن K:

هو المسكن الثاني من حيث الأهمية بعد القصر الملكي، خصص على الأرجح للشخصية الثانية بعد رئيس الوزراء سين أخ أوصور Sinahusur، يقابل الساحة المفتوحة أمام قصر الملك وهو مجاور لمعبد نابو وللمسكن J⁽²⁾. يتميز هذا البناء بأنه البناء القصري الوحيد من بين القصور الآشورية الأخيرة الذي عثر على مخططه بشكل كامل⁽³⁾. (الشكل 22)

تقوم بوابة المدخل الرئيسية مقابل الساحة الأمامية المفتوحة أمام القصر وهي مدخل بسيط مقنطر والغريب أن هذه البوابة تخلو من العناصر الزخرفية وغطيت فقط بجص أبيض، يلي هذه البوابة مدخل يفضي إلى الساحة الأمامية التي تتفتح على جوانبها العديد من الغرف ذات الوظائف الإدارية والمكتبية وعلى الجانب الجنوبي الشرقي لهذه الساحة تتفتح ثلاثة ممرات تؤدي إلى الأجنحة الخدمية احتلت واجهة جناح الاستقبال الجانب الجنوبي الغربي، وقدمت ثلاثة بوابات أفضت إلى قاعة الاستقبال الضخمة (القاعة 12) التي قامت مقام قاعة العرش في القصر الملكي، وهذه البوابات الثلاث كانت مطلية بالجص الملون غير المزخرف إلا أن عتباتها قدمت أفضل النقوش المكتشفة في دور شاروكين، وباتجاه الزاوية الغربية وجدت غرفة (الغرفة 10) ذات سلم ربما يؤدي للسطح.

لنقف قليلاً مع زينة القاعة الضخمة (12) فقد تم تعقب الأشرطة الملونة التي امتدت على جدرانها ولا ارتفاع قدر بنحو 7/5 م وقد ظهرت هذه الزينة بتصاميم متكررة. إن استعادة الجص الملون في هذه القاعة كان قيماً جداً إذ أصبح كدليل لترميم المباني المختلفة⁽⁴⁾ فكانت الجدران غالباً ما تظلى

(1)-Parpola,S,op.cit,p.66 .

(2)-Loud.G, and Altman.C,op.cit,p.65 .

(3)-Turner,Geoffrey,The state Appartments of late Assyrian Palaces ,Iraq,vol:32,art2,1970, . 209 .

(4)-Loud.G, and Altman.C,op.cit,PP.65-66 .

بالأبيض وأحياناً بالأزرق، لتشكل الخلفية التي تقوم عليها الرسوم ذات الألوان الحمراء والزرقاء والسوداء، وقد استخدم اللون الأسود لتحديد الأشكال والرسوم التي كانت تتم صياغتها وفق أشرطة أفقية ملونة تصطف فوق بعضها البعض ومفصولة بخطوط ملونة تحوي داخلها أشكالاً نباتية (وريدات) وهندسية (دوائر)، أما محتوى الأشرطة فإما أن يكون أشكالاً لمخلوقات مجنحة أو حيوانات خرافية أو أشكالاً نباتية وهندسية ويتم تكرارها ضمن الشريط الواحد والأشرطة الأخرى، يأتيها مثال رائع من هذه القاعة يعكس ما كان عليه فن الجداريات آنذاك، انتصبت لوحة فوق باب القاعة الرئيسي مثلت أشكالاً ثلاث تبين أنها للملك الآشوري وخلفه وقف أحد ضباطه، والشخصية الثالثة هي لإله يظهر واقفاً على منصة أعلى من الملك الذي تبدو عليه المظاهر التعبيرية وقد أحيط هذا المشهد بشرائط ملونة احتوت داخلها أشكالاً مجنحة وهندسية ⁽¹⁾ (الشكل 23).

بالعودة لإكمال المخطط البنائي نجد بعد القاعة (12) الساحة المركزية وغرفها المنتشرة حولها، ويتم الدخول لهذه الساحة من طريقيين الأول عبر الساحة الأمامية والآخر من الجانب عبر الغرف المفتحة على بعضها. كانت الساحة المركزية ذات يوم غنية برسومها الجصية الملونة التي لم يبق منها إلا كسر صغير تدل على أهميتها. تفتتح النهاية الجنوبية الغربية من هذه الساحة عبر ثلاثة بوابات، على قاعة طويلة (24) قد تكون غرفة استقبال عائلية أو حتى غرفة معيشة، وتفتتح هذه القاعة بدورها على جناحين خاصين، وهنا نلاحظ مدى التعقيد الذي يدل على خصوصية البيئات الذي عزل عن القسم الإداري. ويتم الدخول إلى الجناح الخاص بسيد القصر من خلال الساحة المركزية التي أدت إلى ساحة خاصة (38) انفتحت على ثلاثة غرف مزدانة بالجص الملون، ويلحق بالجناح الخاص جناح آخر يعبر إليه من الساحة المركزية عبر الرواق (37) الذي يفضي بدوره إلى ساحة صغيرة (32) تفتتح عليها عدة غرف تنوعت وظائفها بين (غرف معيشة وغرف نوم، وحمام، وغرفة لباس...).

عدا عن هذه الأجنحة وجدت أجنحة أخرى أصغر وأقل جمالية كالجناح الذي يدور حول الساحة (41)، تبين من خلال الأفران وأدوات الطبخ انه مخصص لمطابخ المسكن، أما الأجنحة الخدمية الأخرى فتنتشر حول الساحات (54، 72، 80) وتقع في الجانب الجنوبي الشرقي من المبنى وهذه يتم الدخول إليها من الساحة الأمامية ⁽²⁾.

إن تصميم المسكن K يشكل نموذجاً لكل المساكن الحكومية التي وجدت في دور شاروكين سواء داخل القلعة أو خارجها لذا لا حاجة لتكرار عرضها ويكتفى بتعدادها (المسكن L ويواجه الساحة

(1)-Loud.G, and Altman.C,op.cit ,pp.83-85 .

(2)-Ibid, PP.66-68 .

الأمامية للقصر، المسكن L يقع خلف معبد نابو والمسكن K، المسكن M جنوب غرب القصر، المسكن Z يقع خارج السور الجنوبي الشرقي للقلعة)، هذه المساكن اشتركت بنفس الصفات سواء من حيث البنية التخطيطية العمرانية (نظام البابانو والبيتانو وفي الوسط القاعة المركزية)، أو من حيث البنية الفنية التزيينية (الجدران المجصصة، الخلفية البيضاء وفوقها أشرطة ملونة ضمت رسوم مختلفة في حين غابت النماذج الموكبية الرسمية التي أُعتيد رؤيتها في القصر الملكي⁽¹⁾ كما غابت المنحوتات الحجرية النافرة من جدرانها إلا ما ندر).

ب- الأبنية خارج القلعة:

الأبنية التي وجدت خارج سور القلعة وداخل سور المدينة هي قليلة اقتصر على القصر F والمسكن Z ومعبد سيبتي، وقد شابه المسكن Z المساكن الحكومية داخل القلعة.

- القصر F:

يقع هذا القصر في الجهة الجنوبية الغربية من المدينة ملتصقا بسورها⁽²⁾ وخارجاً منه عبر شرفة تماثل شرفة قصر شاروكين الملكي⁽³⁾. ثبت بعد التنقيب أن هذا القصر يناظر إيكال مشرتي (حصن شلمنصر) في كلخو، فهو مشابه له في نمط تخطيطه وفي شرفته البارزة، وهو بذلك يدخل ضمن نطاق البناء القصري العسكري الآشوري⁽⁴⁾ وقد تم الحديث سابقاً عن وظيفة هكذا نوع من الأبنية في حصن شلمنصر في كلخو، لكن جدير بالتنويه أن بعثة شيكاغو لم تتطرق إلى فكرة أن هذا البناء خدم كترسانة عسكرية. في هذا البناء يجد المرء نفسه أمام الترتيب المعتاد للقصور الآشورية الحديثة من حيث وجود الساحة الأمامية ومدخلها والتي قدرت هنا قياساً على النماذج الأخرى للقصور الآشورية، ووجود الفناء المركزي (26) وجناح العرش بقاعته الرئيسية (23) التي انفتحت بواباتها الثلاثة على الفناء المركزي، وقد احتوت البوابة المركزية على الثيران المجنحة وهي النوافر الوحيدة التي عثر عليها في هذا البناء، في حين كانت مداخلها الجانبية ذات جدران مجصصة وليست نافرة وهذا حال كل الجدران في هذا البناء الذي لم يختلف بزينة عن باقي المساكن الحكومية في القلعة⁽⁵⁾.

عثر في القاعة الرئيسية المماثلة لقاعة العرش الملكية على قاعدة العرش الغير منقوشة ووجد خلفها محراب غائر، وعلى جانبها الشمالي الغربي تتفتح حجرتان الأولى للانتظار (21) والثانية بيت السلم، وقدمت القاعة الرئيسية ممراً إلى الغرفة (24) التي أدت بدورها إلى الشرفة الخارجية ذات

(1)-Loud.G, and Altman.C,op.cit ,p.83 .

(2)- مورتكات، الفن في العراق القديم، ص 406 .

(3)-Loud.G, and Altman.C,op.cit,p.75 .

(4)-Turner,G,op.cit,pp180-181 .

(5)-Loud.G, and Altman.C,op.cit,p.76 .

الجناح الفخم (الغرف 16-19) الذي يبدو كجناح استقبال خاص⁽¹⁾ ويتم الوصول لجناح الشرفة من خلال الفناء المركزي عبر الغرف 13 و 15، كان الوجه الخارجي للشرفة مجصصاً ويبدو أنه مماثل في بنيته لوجه سور المدينة⁽²⁾. وإلى الشمال الغربي من جناح العرش وجد جناح آخر يعتقد أنه يمثل جناح غرفة النوم وملحقاتها ويعتقد أنه كان خاصاً بسيد القصر (الغرف 5-12، 8) ويفتح هذا الجناح على الشرفة الخارجية بثلاثة بوابات عبر القاعة الطويلة (7)، وإلى الجنوب الشرقي من جناح العرش وجد جناح آخر (الغرف 27-30) وهي تفتح على الشرفة، لا يعلم وظيفة هذا الجناح لكن رصف غرفه بالحجارة الكلسية دليل كاف على أهميته⁽³⁾. أما الغرف التي تفتح بعيداً عن الفناء المركزي (الغرف 1-4) والساحة 40 وملحقاتها فيبدو أنها أدت وظائف خدمية⁽⁴⁾.

- معبد سيبيتي :

يقع هذا المعبد خارج تلة القلعة القصر بين بوابة المدينة (7) والبوابة (A) من القلعة، اكتشف من قبل الإدارة العامة للآثار في العراق. فتم كشف ساحة مربعة الشكل تقريبا (23/50×23م) رصفت أرضيتها بالآجر، يقوم مدخلها الرئيسي على جانبها الشمالي الشرقي الذي يؤدي إلى ردهة تقضي إليها، وعلى الجدار الشمالي الغربي وجد بابين يؤديان إلى غرفة طويلة يعتقد أنها قاعة ولائم نتيجة العثور فيها على صفين من الطاولات ذات الحجر الكلسي، وبينها مقاعد طويلة من الطوب، ومع هذا فالوظيفة الحقيقية لهذه الغرفة لا تزال مجهولة.

إن الصفة المسيطرة على هذه الساحة وجود بوابة ضخمة في جدارها الجنوبي الغربي، أدت إلى غرفة مستطيلة ضخمة (Anticella) تشكل صلة الوصل بين الساحة وقُدس الأقداس، وقد رصفت أرضيتها بطوب منقوش باسم شاروكين الثاني، ويتم الوصول إلى قدس الأقداس الواقع في النهاية الشمالية الغربية عبر درج من الحجر الكلسي، وقد رصفت أرضيته ببلاط حجري وفي جداره الخلفي وجدت كوة متوضعة مقابل الدرجات الأربعة⁽⁵⁾.

أما وجه الغرابة في هذا المعبد فهو العثور في الغرفة الطويلة (Anticella) على (13) مذبح من الحجر الكلسي⁽⁶⁾ ولكل منها على حافته نقش يخلد تكريس شاروكين الثاني هذا المعبد للإله

(1)-Turner.G,op.cit,pp.181-182 .

(2)-Loud.G, and Altman.C,op.cit,pp.75-78 .

(3)-Ibid,pp.76-77 .

(4)-Ibid,p.77 .

(5)-Safar,Fuad,The Temple of Sibitti at Khorsabad ,Sumer,vol:13, part1+2, , pp.219-pp.219-220 .

(6)-Reade.J,the Ziggurat and Temples, vol:64, 2002, p.195 .

سببتي. بقيت مسألة تعدد المذابح مجهولة الهدف، إلا أن سببتي عرف في فترة لاحقة كإله خاص بالنجوم وربما يفسر هذا الأمر بأن المذابح تشير إلى نجوم معينة. تأتي أهمية هذا المعبد من كونه المعبد الوحيد المعروف للإله سببتي مع أن النصوص ذكرت وجوده في مدن آشور ونيوى وبابل⁽¹⁾.

ثالثاً - مدينة بلوات (Balawat):

1- الخلفية الجغرافية والتاريخية:

بلوات تسمية حديثة تطلق على القرية القريبة من الموقع الأثري إمجور إنليل الذي كان مدينة مزدهرة إبان العصر الآشوري الحديث⁽²⁾، ورد ذكرها عند ياقوت الحموي باسم بلاباد وأنها قرية تقع شرقي الموصل، وتابعة لنيوى، بينها وبين الموصل رحلة خفيفة تنزلها القوافل، وهي بين الموصل والزاب⁽³⁾، وعلى هذا فهي ذات موقع استراتيجي هام وتشكل استراحة على طريق القوافل، ولعل أهميتها في العهد الإسلامية هي استمرار لذات الأهمية التي كانت عليها في العصر الآشوري الحديث إذ كانت إمجور إنليل في موقع متميز بالنسبة للمدن الآشورية الكبرى فتبعد نحو 28 كم إلى الجنوب الشرقي من نيوى ونحو 16 كم إلى الشمال الشرقي من كلخو⁽⁴⁾، وهي على واحدة من أهم الطرق الآشورية الحديثة التي تمتد من نيوى إلى معبر الزاب الأعلى عند تل أبو شيثا (Tell Abu Sheetha) ومن هناك مباشرة إلى كركوك (أرابخا) (Arrapha) ومنها يتم الوصول إلى منطقة الزاب الأدنى⁽⁵⁾.

هذا الأمر أكسب المدينة أهمية أكيدة قبل العصر الآشوري الحديث وربما يستدل على سكنها السابق تراكم التلة التي أسست عليها أبنية القرن التاسع ق.م، وفي العصر الآشوري الحديث نالت المدينة الرعاية الملكية من قبل آشور ناصر بال الثاني وابنه شلمنصر الثالث⁽⁶⁾. إن هذا الموقع جعل من إمجور إنليل خط دفاع متقدم يحمي كلاً من المنطقة الخلفية لنيوى وكلخو⁽⁷⁾ وتحولت إلى نقطة استراحة تمر بها الجيوش المنطلقة نحو الشمال والشرق، وقد قدمت البوابات البرونزية المكتشفة عام

(1) - Safar.F,op.cit,pp.220-221 .

(2)- Parpola,Simo and porter ,Michael,The Helsinki Atlas of the Near East in the No-Assyrian period ,p.11.

(3)- الحموي ،ياقوت، معجم البلدان ،مادة بلاباد، دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ، ج1،(د.ت) ، ص563 .

(4)- حنون ،نائل، مدن قديمة ومواقع أثرية -دراسة في الجغرافية التاريخية للعراق الشمالي خلال العصور الآشورية ،دار الزمان ،دمشق،2009،ص182 .

(5)-Oates,David,Balawat (Imgur Enlil):The site and its Buildings ,Iraq, vol:36,part 1and 2,1974,p.173 ,

(6)- Oates,D,Balawat...,Iraq,vol.36,pp.174-175 .

(7)-Tucker.D.J.Representations of Imgur-Enlil on the Balawat Gates , Iraq , vol:56,1994,p.108 .

1956 إثباتاً على أن إمجور إنليل كانت أكثر من مجرد نقطة تحشيد للجيش الآشوري، إذ صورت آشور ناصر بال الثاني واقفاً خارج بوابة القلعة يتلقى الجزية من حاكم منطقة سوخي الواقعة على الفرات الأوسط، ولا شك أن شلمنصر الثالث سار على نهج والده في الاهتمام بهذه المدينة ولنفس الأسباب المذكورة آنفاً.

هناك سببان آخران اقترحهما السيد ماكس مالوان للوجود الملكي في إمجور إنليل: الأول إيجاد مقر ريفي يؤمن معتزلاً مرحباً به من حياة البلاط في نينوى ومن النشاط الصاخب للمدينة والثاني: موقع إمجور إنليل على بعد نحو 16 كم من كلخو يجعلها قاعدة مناسبة يمكن الإشراف منها على عمليات البناء في المدينة الجديدة⁽¹⁾.

2- البحث الأثري في الموقع:

بدأت بعض عمليات التنقيب المحدودة على يد هرمرز رسام عام 1878 أثناء تنقيباته في نينوى وذلك بعد أن تناهى إلى مسامعه خبر عثور السكان المحليين أثناء حفرهم أحد القبور على بعض اللقى الأثرية (قطع برونزية) في موقع التل الذي كان قد تحول إلى مقبرة لدفن الموتى. فقام رسام بإجراء بعض الأسبار حيث نجح باستخراج بعض الأشرطة البرونزية التي تبين فيما بعد أنها كانت تشكل زينة لبوابات القصر الملكي الذي أقامه آشور ناصر بال الثاني ورممه من بعده ابنه وخليفته شلمنصر الثالث⁽²⁾. شكل اكتشاف رسام للبوابات البرونزية في إمجور إنليل حدثاً مميزاً، إذ كشف عن حلقة جديدة من حلقات الإبداع الفني الآشوري.

وعلى الرغم من العثور على هذه الأشرطة في إمجور إنليل إلا أنه طرح العديد من التحفظات حول مصداقية تقرير رسام وحول إمكانية أن تكون مثل هذه اللقى الفنية الرائعة قد أقيمت في موقع نائي مثل إمجور إنليل، ولعل هذا الأمر عائد إلى أن رسام كان مشوه السمعة بسبب طريقته في البحث الأثري⁽³⁾.

ومن الاكتشافات الهامة أيضاً لرسام صندوق حجري أو تابوت حجري احتوى على لوحين منقوشين لآشور ناصر بال الثاني، وتصف هذه النقوش تأسيس معبد مزود بالبوابات البرونزية ومكرس لمأمو إله الأحلام الآشوري⁽⁴⁾.

(1)- Oates.D,Balawat...,Iraq,vol.36,p.175 .

(2)-Curtis,John, Balawat in:(Fifty Years of Mesopotamian Discovery:the work of the British School of Archaeology in Iraq 1932-1982),London, 1982,p.113 .

(3)-Oates.D,Balawat...,Iraq,vol.36,p.173 .

(4)-Tucker.D.J,op.cit,p.107 .

بقي الموقع متروكاً إلى عام 1956 عندما قامت المدرسة البريطانية لعلم الآثار في العراق بحملة تنقيب جديدة، وكان أبرز أعضائها السير ماكس مالوان - وقبل هذه البعثة وفي فترة الشك من أمر البوابات تمت ترجمة الشرائط البرونزية المكتشفة ونشرت بشكل كامل من قبل كينغ L.W.King -⁽¹⁾، وكان هدف البعثة البريطانية معرفة المزيد حول طبوغرافية الموقع والتحقق من أمر البوابات البرونزية، وقد حصلت على نتائج جيدة حيث تمكنت من الكشف عن موقع معبد الإله مامو على الحافة الشمالية الشرقية من التلة واكتشاف مجموعة ثانية من البوابات البرونزية تعود إلى آشور ناصر بال الثاني⁽²⁾ وتبين أنها تخص بوابات المعبد المكتشف الذي احتوى على زوج من البوابات المكسوة بالبرونز وهنا تطابق اكتشاف المعبد المكرس لمامو مع البوابات الموصوفة في نقوش التابوت الحجري الذي عثر عليه رسام، ولعل هذا الأمر يثبت مرة أخرى مصداقية رسام⁽³⁾.

عاد المتحف البريطاني للقيام بعمل ميداني جديد في إمجور إنليل عام 1989 اقتصر على سبر صغير على قمة التل الرئيسي وعلى دراسة سطحية مفصلة للثقافة المادية والآثار الباقية التي أظهرت الخلفية التاريخية للموقع فعثرت على فخار يعود إلى فترة العبيد وأوروك وآثار أخرى عائدة للفترة الآشورية الوسطى والحديثة وكذلك بقايا تعود للفترتين الساسانية والإسلامية⁽⁴⁾ وقبل الفترتين الأخيرتين تم العثور على طبقة استيطانية فوق الطبقة الآشورية قدمت فخار عليه رسوم من النوع المؤرخ في نمروود والعائد للفترة الهلنستية (250-150 ق.م)⁽⁵⁾. لعل هذا التعاقب الزمني هو دليل كافٍ على أهمية الموقع الإستراتيجية.

3 - الوصف العام للمدينة:

ترافقت عملية التعرف إلى المخطط العام للمدينة مع صعوبات جمة ولهذا لم يتم اكتشاف المخطط الصحيح والكامل للموقع وهذا عائد بدوره إلى المعارضة الشديدة التي واجهها المنقبون من قبل أهالي بلوات والقرى المجاورة إذ أن الموقع وكما ذكر آنفاً كان قد تحول إلى مقبرة لدفن موتى سكان القرى المحيطة، وعلى هذا اقتصرت عمليات التنقيب منذ أيام رسام على القيام ببعض الأسفار المتناثرة، ما دفع المنقبون إلى اللجوء للمخططات النظرية⁽⁶⁾.

(1)-Tucker.D.J,op.cit ,p.107 .

(2)-Curtis.J,Collon.D and Green.A, British Museum Excavations at Nimrud and Balawat in 1989 ,Iraq,vol:55 , 1993 , p.30 .

(3)-Tucker.D,op.cit,p.108 .

(4)-Ibid,p.109 .

(5)-Oates.D,Balawat...,Iraq,vol.36,p.177 .

(6)- Ibid ,pp.175-176 .

ومع ازدياد المعارف والخبرات وتطور الوسائل العلمية وبالاكتفاء على الصور الجوية أمكن التوصل إلى فهم مقبول لمخطط المدينة الذي ظهر بشكل مربع في منطقة مرتفعة عن السهل المحيط، وتلفه الأسوار الخارجية وأمكن تحديد أحد البوابات الواقعة في وسط السور الجنوبي الشرقي، وقد قدم السيد ديفيد أوتس تصوراً لشكل المدينة الآشورية المحصنة ذات الشكل المربع والبوابة الواحدة بناء على شكل الأسوار المربعة المصورة على بوابات شلمنصر البرونزية والتي قدمت للمرء خبراً تاريخياً فنياً وعمرانياً.

ومع البوابة الواحدة المكتشفة للمدينة افترض أوتس وجود أربع بوابات لها، بوابة على كل سور من أسوارها، ويبدو هذا الافتراض منطقياً إذا ما تذكر المرء إحدى وظائف المدينة كمركز تحشيد واستراحة للجيش العابر.

وعلى هذا وبالاكتفاء على الصور الجوية والتتقيات على الأرض وعلى ما قدمته البوابات البرونزية، فإن مخطط المدينة لم يختلف عن مخطط كل من كلخو ودور شاروكين سواء من حيث المظهر العام للأسوار وبواباتها والأبراج القائمة عليها أو من حيث أسلوب بنائها، وطبعاً مع الاختلاف الواضح في الحجم والأهمية والوظيفة⁽¹⁾، ومع هذا فإن الرسوم المعمارية التي تظهر على بوابات معبد مامو أظهرت اثنتين من الملامح العمرانية المميزة: أولاً ارتفاع جزء من الشرفات فوق الأسوار بشكل غير اعتيادي وثانياً تمركز غير متماثل للبوابة⁽²⁾.

أما أبنية المدينة التي كانت قائمة على سطحها ذات يوم فيمكن معرفتها من خلال نص لآشور ناصر بال الثاني نقش على بواباته البرونزية ويتحدث فيه عن عملية إعادة بناء المدينة من جديد وتشبيد أسوارها وبناء القصر الملكي فيها: ((... أنا أخذت (هذه المدينة وأعملت يدي) في إعادة بناءها. أسميتها إمجور إنليل. حصنتها بسور (و) أقمت فيها قصراً كمسكن ملكي، أنا أقمت الأبواب العالية ونصبته على بوابته))⁽³⁾.

ويتحدث النص المنقوش على الألواح التي عثر عليها في الصندوق الحجري المذكور آنفاً عن عملية إعادة بناء المدينة وعن بناء معبد مخصص للإله مامو: ((المدينة التي عملت على تجديدها، أسميتها إمجور إنليل، أسست هذا المعبد على مقربة من قصري، وضعت تمثالاً للإله مامو سيدي في داخله...))⁽⁴⁾.

(1) Oates.D, Balawat..., Iraq, vol.36, p.174 .

(2) -Tucker.D.J, op.cit, p.110 .

(3) - Grayson,A, Assyrian rulers ... (1114- 859 B.C), vol.1, p.323 .

(4) -Ibid , pp.319-320 .

أما القصر الملكي الذي أسسه آشور ناصر بال الثاني فهو وبدون شك لا يختلف عن نمط القصور الآشورية المعتادة (بابانو-بيتانو وغرفة العرش في الوسط) مع أن أي من هذه الأجزاء لم تظهره التنقيبات باستثناء بعض بقايا غرف، وحتى البوابات البرونزية لم تظهر أي مشاهد للقصر على غرار الأسوار ذات الشرفات العالية التي شوهدت على بوابات معبد مامو (1).

معبد مامو (إله الأحلام):

تمكنت بعثة مدرسة الآثار البريطانية في العراق في تنقيبات عام 1956 من كشف هذا المعبد لدرجة قاربت الكمال (2). يقع في الطرف الشمالي الشرقي من التل ويمتلك كل العناصر النموذجية للمعبد الآشوري، يقع الحرم الرئيسي في النهاية الشمالية الغربية ويتألف من حرم مع قاعة أمامية فسيحة تشبه حجرة الانتظار (3)، والحرم المقدس هو الغرفة الوحيدة التي كان رسام قد نقب فيها وعثر على التابوت الحجري والألواح العائدة لآشور ناصر بال الثاني (4)، وقد رصفت أرضية هذه الغرفة (الحرم) بالآجر وتؤدي عبر ثلاثة درجات إلى فجوة (ما يشبه المحراب) من المفترض أنها مخصصة لتمثال الإله، وكان الباب الخارجي للحرم الأمامي (حجرة الانتظار) مفتوحاً على ساحة صغيرة، وقد عثر على بقايا هذا الباب الذي ظهر أنه كان مزداناً بالأسرطة البرونزية، وتفتح الساحة بدورها على غرفة انتظار ثانية تؤدي بدورها إلى ساحة أصغر مع غرفة مجهولة الوظيفة ومدخل في الجدار الشمالي الشرقي للساحة يؤدي إلى مكان ثانوي للعبادة الذي يشابه لكن بشكل مصغر مخطط الحرم الرئيسي، وفي شمال هذا المكان قامت حجرة أصغر (5) عثر فيها على عدد من نصوص اقتصادية وقانونية أرخ معظمها بين عامي 697 و 671 ق.م. ويعتقد أنها تخص مسؤولي المعبد وأغلبها يتعلق بصفقات البيع والشراء والقروض وبعضها ذكر المؤن التي يحتاجها المعبد في طقوسه الدينية (6).

إن تأريخ هذه النصوص يؤكد أن المعبد ومن المفترض الأبنية الأخرى في المدينة بقيت مستخدمة حتى تاريخ سقوط الإمبراطورية الآشورية نحو عام 612 ق.م (7).

(1)- Oates.D,Balawat...,Iraq,vol.36, p.176 .

(2)-Mallowan.M,The Excavations,Iraq, vol:19, part1,1957,p.3 .

(3)- Oates.D,Balawat...,Iraq,vol.36,p.176 .

(4)-Curtis.J,Balawat in (Fifty Years...),p. 113 .

(5)- Oates.D,Balawat...,Iraq,vol.36, p.176 .

(6)- Parker,Barbara,Economic Tablets from the Temple of Mamu,Iraq , vol:25,part 1,1963, pp. 86-87-88 .

(7)-Parker,B,op.cit, pp.89 .

أما المدخل الخارجي للمعبد فكان في الركن الجنوبي الغربي من الغرفة [5]، ويفتح هذا المدخل من الخارج على طريق مرصوف يتجه نحو الغرب إلى وسط التلة إلا أنه للأسف لم يكن بالإمكان اكمال التنقيب في هذه المنطقة وكذلك الأمر في الجزء الشمالي الغربي من التلة بسبب وجود القبور وبالتالي لم تتمكن البعثة البريطانية من تحديد المواقع الصحيحة للبوابات البرونزية التي عثر عليها رسام وبقي الأمر متروكاً للتكهن والافتراض⁽¹⁾ ويبقى نقش آشور ناصر بال الثاني على الألواح الحجرية هو الدليل الذي لا يخالجه الشك حول وجود البوابات المزدانة بالأسرطة البرونزية : ((... زحفت إلى جبل لبنان (و) قطعت عوارض من خشب الأرز، والسرو،...، أنا أقمت بسرعة العوارض من خشب الأرز لسقف هذا المعبد، (و) بنيت أبواب من خشب الأرز وثبت عليها أسرطة برونزية، ونصبته في مداخلها...))⁽²⁾.

4- البوابات البرونزية:

أصبح معلوماً لدى أي مطلع أن أهمية مدينة بلوات تأتي من البوابات البرونزية المكتشفة فيها والتي قدمت نموذجاً جديداً للفن الآشوري وسجلاً تاريخياً إضافياً لفترة هامة من العصر الآشوري الحديث، ذلك أن الأسرطة البرونزية التي زينت البوابات في كل من القصر الملكي ومعبد مامو احتوت على نقوش مسمارية ومشاهد من النقش البارز، وهنا تكامل الخبر المكتوب مع الخبر المرئي فبعث في النفس مشاعر من العظمة والإجلال والرهبنة، والسطوة والجبروت، وهذا بالتأكيد ما أراده آشور ناصر بال الثاني ومن بعده خليفته شلمنصر الثالث الذي اعتبرت بواباته الأضخم والأهم والمدروسة بشكل أكبر مقارنة بالبوابات الأصغر المنسوبة لوالده. لقد شكلت بوابات بلوات البرونزية تنويجاً لفن النقش على المعدن، ذلك أنه تم العثور على العديد من القطع البرونزية في أغلب المدن الآشورية الرسمية، كما هو الأمر في بوابات معبد أنو، أدد في آشور، وبوابات القصر الذي بناه تيجلات بلنصر الأول في نينوى وفي قصر آشور ناصر بال الثاني في كلخو⁽³⁾ وفي خورسباد وجدت آثار برونزيات في معابد أدد ونابو تمثل صور محاربت، أحصنة، ثيران، أسد، عربة، صور بشرية وأسطورية، وأكد هذا الأمر نقوش شاروكين نفسه، كما عثرت حملة تنقيب عراقية على أمثلة لبوابات برونزية في تل حداد (منطقة حوض حميرين) نسبت لأحد المعابد وهي من مقتنيات المتحف العراقي اليوم⁽⁴⁾. هذه الأمثلة تؤكد أن استعمال حرفة البرونز على الأبواب الآشورية كانت شائعة في العصر الآشوري الحديث لا بل تحولت إلى مجال للمفاخرة والتخليد لدى الملوك الآشوريين.

(1)- Oates.D, Balawat..., Iraq, vol. 36, p. 177 .

(2)- Grayson.A, Assyrian Rulers...(1114-859B.C), vol. 1, p. 320 .

(3)- Ibid, p. 321 .

(4)- Curtis.J, Balawat in(Fifty years...), p. 117 .

أما آلية عمل البرونز ونقشه في بوابات بلوات فيعتقد أن جميع البوابات قد صنعت بنفس الطريقة حيث يتم رسم المشاهد المراد نقشها على العصابات البرونزية من الخلف ثم يتم طرقها وهي مقلوبة على وجهها الذي يواجه طبقة من القار اللين ما يسمح ببروز البرونز ثم تأتي المهمة الثانية للحرفي في نقش وطبع الأشكال على الأشرطة البرونزية بواسطة الطرق أيضاً⁽¹⁾، وتسمى هذه العملية بالتجسيد النافر على المعدن أو الريبوسا Repousse⁽²⁾.

أ- الأشرطة البرونزية وموضوعاتها على بوابات كل من شلمنصر الثالث وآشور ناصر بال الثاني :

تعد الأشرطة البرونزية التي أقيمت على البوابات الضخمة العائدة لشلمنصر الثالث والتي نصبها على مداخل القصر الملكي أفضل مثال على فن النقش على البرونز، وقد تم دراستها بشكل كامل ودقيق.

بلغ قياس كل باب من الأبواب الكبيرة (6) أقدام عرضاً وأكثر من (20) قدم ارتفاعاً، وقد صنعت هذه الأبواب من خشب الأرز، وثبتت درفات الباب بواسطة عمود خشبي مغطى بالبرونز ويدور في ثقب حجري في الأسفل، أما الأشرطة البرونزية فقد ثبتت، على الجزء المستوي لكل باب وحول العمود، بواسطة مسامير زينت رؤوسها بوريدات صغيرة وذلك بهدف إخفاءها وإظهارها بشكل جميل، وتتفصل الأشرطة عن بعضها بمسافات فارغة محددة تظهر خشب الباب وكانت حافة كل باب من الأعلى ومن الأسفل مغطاة بأشرطة برونزية سميكة يلاحظ عليها تكرار النقوش، وجدير بالذكر أن الغاية من الأشرطة البرونزية هي تزيينية ولم توضع لغرض التحصين أو لصد الهجوم⁽³⁾، وقد قدر عدد الأشرطة البرونزية على بوابات شلمنصر ب(16) شريطة (8) على كل باب، وبلغ طول كل شريطة برونزية (8) أقدام وعرضها (11) إنش، وتم نقش كل مشهد بين نسقين من الوريدات المحززة التي أحيطت بخطوط أفقية شكلت بدورها إطاراً فاصلاً⁽⁴⁾.

(1)- King.L.W, Bronze Relief from the Gates of Shalmaneser, King of Assyria ,Oxford University press, London, 1915, pp.11-12 .

(2) - Lloyd.S, op.cit, p.200 .

(3)-King.W, op.cit, pp.10-11.

(4)-Ibid, p.11.

أما مضمون هذه المشاهد فقد كان تصويراً لحملات شلمنصر الثالث التي شنّها في سنواته الثلاثة عشر الأولى ضد الأورارتيين والفينيقيين والآراميين والكلديين في الجنوب البابلي⁽¹⁾ أي أنها كانت ضد شعوب غير آشورية⁽²⁾، فتظهر للعيان مشاهد حصار المدن وإحراقها، وقتل للأعداء، وصفوف من الأسرى المقيدون بالأصفاد، وكذلك مواكب تقديم الجزية للملك لكن من الأمور المثيرة في هذه المشاهد أن الفنان حاول إبراز الأصول القومية والعرقية للشخصيات الظاهرة من الأسرى ودفعي الجزية وذلك من خلال إظهار الاختلاف في الأزياء والملابس فظهروا في ثلاثة مجموعات رئيسية وفق توزيعهم الجغرافي (شماليين وجنوبيين وغربيين) إلا أن المجموعة الأكبر هي المجموعة الغربية الخاصة بالفينيقيين من صيدا وصور وغيرها من مدن الساحل السوري (الشكل 24)⁽³⁾.

اتسمت المشاهد على البوابة الكبيرة بالوضوح والسهولة مثل أشكال الجبال والمناطق الصخرية والنهرية والأشجار وشخصية الملك المميزة بقلنسوته الملكية وصفوف ومواكب الأسرى التي يتقدمها ضابط آشوري يشير لها بيده للتقدم نحو الملك من أجل تقديم الخضوع. والمدقق في هذه المشاهد يلاحظ مسألة الاختلاف في دقة النقش ومهارة صنعه من عصابة لأخرى ما يؤكد اشتراك عدة فنانين في عملية النقش وليس فنان واحد⁽⁴⁾.

أما البوابات الأصغر العائدة لآشور ناصر بال الثاني فقد تم دراسة اثنتين من الأشرطة البرونزية التي كانت تزين أبواب مدخل قصره الملكي. بلغ قياس البوابات ثلاثة أقدام عرضاً والجزء المسطح من الباب الواحد كان بعرض قدمين وأربع إنشات ونصف، أما ارتفاع الشريطين فبلغ نحو 5 و 7 إنش وكل واحدة من هذه الأشرطة تكونت من من حقل نصي وكل واحد من الأشكال الكبيرة وليس من حقلين كما هو حال أشرطة شلمنصر، وتنتهي حافاتها بخط وأشكال من الوريدات على غرار البوابات الكبيرة، وما يمكن ملاحظته على هاتين الشريطين هو أن تقنية النقش ليست متقدمة مقارنة مع شرائط شلمنصر الثالث.

أما مضمون الشريطين فأحدهما تمثل انتصارات الملك في حملاته العسكرية وتلقيه الجزية من حاكم منطقة سوشي، أما الشريطة الثانية فتعرض لمشاهد الصيد الملكي للأسود والثيران⁽⁵⁾. اشتركت

1- حول دراسة مفصلة للحملات العسكرية التي صورتها العصابات البرونزية انظر:

-King.w,op.cit,pp.17-34.

وما بعدها Grayson.A, Assyrian Rulers...(1114-859B.C),vol.1,p.320

(2)- Tucker.D.J,op.cit,p.112 .

(3)- King.W,op.cit,pp.13-14 .

(4)-Ibid,p.13-14 .

(5)-Ibid,op.cit,p.16 .

جميع الأشرطة البرونزية المنفذة على البوابات الكبيرة والصغيرة بإغراقها بالتفاصيل إلا أنها قدمت للباحث مادة غنية حول العديد من الأمور العسكرية والتسليحية والألبسة والأزياء وحتى أصول الأعداء ونمط عمائرهم... الخ، ولعل هذا الأمر هو رغبة مقصودة في نقل صورة واقعية للحدث⁽¹⁾ ففاقت بذلك المنحوتات النافرة التي يشاهدها المرء في القصر الشمالي الغربي لآشور ناصر بال الثاني، لكنها شابقتها في أسلوبها الروائي والقصصي.

ومهما يكن من أمر تبقى البرونزيات صورة حضارية مشرقة في تاريخ الإبداع الفني الآشوري في عصره الحديث على الرغم مما قيل عنها من أنها تعتبر تراجعاً فنياً وأسلوبياً رتيباً يفتقر للحركة مقارنة بالمنحوتات النافرة الحجرية⁽²⁾.

رابعاً- مدينة كخت (تل بري) Kahat:

1- الخلفية الجغرافية والتاريخية

شكلت منطقة الفرات الأوسط ومنذ أقدم العصور مركز حضاري هام ساعدها على ذلك مرور نهر الفرات العظيم في أرضها، فعلى ضفاف هذا النهر نشأت بواكير الحضارة وعرف إنسان هذه المنطقة الزراعة واختراع الفخار، وعلى مياه الفرات تحقق الاتصال التاريخي بين الوحدات الجغرافية الثلاثة بلاد الرافدين وسورية والأناضول، بالإضافة إلى الطرق البرية التي كانت تسير مجرى النهر.

وضمن هذا الوسط الهام زراعياً وتجارياً وسياسياً نشأت مدينة كخت (تل بري) كعقدة مواصلات بين الوحدات الجغرافية الثلاثة المذكورة آنفاً⁽³⁾، ومركز ديني هام لعبادة إله الطقس (أدد) الذي أنشأ معبد له في المدينة بأمر من ملك ماري زمري ليم (1775-1761 ق.م) إبان سيطرة ماري على كخت، وقد عثر على رقيم طيني في ماري حوى مقاييس لهذا المعبد⁽⁴⁾. كانت كخت قد طوبق اسمها مع موقع تل بري الحديث، ويعود فضل هذه المطابقة إلى جورج دوسان الذي اكتشف مصادفة لوحان منقوشان للملك الآشوري توكولتي نينورتا الثاني (890-884 ق.م) ويرد فيهما اسم مدينة كخت، وسيأتي بيان ذلك. وجدير بالتنويه أن أقدم ذكر لمدينة كخت في المصادر يمكن أن يطلع عليه المرء في رقم من مدينة ماري⁽⁵⁾ أما أحدثها فيعود إلى عهد الملك الآشوري شاروكين الثاني (722-

(1)-Tucker.D,op.cit,p.115 .

(2)- غافليكوفسكا، المرجع السابق، ص 167 .

3 (الفصل الأول: مدن آشورية) طالية في تل بري كخت، الحوليات الأثرية السورية، تعريب وتلخيص قاسم طوير، مج 34، 1984، ص 211 .

(4)- أبو عساف، (علي)، آثار الممالك القديمة في الجزيرة وطور عابدين، وزارة الثقافة، دمشق، 2011، ص 197

(5)- دوسان، (جورج)، موقع مدينة كخت، ترجمة أبو الفرج العث، الحوليات الأثرية السورية، مج 11+12، 1962، ص 212-214 .

704 ق.م⁽¹⁾. وعلى هذا فمدينة كخت ليست مدينة آشورية جديدة وسبب إجمالها ضمن المدن الجديدة أنه أعيد بنائها بالكامل في العصر الآشوري الحديث.

تقع كخت أو ما يسمى حديثاً بتل بري على الضفة الغربية من نهر ججج Jaghjagh أحد روافد الخابور، في منتصف الطريق بين تل براك⁽²⁾ وتل الحميدي⁽³⁾ وتلال أخرى⁽⁴⁾.

ويبلغ ارتفاع تل بري اثنين وثلاثين متراً، ويشكل مع المدينة السفلية البالغ مساحتها سبعة هكتارات، مستوطنة قدرت مساحتها بثمانية وعشرين هكتاراً⁽⁵⁾. وقد أظهرت التنقيبات الأثرية تسلسلاً ستراتيجرافياً تكون من (15) طبقة أثرية تمتد من العصر البرونزي المبكر Early Bronze Age (القرن 29 ق.م) إلى فترة العصور الوسطى (القرن 13 ب.م)⁽⁶⁾ وهي فترة الاستيطان الإسلامية إذ كانت تعلو التل مقبرة إسلامية تمت إزالتها قبل الشروع في تنقيب التل⁽⁷⁾.

(1) - كونه، (هارتموت)، مواقع التنقيب الأثري في سورية، ترجمة قاسم طوير وأسعد محمود، المديرية العامة للآثار والمتاحف، دمشق، 1982، ص 17.

(2) - تل براك: يبعد نحو 10 كم عن تل بري، ويقع على الضفة اليمنى لنهر ججج، إلى جانب الطريق المؤدية إلى جبل سنجار، ويزيد ارتفاع التل عن (40م) ويعود تاريخ الموقع إلى مطلع الألف الرابع ق.م. كان مالوان أول من نقب في الموقع لأربع مواسم متتالية... انظر: العطار (نادر)، منطقة الخابور الأثرية، الحوليات الأثرية السورية، مج 2، 1952، ص ص 106-107.

(3) - تل الحميدي: يقع في منطقة مجاورة لتل بري (كخت) ويعتقد أن تل الحميدي يحوي في باطنه أطلال مدينة نيلي بشنو التي كانت تشكل مع مدن أخرى مراكز للدفاع عن مدينة كخت انظر: أبو عساف، المرجع السابق، ص 198.

(4) - فان لير. و. ج. لمحة جغرافية عن مدينة كخت ((تل بري))، الحوليات الأثرية السورية، مج 11+12، 1961-1962، ص 189.

(5) - بيكوريل، (باولو)، التنقيب في تل بري ((كخت)) بالجزيرة 1980-1982، تعريب عبد الرزاق زقزوق، الحوليات الأثرية السورية، مج 33، ج 1، 1983، ص 201.

(6) - Soltysiak, Arkadiusz, Sort field work Report: Tell Barri (Syria), Seasons 1980-20, Institute of Archaeology, University of Warsaw, Poland, 2008, p.67.

(7) - بيكوريل، (باولو)، التنقيب في تل بري ((كخت)) بالجزيرة، الحوليات، مج 33، ج 1، 1983، ص 202.

2- التنقيبات الأثرية:

على الرغم من أن جورج دوسان كان قد أثبت في العام 1961 الهوية التاريخية لتل بري بمطابقته مع مدينة كخت القديمة إلا أن التنقيب الفعلي في الموقع لم يبدأ إلا في العام 1980 من قبل فريق إيطالي تابع لـ (المجلس القومي للبحث العلمي الإيطالي) بإدارة باولو إيميلو بيكوريللا Paolo Emilio Pecorella (من جامعة فلورنسا)، والذي استمر في إدارة البعثة حتى العام 2005 ثم تولاها بعده رافاييلو بنو Raffaello Pierobon Benoit من جامعة Naples Federico II⁽¹⁾.

كانت البعثة قد بدأت عملها بتنفيذ عدة أسبار اختبارية في منحدرات التل بغية رسم فكرة أولية حول أهمية الموقع من الناحية التاريخية⁽²⁾ وبعد تحققها من ذلك عمدت إلى تقسيم التل إلى منطقتين رئيسيتين: المنطقة (G) في الجزء الجنوبي الشرقي من التل وتم التوصل فيها إلى مستوى الأرض البكر، والمنطقة (J) على الجانب الغربي والجنوبي الغربي من التل، وفي هذه المنطقة تم الكشف في إحدى الطبقات عن بعض اللقى العائدة بتاريخها إلى العصر الآشوري الحديث⁽³⁾ سيتم عرضها فيما يلي

وبالمجمل فإن حصيلة تنقيبات الموقع هي الكشف عن تسلسل طبقات تكون من 15 طبقة امتدت من القرن 29 ق.م إلى القرن 13م.

3 - كخت (تل بري) في المصادر القديمة، وفي ضوء اللقى الأثرية الآشورية:

- المصادر المسمارية الآشورية:

ذكر آنفاً أن أقدم النصوص الكتابية المتعلقة بذكر مدينة كخت أتت من عدة رقم من مدينة ماري، وجميعها تثبت أن مدينة كخت كانت من أهم المواقع على المجرى الأوسط لنهر ججغ في العصر البابلي القديم (2003-1594 ق.م)⁽⁴⁾.

ومن أحد رقم ماري أيضاً يعلم المرء بوجود معبد لإله الطقس (أدد) في المدينة الذي أمر ببنائه زمري ليم، وفي ضوء ما دون في هذا الرقيم من مقاييس لهذا المعبد، عمد الباحثون على إعادة تصميمه ورسم مخططه من جديد⁽⁵⁾ ما يجعل المرء يضيف أهمية دينية جديدة للأهمية التجارية والزراعية

(1) - Soltysiak, A, op. cit, p. 67 .

(2) - كونه، هارتموت، المرجع السابق، ص 18 .

(3) - Soltysiak, A, op. cit, p. 67 .

(4) - سالفيني، ماريو، قضية الحوريين بعلاقتهم مع مدينة كخت ((تل بري)) - معطيات جديدة، تعريب وتلخيص بشير زهدي، الحوليات الأثرية السورية، مج 34، 1984، ص 267-268.

(5) - أبو عساف، علي، المرجع السابق، ص 197 .

لمدينة كخت، بدليل استمرار وجود معبد اله الطقس (تيشوب) الميتاني في هذا المعبد تم إيداع نسخة من المعاهدة الدولية التي عقدت بين شوبيلوليوما الملك الحثي وبين ساتيوازا الملك الميتاني ⁽¹⁾. وفي العصرين الآشوري الوسيط والحديث تم تتبع بعض الإشارات في نصوص وحوليات الملوك الآشوريين: ومنها أنه في بداية القرن الثالث عشر ق.م استولى الملك الآشوري أد نيراري الأول (1273-1304 ق.م) على كخت، وهي واحدة من جملة مدن سلبها من الميتانيين ⁽²⁾.

وتطالعنا كتابة من عهد شلمنصر الأول (1272-1243 ق.م) تخلد احتفال هذا الملك بإعادة بناء عدد من المعابد الواقعة في مدن بلاد النهرين الشمالية وفي الأسطر 15-17 من الكتابة يقرأ المرء عبارة: ((أعدت بناء معبد رب العاصفة في كخت...)). فهذا برهان على استمرارية عبادة إله الطقس في كخت، ودليل على الأهمية الدولية لهذا المعبد، وبشكل غير مباشر دليل على بعث المدينة تحت السيطرة الآشورية بعد الاستيلاء على المدن التي كانت خاضعة لمملكة ميتاني من قبل أد نيراري الأول ⁽³⁾.

وبالوصول إلى العصر الآشوري الحديث، موضوع البحث، يمكن للمرء الاطلاع على بعض الإشارات النصية التي يمكن عرضها قبل التطرق إلى اللقى الأثرية القليلة التي تمكن المنقبون من الحصول عليها من مستوى الطبقة الآشورية الحديثة:

وأولى حالات ذكر كخت في هذا العصر يجدها المرء عند الملك أد نيراري الثاني (912-891 ق.م)، إذ أمكن العثور على كسرة من الآجر منقوشة بنص مجتزأ غير كامل، إلا أنه يفهم منه أن أد نيراري الثاني شن حملة باتجاه منطقة الخابور وذلك بعد أن انتهج سياسة توسعية جديدة ضد قوة مملكة ميتاني المتداعية، وضد الممالك الآرامية الصغيرة، ويبدو أن كخت كانت من ضمن المناطق التي شملتها حملة أد نيراري الثاني بدليل قوله: ((...هم ذهبوا ضد كخت...)) ⁽⁴⁾.

على الرغم من أن هذه الجملة المبتورة لا تعطينا معنى واضحاً لكنها تكفي لتكون دليل على استمرار أهمية المدينة في هذا العصر، وليس أدل على ذلك من قيام توكولتي نينورتا الثاني (890-884 ق.م)، ابن وخليفة أد نيراري الثاني، ببناء قصر له في كخت، بعد أن كان قد قضى ليلة فيها

(1) - دوسان، جورج، المرجع السابق، ص 213 .

(2) - كيرشباوم، المرجع السابق، ص 43 .

(3) - سالفيني، ماريو، المرجع السابق، ص 268 .

(4) - Lukenbill.D.D, ARAB , Vol1., p.124 .

قبل أن يغادرها متوجهاً إلى نصيبين⁽¹⁾ في ضوء حملته المؤرخة نحو العام 885 ق.م والتي شنها لتأكيد سلطته في منطقة الخابور والفرات الأوسط⁽²⁾.

يجد المرء ذكر لمدينة كخت في أحد النصوص الحولية العائدة أغلب الظن إلى الملك آشور ناصر بال الثاني (884-859 ق.م)، وقد نقش هذا النص على لوطيني عثر على جزء منه في مدينة آشور، ومن خلال الجزء المنقوش الذي تم استعادته يظهر أن النص يسجل وقوع تمرد في مدينة كخت والمدن الأخرى في منطقة الفرات الأوسط : ((تمركزوا في مدينة كخت [...] قوات عسكرية [...] أنا غزوت المدينة... أنا حملت الغنائم، ممتلكات، بقر، غنم، [...] تعقبتهم، [...] ذبحت [...] العديد منهم [...]))⁽³⁾.

هناك شواهد أحدث عن تاريخ المدينة تعود إلى أواخر القرن التاسع ق.م وتتضمن نصب يكشف لنا عن اسم الحاكم الآشوري شار-باتي-بيلي Shar-batti-peli الذي وسم عام 831 ق.م باسمه، والذي حكم المقاطعة التابعة لآشور نصيبين، أوركا⁽⁴⁾، مازاكا⁽⁵⁾، ولاشك أن هذا الأمر حدث في عهد الملك شلمنصر الثالث الذي حكم في الفترة ما بين (859-827 ق.م)⁽⁶⁾. أما الدليل الآخر فيؤرخ في عهد الملك الآشوري شمشي أدد الخامس (823-810 ق.م) الذي يذكر كخت في أحد نصوصه من ضمن المدن ال (27) التي انضمت لتمرّد وعصيان أخيه آشور-دان-إبلا ضد والدهما شلمنصر الثالث⁽⁷⁾ وبما أن شمشي أدد الخامس يفتخر بقضائه على التمرّد فلا بد أنه أخضع لسلطانه مدينة كخت وبقية مدن منطقة الفرات الأوسط، وما من شك أن هدف شمشي أدد من هذا الخضاع توطيد النفوذ الآشوري في المنطقة للحفاظ على الطريق الملكية التي تربط بلاد آشور مع

(1)-نصيبين: حافظت على تسميتها الآشورية الحديثة ناصبين وفي المصادر الكلاسيكية نوصبين... الخ، وكانت مركز مقاطعة وعاصمة، وهي قريبة من القامشلي اليوم انظر: Parola.S, op.cit, p.14 .

(2)- Grayson.A, Assyrian Rulers ... (1114-859B.C), vol.1, p.177 .

(3)-Grayson.A, op.cit, pp.266-267.

(4)-أوركا Urakka: هي مدينة أوركيش، تل موزان حالياً، شمال مدينة الحسكة السورية انظر: Parpola.S, op.cit, p.18 .

(5)-مازاكا Masaka أو مازاكو Masakku يعتقد أن موقعها الحالي هو تل محمد لكن باحتمال ضعيف، انظر: parpola.S, op.cit, p.13.

(6)- دوسان، جورج، مرجع سابق، ص 213 .

(7)-Grayson.A, Assyrian Rulers ... (858-745B.C), vol.2, p.183.

منطقة الخابور⁽¹⁾ وهذا ما طمح إليه وحققه بكل تأكيد الملك شاروكين الثاني (722-704 ق.م)، الذي يعد ذكر مدينة كخت في أحد قوائمه أحدث ذكر لها في العصر الآشوري الحديث⁽²⁾.

-اللقى الأثرية الآشورية الحديثة في كخت:

بعد هذا العرض لذكر مدينة كخت في المصادر المسمارية عامة والآشورية الحديثة خاصة، لابد من الانتقال لعرض اللقى الأثرية والبقايا المادية العائدة بتاريخها لفترة العصر الآشوري الحديث وهي على قلتها تسهم ولو قليلاً في التعريف بتاريخ مدينة كخت إبان هذا العصر، وخير ما يبدأ المرء الحديث فيه هو النقش الكتابي الذي عثر عليه في كخت، وهو الدليل الكتابي الوحيد من هذه المدينة، والذي أسهم كما ذكر سابقاً في مطابقة اسم كخت القديم مع موقع تل بري الحديث، وفي كشف العديد من الحقائق التي كانت غامضة حول هذا الموقع.

حفر هذا النقش على بلاطتين محفوظتين حالياً في متحف حلب، إحداهما كاملة وقياسها (100×82 سم) والثانية محطمة لكنها من نفس قياس الأولى، ومن النص الموجود على هاتان البلاطتان⁽³⁾ يعلم المرء أنهما تعودان للملك الآشوري توكولتي نينورتا الثاني. لكن الأهم من ذلك أن النص يحتوي الدليل الكتابي الوحيد حول قيام توكولتي نينورتا الثاني ببناء قصر له في كخت: ((قصر توكولتي نينورتا، ملك العالم، ملك آشور،...بلاطة من الحجر من مدينة كخت))⁽⁴⁾.

ومن المؤسف القول أن التنقيبات الأثرية لم تستطع التعرف على المخطط الكامل للقصر، ومن المؤكد أن ذلك عائد إلى أن القصر قد تعرض للتخريب بشكل كامل وأن مواد بنائه قد استخدمت ثانية خلال عصور الاستيطان الأخيرة بدليل أنه تم العثور على بلاطتي توكولتي نينورتا الثاني في أعلى طبقات التل، ذلك أن السكان المحليين كانوا قد استخدموهما مع العديد من الحجارة البيضاء والسوداء كشواهد لقبور موتاهم المنتشرة على سطح التل⁽⁵⁾.

1-بيكوريل، باولو، التنقيبات الإيطالية في تل بري-كخت، تعريب قاسم طوير، الحوليات الأثرية السورية، مج34، 1984، ص272.

2 بيكوريل، باولو، التنقيب في تل بري((كخت))بالجزيرة، الحوليات، مج33، ج1، 1983، ص203.

3-قام جورج دوسان بنسخ النصين المنقوشين على البلاطتين وترجمتهما وتبين أنهما متطابقان في المعنى إلا أن النص في البلاطة المحطمة موزع على أربعة سطور بينما نص البلاطة الأولى موزع على خمسة سطور، كما لاحظ دوسان أن نص البلاطة المحطمة قد نقش بإتقان أقل من نص البلاطة الأولى، انظر: دوسان، جورج، مرجع سابق، ص215.

Grayson.A, Assyrian Rulers...(1114-859B.C), vol.1, p.181 - (4)

5-بيكوريل، باولو، التنقيب في تل بري ((كخت))بالجزيرة،، الحوليات، مج33، ج1، 1983، ص203.

لكن وعلى الرغم من ضبابية الطبقة الآشورية الحديثة فقد تمكنت البعثة الإيطالية من تحديد موقع القصر على المنحدر الغربي والجنوبي الغربي من التل، وهي المنطقة التي اصطلح المنقبون على تسميتها (المنطقة J)، فالى الجهة الشمالية من هذه المنطقة تم العثور على بعض بقايا الفترة الآشورية الحديثة. وكذلك الأمر بالنسبة للطبقة F (المستويات 10 و 11) يمكن أن تعزى للفترة الآشورية الحديثة. وأهم اكتشاف في هذه الطبقة كان عبارة عن بقايا أساسات لبناء استثنائي يمكن تسميته بالقصر الصغير، فقد تم تتبع بعض أساساته واجزائه فظهر فناء مرصوف بأجر مشوي وقياسه (3,58×3,26 م)، وغرفة 4×5 م عثر في جانبها الغربي على باب كبير ذو عتبتان متجانستان بشكل جميل.

كما عثرت البعثة على بقايا كسر من الجص الأبيض المزين بشرائط ملونة بالأسود والأزرق والأحمر مع وريدات Rosettes كتلك المعروفة في هذا العصر والمستعملة في تزيين جدران القاعات والغرف الآشورية⁽¹⁾. ما يجعل افتراض أن القصر قد زين بكامله بالرسوم الجدارية وبأنه افتقر إلى المنحوتات النافرة أمراً وارداً.

أخيراً وإن كانت اللقى الأثرية المتعلقة بالفترة الآشورية الحديثة قليلة ولم توضح لنا الصورة الحقيقية للقصر الذي بناه توكولتي نينورتا الثاني في المدينة، لكن وجود القصر بحد ذاته دليل كافٍ على الأهمية الإستراتيجية لكحت في العصر الآشوري الحديث والعصور الأخرى وهذا ما أثبتته النصوص المسمارية لاسيما رقم مدينة ماري، كما أن إنشاء معبد إله الطقس (أدد) منذ عهد زمري ليم واستمرار وجوده في المدينة دليل ثاني على أهمية المدينة.

أيضاً نقطة أخرى جد هامة وهي أن تشييد توكولتي نينورتا الثاني قصر له في كحت يدل على إخضاع منطقة الفرات الأوسط بالكامل للسيادة الآشورية آنذاك.

(1)-Pecorella.Paolo.Emilio,Tell Barri-Kahat 1997,in:((Chronique Archeologique en Syrie -Rapports des Campagnes 1994-1997 ,vol.2 , 1998,pp.185-187-188 .

الفصل الثاني

التجديدات العمرانية في العصر الآشوري الحديث

أولاً- مدينة آشور (Ashur):

- 1 - الخلفية الجغرافية والتاريخية
 - 2 - التنقيب الأثري في المدينة
 - 3 - التجديدات العمرانية في مدينة آشور
- أ - التجديدات العمرانية في الفترة ما بين (912-827 ق.م)، من فترة حكم أدد نيراري الثاني (912-891 ق.م) إلى نهاية حكم شلمنصر الثالث (858-827 ق.م).
- ب - التجديدات العمرانية في الفترة ما بين (824 - 722 ق.م)، من عهد شمشي أدد الخامس (824-810 ق.م) إلى عهد شلمنصر الخامس (727 - 722 ق.م)
- ج- التجديدات العمرانية في عهد السلالة الشاروكينية (722-612 ق.م)
- شاروكين الثاني (722-705 ق.م)
 - سنحريب (704 - 681 ق.م)
 - أسرحدون (680-669 ق.م)
 - آشوربانيبال (668-627 ق.م)
 - سن - شار - إشكون (Sin- shar - ishkun) (623 - 612 ق.م)

ثانياً- مدينة نينوى:

- 1 - الخلفية الجغرافية والتاريخية
 - 2 - التنقيب في نينوى
 - 3 - التجديدات العمرانية في نينوى في العصر الآشوري الحديث (912-612 ق.م)
- أ - التجديدات العمرانية في نينوى في الفترة (912-705 ق.م)-من عهد أدد نيراري الثاني (912-891 ق.م) إلى عهد شاروكين الثاني (722-705 ق.م)
- ب - التجديدات العمرانية في عهد سنحريب (704-681 ق.م)
- أسوار المدينة وبواباتها وتحصيناتها، الساحات والشوارع، والطريق الملكي
 - القصر الملكي
 - التجديد في معابد المدينة
 - مخزن الأسلحة (إيكال مشرتي)

ج- تجديدات خلفاء سنحريب في مدينة نينوى

- الملك أسرحدون (680-669 ق.م)

- الملك آشور بانيبال (668-627 ق.م)

ثالثاً- مدينة تل برسيب (Til Parsip)

1- الخلفية الجغرافية والسياسية

2 - التنقيبات الأثرية

3 - الوصف العمراني والرسوم الجدارية في تل برسيب

أ - الغرفة 24

ب- الغرفة 47

ج- الممرات 24 و 28

د - الغرفة 46

درج ساسة الرافدين على القيام بأعمال البناء والترميم والتوسعة والتجميل للأبنية الدينية والمدنية على السواء، وكانت تلك الأعمال مجال مفاخرة بينهم سجلوها في نقوشهم وحولياتهم الملكية. وقد انطلقوا في أعمالهم تلك من عدة اعتبارات، منها **الاعتبار الديني** إذ ساد اعتقاد لدى ملوك الرافدين عامة والآشوريين خاصة، أن القيام بالأعمال العمرانية لاسيما بناء المعابد هو واجب ديني تم تلقيه من الآلهة الكبرى، وهذا ما يتضح من افتتاحيات النصوص الملكية التي تبدأ بعرض أسماء الآلهة التي أعطت الأوامر لتنفيذ العمل البنائي.

وهناك اعتبار آخر سبق الحديث عنه وهو **الدافع النفسي أو الشخصي**، فالملوك وإن برروا تنفيذهم للأعمال العمرانية بأنها أوامر إلهية-لشرعنة العمل وعدم إثارة الطبقات النبيلة المتنفذة، التي قد تمتنع من السياسة المالية لبعض الملوك البنائين- فإن دافع تخليد الذكر وحب الأبهة والفخامة، مضافاً إليه الاهتمام الشخصي لبعض الملوك بأعمال العمران والبناء، كان من الدوافع الهامة للقيام بهكذا أعمال.

أما **الاعتبار الثالث والأهم** هو أن الآجر، مادة البناء الأساسية في الأبنية الآشورية لا يقاوم الظروف المناخية طويلاً وهذا ما يستوجب القيام بأعمال الترميم والتجديد بشكل مستمر.

ولابد هنا أن نكرر التنويه إلى أنه تم تتبع قضية التجديدات العمرانية والفنية في هذا الفصل من خلال ما خلفه الملوك الآشوريون من نقوش ونصوص مسمارية، أما المادة الأثرية لتلك التجديدات فسيتم ذكرها بالقدر الذي توفّر المعطيات الأثرية، ذلك أن عمليات التجديد المتكررة للأبنية تجعل قضية تتبع الأعمال العمرانية التجديدية صعبة للغاية.

أولاً - مدينة آشور (Ashur):

1 - الخلفية الجغرافية والتاريخية : (الشكل 25)

تعتبر مدينة آشور أقدم عاصمة للآشوريين ومنها انطلق نجمهم في بناء دولتهم وحضارتهم، يعرف موقعها الحالي باسم قلعة الشرواط⁽¹⁾ على بعد نحو 110 كم جنوب الموصل، على الضفة الغربية لنهر دجلة⁽²⁾، لها شكل مثلث مرتفع على أرض صخرية تشكل جزء من سفوح جبل حميرين Jebel Hamrin. يحدها من الشمال والشرق نهر دجلة في حين حُصّنت من الجهتين الأخريين بسور

1)-Harper. Prouden,Brandt.Evelyn,Aruz.Joan and Benzel.Kim , Discoveries at Ashur on the Tigris ,Assyrian Origins ,The Metropolitan Museum of Art ,New York , 1995 , p.15 .

2)- Bienkowski.P and Millard .A,op.cit,p.35 .

منبع، وتشرف على ما يجاورها من سهول وهضاب⁽¹⁾. وبذلك تكون قد نشأت في موقع حصين وسط منطقة زراعية خصبة ولعل هذا الأمر كان دافعاً لاستيطانها منذ الألف الثالث قبل الميلاد⁽²⁾، وزادها أهمية تحكمها بطرق تجارية هامة تصل بلاد بابل في الجنوب ودويلات المدن في الشمال وكذلك الطرق التي تصل شمال سورية مع الهضاب الإيرانية (عيلام)⁽³⁾ ما أعطى المدينة ازدهارا تجاريا هاما.

تاريخياً تعود آثار الاستيطان الأولى في موقع المدينة إلى بداية الألف الثالث قبل الميلاد، وقبل هذا التاريخ فإن المعلومات عنها جُذ قليلة⁽⁴⁾. دُكر اسمها لأول مرة منتصف الألف الثالث قبل الميلاد في ألواح إبلا (Ebla)، وفي ألواح أبو صلابيخ⁽⁵⁾ حيث ذكر اسم المدينة آشور واسم إلهها⁽⁶⁾. أحيطت بسور قوي من قبل الملك كيكيا (Kikkia) نحو العام 2300 ق.م ثم وسع مرات متعددة في العصور اللاحقة، لتبرز المدينة في القرن الثامن عشر قبل الميلاد في عهد شمشي أدد الأول (1782-1815 ق.م) فجددت تحصيناتها ورممت أبنيتها، ومع تزايد نفوذ آشور السياسي منذ القرن الرابع عشر ق.م، زادت عظمة مدينة آشور وارتفع شأنها، وازدحمت بالأبنية الدينية والمدنية⁽⁷⁾ - سيتم التطرق لهذه الأبنية في مواضعها عند الحديث عن تجديدات ملوك العصر الآشوري الحديث - وتم تعزيز تحصيناتها فأصبحت أكثر منعة ومهابة من ذي قبل.

أما في العصر الآشوري الحديث فعلى الرغم من انتقال مركز الحكم من آشور⁽⁸⁾ إلى عواصم أخرى (كلخو، دور شاروكين، نينوى) - نتيجة لمقتضيات سياسية واستراتيجية، منها أن مدينة آشور أضحت في منطقة ضيقة زراعياً هذا من جهة، ومن جهة أخرى أنها أصبحت تقع في أقصى الجنوب

(1) - سفر، فؤاد، آشور، مديرية الآثار العامة، بغداد، 1960، ص 3 .

(2) - بيتيناتو، مرجع سابق، ص 121 .

(3) - Harper.P and others, op.cit, p.21 .

(4) - كيرشباوم، المرجع السابق، ص 29 .

(5) - أبو صلابيخ: تل في جنوبي العراق على بعد نحو عشرين كيلو متر شمال غربي نيبور، يبدو انه كان مركز مملكة سومرية صغيرة ما بين 2650 - 2350 ق.م. انظر: مرعي، عيد، تاريخ مملكة إبلا وآثارها، الهيئة السورية للكتاب، دمشق، 2015، ص 33 .

(6) - بيتيناتو، المرجع السابق، ص 124 .

(7) - مرعي، رحلة، مرجع سابق، ص 98-99 .

(8) - جرت أولى محاولات نقل العاصمة من آشور بدءاً من عهد الملك شمشي أدد الأول (1782-1815 ق.م) الذي نقلها إلى شوباط إنليل (تل ليلان حالياً على بعد 25 كم جنوب شرقي القامشلي السورية)، ثم في عهد شلمنصر الأول (1272-1243 ق.م) الذي نقلها إلى كلخو (نمرود).

من بلاد آشور في وقت كانت فيه الدولة الآشورية تتمدد باتجاه الشمال⁽¹⁾ - فقد بقيت مدينة آشور العاصمة الدينية المقدسة وبقيت تحظى بمكانة في نفوس ملوك العصر الآشوري الحديث فعكفوا على تجديدها بناءً وترميمًا وتحصينًا، وجعلوا جثامينهم تدفن في المقبرة الملكية القائمة تحت أرضية القصر الملكي القديم⁽²⁾. واستمرت المدينة بالازدهار حتى تاريخ احتلالها وتدميرها على يد الميديين نحو العام 614 ق.م، ومع سيطرة الفرثيون عليها منتصف القرن الثاني قبل الميلاد تحولت إلى مركز لأحد الحكام المحليين وأنشأ فيها عدة معابد، وقصر تم تتبع بقاياها في الجزء الجنوبي من المدينة⁽³⁾. ثم نهبها الإمبراطور الروماني تراجان نحو العام 116 ق.م. وأحرقها سبتيموس سيفيريوس نحو العام 198م. ودمرها بالكامل الملك الساساني شابور الأول في العام 257م⁽⁴⁾.

2 - التنقيب الأثري في المدينة:

كانت أولى عمليات التنقيب الأثري في الموقع في أربعينيات القرن التاسع عشر على يد الإنكليزي لايارد الذي كان قد نقب في كلخو ونيوى، وكان قد توقف في موقع مدينة آشور لفترات وجيزة في الأعوام 1847 و 1850-1851، لكنه بكل تأكيد لم يكن يدرك حقيقة الموقع على الرغم من أنه لفت انتباهه وانتباه غيره من المنقبين لكنه لم يكن بمستوى المواقع الأخرى في كلخو ونيوى، كما أن مدينة آشور لم تكن واحدة من المدن المعروفة والمألوفة منذ زمن طويل، من خلال العهد القديم، كما هو حال مدن بابل ونيبور ونيوى⁽⁵⁾.

وبعد لايارد نفذ الفرنسي بلاس عدة أسبار في الموقع بحثاً عن آثار قديمة لصالح متحف اللوفر. وفي العام 1852 ظهر العراقي هرمزد رسام بتكليف من المتحف البريطاني، ليحصل بعدها خلاف على الموقع بين الإنكليز والفرنسيين، انتهى بالاتفاق على تقاسمه، القسم الغربي للإنكليز، والشرقي للفرنسيين⁽⁶⁾. تمكن رسام من الحصول على بعض الأشياء الهامة في الموقع ومنها نصب تذكاري للملك شلمنصر الأول وبعض المواشير لتجلات بليصر الأول⁽⁷⁾.

1)-Novak.Mirko,From Ashur to Nineveh :The Assyrian Town-planning Programme ,Iraq,vol.66,2004,.178 .

2)- Bienkowski.P and Millard.A,op.cit,p.36 .

3)- Harper.P,and others,op.cit,p.18 .

4) -مرعي، رحلة، مرجع سابق، ص 99 .

5) - Harper.P,and Others,op.cit,p.17 .

6) -مرعي، رحلة، المرجع السابق، ص 99.

7)-Harper.P,and Others,op.cit,p.17 .

بقي الموقع على حالة إلى أن بدأت جمعية الشرق الألمانية Deutsche Orient-Gesellschaft حفريات ضخمة ما بين الفترة 1903-1914، كانت أولاً بقيادة روبرت كولدوي (R.Koldewey) ثم بقيادة فالتر أندريه (Walter Andrae) ⁽¹⁾ الذي نفذ أكبر عملية تنقيب في المدينة تمكن على إثرها من الكشف عن مخططها العام باتباعه أسلوب البحث المنهجي المنظم واهتمامه بإظهار المخططات البنائية للأبنية بدلاً من الاكتفاء باللقى، فتمكن من الوصول إلى الطبقات الاستيطانية بمختلف مراحلها وكشف عن بقايا أبنيتها ⁽²⁾ لاسيما القصر الملكي القديم ومعابد عشتار وآشور وسن وشماش وأنو-أدد، والزقورات الملحقة بالمعابد، والعديد من تحصينات المدينة وبواباتها، وحصل خلال ذلك على تفاصيل عمرانية ومخططات غاية في الأهمية، إضافة لحصوله على كميات كبيرة من الألواح المسمارية، والآجر المنقوش، وصناديق التأسيس، والعديد من اللقى... الخ. كل ذلك أسهم في تقديم صورة واضحة عن تاريخ المدينة وتطوراتها العمرانية والفنية.

بالوصول إلى العام 1914 تكون تنقيبات أندريه قد وصلت إلى نهايتها مع اندلاع الحرب العالمية الأولى (1914-1918)، ليترك الموقع بعدها عدة سنوات تعرضت خلالها مخططات الأرضية وأجزاء من بقايا الأبنية لعملية تعرية شديدة ⁽³⁾.

في العام 1978 بدأ برنامج عراقي للتنقيب وإعادة بناء وترميم بعض الأبنية في المدينة، فتم تركيز العمل على أجزاء من أسوار المدينة وبواباتها، ومعبد وزقورة الإله آشور إضافة لأبنية أخرى بغية تحويلها لمراكز سياحية. ثم في العام 1989 عادت بعثة ألمانية جديدة للعمل في الموقع بقيادة Barthel Hrouda، لكن الأحداث السياسية أوصلت العمل إلى نهايته عام 1990 ⁽⁴⁾.

3 - التجديدات العمرانية في مدينة آشور:

لابد من القول قبل الشروع في عرض الإنجازات العمرانية التجديدية التي اضطلع بها ملوك العصر الآشوري الحديث، أن النصوص الملكية هي المصدر الأساسي للتعرف على هذه التجديدات، فكما أن الأبنية الجديدة والعواصم الجديدة نالت الاهتمام وأخذت حيزاً كبيراً في قائمة الإنجازات التي تم تدوينها في النصوص والحواليات الملكية، كذلك الأمر بالنسبة للأعمال التجديدية إذ من خلال هذا النص أو ذاك أتيح للباحثين فرصة معرفة النشاط العمراني الذي اضطلع به كل ملك من ملوك العصر الآشوري الحديث. ودعمت المادة الأثرية هذا الأمر بالقدر الذي توافرت فيه إذ أن تكرار العمليات التجديدية -نتيجة طبيعة مادة البناء الآجرية - جعلت من الصعب تتبع التجديدات العمرانية التي

(1)-مرعي، رحلة، مرجع سابق، ص 99 .

2)-Harper.P, and Others, op.cit, p.17 .

3)-Ibid, p.18.

4)-Ibid, p.20 .

طُرأت على البناء خلال فترة تزيد عن الثلاثة قرون، سيما وأن المدينة تم تدميرها وإحراقها على يد الميديين عام 614 ق.م ما أدى لزوال أغلب معالم الفترة الآشورية الحديثة.

فيما يلي سيتم عرض التجديدات العمرانية للملوك الآشوريين في مدينة آشور وفق التسلسل التاريخي لتعاقب الملوك.

أ - التجديدات العمرانية في الفترة ما بين (912-827 ق.م)، من فترة حكم أدد نيراري الثاني (912-891 ق.م) إلى نهاية حكم شلمنصر الثالث (858-827 ق.م).

تمكن المنقبون الألمان من العثور على العديد من النصوص الحولية العائدة لأدد نيراري الثاني أثناء تنقيباتهم في مدينة آشور⁽¹⁾، وبالاكتفاء على تلك الحوليات يمكن للمرء أن يطلع على مختلف نشاطات أدد نيراري الثاني العسكرية والسياسية والعمرانية، ففي العديد منها يسجل الملك افتخاره ببناء القصور في مختلف أنحاء بلاده، وفي تحقيق الازدهار الاقتصادي بعد أن صنع المحارث ووزعها على الفلاحين ما أدى لتكديس المحاصيل بكثرة: ((بنيت القصور في بلادي، صنعت المحارث لأرضي، كدست الحبوب أكثر من أي وقت مضى...)).

أما في مدينة آشور فقد نفذ أدد نيراري نشاط عمراني واسع، فقام بإعادة بناء معبد الإلهة جولا Gula، وكان هذا المعبد قد أسس في السابق من قبل الملك توكولتي نينورتا الأول (1244-1208 ق.م) وبعد أن تحول إلى خراب عزم أدد نيراري الثاني على ترميمه وإعادة بناءه من جديد وتقدم حولياته بيان ذلك: ((عندما تحول معبد الإلهة جولا Gula⁽²⁾ سيدتي، الذي بناه سابقاً توكولتي نينورتا،...، عندما تحول إلى خراب، أنا أزلت خرابه، وصلت إلى منصبه الأساسية، أنا جعلت ذلك المعبد أكثر اتساعاً مما كان عليه سابقاً، وجعلته ضخماً. أكملت من الأساس وحتى القمة، ثم نصبت مسألة تخليداً لذكري...)). ثم يسجل أدد نيراري في نص آخر أمراً لخلفائه من بعده بضرورة ترميم هذا المعبد، ويعددهم باستجابة الآلهة لصلواتهم، كما يحذرهم من مغبة محو اسمه أو نقل مسئلة من مكانها⁽³⁾.

كما قام أدد نيراري الثاني بتجديد القصر الملكي القديم في المدينة بعد أن تداعت جدرانها القديمة: ((...قصري الملكي... الذي كان قد تحول إلى خراب، أعدت بناءه من الأساس وحتى القمة...)). ويفتخر أدد نيراري بإحضاره الأخشاب المتنوعة اللازمة للقصر، ونصبه التماثيل الحارسة على بواباته والشيء الممتع في القسم الآخر من هذا النص أنه يذكر لنا بعض من الترميمات السابقة

1 - Luckenbill.D.D, ARAB ,vol.1, ,p.109 .

(2)-الإلهة جولا يعني اسمها في اللغة السومرية(الكبيرة) ،عرفت في اللغة الأكادية كإلهة للشفاء، وكان الكلب شعاراً لها. انظر: -ادزارد ورولينغ، المرجع السابق، ص77-78.

3)-Luckenbill.D.D, ARAB ,vol.1,p.116 .

التي أدخلها أسلافه على القصر كالشرفة الواقعة في الجهة الشمالية من القصر التي أنشأها سابقاً آشور-نادين-آخي Ashur-nadin-ahe (1402-1393 ق.م)⁽¹⁾.

جدير بالذكر أن قصر مدينة آشور الملكي يعتبر من أقدم الأبنية في المدينة، فالمخطط الأول للقصر يعود للعصر الأكدي⁽²⁾، ثم حرص بعد ذلك الملوك الآشوريين بكل عهودهم على تجديد هذا البناء الذي اعتبر كما المدينة رمزاً للسلطة الآشورية، وما يدل على مكانته أن الملوك الآشوريين جعلوا أنفسهم يدفنوا تحت أرضيته.

نالت دفاعات المدينة وتحصيناتها حيزاً من اهتمام أدد نيراري الثاني العمراني فعمل على تجديد سور المدينة الذي كان قد بناه في الماضي الملك كيكيّا Kikkia نحو 2300 ق.م، ثم وُسع ورمم مرات متعددة في العصور اللاحقة⁽³⁾، وبخصوص ذلك يقول أدد نيراري الثاني: ((سور مدينتي آشور، العظيم، الذي يدور حولها، أنا بنيته من جديد ورفعته كتلة مرتفعة حول الأرض المحيطة)). كما عمل أدد نيراري على تجديد بوابات المدينة ومنها بوابة عمال المعدن فأزال درفات البوابة القديمة واستبدلها بدرفات جديدة زينها بالشرائط النحاسية، وهنا قد يلاحظ المطلع أن عملية تزيين البوابات بالشرائط المعدنية لاقت اهتماماً ملكياً منذ ذلك الوقت وبلغ ذروته في عهد كل من آشور ناصر بال الثاني وخليفته شلمنصر الثالث⁽⁴⁾.

من أجل زيادة التحصين والحماية أعاد أدد نيراري ترميم الخندق المائي الذي يحيط بالمدينة : ((الخندق المائي في مدينتي آشور، الذي أصبح خراباً... أنا حفرت من بوابة عمال المعدن حتى بوابة دجلة...))⁽⁵⁾ وهنا يحدد أدد نيراري حدود الخندق الذي أعاد بناءه في المنطقة الممتدة من بوابة عمال المعدن إلى بوابة دجلة. وكان هذا الخندق قد أقامه أول مرة الملك توكولتي نينورتا الأول (1244-1208 ق.م) عندما أعاد مركز الحكم مجدداً إلى مدينة آشور بعدما نقله سلفه شلمنصر الأول (1272-1243 ق.م) إلى مدينة كلخو (نمرود)⁽⁶⁾.

ومن خلال نص عثر عليه منقوش على كسر للوحين طينيين اكتشفا في مدينة آشور يعلم المرء أن أدد نيراري الثاني قام بإعادة بناء رصيف السور (جدار تخين من الحجر الكلسي والآجر لحماية المدينة من خطر الفيضان) عند البوابة المؤدية إلى نهر دجلة وهذا بيان الأمر: ((في ذلك الوقت

1 - Luckenbill.D.D,vol.1,ibid,p.123 .

(2) - مرعي، عيد وآخرون، آثار الوطن العربي القديم، ص 168 .

3 - المرجع نفسه، ص 98 .

4 - Luckenbill.D.D,ARAB,vol.1,op.cit,p.123 .

5 - Ibid,p.123 .

(6) - مرعي، رحلة، ص 99 .

واجهه (رصيف السور) عند المدخل المؤدي للمدينة...،(هذا الرصيف) كان قد تحول إلى خراب وسقط، أنا جددت أجزائه المخربة... وضعت نقش لإحياء ذكرى (و) أودعته داخله (الرصيف) ((⁽¹⁾). ولعل هذا الرصيف هو ذاته الذي أقامه أدد نيراري الأول نحو العام 1300 ق.م في الجهة الشرقية من المدينة والمطلّة على نهر دجلة⁽²⁾.

- توكولتي نينورتا الثاني (891-884 ق.م):

لم يشذ هذا الملك عن سابقه في تركيز اهتمامه على العاصمة آشور، مع أنه قضى بعض أوقاته في مدينة نينوى وكانت له نشاطات عمرانية فيها. أما في مدينة آشور فقد عمل على ترميم القصر الملكي فأعاد بناء شرفته الكبيرة التي كان قد أعاد بناءها من قبله أدد نيراري الثاني، ويبدو أن الشرفة كانت قد تداعت حتى أوجبت إعادة بناءها من جديد ما يجعل المرء يستنتج سرعة تداعي هذه الأبنية كون أن مادة بناءها الأساسية من الآجر القابل للتلف والتحلل بسرعة. وقد تم التأكد من قيام توكولتي نينورتا بعملية التجديد هذه من خلال العثور على نص منقوش قدم وصف تفصيلي لمراحل العمل، وكالمعتاد تم إزالة الخرائب القديمة ومن ثم أعيد بناء الشرفة من الأساس لكن بشكل أوسع مما كانت عليه سابقاً، وبزينة أكثر غنى من السابق، وأخيراً تم إيداع نقش باسم الملك في الأساسات كنوع من تخليد الذكر، وكإجراء طقسي اعتاد عليه ملوك آشور. يقول النص: ((في ذلك الوقت جدار الشرفة الكبيرة في قصري الملكي الذي بناه أسلافي الملوك في وقت سابق، (حينما) أصبح مخرباً... و[أنا توكولتي نينورتا]....، خططت (منطقته) وحفرت إلى أسفل الأساسات. [وضعت الطبقة السفلى من أساساته، جعلته أعرض... أعدت بناءه من الأعلى وحتى الأسفل و] أكملته))⁽³⁾.

كان لمعابد المدينة حظ من المشاريع البنائية التي نفذها توكولتي نينورتا الثاني فيطالعنا نص فيه تشوه كبير نُقش على كسرة من لوح طيني بما يفيد أن الملك أعاد بناء باب حرم معبد الإله آشور⁽⁴⁾ القائم في الزاوية الشمالية الشرقية المرتفعة من المدينة، وبالمناسبة يعتبر هذا المعبد من أقدم الأبنية في المدينة، إذ بني في الألف الثالث قبل الميلاد ثم جدد بناءه في عهد شمشي أدد الأول (1815-1782 ق.م)، ثم استمرت عمليات تجديده وإعادة بناءه في العصور اللاحقة⁽⁵⁾. وهناك إشارة يمكن اعتبارها دليلاً على قيام توكولتي نينورتا الثاني بإعادة بناء المعبد المزدوج لأنو (إله السماء) - أدد (إله العاصفة)، حيث عثر في هذا المعبد على ثلاثة قطع كبيرة من الآجر الملون المنقوش باسم توكولتي

1)- Grayson.A, Assyrian Rulers...(1114-859B.C), vol.1, pp.142-144 .

(2)- مرعي، عيد وآخرون، آثار الوطن العربي القديم، ص 169 .

3)- Grayson .A, Assyrian Rulers...(1114-859B.C), vol.1, pp.167-168 .

4)- Ibid, p.180 .

(5)- مرعي، عيد وآخرون، آثار الوطن العربي القديم، ص 168 .

نينورتا الثاني ويمكن اعتبارها بمثابة بلاطات رصف عثر عليها فوق الطبقة العائدة للملك شلمنصر الثالث ما يدل على إعادة استخدامها في زمن هذا الملك (1).

أما أقدم تاريخ معروف لهذا المعبد فيعود إلى العصر الآشوري الوسيط وتحديداً إلى عهد الملك آشور -ريش-إيشي (1133-1116 ق.م) الذي كرسه لعبادة كل من إله السماء آنو، وإله العواصف والأمطار أدد، وتم توثيق ذلك من خلال نص نُقش على قطع من الآجر عثر عليها في مدينة آشور (2) ويحتمل أن تكون زقورتى المعبد الصغيرتان المؤلفة كل واحدة منها من ثلاثة طبقات (3) قد أُقيمتا في زمن هذا الملك.

كما قام توكولتي نينورتا الثاني بتجديد سور المدينة وأودع نص تأسيس يخلد عمله، واستدل على ذلك من خلال نص نُقش على كسرة من لوح طيني، يؤرخ في السنة الأولى من حكم توكولتي نينورتا الثاني (4).

وكان لتوكولتي نينورتا نشاطاً بنائياً خارج بلاد آشور المركزية كما في مدينة كخت ومدينة ترقا Terqa (5) وغيرها من المناطق (6).

- آشور ناصر بال الثاني (884-859 ق.م):

هذا الملك وإن ارتبط اسمه بالمشروع العمراني العظيم في مدينة كلخو، فقد كان له نشاطات عمرانية أخرى جديرة بالذكر والاهتمام سيما في المدن الآشورية الرئيسية (آشور، نينوى...الخ) وفي المناطق الأخرى ذات الأهمية الإستراتيجية كما في مدينة توشان (حالياً كورخ على بعد 30 كم جنوب ديار بكر) التي أعاد بناءها من جديد (7)، وفي قلعتا كار آشور ناصر بال، ونيبارتي آشور على ضفتي الفرات (8) وغيرها من المناطق التي كانت تستوجب البناء فيها بغرض تثبيت السيادة الآشورية وتدعيمها.

1 - Grayson.A, Assyrian Rulers...(1114-859B.C),vol.1,p.184 .

(2)- حنون، نائل، المدافن والمعابد في حضارة بلاد الرافدين القديمة -المعابد وزقوراتها ، ص 40.

(3)- مرعي، رحلة، ص 100 .

4)-Grayson.A, Assyrian Rulers...(1114-859B.C),vol.1,pp.166-167 .

(5)- ترقا:مدينة قديمة يعرف موقعها الحالي باسم تل العشارة Tell Ashara في سورية ،تقع على نهر الفرات ،على بعد 67كم من موقع مدينة ماري الشهيرة انظر : -

-Nardo,Don,Ancient Mesopotamia,Greenhaven press,USA,2007,p.288.

6 - Grayson.A, Assyrian Rulers...(1114-859B.C),vol.1,p.163.

(7)-مرعي، عبدالله، مرجع سابق، ص 323 .

8 - Grayson.A, Assyrian Rulers...(1114-859B.C),vol,p.216 .

يدرك المطلع على حوليات هذا الملك ونقوشه مدى ما وفرت الحملات العسكرية من ثروات طائلة ومواد أولية ويد عاملة أتاحت له فرصة دعم برنامجه العمراني الطموح.

كانت العاصمة القديمة آشور من جملة هذا البرنامج، فعمل على تجديد بعض معابد المدينة كما في المعبد المزدوج التكريس لسين وشماش إلهي القمر والشمس. يعود أقدم تأسيس لهذا المعبد إلى عهد الملك آشور - نيراري الأول (1494-1469 ق.م) منتصف الألف الثاني ق.م⁽¹⁾ ثم تتالت بعدها عمليات الترميم والتجديد في العهود اللاحقة حتى نصل إلى عهد ملكنا آشور ناصر بال الثاني الذي استدل على نشاطه في هذا المعبد من خلال نقش عثر عليه المنقبون الألمان في مدينة آشور يذكر صراحة قيامه بعملية التجديد، يقول النص: ((في ذلك الوقت معبد سن وشماش.... هذا المعبد قد تحول إلى خراب. أنا حددت منطقته، حفرت أساساته، أعدت بناءه من القمة إلى الأسفل، (و) أكملته...مسلة لذكري...))⁽²⁾.

إن صح هذا الكلام فإن آشور ناصر بال الثاني قد أعاد بناء المعبد من جديد، لكنه لم يذكر أنه بناه بمخطط مختلف عن مخططة السابق أو أي شيء من هذا القبيل. ويقدم نص نُقش على قطعة آجر من معبد الإله آشور في مدينة آشور دليلاً على قيام آشور ناصر بال الثاني بترميم هذا المعبد، وعلى الرغم من أن النقش مشوه لدرجة كبيرة إلا أنه أمكن قراءة بعضاً منه لاسيما الإشارة إلى الأبراج التي كانت تحمي بوابة (Kalkal) في المعبد، يقول النص: ((الخمسة أبراج من أبراج بوابة Kalkal إلى أبراج البوابات [التي كانت واحدة منها تستعمل عند دخول] الفناء الأمامي...))⁽³⁾.

من هذا النص المجتزأ يمكن القول أن المعبد كان محصن بعدة أبراج لاسيما عند البوابات.

ومن خلال أنية مصنوعة من الآجر قياسها (37×37سم)، ومنقوشة بنص يذكر قصر آشور ناصر بال الثاني، يمكن للمرء أن يفترض أن المقصود بهذا القصر هو قصر مدينة آشور الملكي، لكن بنفس الوقت من المحتمل أن يكون القصر الشمالي الغربي في كلخو هو المقصود. يقول النص: ((قصر آشور ناصر بال (الثاني)، ملك العالم...))⁽⁴⁾.

- شلمنصر الثالث:

ذكر في الفصل السابق أن شلمنصر الثالث عمل على اكمال مشاريع والده العمرانية في مدينة كلخو، وأنجز مشروع ضخم خاص به تمثل بترسانة كلخو العسكرية، وكذلك عمل على إعادة بناء

1 -) حنون، المدافن والمعابد في حضارة بلاد الرافدين القديمة، ص 39 .

2 -) Luckenbill.D.D, ARAB, vol.1, op.cit, pp.198-199 .

3)-Grayson.A, Assyrian Rulers...(1114-859B.C), vol.1, p.386 .

4)-Ibid, p.371 .

قصره المشهور ببواباته البرونزية في مدينة بلوات، إلا أن نشاطه العمراني لم يقتصر على ذلك فخص العاصمة الدينية آشور برعاية واهتمام بالغين فنفذ فيها مشاريع عمرانية ضخمة قد تفوق أحياناً مشاريعه العمرانية في كلخو، إذ قام بإعادة بناء وتوسعة أساسية لأسوار وبوابات المدينة، وقام بإصلاحات وترميمات للعديد من معابد المدينة (معبد الإله آشور وزقورته، معبد آنو أدد، معبد شارات نيفي (Sarratniphy)، (معبد عشتار) ⁽¹⁾. وفيما يلي تفصيل ذلك:

قام شلمنصر الثالث بتجديد الأسوار الداخلية والخارجية للمدينة وحصنها بالأبراج الدفاعية. وتعلمنا كتاباته التي خلّدت هذا الأمر بالعديد من المعلومات التاريخية الهامة ومنها أن العمل على أسوار المدينة استمر لفترة ليست بالقصيرة فهناك نصوص تؤرخ هذا العمل بالأعوام (839، 836، 834، 833 ق.م) ⁽²⁾، ونصوص أخرى تقدم معرفة تاريخية هامة على صعيد التأريخ العمراني لسور المدينة فتذكر قائمة بأسماء الحكام والملوك الآشوريين الذين جددوا السور من مثل بوزور آشور الثالث Puzur – Assur III (1468-1455 ق.م) وأدد نيراري الأول (1304-1273 ق.م) وتوكولتي نينورتا الأول (1242-1206 ق.م) وتجلات بليصر الأول (1114-1076 ق.م) كما تذكر النصوص أن أول من أنشأ السور هو الملك كيكيا Kikkia ⁽³⁾ وتذكر تفاصيل مهمة عن عملية بناء السور ومراحلها من حيث إزالة الخرائب القديمة ومن ثم حفر الأساسات وإعادة البناء بالكامل لا بل تذكر تفاصيل عن مواد البناء (الطين) والعناصر الممزوجة معها يقول شلمنصر: ((... مزجت الطين مع العسل، الزيت الجيد، راتينج (صمغ) الأرز، البيرة، (و)الخمرة...))، ويذكر وضع كنز في أساسات السور: ((...وضعت في أساساته فضة، ذهب،... عقيق أحمر، الصدف، العطور، كل أنواع الأشياء....، أودعت داخله نصب تخليد لذكري...)) ⁽⁴⁾

وزيادة في التفصيل فإنه يطلعنا على أسماء أسوار المدينة، ومن خلالها يعلم المرء أن مدينة آشور أحيطت بسورين داخلي وخارجي :

((...اسم السور الداخلي العظيم هو ((الذي بهاءه يغطي الأرض))، واسم السور الخارجي ((الطاغي على الجهات الأربع))،...)).

1)-Grayson.A.K, Assyrian Rulers of the Early first Millennium B.C ,II, (858-745B.C), University of Toronto press, Toronto, 1996, p.5 .

2)- Ibid, p.120 .

3)-بيتيناتو، مرجع سابق، ص 114 .

4)-Grayson.A, Assyrian Rulers... (858-745 B.C), vol2, pp.55-56 .

عمل على تزويد الأسوار ببوابات عدة منها بوابة عمال المعادن، بوابة آشور، بوابة شماش، بوابة تابيرا Tabira... الخ، ونصب على إحداها منحوتة خاصة له ⁽¹⁾ فيقول في أحد نصوصه: ((... بوابة تابيرا Tabira، مع الأبواب (و) الأسوار في مدينة آشور، أنا بنيتها من جديد)) ⁽²⁾.

بعد انتهاء شلمنصر من إعادة ترميم وبناء أسوار وبوابات المدينة، ورغبة منه في زيادة وتحسين المدينة وتعزيز دفاعاتها عمل على إحاطتها بخندق ضخم يُملى بالماء أوقات الخطر ⁽³⁾. أما النشاطات البنائية الأخرى فقد تركزت على معابد المدينة، فعمل على تجديد معبد الإله آشور، حيث أعاد بناء جدرانه المتداعية التي كانت قد تحولت إلى أنقاض وجدد فناءه الأمامي.

وقد أُستدل على ذلك من خلال نص كان جزءاً من نقش كُتب على مخروط طيني عُثر عليه في مدينة آشور، كان شلمنصر قد أمر بنقشه تخليداً لحملته التاسعة ضد بلاد بابل وتم تأريخه نحو العام 849 ق.م ⁽⁴⁾، نكتطف منه المقطعين التاليين: (([في ذلك الوقت]، معبد آشور، سيدي، أضحت جدرانه مخربه، أعدت بناءها... وأودعت داخلها نقشاً لذكراي...))

((أقمت واجهة للطريق الموكبي في الفناء الأمامي لمعبد آشور (سيدي) ⁽⁵⁾)).

قام شلمنصر الثالث بإعادة بناء الزقورة الواقعة إلى الغرب من معبد الإله آشور، والتي تعتبر أقدم زقورة في شمال بلاد الرافدين ⁽⁶⁾، يعود تاريخها إلى العصر الآشوري القديم، طرأت عليها عملية تجديد تجديد في عهد شمشي أدد الأول (1813-1781 ق.م)، فبلغت مساحتها (الأساسات) 60 متراً مربعاً ⁽⁷⁾، خصصت في البداية لعبادة الإله السومري إنليل، ثم خصصت لعبادة الإله آشور منذ القرن الثالث الثالث عشر ق.م ⁽⁸⁾.

أُعيد بناءها من جديد في عهد شلمنصر الثالث بعد أن اتخذ من ركام الزقورة القديمة أساساً لبناء الزقورة الجديدة التي زادت مساحتها عن سابقتها القديمة، ولا تزال ترتفع إلى اليوم إلى نحو عشرين متراً. أما آلية الصعود إليها فلم يتم تأكيده بشكل دقيق وقد وضع فالتر أندريه عدة فرضيات بهذا الشأن منها عن طريق جسر مأخوذ من بناء مجاور يعتقد أنه معبد الإله آشور، أو عن طريق درج عادي أو

1)- Luckenbill. D,D,ARAB,vol.1, p245.

2)- Grayson.A, Assyrian Rulers... (858-745 B.C),vol2, p.130.

3)- سفر، آشور، المرجع السابق، ص6.

4)- Grayson.A, Assyrian Rulers... (858-745 B.C),vol.2, pp.88-89

5)- Ibid, pp.133-134.

6) -حنون، المعابد وزقورتها، ص93-94.

7) -لويد، المرجع السابق، ص249.

8)- مرعي، عيد، رحلة، ص99.

عن طريق درج لولبي ملفف حول الزقورة⁽¹⁾. أيضاً عمل شلمنصر على تجديد المعبد المشترك للإلهين ((أنو - أد))، فصنع له باباً من خشب الأرز، عمل على كسوته بشرائط برونزية تتضمن مشاهد تصور المآثر الحربية للملك.⁽²⁾

تم الاستدلال على هذا العمل من خلال نقش على مخروط طيني، يؤرخ نحو العام 839 ق.م من عهد شلمنصر الثالث، عُثر عليه في موقع المعبد، نقش عليه نص يخلد هذا العمل:

((في ذلك الوقت، معبد الآلهة أنور (و) أد، سادتي، الذي كان قد بناه تجلات بليسر الأول (1117-1077 ق.م)، وأصبح مخرباً، (و) أنا أعدت بناءه بالكامل. أحضرت دعامات خشب الأرز (و) ركبته من سقفه))⁽³⁾.

يذكر شلمنصر في هذا النص أن سلفه تجلات بليسر الأول هو باني المعبد، لكن الحقيقة أنه رُممه فقط، أما الباني الحقيقي - كما ذكر سابقاً - فهو الملك آشور - يش - إيشي (1133-1116 ق.م).

من المميزات العمرانية المثيرة لهذا المعبد المزدوج لتكريس أنه احتوى على زقورتين صغيرتان، مؤلفة كل واحدة منهما من ثلاثة طبقات، تعودان بتاريخهما إلى العصر الآشوري الوسيط⁽⁴⁾، وهناك احتمال أن يكون شلمنصر الثالث قد أعاد ترميمها عندما جدد المعبد، مع أنه لم يتم التوصل لإشارة نصية أو أثرية واضحة حول ذلك.

أيضاً عمل شلمنصر الثالث على إعادة بناء معبد الإلهة شارات - نيفي Niphi - Sarrat. الذي نسب بناءه بحسب أحد نصوص شلمنصر الثالث إلى الملك توكولتي نينورتا الأول (1244-1208 ق.م). تم العثور على عدة نقوش تخلد تجديد شلمنصر الثالث لهذا المعبد من بينهما، نص نُقش على كتلة حجرية كبيرة في منطقة معبد عشتار في نينوى: ((... معبد شارات - نيفي، السيد العظيمة، سيدتي، الذي كان قد بناه سابقاً توكولتي نينورتا الأول. (هذا المعبد) أصبح مخرباً، وأنا أعدت بناءه من القمة وحتى الأسفل، أنا أودعت نقشاً على الحجر))⁽⁵⁾.

أما معبد الإلهة عشتار في آشور، فكان له هو الآخر نصيب من نشاط شلمنصر الثالث العمراني. يعود تأسيس هذا المعبد إلى الألف الثالث ق.م، وقد تم تجديده مرات عدة⁽⁶⁾، خلال العهود

1 - حنون، المعابد وزقوراتها، ص 99.

2 - سفر، المرجع السابق، ص 6

3 - Grayson, A., Assyrian Rulers... (858-745 B.C), vol.2, pp.115-116.

4 - مرعي، رحلة، ص 100.

5 - Grayson, A., Assyrian Rulers... (858-745 B.C), vol.2, pp.130-131.

6 - حنون، المعابد وزقوراتها، ص 37-38.

السابقة، إذ تمكن الآثاريين الألمان من الكشف عن ستة طبقات بنائية لهذا المعبد⁽¹⁾، إحداها نسبت إلى شلمنصر الثالث الذي أعاده بناءه من جديد، وأدخل بعض التعديلات على مخططة القديم كتغيير اتجاهات بعض المداخل وإغلاق أبواب وفتح أخرى⁽²⁾.

إن النشاطات العمرانية التي نفذها شلمنصر الثالث على المعابد المذكورة آنفاً لتدل وبأية حال من الأحوال على ورع ديني واحترام كبير للآلهة، ترجمه شلمنصر بإعادة بناء وترميم المعابد، ولعل هذا الأمر أيضاً، هو الذي دفعه إلى تجديد المقبرة الملكية في القصر القديم، حيث عمل على تجديدها من الأساس حتى جدرانها الخارجية، كيف لا وقد اعتبرت مدينة آشور، مقر الآباء والمكان الذي ينشدون في الراحة الأبدية لأرواحهم⁽³⁾.

أخيراً لابد من القول أن نشاطات شلمنصر العمرانية لم تقتصر على مدينة آشور، وإنما تعدتها إلى مدن ومناطق عديدة، كما في تل برسيب (تل أحمر) ونيوى - سيأتي الحديث عنها لاحقاً - وبلوات.... إلخ.

ب -التجديدات العمرانية في الفترة ما بين (824 - 722 ق.م)، من عهد شمشي أدد الخامس (824-810 ق.م) إلى عهد شلمنصر الخامس (727 - 722 ق.م):

تميزت الفترة الأخيرة من حياة شلمنصر الثالث، وكذلك الفترة التي أعقبت وفاته بغياب الاستقرار السياسي في بلاد آشور، فانعكس ذلك سلباً على النشاط العمراني لملوك تلك الفترة (824-722 ق.م)، الذين استنزفوا وقتاً طويلاً في القضاء على الثورات والتمردات، كما فعل شمشي أدد الخامس، وفي تنظيم وإعادة توسيع حدود الدولة الآشورية وبناء الإمبراطورية من جديد كما فعل تجلات بليصر الثالث.

لكن على الرغم من كل ذلك فقد كان لملوك هذه الفترة شيء من الأعمال العمرانية سواء في مدينة آشور أو في غيرها من المدن و المناطق الآشورية، فقد تم العثور على بعض النقوش الملكية التي ورد فيها ذكر لبعض الأعمال العمرانية لملوك هذه الفترة:

يشير شمشي أدد الخامس صراحة في أحد نصوصه إلى عمله على معابد بلاده إذ ادعى أن قلبه وعقله كان مشغولاً بالعمل على تلك المعابد تجديداً وترميماً، ومن بينها معبد الإله آشور: ((...)) الذي كرس قلبه وفكره للعمل في Ehursag Kur Karra (معبد آشور) (و معابد بلاده)⁽⁴⁾

1 - (لويد، المرجع السابق، ص249.

2 - (سفر، المرجع السابق، ص6.

3 - (بيتيانتو، المرجع السابق، ص126.

4 - Grayson, Assyrian Rulers... (858-745 B.C), vol.2, PP182-183.

كما قام شمشي أدد الخامس بتكريس بعض المسلات، المنقوشة باسمه لآلهة معابد آشور، وأنو - أدد، بدليل العثور عليها في تلك المعابد (1)

أما أدد نيراري الثالث (804-781 ق.م)، فكان أكثر نشاطاً من والده شمشي أدد الخامس، حيث نفذ مشاريع عمرانية عدة انتشرت في المدن الرئيسية، وقد ذكر سابقاً - في الفصل الأول - أعماله، التي نفذها في كلخو، وستتعرف على أعماله في مدينة نينوى - لاحقاً - أما في مدينة آشور فتركز عمله الأساسي على معبد الإله آشور، حيث عُثر في هذا المعبد على آجر منقوش باسمه، يذكر ترميم الملك لواجهة معبد آشور:

((قصر أدد نيراري الثالث، ملك العالم، ملك آشور،... إلى واجهة معبد آشور)) (2) في هذا النص تم الإشارة إلى قصر أدد نيراري الثالث، لكن من غير المعلوم في أي مدينة من المدن الآشورية يقع القصر الذي يذكره النص.

أما الفترة التي تلت عهد أدد نيراري الثالث فقد عادت بلاد آشور ودخلت بشكل خاص في مرحلة من الضعف وعدم الاستقرار، حيث تولى العرش ملوك ضعفاء لم يكونوا على مستوى المسؤولية وكانوا فاقد السلطة السياسية، وهم شلمنصر الرابع وآشور دان الثالث، وآشور نيراري الخامس، إذ لم يترك هؤلاء الملوك من النقوش إلا ماندر ولم يجرِ الحديث عن أي عمل عمراني لهم باستثناء آشور دان الثالث، الذي عثر له على جزء من نص منقوش على كسرة من مخروط طيني عثر عليه في مدينة آشور، يخلد عمله في تجديد الفناء الأمامي لمعبد الإله آشور: ((... آشور دان... الفناء الرئيسي في Ehurs agkar Karra... الفناء الرئيسي...)) (3).

لكن وإن غابت الأعمال العمرانية لهؤلاء الملوك إلا أنه برز في نفس الفترة شيء مميز من الناحية الفنية، تمثل بالرسوم الجدارية التي أبدعت في تل برسيب (تل أحمر)، عاصمته مملكة بيت عديني، التي تحولت إلى مقر رئيسي للقائد الشهير شمشي إيلو (780-752 ق.م) الذي كان يدير شؤون الدولة الآشورية نيابة عن الملك الآشوري - سيأتي تفصيل ذلك لاحقاً - أما تجلات بليصر الثالث (745-727 ق.م) الذي يعتبر مؤسساً للإمبراطورية الآشورية الحديثة، وهو الأمر الذي تطلب منه الانغماس في جحيم حملات متكررة استنزفت وقته، فإن أعماله ومشاريعه العمرانية كانت قليلة للغاية، منها قصره الذي بناه في كلخو، أما في مدينة آشور فاقترنت أعماله على بعض التجديدات

1)- Grayson, Assyrian Rulers... (858-745 B.C), vol.2, pp 189-191.

2)-Ibid, P.218.

3)-Ibid, P.245.

في معبدي الإله آشور، والإله أدد، لكن ما يجب قوله أنه يكفي تجلات بليصر الثالث فخرًا أنه هيا الأرضية المناسبة لخلفائه من بعده ليتفرغوا هم للنشاطات العمرانية والثقافية.

لذا يمكن القول أيضاً أن الفترة التي أعقبت عهده اصطبغت بصبغة حضارية، على ما فيها من أحداث سياسية وعسكرية.⁽¹⁾

ج -التجديدات العمرانية في عهد السلالة الشاروكينية (722-612 ق.م):

تعتبر هذه الفترة من أهم وأجلى صور الحضارة الآشورية، لما فيها من إنجازات عمرانية وثقافية، ففيها تم بناء عاصمة جديدة كلياً (دور شاروكين)، والتي سبق الحديث عنها وعن المنحوتات النافرة التي عادت وظهرت فيها. وفي هذه الفترة أيضاً تم إعادة بناء مدينة نينوى، أهم مدن الآشوريين وآخر عواصمهم على يد الملك سنحريب الذي تفوق على أبيه إنجازاً وإبداعاً في مجال الفن والعمران، واستمر خلفائه من بعده (أسرحدون، آشوربانيبال) على هذا المنوال، لا بل إن آشوربانيبال فاقهم جميعاً بإنجازاته الثقافية.

- شاروكين الثاني (722-705 ق.م)

كان شاروكين قد اتخذ من مدينة آشور عاصمة له بداية حكمه ثم انتقل منها إلى كلخو، إلا أن مدينة آشور قد حافظت على مكانتها في نفسه، فأسقط عنها الجباية ومنح أهلها حقوقاً واسعة، فأصبحوا لا يدعون إلى الخدمة العامة في الجيش الآشوري⁽²⁾، وبهذا الخصوص يذكر شاروكين الثاني أن الإله آشور غضب على سلفه (شلمنصر الخامس) لأنه حرم أهل آشور من إقطاعاتهم وامتيازاتهم، أما هو فقد أعاد لأهلها ما سلب منهم وأعاد بناء المدينة حسب ما يدعي:

((... حكمي وفر (آشور) الحرية بعد دفع الضرائب، أنا جددتها...))⁽³⁾

إن كلمة تجديد تشير إلى شاروكين قد رمم أبنية في المدينة، لكن مهما كان هذا الترميم كبيراً لا يمكن أن يصل لدرجته إعادة بناء المدينة كما فعل آشور ناصر بال الثاني في كلخو أو كما فعل سنحريب في نينوى ومهما يكن من أمر، تبقى هذه الإشارة دلالة على ما أبداه شاروكين من رعاية واهتمام كبيرين لهذه المدينة.

فمن نشاطاته العمرانية فيها والتي أثبتت نصياً قيامه بترميم الفناء الأمامي لمعبد الإله آشور، إذ يقول أحد نصوصه المنقوش على كسر من الأجر:

1)-Grayson.A.K, Assyrian; Tiglath. Pileser III to go Sharukkin II (744-705 B.C), C.A. H, second edition, vol.3, part2, Cambridge University Press, 2008, PP.83-85.

(2) -سفر، المرجع السابق، ص7.

3)- Luckenbill. D.D, ARAB, vol.2, P.71.

((إلى...، العظيم،...، سيده... شاروكين،... معبد آشور، سيده... في جميع، كامل المعبد،...، أحاط بكل...، على امتداد الأيام، استقرار عهده،... لأجل آشور، سيده، هو بنى (هذا المعبد)))⁽¹⁾.

يشير هذا النص إلى أن شاروكين أعاد بناء المعبد، لكن لا ندري على وجه الدقة فيما إذا كان عمله جزئياً كطريق المواكب في الفناء الأمامي⁽²⁾، أو كانت إعادة بناء جذرية.

جدير بالذكر أنه اكتشف في هذا المعبد، رسالة شاروكين الإلهية التي رفعها إلى الإله آشور بمناسبة انتصاره في حملته الثامنة على أورارتو، وقد عنون هذه الرسالة بـ ((إلى آشور أبو الآلهة))، تم تاريخها بنحو العام 714 ق.م، وهي تعتبر من الوثائق التاريخية والجغرافية الهامة.⁽³⁾

- سنحريب (704 - 681 ق.م):

استحق أن يكون ابناً لشاروكين الثاني، الذي كان سيفخر بإنجازات ابنه العسكرية ومشاريعه البنائية، إذ أن أعماله العمرانية ومشاريعه المتنوعة جعلته يسجل اسمه في قائمة الملوك الأكثر نشاطاً في هذا المجال، لاسيما عمله على إعادة بناء مدينة نينوى من جديد متخذاً منها مقراً لحكمه، أما في مدينة آشور فكان له فيها أعمال عمرانية واسعة، وفي مقدمتها معبد الإله آشور الذي خصه بعناية كبيرة، فعمل على إضافة فناء جديد للمعبد في جهته الجنوبية الشرقية محولاً شكله لما يشبه حرف (L)⁽⁴⁾، ورصف ساحات وغرف المعبد بقطع من الحجر الكلسي، المنقوش باسمه:

((سنحريب، ملك العالم،...، أرضيته فناء إشارا (معبد الإله آشور)، معبد الآلهة، أنا رصفته بالحجر الكلسي الأبيض))⁽⁵⁾.

وأعاد بناء بواباته، ومنحها أسماء مختلفة ذكرها في نصوصه، ومنها ((الباب المتعدد الألوان))، ((مدخل الزمر السماوية))، ((باب العرية السماوية))، ((باب الطريق السماوي لإنليل))⁽⁶⁾، وأحاط جوانب البوابات بمجموعة من تماثيل الحراسة المختلفة الأشكال والمصنوعة من البرونز: ((... في مدخل بناء Sahuru أربعة من (تماثيل) الرجل الثور (Kusarikka)، من البرونز الأحمر،... أربعة تماثيل برونزية للرجل السمكة Fish-MEN، وأربعة تماثيل برونزية Goat-Fish ... على

1)- Luckenbill. D.D.ABAB, Vol.2, P.112.

2)- Grayson.A, Assyrian; Tiglath. Pileser III to sargon II, ..., CAH,Vol.3, P.102.

3)- Luckenbill. D.D.Ancient Records..., Vol.2, P.73.

4)- Huxley. Margaret, the Gates and Guardinsin Sennachrib's addition to the Temple of Assur, Iraq, Vol.62, 2000, P.109.

5)- Luckenbill. D.D.ABAB, Vol.2, P.192.

6) -سفر، المرجع السابق، ص7.

اليمين واليسار من المدخل (نصبت تماثيل الكلاب المتوحشة Wild Dogs و(تمثال) الرجل العقرب Scorpion – Men ...))⁽¹⁾ كما عمل على إعادة بناء حرم المعبد من جديد، وغير اتجاه المدخل الرئيسي للمعبد من الجهة الجنوبية إلى الجهة الشرقية:

((حينما (وجدت أن) الباب يفتح إلى الجنوب، وبالحكمة التي أعطاني إياها الإله إيا...، اتخذت نصحاً لنفسى، لأفتح البوابة في Ehar SaggaKurra (إلى الشرق) (جهة ارتفاع الشمس) بدلاً من الجنوب.... فتحت باباً جديداً وأسميته ((البوابة الملكية))⁽²⁾.

- بيت أكيو (Bit-akkita) (معبد احتفال رأس السنة الجديدة):

كشفت التنقيبات الأثرية عن بقايا هذا المعبد خارج أسوار مدينة آشور في جهتها الشمالية الغربية، كما اكتشف أيضاً خمسة نقوش تعود بتاريخها لعهد سنحريب تحيي ذكرى إعادة بناء المعبد.⁽³⁾

يذكر في أحد نصوصه، أن البناء القديم قد تحول إلى خراب، لذا عمل على إزالة الأنقاض ومن ثم شيد بناءً جديداً، زينه بالمنحوتات والنقوش التي تصف انتصار الإله آشور على تيامات Tiamat⁽⁴⁾، يلاحظ في هذه الأسطورة، أنه تم استبدال الإله مردوك وجعل مكانه الإله آشور.

يخبرنا سنحريب بأنه استخدم الحجارة الكلسية لبناء الأساسات والمصطبة التي شُيد عليها البناء، ولم يفته أن يضع ضمنها كنزاً ثميناً من مختلف الجواهر والأحجار الكريمة، وأرفقه أيضاً بحفنة من تراب مدينة بابل التي جعلها قاعاً صفصفاً نحو العام 689 ق.م.

إن تاريخ تدمير بابل وإيداع حفنة من ترابها في أساسات بناء الأكيتو، قد يثبت أنه تم انجاز البناء في السنوات الأخيرة من عهد سنحريب.

يقدم سنحريب في النص التالي بياناً يلخص الأعمال التي نفذت على بناء أكيو:

((بنيت أساساته من حجارة الجبال الكلسية، رفعت قمته عالياً، من الأساس إلى القمة، بنيته كلياً من حجارة الجبل الكلسية... حفرت قناتي ري على جوانبه وأحطته بحديقة وفيرة... وضعت في داخل أساسات معبد احتفال رأس السنة: فضة، ذهب، حجارة رملية (عقيق أحمر)...) ⁽⁵⁾.

1)- Huxley. M, op.cit, PP.119-120.

2)- Luckenbill. D.D, ARAB, Vol.2, P.189.

3)- Ibid, p.184.

4)- Grayson.A.K, Assyria: Sennacherib and Esarhaddon (704 -669 B.C), C.A.H, Second Second edition, Vol.3, Part.2, P116.

5)- Luckenbill. D.D, ARAB, Vol.2, PP..185-186.

يقدم هذا النص معلومات عمرانية على درجة هامة جداً، إذ من خلاله يعلم المرء أن أساسات المعبد بنيت من الحجر الكلسي وهي صفة عامة تقريباً في كل الأبنية الآشورية، لكن الغريب ذكر سنحريب أنه بنى كامل المعبد من الحجارة الكلسية فهل حدث ذلك فعلاً؟

أيضاً يذكر أنه أقام حديقة غناء أحاطت بالمعبد، أمّن لها الماء عبر قناتي ري، وفيما لو أكملنا النص سنجد سنحريب يطلب من الأمير المستقبلي، عندما يُقدم على إعادة ترميم المعبد، ويجد مسئلة في الأساسات، أن يمسحها بالزيت ويعيدها إلى مكانها، عندها سيسمع الإله آشور لصلواته وإلا ستحل عليه اللعنات.⁽¹⁾

عمل سنحريب على إعادة بناء معبد الإلهين سن وشماش، بمخطط مختلف قليلاً عن مخططه الأولي الذي كان عليه منذ عهد الملك آشور نيراري الأول، لكن مع ذلك بقي للمعبد حرمان يتم الدخول إليهما من خلال فناء أمامي يؤدي بدوره إلى حجرتي انتظار يفضيان إلى الحرمين⁽²⁾، وبذلك لم يشذ المعبد عن المخطط الآشوري التقليدي. أما المعابد الأخرى في المدينة كمعبدي عشتار ونابو فلم يُعثر (سواء دليل نصي أو أثري) على ما يشير إلى أي نشاط بنائي نفذه سنحريب فيهما.

أما الأبنية المدنية والإدارية الأخرى، فقد عُثر على بعض الإشارات النصية التي دلت على قيام سنحريب ببناء قصر لابنه الأكبر آشور نادين شومي Ashur-nadin-Shumi، في الجهة الشرقية من المدينة:

((سنحريب، ملك العالم،...، هذا البيت لأجل آشور - نادين - شومي، ابني الأكبر، أنا بنيته، وكتل الحجارة الكلسية، حجار الجبل، انا أقمتها في أساساته...))⁽³⁾.

كما بنى سنحريب قصراً آخر لابنه الأصغر آشور - إلي - موباليط Ashur-ili-muballitus، ورمم القصر الملكي القديم والمقبرة الملكية⁽⁴⁾، وقد عُثر على أكثر من نقش في مدينة آشور يخلد ذكرى هذا العمل ومنها نقش على حجر كلسي يشير إلى ترميم أو إعادة بناء القصر الملكي في المدينة:

((سنحريب، ملك العالم، ملك آشور، صانع (الهيئات أو التماثيل) لآشور والآلهة العظيمة، أنا. Mushlal (؟) في القصر الذي في مدينة آشور، من كتل الحجر الكلسية، حجار الجبل، أبنية أساساته))

1)- Luckenbill. D.D, ARAB, Vol.2, p186.

2) -لويد، مرجع سابق، ص 251.

3)- Luckenbill. D.D, ARAB, Vol.2, P.192.

4)- Grayson.A, Assyria: Sennacherib and Esarhaddon (704 - 669 B.C), C.A.H, , Vol.3, P117.

وهناك نقش آخر على قطعة من الآجر تعود إلى المقبرة الملكية القائمة تحت أرضية القصر الملكي القديم، يذكر نص هذا النقش بأن القصر هو مقر الراحة الأخير للملوك:
((قصر الطمأنينة، المسكن السرمدي، البيت الثابت كالسماء والأرض، ينتمي إلى سنحريب، الملك العظيم...))⁽¹⁾.

وبذلك يتجلى مدى الاهتمام الذي أبداه سنحريب تجاه مدينة آشور، إلا أنه جدير بالتنويه أن أعمال سنحريب العمرانية توزعت في العديد من المدن والمناطق عدا آشور ونيوى فقد شيد معبداً للإله نيرجال Nergal في مدينة طرابزيو Tarbisu (شريف خان حالياً على ساحل دجلة الأيسر)، وشيد سوراً لمدينة كالزي Kalizi، وبنى قصراً في تل بيلّا Tell Billa⁽²⁾.

– أسرحدون:

إذا كان سنحريب قد خلد نفسه – في مجال الأعمال العمرانية – كباني مدينة نينوى التي جعلها من أعظم عواصم الشرق القديم فإن ابنه أسرحدون، ارتأى أن يخلّد ذكره كباني جديد لمدينة بابل المقدسة، التي كان قد دمرها والده دون رحمة، وكباني لمعابد بلاده، وذلك طبعاً بعد أن نال رضا الآلهة التي سمحت له القيام بالأعمال البنائية والتجديدية وإكمال العاصمة نينوى.

يجد المرء بيان ذلك في موشور للملك يقول فيه :

((أنا أسرحدون، ملك العالم، ملك آشور، المحارب القوي،...، الذي اختارته الآلهة العظيمة للملك، من أجل إعادة (صور) الآلهة العظيمة، ولاكمال بناء محاريبها في أنحاء العاصمة، باني معبد آشور، مجدد بناء إيوانجللا Esanila وبابل...))⁽³⁾.

وأما نشاطات أسرحدون البنائية في مدينة آشور فيتعرّف المرء عليها من خلال المنقبين الألمان الذين أخرجوا للضوء عدداً من مخططات الأبنية إضافة إلى عدد من الأنصاب واللقى سُجِّل عليها أعمال بنائية نفذها الملك في المدينة، لعل أهمها النص المنقوش على أحد المواشير الذي يدعي فيه أسرحدون أنه وسع مدينة آشور وجعلها أكبر مما كانت عليه سابقاً:

((جعلتها أضخم وأعظم، جعلتها شامخة،...، رسم الرصيف (الميناء)، ورسم دخول أرضي، أنا حررتهم من ذلك...))⁽⁴⁾.

1)– Luckenbill. D.D, ARAB, Vol.2, P.194.

2)– Grayson.A, Assyria: Sennacherib and Esarhaddon (704 –669 B.C), C.A.H, Vol.3, P117.

3)– Luckenbill. D.D, ARAB, Vol.2, P.203.

4)– Ibid, PP.271–272.

إن نص أسرحدون قد يُفهم منه للوهلة الأولى أنه أعاد بناء المدينة من جديد، لكن هذا الأمر قد يكون فيه شيء من المبالغة، إذ اقتصر عمل أسرحدون على إعادة بناء معبد الإله آشور وتجديد معبد بيت أكيتو، وترميم القصر الملكي القديم⁽¹⁾، أما حديثه عن الرسوم التي أبطلها فلعله يقصد اعفاء أهل مدينة آشور من الضرائب، أو أنه يقصد التجار الأجانب عندما يقول ((رسم دخول أرضي، أنا حررتهم من ذلك..))

أما عن إعادة بناء معبد الإله آشور، فقد ترك لنا أسرحدون مجموعة غنية من النقوش التي تقدم للباحث معارف تاريخية غاية في الأهمية، وأهمها أنه يعود بتاريخ تأسيس هذا المعبد إلى الملك أوشبيا (Uschia) وهو الملك السادس عشر من الملوك الذين عاشوا في الخيام، كما يذكر مجموعة من الملوك الذين تعاقبوا على ترميم المعبد ومنهم إريشوم (Erischu) ابن إلوشوما (Iluschuma)، شمشي أدد الأول، شلمنصر الأول، إلى أن يصل إلى عهده حيث كان المعبد قد أصبح قديماً ومخرباً لذا توجب عليه أن يُعيد بناءه من جديد⁽²⁾.

وقد قدم أسرحدون في نقوشه تفاصيل دقيقة حول عملية بناء المعبد التي بدأت بحمل الملك حجر الأساس الأول على ظهره، ومن ثم وضعه في أساس المعبد:

((لأجل حياتي، لأجل أيام طويلة، أنا حملت الآجرة الأولى على ظهري، وضعتها في أساس الجدار، بنيت آجره المشوي))⁽³⁾.

هذا الأمر يُذكر بحجر التأسيس الذي يضعه مسؤولي الحكومات المعاصرة، ولعل ذلك إشارة إلى بدء العمل أو أنه دليل مباركة العمل والإشراف الشخصي عليه، ولعل أسرحدون أراد أن يظهر تدينه وورعه تجاه سيده الإله آشور، طبعاً هذا التقليد لم يقتصر على أسرحدون وحسب وإنما نجده عند أغلب ملوك الرافدين، وحسبنا أن نذكر آشوربانيبال ابن وخليفة أسرحدون، الذي يظهر في نحت بارز وهو يحمل على رأسه سلة تحوي مواد بنائية.

بعد ذلك، يمضي أسرحدون في عرض خطوات البناء من حيث إعادة حفر الأساسات واستخدام الحجارة الكلسية في بنيتها، ومن ثم اكمال الجدران بقطع من الآجر، واستعمال خشب الأرز من أجل السقف. وبعد الانتهاء من عملية البناء تأتي مرحلة الاكساء والتزيين حيث استعملت صفائح الذهب

1)- Grayson.A, Assyria: Sennacherib and Esarhaddon (704 -669 B.C), C.A.H, Vol.3, P136.

2)- Luckenbill. D.D, ARAB, Vol.2, P.273.

3)- Ibid, P.276.

لتزيين الأبواب التي نصب على جوانبها، لاسيما مدخل الحرم، تماثيل الحيوانات المختلفة المصنوعة من المعدن والتي يذكرها أسرحدون بأنها مصنوعة من الذهب.

يلخص أسرحدون هذه التفاصيل في نقش له على لوح من الألباستر اكتشف في المدينة:

((... أنا هدمت ذلك المعبد، خرقتة حتى أساساته، بنيت أساسات جدرانها من كتل الحجر الكبيرة (جعلتها قوية) كبناء في جبل، أنا بنيته من أساساته وحتى القمة، أكملته، سقفته بدعائم (خشب) الأرز العظيمة... درفات الباب من السرو...، غطيتها بتغليف من الذهب وعلقتة على أبوابه، حرم آشور، سيدي، غشيت داخله بالذهب...، الحرم الداخلي لآشور، سيدي، أشكال من الذهب، كائنات الأعماق، نصبتها على اليمين واليسار، الجدران (غشيتها) بالذهب مثل الجص...)) (1).

اعتمد أسرحدون في تنفيذ أعماله تلك على حرفيين مهرة يُحدد أسمائهم من قبل الإله آشور:

((... في آشور، مدينة سلالتي، التي يسكنها أبو الآلهة آشور...، وخصص أسماء الحرفيين الذين يجب أن يتحملوا العمل...)) (2).

أما بقية العمال فكانوا من أسرى الحملات العسكرية: ((جمعت الناس معاً، من البلاد التي غزتها يدي، جعلتهم يحملون السلة...)) (3).

من الأبنية الدينية الأخرى التي طالتها يد أسرحدون ترميماً وعناية، معبد بيت أكيو، الخاص باحتفال رأس السنة الجديدة (4)، لكن النقوش والآثار المادية الخاصة بهذا العمل جدٌ نادرة.

كما عمل أسرحدون على ترميم القصر الملكي القديم، ويمكن للمرء أن يطلع على ذلك من خلال أكثر من نقش يؤرخ لهذا العمل، لاسيما النقش الذي يؤرخ إعادة بناء بوابة Mushlalu، نقش على كتلة من الحجر الكلسي، وجدت في مكانها الأصلي في موضع البوابة:

((قصر أسرحدون، الملك العظيم، الملك القوي...، بناء Mushlalu، التي توجد في قصر المدينة في آشور، للدخول والخروج، جعلتها تبنى من جديد، بنيت منصة التأسيس من الحجر الكلسي الأبيض)) (5).

1)- Luckenbill. D.D, ARAB, Vol.2, P.275.

2)-Ibid, P.260.

3)- Ibid, P.273.

4)- Grayson.A, Assyria: Sennacherib and Esarhaddon (704 -669 B.C), C.A.H, Vol.3, P136.

5)- Luckenbill. D.D, ARAB, Vol.2, P.278.

وأما نشاطات أسرحدون البنائية خارج مدينة آشور فهي جدّ متنوعة ومتعددة وتعكس نشاطاً في الجانب العمراني البنائي، لا يقل أهمية عن الجوانب السياسية والعسكرية.

يقف على رأسها قضية إعادة بناء مدينة بابل، فما إن آل العرش إليه حتى شرع بإعادة بناءها حيث بدأ العمل على معابد المدينة وفي مقدمتها معبد إيزانجيلا، وعلى بناء أسورها.

أما في مدينة كلخو عمل أسرحدون على تجديد وتوسع ترسانتها العسكرية (حصن شلمنصر) ورمم معبد الإله نابو، وبدأ ببناء قصره الجنوبي الغربي الذي لم يتسن له اكماله.

أيضاً عمل أسرحدون إعادة بناء معابد أنو Anu وعشتار في مدينة أوروك، وجدد معابد إنليل وإنانا في نيبور، ومعابد نابو وجولا Gula في بوريبيبا، أما قصر مدينة طرابزيو (شريف خان حالياً) فلم يكن واضحاً فيما إذا كان مسكناً لابنه آشور بانبيال عندما كان ولياً في العهد⁽¹⁾. أما مدينة نينوى فقد خصّها بالعديد من الأعمال العمرانية سيأتي ذكرها لاحقاً.

- آشوربانبيال (668-627 ق.م):

لم يختلف آشور بانبيال عن أسلافه في إيلاء الناحية العمرانية اهتماماً كبيراً، إذ قام بنشاط عمراني واسع في مختلف أنحاء البلاد الخاضعة لسلطة الإله آشور ولاسيما مدن بابل العريقة⁽²⁾، وكباقي أسلافه أعطى آشور بانبيال معابد الآلهة اهتماماً كبيراً، وقد أدرك كغيره أنه يجب إرضاء الآلهة والتقرب إليها وعدم إهمال بيوتها الدينية، لذا نجد آشور بانبيال يفتخر في نصوصه بأنه مُجدد معابد الآلهة ومحاريبها المقدسة التي زينها بالذهب والفضة، والتي نصب على أبوابها المخلوقات الحارسة في معبد (إيشارا) معبد الإله آشور، ومعبد إيماشماش (Emashmash) (الآلهة ننليل)⁽³⁾.

يجد المرء بيان ذلك في نقش الأسطوانة (B) : ((حرم الآلهة العظيمة، سادتي (رمتها). زيتنها بالذهب والفضة، نصبت على بواباتها أشكال.... والأعمدة القوية. إيشارا ((Esharra)، إيماشماش، معبد السيدة في البلاد،...، (جعلته أكثر جمالاً) ...))⁽⁴⁾.

إن المقصود بمعبد إيشارا الوارد في النص هو معبد الإله آشور، ومع أن النص لا يحدد صراحة المدينة المعنية بذلك، إلا أنه يعتقد أن مدينة آشور هي المعنية، ونحن نعلم أن عملية إعادة بناء معبد

1) -Grayson.A, Assyria: Sennacherib and Esarhaddon (704 -669 B.C), C.A.H, Vol.3, PP. 136 -137.

2) - Luckenbill. D.D, ARAB, Vol.2, P.385.

3) - نينليل: إلهة سومرية اسمها (سيدة النسيم) وهي قرينة الإله إنليل، وتأخذ شكلاً من أشكال آلهات الأمومة، توصف

بالإلهة الرحيمة. مع نهوض الدولة الآشورية وبروز دور الإله آشور أخذت مقعدها إلى جانبه ربما كزوجة

له. انظر: -ادوارد و رولينغ، المرجع السابق، ص 172-173.

4) -Luckenbill. D.D, ARAB, Vol.2, P.324.

الإله آشور قد بدأت في عهد والده أسرحدون ويبدو أن آشور بانيبال أكمل ما بدأه والده، وقام أيضاً بإدخال بعض الترميمات على أسوار المدينة⁽¹⁾.

هذه الأعمال تكاد لا تذكر إذا ما قورنت بالنشاطات البنائية الأخرى التي نفذها آشور بانيبال في المدن والمناطق الأخرى من الإمبراطورية الآشورية، كما هو الأمر في نينوى العاصمة الملكية – سيأتي الحديث عنها لاحقاً – ومدينة كلخو التي جدد فيها معبد الإله نابو، وقام ببعض الترميمات على القصر الشمالي الغربي.

أما في بلاد بابل فكان لآشور بانيبال أنشطة عمرانية متنوعة يعتقد أنها اكتمال للبرنامج العمراني الذي كان قد بدأه والده أسرحدون.

كان معبد إيزنجيلا في مدينة بابل قد اكتمل بناءه في وقت سابق، لذا أعاد آشور بانيبال بناء معبد عشتار، ومعبد نينماخ Ninmakh⁽²⁾ ومعبد جولا Gula، وعمل أيضاً على ترميم أسوار المدينة. أما في المدن البابلية الأخرى فقد عمل على ترميم معبد شماش في مدينة سيبار (Sippar)، ورمم معبد إيزيدا (معبد نابو) في بورسيبا، ومعبد نيرجال⁽³⁾ في كوثا (Cutha)، ومعبد إنليل (Enlil) في نيبور (Nippur)، وزقورة ومعبد عشتار في أوروك (Uruk)، ومعبد أنو في منطقة دير على الحدود العيلامية البابلية⁽⁴⁾.

وفي مدينة حران⁽⁵⁾ مركز عبادة الإله سن، عمل آشور بانيبال على إعادة بناء معبد ذلك الإله بشكل أوسع مما كان عليه سابقاً⁽⁶⁾.

1)-Grayson.A, Assyria: Sennacherib and Esarhaddon (704 -669 B.C), C.A.H, Vol.3, P157.

2) - نينماخ: يعني هذا الاسم في اللغة السومرية ((كُبرى السيدات))، وتعرف أيضاً باسم ((دينجر-ماخ)) أي ((كُبرى الإلهات))، كان معبدها في بابل يسمى ((إيماخ))، تعتبر خالقة للبشر وتحتفي خلف الإلهة (نامو) في إسطورة (إنكي ونينماخ). انظر - ادزارد ورولينغ، المرجع السابق، ص71.

3) - نرجال: هو من آلهة العالم السفلي وزوج الإلهة ((إريشكيغال))، تذكره الروايات السومرية كإله للطب والعالم السفلي، وتعتبر مدينة كوثا مركز عبادته الرئيس. -انظر: ادزارد و رولينغ، المرجع نفسه، ص167.

4)- Grayson.A, Assyria: Sennacherib and Esarhaddon (704 -669 B.C), C.A.H, Vol.3, PP.156-157.

5) - حران: احتفظت باسمها القديم إلى اليوم، تقع قرب منبع نهر البليخ في تركيا. انظر: مرعي، عيد، حران في تاريخ الشرق القديم، مجلة دراسات تاريخية، العددان (107، 108)، 2009، ص3.

6)- Grayson.A, Assyria: Sennacherib and Esarhaddon (704 -669 B.C), C.A.H, Vol.3, PP.157-158.

إن الأعمال العمرانية المنفذة من قبل آشور بانيبال جعلته رجلاً معمارياً إلى جانب كونه سياسياً وعسكرياً محنكاً، ورجلاً شغوفاً بالعلوم وجامعاً لها.

- سن - شار - إشكون (Sin- shar – ishkun) (623 - 612 ق.م):

إن المرحلة الحرجة التي كانت تمر فيها الإمبراطورية الآشورية، وهي تصارع خلجات الموت الأخيرة، لم تترك لهذا الملك فرصة الانصراف للنشاطات العمرانية، ولم يسجل له إلا عمل وحيد في مدينة آشور، تمثل بإعادة بناء معبد الإله نابو، وتم تخليد هذا الحدث في أكثر من نقش على قطع آجر وإسطوانات ومواشير، فيقول في أحدها:

((في بداية عهدي، وبموافقة الآلهة، حثي قلبي لإعادة بناء معبد نابو الذي في مدينة آشور،... وضعت منصة الأساس، نثرت خمر السمسم، وخمر العنب على أساسات جدرانها. صنعت آجره، أنجزت العمل فيه،... بنيته من أساساته وحتى القمة، أكملته بالكامل))⁽¹⁾.

إن الخمرة التي يذكر سن شار إشكون أنه نثرها على أساسات المعبد هي جزء من الطقوس التي ترافق عمليات البناء المختلفة، ويقصد منها الحصول على بركة الآلهة وتوفيقها للملك، وكذلك هي نوع من المفاخرة الملكية، وقد اعتاد ملوك آشور، وملوك الرافدين عامة على إجراء مثل هذه الطقوس الموغلة في القدم.

كانت تنقيبات الألمانى فالتر أندريه قد كشفت النقاب عن حرم ثالث في موقع معبد نابو، ما دفع أندريه للاعتقاد أن المعبد أقيم على أنقاض معبد عشتار القديم، كما تبين فيما بعد أن معبد نابو أقيم بشكل مجاور لمعبد عشتار وعندما أعاد سن شار إشكون بناء المعبد، فإن جزء من معبد نابو قد امتد على قسم من معبد عشتار.

وكان بوستغيت قد أجرى مقارنة بين معبد نابو في مدينة آشور ومعابد نابو في كل من كلخو ودور شاروكين، وتبين أنها متشابهة في المخطط العام، إلا أن معبد نابو في مدينة آشور كان أصغرها حجماً.⁽²⁾

مع نهاية عصر سن شار إشكون تكون الإمبراطورية الآشورية قد انتهت وزالت من على الساحة السياسية للشرق القديم، وزالت معها مدنها العظيمة، إذ نالها ما نالها من حرق وتدمير، ولم تكن المدينة المقدسة آشور بأفضل حالاً من بقية المدن، ولعل هذا هو السر وراء غياب المخططات الكاملة للأبنية الآشورية، وما يتم تتبعه منها لا يتعدى أساساتها.

1)- Luckenbill. D.D, ARAB, Vol.2, PP.413-414.

2)-Postgate.N, op.cit, PP.55-56.

ثانياً - مدينة نينوى:

1 - الخلفية الجغرافية والتاريخية:

تعتبر نينوى واحدة من أعرق مراكز الحضارة في العالم القديم، تحتل المرتبة الثانية بعد العاصمة الدينية آشور⁽¹⁾، تقع على الضفة الشرقية لنهر دجلة مقابل مدينة الموصل الحديثة⁽²⁾ يشغل موقعها الحالي نطاق كبير من التلال المنخفضة يحيط به سور مقطوع في الجانب الغربي بواسطة تلتين⁽³⁾ شكلتا شاهداً على تاريخ نينوى العريق: الأولى تلة قوينجيق الواقعة في الجزء الشمالي من المدينة قامت عليها أهم القصور والمعابد، الثانية تلة النبي يونس في الجزء الجنوبي من المدينة أقيمت عليها الترسانة العسكرية التي لم تنقب بشكل فعلي نتيجة انتشار السكن الحديث فوقها⁽⁴⁾ (الشكل 26) يعود تاريخ استيطان الموقع إلى الألف السابع قبل الميلاد حيث كشفت التنقيبات عن نماذج من فخار حسونة وسامراء وتل حلف، واستخدم سكان الموقع في الألف الرابع قبل الميلاد مناجل طينية من النموذج الذي عرف في حضارة العبيد، مما يدل على قيام اتصالات مع الجنوب الرافدي. عرف سكانها نوعاً من الفخار غير الملون نحو 2900 ق.م يُعرف باسم ((فخار نينوى الخامسة))⁽⁵⁾

ورد ذكر نينوى في الكتابات المسمارية من عصر سلالة أور الثالثة (2111-2003 ق.م)⁽⁶⁾ وفي الأطلس الجغرافي من أبو صلابيخ⁽⁷⁾.

1)-Madhloum,Tariq,Excavations at Nineveh,A preliminary Report(1965-1967), Sumer, vol.23, part.1,1967,p.76 .

2)-Bienkowski.P and Millard.A,op.cit,p.213.

3)- Smith,George,Assyrian Discoveries,an account of Explorations and Discoveris on the site of Nineveh during 1873-1874 ,New York ,1875,p.87 .

(4)Novak,Mirko,From Ashur to Nineveh :The Assyrian Town-planning Prodramme , Iraq,vol:66,2004,p.182 .

5 -)مرعي،رحلة، ص 281.

(6) - مظلوم، طارق، نينوى، مديرية الآثار العامة، بغداد، 1971، ص 11.

7 -)أبو صلابيخ تل في الجنوب البابلي على بعد 145 كم جنوب غرب مدينة بغداد. انظر: بيتيناتو، المرجع السابق، ص 126.

وفي نصوص إبلا⁽¹⁾ على شكل (ni-nuki)⁽²⁾ وفي النصوص الآشورية القديمة (القرنين 19-18 ق.م) المكتشفة في الأناضول في موقع كول تبه (كاروم كانيش)⁽³⁾.

بدأ اهتمام الآشوريين بالموقع منذ عهد شلمنصر الأول (1272-1243 ق.م) الذي حوله إلى مدينة هامة، بلغت تطوراً كبيراً في عهد تجلات بيليسر الأول (1115-1077 ق.م)، لتتحول في عهد آشور ناصر بال الثاني إلى عاصمة للإمبراطورية الآشورية قبل إعادة بناء مدينة كلخو⁽⁴⁾، بلغت المدينة أوج رقيها وازدهارها في عهد الملك سنحريب الذي اتخذ منها عاصمة لحكمه، فأعاد بناءها ووسع مخططها وأنشأ فيها القصور لاسيما قصره الجنوبي الغربي، والمعابد، وجملها بالحدائق والبساتين، واستمر خلفاءه على نهجه من بعده بالعناية بالمدينة وأبنيتها وإضافة أبنية جديدة، حتى سقوطها النهائي على أيدي التحالف الميدي الكلداني نحو العام 612 ق.م⁽⁵⁾.

2 - التنقيب في نينوى:

كان الإنكليزي ك.ج.ريتش أول من قام بأعمال سبر في موقع نينوى وضع مخططاً لها في العام 1820، وفي العام 1842 قام باول إميل بوتا بمحاولة تنقيب فاشلة في تلة قوينجيق، ثم عمل هنري لايارد في الموقع من عام 1845 إلى عام 1851⁽⁶⁾، وقد حاز فرصة العثور على أول قصر آشوري آشوري في الموقع حيث كشف عن مجموعة من الغرف وظفر بعدد كبير من المنحوتات والرقم المسمارية. كان اكتشافه هذا يمثل القصر الجنوبي الغربي الذي بناه سنحريب، وقد تمكن لايارد من نقل جزء كبير من مكتشفاته إلى بريطانيا⁽⁷⁾.

تولى هرمزد رسام عام 1852 التنقيب في الموقع وما لبث أن عثر على القصر الشمالي العائد لآشوربانيبال، ووجد داخله أعداد ضخمة من المنحوتات والأهم من ذلك اكتشافه للمكتبة الملكية الشهيرة، التي نقل جزءاً كبيراً من ألواحها المسمارية إلى المتحف البريطاني⁽⁸⁾.

(1)-مدينة وعاصمة مملكة إبلا التي ازدهرت شمالي سورية خلال النصف الثاني من الألف الثالثة ق.م، يعرف موقعها الحالي باسم تل مردوخ على بعد 55 كم جنوب غربي حلب. انظر: مرعي، رحلة، ص 71.

(2)-بييتيناتو، مرجع سابق، ص 126.

(3)-Thompson, Cammiphell and Hutchinson. R.W, A century of Explration at Nineveh, London, 1929, p. 114.

(4) -مرعي، رحلة، ص 282.

(5)-Bienkowski. P and Millard. A, op. cit, p. 213.

(6) -مرعي، رحلة، ص 282-283.

(7) -مظلوم، مرجع سابق، ص 44.

(8)- Thompson. C, and Hutchinson. R, op. cit, pp. 45-46-47.

كان هذا الأمر حافظاً كبيراً لتنشيط عملية ارسال البعثات للموقع، فكان قدوم جورج سميث George Smith الذي نقب في الأعوام 1873-1874-1876 فكانت أبرز نتائج تنقيبه الحصول على الأجزاء المفقودة من قصة الطوفان وكذلك أعداد ضخمة من الألواح المسمارية⁽¹⁾. بقي الموقع دون تنقيب لمدة (12) عام حتى عاد كينغ L.W.King عام 1903 وفتح من جديد فأعاد التنقيب في القصر الجنوبي الغربي وكشف عن أجزاء غير معروفة مسبقاً، كما أعاد التنقيب في القصر الشمالي وكشف بعضاً من أجزائه⁽²⁾. ثم كشف كامبل تومبسون Campbell Thompson، الذي قدم على رأس بعثة تنقيبية عام 1927 استمرت لغاية عام 1932، كشف عن معبد الإله نابو وعن موقع قصر آشور ناصر بال الثاني⁽³⁾.

نشطت منذ منتصف القرن العشرين البعثات العراقية برعاية من مديرية الآثار العامة العراقية وتمكنت من تحقيق نتائج ملموسة سواء على صعيد الاكتشافات أو على صعيد عمليات الترميم⁽⁴⁾

3 -التجديدات العمرانية في نينوى في العصر الآشوري الحديث(912-612 ق.م):

حظيت نينوى كما اتضح آنفاً بمكانة مرموقة في التاريخ الآشوري عبر عصوره الثلاثة وهذا الأمر عائد ولا شك إلى أهمية موقعها. وقد شغلت مكانة العاصمة الآشورية أكثر من مرة وعندما انهارت الإمبراطورية الآشورية الحديثة كانت هي العاصمة وقد شكل سقوطها إيذاناً نهائياً لغياب شمس آشور وأقولها.

بناءً على ذلك كان الاهتمام الملكي بالمدينة والعكوف على تجديد أبنيتها مجال مفاخرة لدى الملوك الآشوريين. لذا تطور مخططها وازدادت أبنيتها مع تعاقب العصور الآشورية لتبلغ الذروة في العصر الآشوري الحديث، تحديداً في عهد الملك المعمار سنحريب (705-681 ق.م).

أ - التجديدات العمرانية في نينوى ما بين (912-705 ق.م) من عهد أدد نيراري الثاني (912-891 ق.م) إلى عهد شاروكين الثاني(722-705 ق.م):

كانت في بداية هذه الفترة مدينة آشور، المركز الديني والمقر الرئيسي للآشوريين، لا تزال هي العاصمة إلى أن نصل إلى عهد آشور ناصر بال الثاني (884-859 ق.م) الذي اتخذ من نينوى مقراً له في بداية حكمه، ثم اتخذ من كلخو عاصمة جديدة واستمر خلفاءه من بعده على هذا المنوال إلى أن نصل إلى عهد شاروكين الثاني (722-704 ق.م) الذي اتخذ من دور شاروكين عاصمة

1)- Thompson.C, and Hutchinson.R,op.cit ,pp.51-52 .

1)-Ibid,pp.57-59 .

(3) -مرعي، رحلة، ص283 .

(4)- مظلوم، المرجع السابق، ص 45-46 .

جديدة له. وعلى هذا فإن الأعمال العمرانية لملوك هذه الفترة تركزت بشكل أساسي على مدينة آشور وعلى العواصم الحديثة المذكورة آنفاً. على الرغم من ذلك حظيت مدينة نينوى بنوع من الاهتمام من قبل ملوك هذه الفترة، أمكن التعرف على ذلك من خلال بعض النقوش البنائية إضافة إلى البقايا الأثرية لمخططات الأبنية العائدة للعصر الآشوري الحديث.

تم العثور على كسر كبيرة من بلاط بازلتي يعود إلى عهد الملك أدد نيراري الثاني (912-891 ق.م) تبين أنها تعود لبقايا قصر كان قد شيده هذا الملك على تلة قوينونجيق مجاوراً لمعبد عشتار. وكذا الأمر بالنسبة لتوكولتي نينورتا الثاني (891-884 ق.م) حيث عثرت بعثة تومبسون على بلاطة نقش عليها نص مطول يؤكد أن توكولتي نينورتا الثاني بنى قصره الخاص في ذات الموقع الذي أقيم فيه قصر ابنه اللاحق آشور ناصر بال الثاني (884-859 ق.م)⁽¹⁾. كما أثبتت تنقيبات جورج سميث عام 1874 قيام توكولتي نينورتا الثاني بإعادة بناء معبد عشتار ذو المكانة الخاصة في المدينة⁽²⁾ والذي يعود بناءه إلى العصر الآشوري القديم، بناءه شمشي أدد الأول (1815-1782 ق.م)⁽³⁾ في مركز تلة قوينونجيق.

أما آشور ناصر بال الثاني صاحب النشاط العمراني الكبير والذي يعتبر أول من استن سنة نقل العاصمة الآشورية من مدينة آشور، بعد توكولتي نينورتا الأول (1244-1208 ق.م)، فقد تم العثور على أدلة مادية ونصية تثبت نشاطه العمراني في مدينة نينوى، فيطالعنا نص عن قيامه بتجديد بناء معبد الإلهة عشتار بعد أن تداعت جدرانها، وعن نصبه مسلة داخل المعبد تخلد عمله : ((...معبد سيدتي عشتار في نينوى، [الذي] بناه شمشي أدد... الأمير الذي عاش قبلي، كان قد سقط (وتحول) إلى خراب، أنا أعدت بناءه من الأساس حتى السقف، زينته، جعلته عظيماً، وأكبر مما كان سابقاً. (و) ولتخليد ذكري أقمت مسلة منقوشة و[نصبته داخله]...))⁽⁴⁾.

ولا شك أن آشور ناصر بال الثاني قد أعاد ترميم المعابد الأخرى في المدينة، فقد اعتدنا على أن كل توسع عسكري يقوم فيه الملوك الآشوريون الكبار كان ينعكس على جميع نواحي الحياة ومنها الناحية العمرانية وخاصة على معابد الآلهة على اعتبار أن آلهتها هي سبب كل انتصار فكانت تخصص لها الأعطيات الضخمة من الغنائم والأسلاب.

1) - Thompson.C, and Hutchinson.R,op.cit,p.119 .

2) - Ibid,p.52 .

3) - هيبينانتو، مرجع سابق، ص 126 .

4) - Luckenbill.D.D,ARAB,vol.1,pp.196-197 .

أما الإنجاز العمراني الآخر لآشور ناصر بال فهو بناء قصر خاص له أقامه على تلة قويونجيق، بعدما اتخذ من نينوى عاصمة له في سنوات حكمه الخمسة الأولى⁽¹⁾

تم العثور على بقايا هذا القصر خلال عمل تومبسون على استكشاف معبد الإله نابو والمنطقة المجاورة له، فكشف عن بعض غرفه وعثر على قطع من منحوتات نافرة تمثل اثنين من المشاهد الواحد فوق الآخر ويفصل بينها نص منقوش ب (14) سطر. يمثل المشهد العلوي آشور ناصر بال الثاني في عربته الملكية وهو يطلق سهامه نحو أسد يهاجمه.

وقدم نص آخر دليلاً على صاحب القصر : ((قصر آشور ناصر بال،...، ابن توكولتي نينورتا،...، ابن أد نيراري،...، الذي أقام وبنى معبد (عشتار في الوسط) من نينوى))⁽²⁾

أما شلمنصر الثالث (858-824 ق.م) ابن آشور ناصر بال الثاني وخليفته، فعلى الرغم من أن نشاطه العمراني انصب على العاصمة كلخو حيث أكمل أبنية والده وأقام فيها الترسانة العسكرية (حصن شلمنصر)⁽³⁾ فقد تم تتبع بعض نشاطاته العمرانية من خلال بعض الدلائل ومنها هذا النقش الذي يطالعنا بالقول: ((قصر شلمنصر، ملك العالم، ملك آشور، نجل آشور ناصر بال...)). أما موقع هذا القصر فهو مجاور لقصر أبيه على تلة قويونجيق ومجاور لمعبد عشتار⁽⁴⁾ الذي طالته يد شلمنصر الثالث عناية وترميماً⁽⁵⁾.

تم العثور على مذبح أوطاوله قربان ضمن سور المدينة، يحمل نقشاً لشلمنصر الثالث يذكر فيه تكريس المذبح للآلهة في المدينة والتي يذكرها بالآلهة السبعة⁽⁶⁾. لكن الغريب في هذا المذبح هو مكان مكان وجوده إذ من المفترض أن يوجد في أحد المعابد، لكن وجوده ضمن السور لا يعتبر دليلاً كافياً على قيام شلمنصر الثالث بترميم سور المدينة، والأرجح أن المذبح قد وضع في السور أثناء ترميمه في فترة لاحقة.

شمشي أد الخامس (823-810 ق.م): ابن شلمنصر الثالث وخليفته، كان قد انشغل كما مر بنا في التمهيد بالقضاء على الثورة التي كانت قد نشبت ضد أبيه وكانت نينوى من بين المدن المتمردة⁽⁷⁾، وبعد نجاحه في إخماد التمرد بدأ، وبحسب إحدى كتابات ابنه أد نيراري الثالث (804-781 ق.م)،

(1)- مرعي، عبدالله، مرجع اسابق، ص 326 .

(2)-Thompson.C, and Hutchinson.R,op.cit,pp.80-82 .

(3)- مرعي، عبدالله، المرجع نفسه، ص 335 .

(4)-Thompson.C, and Hutchinson.R,op.cit,pp.81-82 .

(5)- Ibid,p.52

(6)-Postgat.J.N,An Assyrian Altar from Nineveh , Sumer,vol:26 ,1970 , pp.133-134 .

(7)-مرعي، عبد الله، المرجع السابق ، ص 335 .

ببناء قصره الخاص في نينوى إلا أنه توفي قبل اكماله تاركاً المهمة من بعده لابنه أدد نيراري الثالث⁽¹⁾، أيضاً كان شمشي أدد قد عمل على ترميم معبد عشتار⁽²⁾.

نصل إلى فترة حكم أدد نيراري الثالث (804-781 ق.م)، كان أبرز نشاطاته العمرانية في هذه المدينة بناء معبد الإله نابو البابلي (إله الحكمة والكتابة)، إذ تذكر قائمة أسماء الموظفين الكبار المستخدمة في التاريخ كحدث رئيسي للعام الثاني والعشرين من حكم أدد نيراري الثالث وضع حجر الأساس لمعبد نابو في نينوى وتتحدث عن العام التالي بقولها: ((نابو انتقل إلى معبده الجديد))⁽³⁾، ويذكر أحد النصوص المنقوشة على الآجر هذا الأمر صراحة: ((أدد نيراري ابن شمشي أدد... ابن شلمنصر... (معبد) نابو، سيده، الواقع وسط نينوى (بني من) أساساته حتى السطح (من أجل حياته)، لأجل نسله وبلاده))⁽⁴⁾. يلاحظ من هذا النص أن موقع المعبد في وسط نينوى وهو بلا شك على تلة قوينجيق. والأمر الآخر يربط أدد نيراري بسبب البناء بالرغبة بالحياة الطويلة ودوام النسل من خلال إرضاء الإله.

ومن خلال كسر أحد النصوص وُضع احتمال أن يكون أدد نيراري الثالث قد رمم معبد بيت أكييتو المخصص لاحتفال رأس السنة الجديدة مع أن المصادر تذكر أن شاروكين الثاني هو باني هذا المعبد. كما تم العثور على مسلة من الحجر الكلسي داخل معبد عشتار نُسبت إلى أدد نيراري الثالث وبالتالي يحتمل أن الملك قد رمم هذا المعبد⁽⁵⁾. كما قام أدد نيراري الثالث ببناء قصر له على تلة النبي يونس ولعله هو نفسه قصر أبيه شمشي أدد الخامس الذي شرع في بناءه لكنه توفي قبل إكماله⁽⁶⁾.

دخلت بلاد آشور بعد أدد نيراري الثالث مرحلة من الضعف والتراجع ولا شك أن هذا الأمر انعكس على الناحية العمرانية، فلم يجرِ الحديث عن أي نشاط عمراني قام فيه الملوك الذين خلفوه.

نصل بعد ذلك إلى العام 745 ق.م وهو العام الذي اعتلى فيه تجلات بليصر الثالث (745-727 ق.م) العرش الآشوري، اعتبر هذا الملك في نظر بعض الباحثين مؤسساً لإمبراطورية آشورية جديدة نتيجة أعماله ومنجزاته، ولم يكن الجانب العمراني غائباً عن اهتمام هذا الملك فجدده يفتخر في

(1) - بيتيناتو، مرجع سابق، ص 128 .

(2) - Smith.G, op.cit, p.92 .

(3) - مرعي، عبد الله، مرجع سابق، ص 339 .

(4) - Thompson.C, and Hutchinson.R, op.cit, p.118 .

(5) - Reade.Julian, The Ishtar Temple at Nineveh, Iraq, vol:67, part1, 2005, p.380

(6) - Thompson.C, and Hutchinson.R , op.cit, p.120 .

حولياته بإعادة بناء المدن التي كانت قد تحولت إلى خراب قبل عهده : ((خرائب المدن داخل بلادي التي سقطت وتحولت إلى أنقاض [من أيام الملوك، آبائي] أنا بنيتها من جديد))⁽¹⁾.

إن اتساع رقعة الدولة الآشورية وضمها مناطق بعيدة عن المركز دفعت تجلات بليصر إلى إنشاء العديد من المستوطنات والحصون في كل البقاع التي وصلها وذلك بغية تثبيت النفوذ الآشوري⁽²⁾. وعلى الرغم من هذا النشاط العمراني الكبير إلا أن المرء لا يجد لتجلات بليصر الثالث أي إشارة لأعمال عمرانية واسعة نفذها في نينوى باستثناء لوحين منقوشين عثر عليهما سمث في منطقة معبد نابو ويذكران قيام هذا الملك ببناء قصر له⁽³⁾ توضع على منعطف نهر الخوسر⁽⁴⁾.

أما شاروكين الثاني (722-704 ق.م) فعلى الرغم من أنه أقام عاصمة جديدة (دور شاروكين) إلا أنه أقام في نينوى، فهو لم ينتقل إلى مدينته الجديدة إلا في أواخر حكمه لذا نفذ العديد من الأعمال في نينوى وعلى رأسها بناء معبد نابو -مردوك، وقد أثبت ذلك نص يتحدث عن عملية إعادة بناء المعبد من جديد تقريباً من الإله نابو وليمنح الملك حياة مديدة وأمنة. ومن جديد يظهر العامل الديني وراء إعادة بناء المعابد من قبل ملوك العصر الآشوري الحديث : ((شاروكين الملك القوي،...، معبد الإله نابو القائم في وسط نينوى، من أجل الحفاظ على حياته (الملك) (و) إطالة أمد وجوده، بناه بالكامل من الأساس حتى السطح))⁽⁵⁾. كشفت بعثة تومبسون في موسم عام 1927-1928 عن هذا المعبد، باستثناء الجزء الغربي كان مدمراً بالكامل، كما أنه لم يبق شيء من معالم الحرم والغرف نتيجة التدمير النهائي الذي تعرضت له الجدران الداخلية للمعبد مع سقوط المدينة، أما الجدران الخارجية فقد أمكن تتبع مواضعها بفضل الحجر الكلسي الذي كان ضمن الأساسات. ونجحت البعثة في تتبع آثار الترميمات التي نفذها كل من شاروكين الثاني وآشور بانيبال⁽⁶⁾ إلا أنه قد خابت مساعيها في الحصول على مكتبة المعبد الخاصة ولم تظفر إلا ببعض كسرات من الرقم لذلك تم افتراض أن المكتبة نقلت من مكانها قبل تعرض المعبد للحريق والدمار⁽⁷⁾.

من خلال نقش كُتب قبل نهاية عهد شاروكين الثاني يشير إلى عشتار نينوى ضمن قائمة من الأعمال نفذها الملك، يمكن أن يفترض المرء قيام الملك بترميم معبد عشتار. وهناك تسجيل آخر

1 - Luckenbill.D.D, ARAB, vol:1, op.cit, p.270 .

(2) -مرعي، عبدالله، مرجع سابق، ص 350 .

3) - Smith.G, op.cit, p.139 .

4) - Ibid, p.92 .

5) -Thompson.C, and Hutchinson.R , op.cit, p.69 .

6) - Ibid , pp.73-74 .

7) -Ibid, p.77 .

لآشور بانيبال يذكر فيه قيام شاروكين الثاني ببناء أو إعادة بناء بيت أكيو من أجل عشتار⁽¹⁾ وهو المعبد الخاص باحتفال رأس السنة في نينوى، لكن لم يتم تحديد موقع هذا المعبد⁽²⁾.

بما أن نينوى هي مكان الإقامة المفضل لشاروكين الثاني فقد أنشأ فيها قصرًا ملكيًا لنفسه، أكد هذا الأمر من خلال العثور على إنائين منقوشين باسمه يذكران قصره أحدهما من الزجاج والآخر من العقيق الأبيض⁽³⁾.

وفي نهاية الحديث عن هذه الفترة (912-705 ق.م) قد يلاحظ المرء عدم الحديث عن نمط الأبنية التي أنشأها أو رممها ملوك هذه الفترة وهذا عائد إلى غياب المعالم الأساسية لأغلب الأبنية وهذا ما أظهره التنقيب نفسه، لكن على الرغم من هذا فإن النصوص المنقوشة قد عوضت شيئاً ولو بسيطاً عن ذلك. ومما يساعد أيضاً في تقريب الصورة التي كانت عليها تلك الأبنية هو مقارنتها بنظائرها من الأبنية الأخرى المقامة في مدن آشور وكلخو ودور شاروكين، إذ لا شك أن أبنية نينوى لم تنشأ عن الطراز المعماري الأساسي المعمول به في هذا العصر. فالقصور كقصر سنحريب المسمى القصر الجنوبي الغربي، والقصر الشمالي لآشور بانيبال استمرت على نفس المخطط العمراني الآشوري المعتاد، إضافة إلى استخدام نمط بيت خيلاني العمراني.

ب- التجديدات العمرانية في عهد سنحريب (704-681 ق.م)

بعد مقتل شاروكين الثاني انتقل سنحريب مباشرة من عاصمة أبيه إلى نينوى متخذاً منها عاصمة لحكمه وهناك شرع ببرنامج عمراني واسع النطاق، كان من أضخم المشاريع العمرانية القديمة، إذ وسع مساحة المدينة حتى بلغت 700 هكتار وحصنها بالأسوار وشيد داخلها الأبنية والقصور والمعابد التي جعلها تزدان بمنحوتاتها ورسومها، وأنشأ الحدائق والبساتين داخل المدينة وخارجها وجلب لها الماء، الذي جره من مسافات بعيدة، عبر القنوات التي أسسها. هذه الأعمال وغيرها جعلت سنحريب يفتخر في جميع نصوصه بأنه أول من فكر بتوسيع المدينة وتجميلها وإعادة بناء قصرها ويلوم أسلافه على إهمالهم لها⁽⁴⁾ وفي ذلك يقول: ((...لكن) ولا واحد من بينهم أظهر اهتماماً اهتماماً بالقصر، داخلها، مقر الحكم والذي أصبح صغيراً جداً. ولا واحد منهم تصور ووضع في مخيلته أن يقوم بتعديل شوارع المدينة ويوسع ساحاتها، يجرف رواسب النهر، (و) يزرع بساتينها...))⁽⁵⁾.

¹ -Reade.J, The Ishtar Temple at Nineveh, Iraq, vol:67,p.380 .

² - Thompson.C, and Hutchinson.R, op.cit,p.118 .

³ -Ibid,p.120 .

⁴ -Ibid, p.121 .

⁵ -Grayson.Krik.A, and Novotny.Jamie, The Royal Inscriptions of Sennacherib, King of Assyria (704-681 B.C), part1, New York, 2012, p.37 .

إن المطلع على تاريخ سنحريب يجد جميع أعماله العسكرية، والعمرانية مدونة بكل تفاصيلها ودقائنها في نقوشه الملكية التي تركها سواء على الألواح المسمارية أو على العناصر البنائية المادية بكل أصنافها⁽¹⁾.

قد يجول في ذهن المرء تساؤل حول الدوافع التي حركت سنحريب للقيام بمثل هذا العمل العمراني الضخم؟

يمكن استنتاج وافترض عدة أمور منها شخصية سنحريب الطموحة وحبه للجمال والأبهة والتطور وهذا بدا واضحاً في نصوصه، ورغبته الجامحة في تخليد اسمه كملك بناء ضمن قائمة الملوك الأكثر نشاطاً في هذا المجال. وإلا لماذا انتقل من عاصمة أبيه (مدينة دور شاروكين) وهي لما ينتهي بناءها بعد، بدليل المساحات الفارغة داخل أسوارها، وأبنيتها لا تزال جديدة؟ قد يكون للنظرة التشاؤمية والفأل الأسود دور في ذلك. لكن مما لا شك فيه أن البنية السياسية المستقرة والقوة الاقتصادية للإمبراطورية الآشورية كانت من العوامل الأساسية التي هيأت لسنحريب الظروف المواتية للقيام بهذا العمل الذي استمر لعدة سنوات.

كان سنحريب قد شرع في تنفيذ مشروعه الطموح بعدما أصبح ملكاً مباشراً. فعمل على تأمين اليد العاملة اللازمة للمشروع التي كان عمادها أسرى الحروب ويمكن للمرء معرفة أصولهم من خلال نصوص سنحريب وهم من الكلدانيين والآراميين والمانيين ومن سكان قوئي Que (إحدى مناطق كليكيا) وخيلاكو Hailakku (كليكيا) وفلسطين وصور وغيرهم⁽²⁾.

– أسوار المدينة وبواباتها وتحصيناتها، الساحات والشوارع، والطريق الملكي:

عمل سنحريب على بناء عاصمته الجديدة ووظف كل جهوده وطاقاته في سبيل جعلها عاصمة لا تفتقر بعظمة إمبراطوريته وبالعظمة التي استشعرها في نفسه. فعمل على توسيع رقعة المدينة من 9300 ذراع إلى 21815 ذراع، ووسع ساحاتها وخطط شوارعها وأتم تبليطها بالحجارة⁽³⁾. واهتم بالطرق الخارجية التي تربط نينوى بالمدن الآشورية الأخرى، وكانت تلك الطرق أوسع من الطرق والشوارع الداخلية ومبلطة بالحجارة تيسيراً لاستعمال العربات العسكرية عليها في جميع فصول السنة، كما اعتنى بالطرق النهرية حيث أنشأ أسطولا نهرياً في نهري دجلة والفرات استفاد منه في حربه ضد عيلام⁽⁴⁾. وفي داخل المدينة أنشأ أهم شارع فيها وهو الشارع الملكي وكان بعرض 52 ذراعاً يمتد عبر

1)– Grayson.Krik.A,and Novotny.Jamie,The Royal Insccriptions of Sennacherib, King of Assyria(704–681B.C),part1,New York,2012,p.1 .

2) –Ibid,p.16 .

3)– Ibid, p..20 .

(4) –مظلوم، مرجع سابق، ص 31 .

المدينة إلى ((بوابة الحديقة)) في النهاية الغربية للسور الشمالي، وأقام على جانبه نصب والمسلات لكي يمنع الاعتداء عليه واستدل على هذه الأعمال من النصوص المؤرخة في الفترة 693-691 ق.م⁽¹⁾.

من خلال نص نُقش على موثور طيني مؤرخ نحو العام 691 ق.م وهي سنة حكم بيل إيموراني Bel-emuranni حاكم مدينة كركميش السورية يطالعنا سنحريب بواحد من أهم مشاريعه البنائية الطموحة حيث يفاخر بتوسيعه لمدينة نينوى وتحصينها بأسوار داخلية وخارجية، وبإقامة خندق مائي حولها، كما يسجل بناءه لسور القلعة الرئيسية (قويونجيق)⁽²⁾.

يقول سنحريب بخصوص السور الأساسي : ((...أنا وضعت الأساس لسورها العظيم ((السور الذي بهاءه يسحق الأعداء))...،(بنيته من) الحجارة الكلسية والآجر بثخانة أربعين آجرة،...،وسعت شرفاته إلى عرض تسع وثلاثون آجرة،...بعد ذلك رفعت بنيتها... بشكل شامخ كأنها الجبل))⁽³⁾.

أقام سنحريب دفاعات خارجية محصنة فأنشأ سور مزدوج داخلي وخارجي أما الداخلي وهو الأساسي يبلغ طوله 12 كم طول ضلعه الشمالية أطول من ضلعه الجنوبية، وعرضه (40 م) وفي بعض الأماكن يتراجع عرضه إلى (20 م). وقد شيد هذا السور من الآجر على أساس من الحجر الكلسي غير المشذب، وعلت فوقه الأبراج العالية كأنها الحصون⁽⁴⁾ أما بواباته فقد تضاعف عددها باستمرار لعل هذا عائد إلى ضرورات معينة، فتطور عددها من (14) بوابة في الفترة (697-695 ق.م) إلى (15) بوابة عام 694 ق.م ووصل إلى (18) بوابة في العام 691 ق.م⁽⁵⁾. أما تصميم هذه البوابات فلم يختلف عن التصميم الآشوري المعتاد من حيث بروز البوابة مسافة أمام السور وظهورها بمظهر الحصن وعلى جوانب بعضها انتصبت التيران المجنحة كما في بوابة الإله نيرجال، أما دواخلها فتألف من غرف الحراسة الجانبية، ورصفت أرضية أغلب البوابات بالحجر الكلسي، وقد أطلق سنحريب على البوابات أسماء الآلهة المختلفة مثل بوابة أد وأشور وسين ونيرجال... الخ، وتذكر نصوصه البوابات وأسماءها ومواقعها بدقة⁽⁶⁾.

1)-Grayson.K and Novotny.J,op.cit,p.20 .

2)-Ibid,p.146 .

3)-Ibid,pp.157-158.

(4)- مظلوم، مرجع سابق، ص 20 .

5)-Grayson.K and Novotny.J,op.cit,p.18 .

(6)- مظلوم، المرجع السابق، ص 21 .

حفر سنحريب خندق مائي حول سور المدينة لزيادة التحصين⁽¹⁾ لاسيما في الجهة الشرقية التي تم تحصينها بشكل كبير وذلك نتيجة الخطر الدائم الذي كان يتوقع الآشوريون قدومه من هذه الجهة حتى أن سنحريب أقام وراء الخندق من الجهة الخارجية العديد من العوائق الترابية الضخمة⁽²⁾ وبهذا الخصوص يقول سنحريب ((أنا وسعت خندقها لمائة ذراع كبيرة...))⁽³⁾ من هذا الحديث يمكن أن يرجح المرء بوجود خندق قديم للمدينة.

أما السور الآخر الذي تحدث عنه سنحريب وأطلق عليه اسم ((السور الذي يهرب الأعداء)) فيفترض تومبسون أن سنحريب كانت لديه نية لحماية المدينة بأكملها من خلال سور مزدوج يحيط فيها بما في ذلك تدعيم جوانب ضفتي نهر دجلة المجاورة للمدينة لكن وفاته حالت دون إكمال ذلك⁽⁴⁾. كان سنحريب قد عمل أيضاً على تحصين القلعة الرئيسية (قويونجيق) فأحاطها بسور منيع وأقام جسراً يواجه البوابة الداخلية للقلعة مع رصيف من الحجارة الكلسية البيضاء. ومن المؤكد أن الجسر كان للعبور فوق نهر الخوسر الذي كان يخترق المدينة⁽⁵⁾.

- القصر الملكي:

كان القصر الذي أنشأه سنحريب في القسم الجنوبي الغربي من تلة قويونجيق والمجاور لمعبد عشتار والزقورة من جهة الشمال الغربي، والمطل جنوباً على نهر دجلة⁽⁶⁾ من أبرز الأعمال العمرانية التي اضطلع فيها هذا الملك، ويعرف لدى جمهور الباحثين بالقصر الجنوبي الغربي.

كان سنحريب قد عمل على هدم القصر القديم، ثم حول مجرى نهر التيلتو⁽⁷⁾ وهياً قطعة كبيرة من الأرض مناسبة للبناء، بنى فوقها منصة مرتفعة بنيت من حجارة مقاومة للماء، ثم شيد فوقها قصره الضخم الذي بلغ قياسه بحسب التقرير النهائي له 440×914 ذراع (503×242م)⁽⁸⁾. أما مخطط

1)- Grayson.K and Novotny.J ,op.cit,p.129 .

2)- مظلوم ، مرجع سابق، ص 20-21 .

3)-Grayson .K and Novotny.J,op.cit,p.157 .

4)- Ibid,p.126 .

5)-Ibid,p.73 .

6)-Barnett.D.Richard,Bleibtreu.Erika and Turner.Geoffry ,Sculptures from the Southwest Palace of Sennacherib at Nineveh, British Museum press ,London,1998,p.22

7)-نهر تيلتو:يتفرع هذا النهر من الجانب الأيمن لنهر الخوسر في نقطة تقع خارج السور الداخلي للمدينة ثم يخترق السور ويسير غرباً بموازية نهر الخوسر حتى يصل إلى محاذاة تلة قويونجيق من الجهة الغربية ثم يتجه -نحو دجلة غرباً، ويذكر أنه كان يسبب خراباً لسور المدينة وقصرها انظر:سوسة، أحمد، مشروع سنحريب لإرواء منطقة نينوى، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج9، 1962، ص46-47 .

8)-Grayson.K and Novotny.J,op.cit,p.17 .

القصر فإنه لم يشذ عن مخططات القصور الآشورية الحديثة (الشكل 27) فقد تألف من قطاعين رئيسيين: البابانو (الفناء الخارجي) الخاص بالقسم الإداري والخدمي، والبيتانو (الفناء الداخلي) الخاص بالقسم السكني للملك وعائلته، وفي الوسط قام جناح قاعة العرش، وهذا الأخير قد نُقب وكشفت غرفه (1-5). كانت قاعة العرش في هذا القصر من أكبر قاعات العرش المعروفة في القصور الآشورية الأخرى، بلغ قياسها (25,12×51م) فهي بذلك أكبر من قاعة عرش قصر دور شاروكين الملكي (10×50م) ومن قاعة عرش القصر الشمالي الغربي في كلخو (10×46م). تميز المدخل الرئيسي لقاعة العرش بوجود الثيران المجنحة ومنحوتة البطل جلجامش على جانبيه، وعلى جانبي هذا المدخل قامت بوابتان أصغر حجماً.

أما منصة العرش فلم يتم العثور عليها وقد عزا لايارد سبب فقدانها إلى التعرية الشديدة التي طالت الموقع، ومع هذا يعتقد أن موقعها كان على الجدار الأصغر إلى اليسار من المرء الداخل للقاعة ليكتن الملك في مواجهة مباشرة مع الشخص الداخل عليه ويكون مرئياً للجميع. إلا أنه تم العثور على صفيين متوازيين من البلاطات الحجرية المرصوفة التي كان يسير فوقها الموقد المتحرك في حين رصفت بقية أرضية القاعة بالآجر المشوي المنقوش باسم سنحريب⁽¹⁾. أما جدران قاعة العرش فهي كباقي أجزاء القصر كانت مزدانة بالمنحوتات النافرة ذات المواضيع المختلفة فعلى الجانب الغربي منها عثر على العديد من البلاطات المنحوتة، اتضح أنه تم تقسيم كل بلاطة إلى عدة خطوط متوازية ضمت فيما بينها مشاهد لعمليات تدمير المدن وهروب الأعداء أمام محاربي الجيش الآشوري، ومنها ما صور الملك جالساً على كرسي مرتفع يتلقى خضوع المقهورين. وعلى الجانب الشمالي الغربي من القاعة ظهرت منحوتات تصور الجيش الآشوري وهو يحاول اقتحام قلعة كانت قائمة على تلة مشجرة، في حين مثلت البلاطات 14-15 القائمة على زاوية القاعة إلى اليمين من المدخل D مشهداً بحرياً تظهر فيه قلعة على شاطئ البحر⁽²⁾ يعتقد أنها إحدى مدن شاطئ البحر المتوسط (الشكل 28).

في الحقيقة تشكل منحوتات قاعة العرش بمواضيعها المختلفة نموذجاً لكل المنحوتات النافرة الموجودة في القصر والتي قدرها لايارد ب ((اثنين ميل من المنحوتات النافرة))⁽³⁾. وقد تميزت هذه المنحوتات بارتفاعها العالي الذي قدر بنحو 4/85 م ووصل في بعض الأماكن إلى 7 م⁽⁴⁾ وبالتالي وظف كامل ارتفاع البلاطة من أجل نقش المشاهد بصورة أكبر وتميزت المشاهد بدورها بموضوعاتها

1 - Barnett.D, Bleibtreu.E and Turner.G, op.cit, p.24 .

2) - Ibid, pp.51-52 .

3) - Thompson.C, and Hutchinson.R , op.cit, p.39 .

4) - Barnett, Bleibtreu and Turner , op.cit, p.25 .

السردية التي كانت سائدة قبل عهد شاروكين الثاني ⁽¹⁾ وقد نجح الفنان في تمثيل بيئة المعركة على هذه المنحوتات من خلال إظهار عناصرها الطبيعية سهل، جبل، نهر، غابة... الخ، ثم ما يلبث المشاهد أن يكتض بجنود الجيش الآشوري ذوي الأسلحة المختلفة وبجثث قتلى الأعداء وطوابير الأسرى ⁽²⁾.

جدير بالذكر أن العديد من منحوتات هذا القصر تعود إلى عهد آشور بانيبال ولاسيما تلك التي تخلد انتصاراته على العيلاميين ⁽³⁾.

أما الأقسام الأخرى في القصر وهي الفناء الأمامي والفناء الداخلي فكما ذكر سابقاً فإنها لم تشذ عن باقي القصور الآشورية من حيث اعتمادها نظام الأجنحة الموزعة حول الساحات. لكن مما يميز الشقق السكنية في هذا القصر أنها أوسع بكثير مما وجدت عليه في القصور الآشورية الأخرى ⁽⁴⁾.

من الميزات العمرانية الهامة في هذا القصر وجود الشرفات التي يعتقد أنها قامت على الجانبين الجنوبي الشرقي والجنوبي الغربي من القصر حيث أطلت على نهري دجلة والخور، وهذا الأمر مماثل لما عثر عليه في القصور الآشورية المتأخرة كما في قصر شاروكين الثاني في دور شاروكين والقصر F من ذات المدينة. ويعتقد أن هذه الشرفات كانت جزء من أجنحة سكن أو استقبال خصصت للملك وعائلته أو لضيوفه رفيعي المستوى ⁽⁵⁾.

وفي الجهة الشمالية الشرقية من القصر كان رسام قد حفر عميقاً في هذه النقطة وعثر على مجموعة من المنحوتات التي يحتمل أنها كانت تزين منحدر يعتقد أنه كان يربط القصر مع معبد عشتار، وهذا مشابه لما وجد في دور شاروكين حيث كان هناك اتصال مباشر بين قصر شاروكين ومعبد نابو ⁽⁶⁾.

لكن تبقى أهم ميزة عمرانية في هذا القصر وهي استخدام سنحريب طراز بيت خيلاني المقتبس من شمالي سورية وهو نظام الأروقة المحمولة على الأعمدة، وإن نقوش سنحريب التي تخلد هذا الأمر لا تدع مجالاً للشك حول استخدام نظام الأروقة في القصر، يقول سنحريب في ذلك : ((من أجل سعادتي الملكية، أقمت رواق، صورة طبق الأصل عن القصر...، الذي يسمى بيت خيلاني (Bit-Hilani) في لغة بلاد أمورو (Amurru) (الآرامية)، شيدته داخله)) ⁽⁷⁾. وقد أدى اكتشاف

1 - Lloyd.Seton ,The Art of the ancient Near East,London,1965, pp.205-206 .

2)-Barnett,Bleibtreu and Turner,op.cit,pp.48-49 .

3)-Ibid,p.50 .

4)-Ibid,p.37 .

5 -Ibid,pp.31-32 .

(6)-Barnett.D,Bleibtreu.E and Turner.G ,op.cit,pp.34.

(7)-Grayson.K and Novotny .J,op.cit,pp.38-39 .

قواعد لأربعة أعمدة في القطاع الغربي من القصر إلى وضع احتمال أن تكون الأروقة قد أقيمت في هذا الجزء من القصر⁽¹⁾.

إن استخدام طراز بيت خيلاني إن دل على شيء فإنما يدل على التأثير الآشوري بالثقافات الأخرى وانفتاحهم عليها دون أن يعتبروا ذلك انتقاصاً من هويتهم ومكانتهم.

ومن اللقى المميزة في هذا القصر إلى جانب المنحوتات النافرة، الألواح المسمارية التي عثر عليها بأعداد كبيرة ولاسيما تلك التي تخص آشور بانيبال الذي كان قد حول العديد من الغرف العلوية في القصر إلى ما يشبه المكتبة⁽²⁾ ولعله فعل ذلك قبل بناء قصره الخاص.

أما مصير القصر فكان مشابه لمصير المدينة انتهى به المطاف بالحرق والتدمير⁽³⁾.

أيضاً قام سنحريب ببناء قصر آخر لابنه في الجزء الشمالي من تلة قوينجيق وهو نفس الموقع الذي بنى عليه لاحقاً آشوربانيبال قصره الخاص⁽⁴⁾ وقد تمكن تومبسون من الكشف عن بعض بقاياه وتوصل إلى حقيقته من خلال الأجر المنقوش⁽⁵⁾.

– التجديد في معابد المدينة:

كان سنحريب قد تعهد في بداية عهده بإعادة بناء عدة معابد في القلعة (قوينجيق) منها معابد سن، نينجال، شماش، إيا، عشتار سيدة نينوى⁽⁶⁾ وتم تأكيد هذا الأمر من خلال قطعة صغيرة من لوح حجري منقوش اكتشف في المدينة ويحتمل أنه نقش عام (701-702 ق.م) يتحدث هذا النقش عن حملة سنحريب الأولى ضد الجنوب البابلي وعن إعادة بناء معابد في نينوى والتي أشير لبعضها على أنها بنيت سابقاً في القرن التاسع من قبل آشور ناصر بال الثاني، وكانت هذه المعابد قد تحولت إلى خراب وفيما يلي نص ذلك: ((...في ذلك الوقت، المعبد (ثغرة)...، معبد الإله سن، معبد الإلهة نينجال، معبد الإله شماش...، معبد الإلهة سيدة نينوى، السيدة العظيمة...، التي كان آشور ناصر بال الثاني... (قد بناها)... (أنا هدمتها) وحفرت أساساتها، أمنت أساساتها (...م) مثل القاعدة الصخرية الصلبة و(بنيتها) وأكملتها من الأساسات وحتى شرفاتها، الآلهة العظيمة... سادتي...[في

(1)–Barnett.D, Bleibtreu.E and Turner.G ,op.cit,pp.35–36 .

(2)–Smith.G,op.cit,p.144 .

(3)–Thompson.C and Hutchinson.R,op.cit,p.35 .

(4)–Smith.G,op.cit,p.92 .

(5)–Thompson.C, and Hutchinson.R,op.cit,p.84 .

(6)–Grayson.K and Novotny.J,op.cit,p.21 .

محاريبها [...] وبكرم ثبتها على منصاتها [...] أنا قدمت] الثيران السمينة (و)خروف سمين كقربان
[...][...]⁽¹⁾.

هذا النص لا يدع مجالاً للشك من أن سنحريب قد أعاد بناء المعابد المذكورة أسماءها
آنفاً، وذلك بعد أن هدمها بالكامل لتتناسب مع المخطط البنائي الضخم الذي ينفذه في المدينة.

وبالنسبة لمعبد عشتار الذي يعتبر من أقدم الأبنية في المدينة وبقي الملوك الآشوريون بكل
عصورهم مواظبين على ترميمه فيعتقد أن سنحريب عندما بنى قصره الجديد قد عمل على ضم بعض
من أجزائه لصالح قصره، ما يهم أن جزءاً من معبد عشتار يقوم ولا شك في الركن الشمالي الشرقي من
الجانب الشمالي لقصر سنحريب ⁽²⁾ وباستثناء النص المذكور آنفاً فإن الأدلة النصية والمادية الدالة
على قيام سنحريب بترميم معبد عشتار لا تزال قليلة، مع أن المرء لا يشك بقيامه بهذا الأمر ⁽³⁾.

وقام سنحريب ببناء معبد بيت أكيثو الجديد خارج أسوار نينوى إلى الشمال من بوابة نيرجال ⁽⁴⁾
دلّ على ذلك قطعة صغيرة للوح من الحجر الكلسي الأبيض عثر عليها في بوابة نيرجال في نينوى
عام 1992-1993 نقش عليها نص يسجل بناء سنحريب لهذا المعبد ويؤرخ في العام 690 ق.م.
⁽⁵⁾ ويعتقد أن سنحريب قام بهذا الأمر بدلاً من إعادة بناء معبد أكيثو الذي يقع داخل نينوى بعد إكمال
إكمال السور الجديد، ومن المحتمل أن بناء هذا المعبد كان على صلة بتجديدات دينية لاسيما بعد
تدمير سنحريب لمدينة بابل وإغراقها عام 689 ق.م. ⁽⁶⁾ يقول النص: ((...بيت أكيثو الذي منذ زمن
بعيد (ثغرة)[...] بوابة نيرجال التي تواجه...، أنا بنيت...)) (بيت الفرح والسعادة من أجل احتفال
بداية السنة ((...))⁽⁷⁾.

- مخزن الأسلحة (إيكال مشرتي):

أظهر التنقيب العديد من النصوص التي نقشت على كسر مختلفة لمواشير ورقم مسمارية
وإسطوانات... الخ تضمنت نشاط سنحريب العمراني في إعادة بناء الترسانة العسكرية على تلة النبي

1)-Grayson .K and Novotny .J,op.cit,pp.234-235 .

2)-Thompson.C, and Hutchinson.R ,op.cit,pp.116-117 .

3)-Reade.j, The Ishtar Temple at Nineveh,Iraq, vol:67,p.380 .

4)-Grayson.K and Novotny.J,op.cit,pp.235-236 .

5)-Reade.J, The Ishtar Temple at Nineveh,Iraq, vol:67,pp.380-381 .

6)-Grayson .K and Novotny.J,op.cit,p.22 .

7)- Ibid,p.273 .

يونس، وقد أسماها ((القصر الخلفي)) وذلك لعلاقتها بالقصر الجنوبي الغربي على تلة قوبونجيق، إذ تظهر الترسانة خلفه (1).

والحقيقة أنه ليس مفاجئاً أن يقوم سنحريب بهذا العمل فأسلافه كانوا قد سبقوه في ذلك وحسبنا أن نذكر القصر F في دور شاروكين وحصن شلمنصر الثالث في كلخو. أما وظيفة هذه الترسانة فلم تختلف عن سابقتها من كونها مركزاً لتحشيد الجيش ومستودعات للغنائم والجزية والذخيرة وإسطبلات للخيل والعربات الحربية... الخ. لكن ليست هذه الوظائف الهامة هي الدافع الوحيد لقيام سنحريب بإعادة بناء الترسانة وإنما أيضاً تداعي الترسانة القديمة من جهة وحجمها الصغير من جهة أخرى (2). يعتقد أن العمل في هذا البناء قد بدأ عام 691 ق.م واستمر لعدة سنوات لاحقة على الأقل حتى عام 688 و 687 ق.م. وأول عمل قام فيه سنحريب لبناء الترسانة أن ضم أراضي بور مجاورة ثم أقام منصة مرتفعة من الآجر لإنشاء البناء فوقها. أما مخطط الترسانة فتألف من جناحين، وفناء خارجي كبير من المؤكد أنه لغرض استعراض الجيش لذلك يحتمل وجود منصة مرتفعة لجلوس الملك أثناء الاستعراض على غرار ما شاهدناه في حصن شلمنصر الثالث، وأحد الجناحين بني على الطراز السوري (بيت خيلاني) (3). ((صورة طبق الأصل عن القصر في بلاد خاتي (سورية))) (4)، حيث نحتت نحتت تماثيل الثيران وأبو الهول ونصبت فوقها الأعمدة الخشبية المكسوة بالمعدن، وعلى هذا نجد أن تطوراً عمرانياً كبيراً قد حدث في عهد السلالة الشاروكينية إذ تم التوسع في استخدام مخطط بيت خيلاني السوري مع مخطط كل من القصر الآشوري التقليدي والترسانة العسكرية.

الجناح الآخر بني على الطراز التقليدي الآشوري، ويخبرنا سنحريب بأنه أجبر ملوك أمورو على تقديم الأخشاب اللازمة للسقف والأبواب (5) ومن أهم النصوص التي خلدت هذا العمل نص يؤرخ يؤرخ بالفترة 690-689 ق.م نقش على لوح حجري عثر عليه في تل النبي يونس، ويعطي تفاصيل دقيقة عن وظيفة هذا البناء الذي شيده أسلافه وكيف أنه أعاد بناءه من جديد وجعله أكبر مما كان عليه سابقاً (6).

1)-Turner.Geoffrey,Tell Nebi Yunus :The Ekal Masarti of Nineveh,Iraq , vol:32,part1,1970,p.69 .

2)-Ibid,pp.69-70 .

3)-Grayson.K and Novotny.J,op.cit,p.21 .

4)-Ibid,p.225..

5)-Ibid,pp.21-22 .

6)-Ibid ,p.220 .

((في ذلك الوقت، القصر الخلفي، الذي يقع داخل نينوى، والذي بني من قبل الملوك الأوائل، أسلافه، ليكون مقرّاً عسكرياً مناسباً... منصة ذلك القصر لم تكن واسعة وموقعها أصبح صغيراً جداً (و) فناءه الخارجي لم يكن عرضه كافياً...، قاعدته كانت قد سقطت وتحطمت وكانت بنيته الفوقية متداعية، أنا هدمت ذلك القصر بأكمله، وكإضافة، أخذت العديد من الأراضي البور من المرج (و) أضفتها إليه، تخليت عن البناء السابق لهذا القصر، وجعلته منصة في الأرض البور التي أخذتها من المرج، رفعت البناء 200 طبقة من الآجر...))⁽¹⁾. جدير بالذكر أن هذه الترسانة على الرغم من المعلومات الواردة عنها إلا أنها لم تتقرب بعد نتيجة السكن المحلي الحالي للتلة ووجود مسجد النبي يونس إلا أنه يمكن رسم صورة واضحة عنها بمقارنتها بنظائرها كما في حصن شلمنصر الذي نقب بشكل شبه كامل⁽²⁾.

ج - تجديدات خلفاء سنحريب في مدينة نينوى:

- الملك أسرحدون (680-669 ق.م):

بعد أن تمكن أسرحدون من توطيد نفوذه السياسي وضمان أمن عرشه، انصرف لتنفيذ العديد من الأعمال وخاصة العمرانية منها، وهنا لا يسع المرء عند تذكر أسرحدون إلا أن يتذكر معه قراره في إعادة بناء مدينة بابل التي كان قد دمرها أبوه سابقاً. أما نشاطه العمراني في نينوى فأغلب المصادر تتحدث عن بناء هذا الملك قصرًا له على تلة النبي يونس والحقيقة أن القصر المقصود هنا هو الترسانة العسكرية إذ عمل أسرحدون على إعادة بناءها وتوسيعها⁽³⁾.

تم العثور على بعض اللقى الأثرية المادية والنصية ومثالها اللوحات الجدارية التي كانت تزين إحدى الغرف كشف عنها على الحافة الشرقية من التلة، وتحمل هذه اللوحات نقشاً قصيراً لأسرحدون بهذا الخصوص⁽⁴⁾ والأهم من ذلك العثور عام 1955 على موشور سداسي⁽⁵⁾ وجد في المنصة التي التي أقام عليها أسرحدون مبنى الترسانة في تلة النبي يونس، أرخ هذا الموشور في العام 676 ق.م⁽⁶⁾.

1)-Grayson.K and Novotny.J,op.cit,p.224 .

2)-Turner.G,Tell Nebi Yunus, Iraq , vol:32,part1,1970,p.71 .

3)-Thompson.C, and Hutchinson.R ,op.cit,p.132 .

4)-Turner.G,Tell Nebi Yunus, Iraq , vol:32,part1,1970 ,p.68 .

(5)- لدراسة مفصلة لهذا الموشور والنص المنقوش عليه والذي يقدم معلومات قيمة عن البناء الذي شيده أسرحدون على تلة النبي يونس انظر:

Heidel.Alexander,A new Hexagonal prism of Esarhaddon ,Sumer ,vol:12, part1+2,1956,pp.9-37 .

(1). يصف فيه أسرحدون عملية إعادة بناء الترسانة التي أصبحت صغيرة ومخرية، فعمل على توسيع رقعتها من خلال ضم مزيد من أراضي الحقول المجاورة ثم بنى منصة دعمها بالحجر الكلسي، ويفتخر أسرحدون بأنه أجبر (22) ملك من ملوك بلاد خاتي (سورية) على العمل في بناء الترسانة وتقديم المواد اللازمة لذلك (2)، ويفتخر أنه أقام جناحاً إضافياً والذي يقول عنه أنه لم يوجد من قبل ويصف الجناح بأنه ((بيتانو))، وعلى هذا فقد يكون جناح خاص بإقامة الملك أو عبارة عن جناح قاعة عرش.

ولا شك أن أسرحدون استخدم كأبيه طراز بيت خيلاني (3) بدليل ذكره التماثيل التي نحتها وصنعها من الحجر ومن النحاس وكذلك ذكره الأعمدة الخشبية المكسوة بالفضة والنحاس والتي لاشك أنه نصبها فوق تلك التماثيل. أيضاً نصب أسرحدون التماثيل الحارسة على المداخل الرئيسية للترسانة، وكذلك فعل بتماثيل الفرعون المصري طهارقا بعد انتصاره عليه عام 671 ق.م، وجعل الأبواب تزدان بالأشرطة البرونزية على غرار ما يجده المرء في بوابات بلوات البرونزية (4). الغريب أن أسرحدون يذكر في موشوره أنه بنى حديقة حول القصر الترسانة وجرّ المياه عبر قناة إلى داخلها لريها ولسقاية الخيول على ما يقول به نقشه.

لكن السؤال المطروح على بساط البحث : هل يمكن القول أن أسرحدون اتخذ من الترسانة مقراً له بعد أن أعاد بناءها وأدخل عليها الإضافات لتكون ملائمة لسكن الذات الملكية خاصة وأنه أطلق على الترسانة اسم ((القصر الذي مجموع فيه كل شيء)) (5)، مع أن أسرحدون قام بترميم القصر الجنوبي الغربي فهل يمكن أن يكون قد سكن فيه قبل ترميمه الترسانه؟ (6).

أخيراً توجد إشارة بسيطة ضمن قائمة الأعمال لأسرحدون حول نشاطه في معبد

إيماشماش Emashmash (معبد الإلهة ننليل)، مع أنه لم يتم العثور على أي أثر بنائي لأسرحدون يؤكد ذلك (7).

1)-Ibid ,p.9 .

2)-Heidel. A, op.cit ,p.29 .

3)-Turner.G,Tell Nebi Yunus, Iraq , vol:32,part1,1970,p.78 .

4)-Heidel.A,op.cit,p.31 .

5)-Ibid,p.35 .

6)-Turner.G,Tell Nebi Yunus, Iraq , vol:32,part1,1970,p.35 .

7)-Reade.J, The Ishtar Temple at Nineveh,Iraq, vol:67,p.381 .

- الملك آشور بانيبال (668-627 ق.م):

لعب آشور بانيبال دوراً كبيراً في تحقيق الرفاه والازدهار للعاصمة الملكية نينوى، فكما كان آشور بانيبال قائداً عسكرياً فذاً، كذلك كان صاحب ذوق فني وعمراني وثقافي وما آثاره التي تركها إلا شواهد نيرة على ذلك ولعله يقترب بذلك من جده سنحريب في نشاطه العمراني.

يعتبر **القصر الشمالي** الذي أقامه في الركن الشمالي الشرقي من تلة قوينجيق ⁽¹⁾ من أبرز النشاطات العمرانية التي اضطلع فيها هذا الملك. وتأتي أهمية هذا القصر من غناه بالمنحوتات النافرة ذات المواضيع المختلفة التي زينت جدرانه. كان هرمزد رسام أول من كشف النقاب عن هذا القصر عام 1854 فكشف عن ما يزيد عن (15) غرفة من غرفه ⁽²⁾ وظفر بمجاميع هامة من اللقى أبرزها منحوتات نافرة تصور صيد الأسود ومشاهد الحرب ضد عيلام، إلا أن مكتبة القصر الملكية تبقى أهم اكتشافات رسام ⁽³⁾. كذلك نقب كل من سميث وكينغ في القصر ونقبت فيه حديثاً دائرة الآثار العراقية وكشفت عن أجزاء من مصطبته.

يأخذ القصر شكل المربع تقريباً وجهت زواياه إلى الجهات الأربع، وأحاط فيه سور ضخم من الحجر الكلسي الشكل (29). وقد تم الكشف عن العديد من أجزائه : بواباته وقاعاته لاسيما قاعة العرش (7\5×43\5م)، وقد سميت كل قاعة من قاعات القصر باسم مواضيع منحوتاتها المثبتة على جدرانها، فهناك قاعة صيد الأسود وقاعة الحديقة الملكية وقاعة سوسة التي خلدت حروب الملك ضد عيلام ⁽⁴⁾، ويبقى موضوع صيد الأسود من أهم المواضيع في تاريخ تطور الفن الآشوري ⁽⁵⁾ إذ نجح الفنان في إيصال حس المعاناة لهذه الحيوانات وهي تتلوى ألماً من آثار جراحها التي تقطر دماً ⁽⁶⁾ وخير مثال على ذلك منحوتة ((اللبوة الجريحة)).

عدا عن القصر الشمالي قام آشور بانيبال بترميم **القصر الجنوبي الغربي** ودلّ على ذلك المنحوتات النافرة التي تتعلق بحربه ضد بلاد عيلام. وكذلك عُثر على نص مكتوب على إسطوانة سميت (الإسطوانة A) يفتخر آشور بانيبال في هذا النفس بإعادة بناء قصر جده سنحريب، بعد أن تهدم: ((القصر الخاص في نينوى...، الذي سنحريب ملك آشور...، بناه لسكنه الملكي... في أيامي

1 - Smith .G,op.cit,p.90 .

(2)- الدوري، رياض عبد الرحمن، العمارة المدنية والدينية في عصر آشور بانيبال، سومر، مج49، ج1، 1997، ص1-135 .

3 -Thompson.C, and Hutchinson.R ,op.cit,pp.46-47 .

(4) - الدوري، المرجع السابق، ص 136 .

(5)- مظلوم، المرجع السابق، ص40

(6)- مورتكات، الفن في العراق القديم، ص428 .

أصبح قديماً...أنا آشور بانيبال الملك العظيم...أنا هدمته...منحوتات البناء...أكملت العمل في التلة،...))⁽¹⁾.

لم تكن معابد المدينة بمعزل عن النشاط العمراني لآشور بانيبال، لا بل تعدى نشاطه بلاد آشور إلى الجنوب البابلي حيث المعابد العريقة. يثبت ذلك الإسطوانة (C) التي جمع سمث أجزاءها وقرأ نصها: (...معابد آشور وبابل، التي كان أسرحدون ملك آشور قد بدأ بتأسيسها، هو بنى لكنه لم ينته منها إلى النهاية، أنا بنيتها، وأنهيتها للقمة،... معبد الإله آشور سيدي، أنا انتهيت منه تماماً...))⁽²⁾.

يخبرنا البلاط المنقوش الذي عثر عليه في معبد نابو وعشتار عن قيام هذا الملك بعمليات ترميمية، وإن كانت على نطاق ضيق، لهذين المعبدتين⁽³⁾ ففي معبد نابو عمل آشور بانيبال على رصف بعض أفنية وممرات وبوابات المعبد بالبلاط المنقوش باسمه، كما أنه ضمنه مشاهد من حربه ضد عيلام، يثبت ذلك نص منقوش على بلاطات من الحجر الكلسي عثر عليها في موقع المعبد ويخلد النص انتصاره على عيلام وملكها تيومان وكذلك عملية رصفه لفناء المعبد. وهنا لابد من ملاحظة نقطة هامة وهي المكانة المرموقة التي حظي فيها الإله نابو في نفس آشور بانيبال ما جعله يخلد انتصاراته ضد عيلام على جدران المعبد⁽⁴⁾.

وشمل نشاط آشور بانيبال العمراني بيت أكيثو (بيت احتفالات رأس السنة) أكد ذلك من خلال موشور يؤرخ في العام 646 ق.م عثر عليه شمال غرب معبد عشتار يصف فيه إعادة بناء بيت أكيثو وتزيينه بالآجر المصقول، وكان شاروكين الثاني قد بنى هذا المعبد سابقاً⁽⁵⁾.

أيضاً عثر على ألواح من الحجر الكلسي تشير إلى معبد إيماش ماش (معبد الإلهة ننليل) في نينوى. كذلك طالت ترميمات آشور بانيبال أسوار نينوى والترسانة العسكرية في النبي يونس وذلك في العام 646 ق.م⁽⁶⁾.

أما الفترة التي تلت عهد آشور بانيبال فقد شابته الفوضى ودخلت بلاد آشور خلالها مرحلة الانحطاط والانهيال ولعل هذا الأمر كان سبباً في عدم تنفيذ ملوك الفترة الأخيرة لأي أعمال عمرانية واسعة في نينوى.

1 - Smith.G, op. cit, p.373 .

2) - Ibid, p.378.

3) - Thompson.C, and Hutchinson.R , op. cit, pp.67-68 .

4) - Ahmad.Ali.Y, Ashurbanipal's Restaraion of Nabu's Temple at Nineveh , Sumer , vol:49, part1+2, 1997-1998, pp.104-105 .

5) - Reade.J, The Ishtar Temple at Nineveh, Iraq, vol:67, p.381 .

(6) - الدوري، مرجع سابق، ص 139 .

ثالثاً - مدينة تل برسيب (تل أحمر) (Til Parsip):

1 - الخلفية الجغرافية والتاريخية :

عاصمة مملكة بيت عديني Bit Adini الآرامية التي تأسست في القرن العاشر ق. م عند المنعطف الكبير لنهر الفرات في منطقة الفرات الأوسط جنوب كركميش، وتحولت الى قوة مهيمنة في المنطقة وصلت حدودها الى نهر البليخ في الشرق وإلى بلدتي الباب و إخترين في الغرب⁽¹⁾. يأخذ التل الحالي للموقع شكل نصف دائري بقطر يصل طوله الى نحو 1200 م، شغلت القرية الحديثة الجزء الجنوبي منه⁽²⁾.

كان لهذا الموقع وما يزال أهمية إستراتيجية كبيرة، وهذا ما استفادت منه مملكة بيت عديني إذ سمح لها بالتحكم بمعابر الفرات بين الشرق والغرب وبالعكس ولهذا عمل الآشوريين منذ عصر شلمنصر الثالث للسيطرة على هذا الطريق بشكل فعلي سيما وأن الصحراء تمتد في الجنوب وبالتالي يصعب اجتيازها وإن حصل ذلك فهي غير آمنة، وفي الشمال كان عبور الفرات مراقباً من قبل كركميش التي لم تدخل تحت السيطرة الآشورية إلا في عصر شاروكين الثاني⁽³⁾.

كشفت عن هذه العاصمة الآثاري الفرنسي فرانسوا تورو دانجان Thureau – Dangin خلال حفريات في ثلاثينيات القرن العشرين. أظهرت المكتشفات الأثرية أن الموقع كان مسكوناً منذ العصر الحجري الحديث، واستمر الاستيطان فيه في العصر البرونزي القديم. كما تدل على ذلك مقبرة وكميات كبيرة من الفخار. تبعت المنطقة منذ القرن الرابع عشر ق. م، للحثيين ممثلة بكركميش (جرابلس) أحد المراكز الحثية الهامة آنذاك⁽⁴⁾.

ويبدو أنه مع تراجع قوة الدولة الحثية وزوالها، كان الآراميون قد وصلوا المنطقة قبل عصر تجلات بليصر الأول، ثم أخذوا بتنظيم شؤونهم سياسياً و اجتماعياً، تعاظمت معها قوتهم لدرجة أنهم تمكنوا من طرد الحاميات الآشورية في زمن الملك الآشوري آشور رابي الثاني من مدينة موتكينو Mutkinu الواقعة على ضفة الفرات اليسرى (الشرقية)⁽⁵⁾.

1- مرعي ، عيد ، تاريخ سورية القديم (3000 - 333 ق.م) ، الهيئة السورية للكتاب ، دمشق ، 2010 ، ص233

2 - Thureau – Dangin . f , Tell Ahamar . paris . 1929 . p . 185 .

3 - Ibid, p . 188 .

4- مرعي، عيد، تاريخ سورية القديم (3000 - 333 ق.م)، الهيئة السورية للكتاب، دمشق، 2010 ، ص233

5 - أبو عساف، علي، الآراميون (تاريخاً ولغة وفناً)، دار الأمان، طرطوس، 1988، ص 35

ويبدو أن قوة الدولة الآشورية في تلك الفترة لم تكن في وضع يسمح لها بوضع حد لتنامي القوة الآرامية التي تبلورت بنشوء مملكة بيت عديني على يد زعيم أقوى القبائل الآرامية في المنطقة⁽¹⁾

يرد ذكر بيت عديني لأول مرة في نص من عصر الملك الآشوري أدد نيراري الثاني (912-891 ق.م)، الذي سجل فيه أحداث حملته العسكرية التي وصل فيها إلى منطقة الخابور ويذكر فيه أن أمير بيت عديني قد خف مسرعاً ليقدم الجزية والخضوع خوفاً من بطشه.⁽²⁾

وعلى الرغم من أن مملكة بيت عديني بقيت تدفع الجزية للآشوريين إلا أنها ما فتأت تحرض المدن الآرامية على الثورة ضد الآشوريين ما دفع الملك آشور ناصرال الثاني لقيادة حملة إلى منطقة الخابور و الفرات الأوسط قضى فيها على التمردات الآرامية وأعاد الأمور إلى نصابها و أجبر أخوني ملك مملكة بيت عديني على دفع الجزية وعلى الموافقة على ترحيل 2400 آرامي إلى كلخو.⁽³⁾

إلا أن استمرار بقاء بيت عديني خارج السيطرة الآشورية المباشرة لم يتناسب مع الأهداف الملكية الآشورية الساعية للتوسع نحو الغرب والسيطرة على سورية، وعلى الطرق التجارية المؤدية إلى سواحل البحر المتوسط وهذا ما حققه شلمنصر الثالث الذي نفذ عدة حملات ضد أخوني Achuni الساعي لتوحيد الآراميين للوقوف بوجه المد الآشوري، إلى أن تمكن شلمنصر من السيطرة على العاصمة تل برسيب في العام 855 ق.م، بعد أن لاذ أخوني بالفرار غير أن شلمنصر الثالث عاد في السنة التالية على رأس حملة جديدة قبض على إثرها على أخوني و أسرته ونقله مع اثنين وعشرين ألفاً من أفراد جيشه إلى آشور⁽⁴⁾ ، أما تل برسيب فعمل على إعادة بناءها و أقام فيها قصراً ضخماً و لإنهاء ذكر المدينة غير اسمها إلى (كار شلمنصر) أي (قلعة شلمنصر)⁽⁵⁾ و أسكن فيها سكاناً آشوريين، وفيما بعد أتبعت المدينة مع المنطقة المحيطة بها بمقاطعة حران⁽⁶⁾.

مع نهاية القرن التاسع ق.م أخذت قوة الإمبراطورية الآشورية بالتراجع واستمرت حتى منتصف القرن الثامن قبل الميلاد، ولعل خير مثال معبر عن الحالة السياسية التي كانت عليها بلاد آشور آنذاك نص عائد للقائد العسكري الشهير شمشي إيلو الذي اتخذ من تل برسيب (كار شلمنصر) مركزاً له وحكم بشكل شبه مستقل، نقش النص على اثنين من تماثيل الأسود الضخمة التي أمر

(1) -مرعي، تاريخ سورية القديم (3000 - 333 ق.م) ص 233 - 234

(2) قابلو، جباغ، تاريخ الحضارة القديمة في الوطن العربي، ط4، منشورات جامعة دمشق، 2006، ص 255

(3) -الدسوقي ، خالد ، دراسات في شعوب الشرق القديم ، الآشوريين ، الكنعانيون ، الآراميون ، العبريون ، الفلسطينيين ، دار مكتبي ، مصر جامعة عين شمس ، 1982 ، ص 120 .

(4) -بيتيناتو ، جيوفاني ، المرجع السابق ص 104.

(5) -Grayson. A, Assyrian Rulers ... (858-745B.C), vol.2, p . 10 .

(6) -مرعي ، عيد ، تاريخ سورية القديم (3000 - 333 ق.م) ، ص 233

التورتانو شمشي إيلو بإقامتها على جانبي بوابة كار شلمنصر، يورد النص اسم شمشي إيلو وألقابه وحملاته العسكرية لا سيما ضد أركيستو Argistu ملك أورارتو ولكن لا يورد أي ذكر لاسم الملك الآشوري: ((في ذلك الوقت أنا شيدت اثنين من تماثيل الأسود العالية على يمين ويسار بوابة كار شلمنصر، مدينتي الفخمة، وحددت اسمها (كما يلي) ...))⁽¹⁾. هذا المقطع يجعل المرء يبيّن تصوراً للحالة السياسية المزرية التي بلغت آشور آنذاك والتي أتاحَت للقادة العسكريين فرصة الظهور والتصرف بشكل شبه مستقل. لكن المفارقة أن الحالة الفنية في تلك المرحلة جاءت مناقضة تماماً للوضع السياسي القائم آنذاك إذ أبدعت في هذه الفترة رسوم جدارية زينت جدران القصر في تل برسيب، كانت المثال الوحيد على الحياة الفنية لتلك المرحلة⁽²⁾.

2 - التنقيبات الأثرية :

زار الموقع منذ وقت مبكر في بداية القرن العشرين عدد من الرحالة والباحثين، دونوا نتائج مشاهداتهم وملاحظاتهم التي كانت بأغلبها وصف ظاهري للموقع ولبعض اللقى الأثرية، وفي مقدمتهم هوغارث HOGARTH الذي زار الموقع عام 1908 وذكر أن أهم ما شاهده أجزاء من نصب بازلي، إضافة لأجزاء من بقايا تماثيل أسدان مصنوعان من البازلت ومنقوشان بكتابة مسمارية تعود لشلمنصر الثالث.

و perdrizet et seyrig عام 1925 و M.DERROUS عام 1927 حيث كشف

الأخير عن أجزاء من مسلة تعود لعصر الملك أسرحدون، ونقش عائد لشلمنصر الثالث⁽³⁾. وغيرهم من الرحالة والباحثين. وفي عام 1929 بدأت تنقيبات بقيادة فرنسوا تورو دانجان ومنقبون آخرون نقبوا في الموقع حتى العام 1931، كانت أهم نتائج هذه التنقيبات اكتشاف بقايا قصر ملكي آشوري في القلعة يعود لعصر شلمنصر الثالث. وفيه عثر المنقبون على بقايا الرسوم الجدارية التي زينت جدران القصر يوماً ما، وإحدى بوابات المدينة العائدة لذات الفترة⁽⁴⁾، كما تم الكشف عن تعاقب زمني طويل يعود لفترة العبيد ويستمر حتى الفترة الهيلينستية.

1 - Grayson . A, Assyrian Rulers ... (858-745B.C), pp.231.233 .

(2)- غافليكوفسكا ، مرجع سابق ، ص 168.

3) -Thureau.dangin.op.cit.p.186

4 -)Albenda . pauline , ornamental wall painting in the art of the Assyrian Empire, Leiden,2005,p. 33 .

استكملت التنقيبات من قبل جامعة ملبورن الأسترالية ما بين عامي 1988 و 1999 وجامعة ليبيج البلجيكية منذ عام 2000.⁽¹⁾

كانت أبرز التنقيبات لبعثة ملبورن الكشف عن مجموعة من القطع الفنية العاجية (12 قطعة) في أحد الأبنية (البناء 1)، تم ارجاع تاريخها إلى فترة النصف الثاني من القرن السابع ق.م بدليل الألواح المسمارية المكتشفة في المستوى نفسه، وقد أشارت دراسة القطع العاجية إلى وجود مدارس فنية لصناعة العاج السوري الذي عثر على نظائره الأقرب في عاجيات العاصمة الآشورية كلخو (نمرود)⁽²⁾. ومن المكتشفات الهامة في تل برسيب العثور على أرشيف خاص في أحد البيوت الخاصة (C2) في المنطقة (2) تكون من (35) لوح وكسرة طينية كتبت بالكتابة المسمارية وبالخط الآشوري الحديث، تم تأريخ نصوصها في الفترة ما بين 683 ق.م حتى نهاية الإمبراطورية الآشورية، تتعلق مواضيعها بقروض وصفقات تجارية وبعض الوثائق الخاصة المتضمنة إحدى القوائم⁽³⁾.

3 - الوصف العمراني والرسوم الجدارية في تل برسيب :

تكونت مدينة تل برسيب من ثلاثة أقسام هي القلعة أو الحصن، والمدينة الوسطى وهي مرتفع طبيعي مسطح إلى الغرب من القلعة ومن ثم المدينة السفلى التي تشغل القسم الشمالي الأكبر، وكانت المدينة قد أحيطت بسور نصف دائري بقطر 1200 م تقريباً⁽⁴⁾

أما مبانيها التي شغلت تلك الأقسام فأغلب الآثار المتبقية تعود للعصر الآشوري الحديث، في حين لم يبق شيء من آثار مباني المدينة الآرامية، نتيجة تدميرها بالكامل على يد شلمنصر الثالث الذي أعاد بناء المدينة من جديد بشكل كامل وأوسع مما كانت عليه⁽⁵⁾.

ولعل القصر الملكي الذي أنشأه شلمنصر الثالث في تل برسيب يعتبر من أهم آثارها حيث تمكنت البعثة الفرنسية ممثلة ب تورو دانجان وزملاءه موريس دونان maurice dunan وكافرو cavro ودوسان dossin من الكشف عن مخطط هذا القصر فكشفت عن مايزيد عن 43 غرفة و 3

1) - غي ، بونز ، تل برسيب في الفترة ما قبل الآشورية ، الحوليات الأثرية السورية 45، 46 (2002 - 2003) ، الجزء المعرب ، ص 153.

2) - Bunnes . guy. carved Ivories from til Barsid . American journal of Archaeologg . vol 101.no .3 (jul. 1997) .p.435.

1) - Pedersen. olof , Archives and libraries in the Ancient near east 1500-300 B.c, CDL press, 1998, p.175.

2) - Ibid, p.175.

5) - أبو عساف، علي، آثار الممالك القديمة في سورية، 8500 ق.م إلى 535 ق.م، منشورات وزارة الثقافة دمشق، 1988، ص 467

ساحات وعدة أوراق⁽¹⁾ ومع ذلك فإن الأهمية التاريخية لهذا القصر لا تكمن كثيراً في عمارته التي وجدت منها العديد من النماذج الآشورية ممثلة من القرن التاسع وحتى القرن السابع قبل الميلاد، بل تكمن كما سيتضح بعد قليل في رسومه الجدارية التي يلقي الجزء الأعظم منها شيئاً من الضوء على الفترة الغامضة بصفة استثنائية من الفن الآشوري الحديث، والرسوم الجدارية الآشورية الحديثة بصفة خاصة وذلك في النصف الأول من القرن الثامن ق.م⁽²⁾ حينما توالى على العرش الآشوري ثلاثة من الملوك الآشوريين الضعفاء، وهم شلمنصر الرابع (781-772 ق.م)، وآشور دان الثالث (771-754 ق.م) وآشور نيراري الخامس (753-746 ق.م). وكان القائد الشهير شمشي إيلو من تل برسيب يدير شؤون الإمبراطورية لحسابهم⁽³⁾.

هنا يطرح مورتكات تساؤلاً فيقول: من المعلوم أن الفن يسير في الغالب وبصفة خاصة في الشرق القديم موازياً لنهوض المملكة وسقوطها وموقعها من سياسة الحكم، غير أن قصر تل برسيب إبان عهد القائد شمشي إيلو يقدم مثلاً مخالفاً لتلك القاعدة وهنا يتسائل مورتكات أيضاً كيف أن أمة تستطيع في عصر الانحطاط السياسي وفي الوقت الذي تضاءلت فيه كل مواردها المادية أن تبذل نوعاً من الفن الذي يعطي التعبير الكامل لكيانها الداخلي⁽⁴⁾.

ومع هذا يمكن الاعتقاد أن الرسوم الجدارية لم تكن تحتاج لإمكانات مادية كبيرة كما هي الحالة مع المنحوتات النافرة، هذا من جهة التكلفة المادية، أما من حيث مواضيع الرسوم الجدارية، فإنه سيتضح أنها تعبر عن الملكية الآشورية كما لو كانت الدولة في أوج قوتها، كما أن المواضيع الأخرى جاءت مشابهة لمواضيع المنحوتات النافرة⁽⁵⁾.

وهنا للمرء أن يتصور مدى السلطة التي حازها القائد شمشي إيلو لدرجة أنه قام بكل الأعمال المشابهة لأعمال الملوك العظام لابل يمكن الاعتقاد أنه حكم كملك مستقل بدليل أن نصوصه التي خلفها لا تعرض أية إشارة لأسماء الملوك الآشوريين آنذاك⁽⁶⁾. وعلى هذا يمكن القول أن الرسوم الجدارية عكست السلطة الملكية -إن جاز التعبير- التي تمتع بها القائد شمشي إيلو.

1)-Albenda.p, op.cit.p.33.

2)- مورتكات ، أنطون ، الفن في العراق القديم ، ص395

3) -توفيق ، سيد ، تاريخ الفن في الشرق الأدنى القديم (مصر والعراق) ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1987 ، ص 367

4) -مورتكات، الفن في العراق القديم، ص395

5) -Albenda.p, op.cit,p.33.

6) -Grayson. A, Assyrian Rulers(858.745.B.C),vol.2, pp.231.233.

فيما يلي سيتم عرض بعض النماذج من اللوحات الجدارية التي زينت جدران القاعات وغرف القصر، لكن جدير بالذكر أنه لم يبق الزمن إلا على بعض بقاياها التي لا تعطي صورة واضحة كما كانت عليه إبان فترة ازدهار القصر في عهد شمشي إيلو، إلا أنه و لحسن الحظ أن الرسام كافرو قد عمد إلى نسخ تلك الرسوم عند اكتشافها وبالتالي يعتبر عمل كافرو المصدر الوحيد الذي يمكن من خلاله تكوين فكرة عن هذا المجال الهام من الفن الآشوري الحديث في النصف الأول من القرن الثامن ق. م ⁽¹⁾، من حيث التعرف على طبيعة تلك الرسوم و آلية تنفيذها ومدى المهارة التقنية التي نفذت فيها وخصائصها وموضوعاتها و أهميتها.

أ - الغرفة 24:

طول هذه الغرفة 24 م وعرضها 7,85 م حفظ ارتفاع الجدران لما يقارب 2.50 م زينت الغرفة برسوم وتصاميم زخرفية ضمن أفاريز ⁽²⁾ لعل أهمها المنظر الذي كان طوله أكثر من عشرين متراً، مثل الملك جالساً على عرشه وقد أمسك بصولجان طويله بيده اليسرى وبالأخرى يقبض على ما يشبه الزهرة وخلفه خدمه و موظفيه وحجابه و أمامه مجموعة أشخاص واقفين، ويرى مورتكات أن الشخص الجالس على العرش ما هو إلا القائد شمشي إيلو ويستند في رأيه هذا إلى أن الشخص الجالس على كرسي العرش يضع على رأسه إكليل وهذا عكس ما هو موجود في المشهد المشابه في الغرفة (47) ⁽³⁾ وبمنظرة تحليلية للمشهد يلاحظ أن الرسوم نفذت على خلفية بيضاء (كلسية)، في حين وزعت الألوان التي غطت ملامح الشخصيات بأسلوب متقن، وأما الملامح الجسدية للشخصيات فأغلبها كان مختفياً تحت أرديتها.

ب - الغرفة 47:

حفظت هذه الغرفة، الكبيرة الحجم نوعاً ما، في بعض جدرانها المتبقية التي وصلت أحياناً إلى ارتفاع (4,20م). حفظت رسوماً زخرفية هامة ⁽⁴⁾، ولعل أهمها المشهد المشابه لمشهد الغرفة (24) حيث صورت الرسوم الملك وقد جلس على عرشه وهو يستقبل موكباً كبيراً من المقهورين بدليل الشخص الراكع بمذلة عند قدمي الملك (الشكل 30)، وبجانب ذلك الشخص الراكع يظهر موظفاً كبير رافعاً يده باتجاه الملك وكأنه يخبره شيئاً ما، ووقف خلف الملك مجموعة من كبار رجال الدولة بأسلحتهم ⁽⁵⁾، ومن ذات الغرفة لدينا مشهد هام آخر يتكون موضوعه الرئيس من ثور مجنح ملتحي

(1)- غافليكوفسكا، مرجع سابق، ص 168

(2)- Albenda.p, op.cit,p.47.

(3)- مورتكات، الفن في العراق القديم، ص 396

(4)- Albenda.p, op.cit,p.50.

(5)- توفيق، مرجع سابق، ص 368

برأس بشري يبدو في حالة حركة (الشكل 31)، الخلفية زرقاء، غطاء الرأس طويل مكسو بالريش عند القمة، الجناح المقلوب له ريش أحمر وأزرق وتفضل خطوط زرقاء ستة شرائط بزخارف نفذت على أرضية بيضاء، أما الزخارف فهي أشكال ورود زرقاء محددة بدوائر سوداء، وفي الشريط الرابع أشكال تشبه ثمار الرمان أما في الشريط السادس فشغلته أشكال شجرة النخيل المكونة من ألوان زرقاء وحمراء⁽¹⁾.

-3-3-3 الممرات 24 و 28

من الرسوم الهامة على جدران هذين الممرين مشهد لمخلوق مجنح بهيئة آدمية وبرأس غير موجود يظهر وهو يخطو إلى الأمام وقد أمسك بعنق ثور بكلتا يديه، وكأنه يقوده للتضحية إلا أن الثور يبدو ساكناً دون أن تبدو عليه أي محاولة للتخلص من الوضع الذي هو فيه⁽²⁾ (الشكل 32).

-2-3-3-4 الغرفة 46:

كانت الغرفة 46 رواقاً طويلاً يربط الغرف (44) الحمام، (45) الساحة و (47). كان الإفريز بارتفاع يقارب (1,90 م) إلى مترين فوق مستوى الأرض وبحوالي (1,27 م) عرضاً، يقسم الإفريز إلى ثلاثة أقسام أفقيه بعرض متساو، القسمان الإطاريان (الإطار) مقسمان إلى خطوط حمراء، مع شرائط من الزهور والدوائر وبراعم من أزهار اللوتس، الزهور والدوائر بيضاء محددة بالأسود على أرضية زرقاء أما زهور اللوتس فعلى أرضية حمراء. وعلى الأرضية البيضاء للقسم المركزي من المشهد رسم جنين بأجنحة مزدوجة، نصف راكعين في صورة متعكسة، ويواجهان مربع شبيه بالمخدة، زين بخمسة شرائط بالأحمر والأزرق، والأبيض والأحمر والأزرق.

ويعد الجنيان أيديهما للأمام كما لو أنهما يشيران إلى الشكل الهندسي (المربع)، أما الأجنحة لون ريشها بالتناوب بالأزرق والأحمر على الأرضية البيضاء (الشكل 33). وقد أظهرت دقة متناهية في التلوين⁽³⁾. أيضاً صورت الرسوم الجدارية موضوعات أخرى مختلفة كمشهد العربات الحربية والجياد الملكية التي تبدو بحالة استعراض ومشاهد إعدام عدو مهزوم، كما لا تخلو بعض الرسوم من بعض المشاهد الدينية. وصورت إحدى اللوحات الجدارية مشهد صيد الأسود من العربات⁽⁴⁾ واستناداً لما تقدم يمكن التوصل للنتائج التالية :

إن الموضوعات التي عبرت عنها الرسوم الجدارية في قصر تل برسيب هي ذات الموضوعات التي اعتاد المرء على مشاهدتها في المنحوتات البارزة الآشورية : مواضيع سردية (روائية) مواكب

1)-Albenda.p, op.cit,p.50.

2)- Ibid. p.41

3)-Ibid.p.40-41.

4)-غافليكوفسكا، المرجع السابق، ص 168-169

دافعي الجزية، مواكب الأعداء والمهزومين يقفون في الحضرة الملكية، زخارف هندسية ونباتية متنوعة نسقت ضمن أفاريز ذات خطوط أفقية متعددة مخلوقات أسطورية (العفاريت المجنحة) بأشكالها المختلفة، لاسيما تلك القائمة على الجدران الجانبية في الممرات وقد غطت تلك الرسوم كامل مساحة الجدران⁽¹⁾.

أما الألوان المستخدمة لتلوين الرسوم وتخطيطها في قصر تل برسيب فكانت ألوان غامقة متجانسة تنوعت بين الأبيض والأسود والأحمر والأزرق⁽²⁾ وهي نفس الألوان التي استخدمت في تلوين الرسوم الجدارية في قصر الملك توكولتي نينورتا الأول (1244-1208 ق.م) في مدينة كار توكولتي نينورتا⁽³⁾ وأما الآلية التي نفذ فيها الفنان الرسوم الجدارية، فقد لجأ إلى رسم الخطوط أولاً ثم قام بتظليلها بالألوان وترك بعضها غير مظلمة⁽⁴⁾.

أخيراً تبين أن تاريخ الرسوم في قسمها الغالب يعود إلى عهد القائد شمشي إيلو⁽⁵⁾.

1)-Albenda.p, op.cit.p.33.

(2)-غافليكوفسكا، مرجع سابق، ص169

(3)-توفيق، مرجع سابق، ص 366

(4)-غافليكوفسكا، المرجع السابق، ص169

(5)-مورتكات، الفن في العراق القديم، ص396

الفصل الثالث

الحدائق والبساتين ومشاريع الري الملكية في العواصم الآشورية الحديثة (كلخو، دور شاروكين، نينوى)

أولاً - مدينة كلخو:

1- الحدائق والبساتين الملكية

أ- حدائق القصر الملكي والبساتين المحيطة

ب - حدائق الحيوان الملكية

2 - الحدائق والبساتين (حدائق النبات والحيوان) في ضوء المشاهد الفنية

3 -قناة الخصوبة (باتي هيجالي) Batti Hegalli

ثانياً - مدينة دور شاروكين:

1- الحدائق والبساتين الملكية في دور شاروكين

2- نماذج منتخبة لأعمال فنية تصور الحدائق الملكية في دور شاروكين.

3- تزويد دور شاروكين بالمياه (قناة شاروكين الثاني).

ثالثاً - مدينة نينوى :

1 -حدائق سنحريب الملكية وبساتين نينوى

أ -حدائق وبساتين نينوى الملكية (حدائق النبات والحيوان) في ضوء المشاهد الفنية

2 -مشاريع سنحريب الملكية لإرواء حدائق وبساتين نينوى

أ -المرحلة الأولى :بناء سد على نهر الخوصر وتحويل مجراه عبر قناة كيسيري وتوسيع

الينابيع في أعالي نهر الخوصر.

ب -المرحلة الثانية :

- توسيع الينابيع في جبال موصري وجبال تاس.

-إنشاء المستنقع (البحيرة) قرب نينوى.

- إنشاء سد على نهر الكومل.

- قناة سنحريب بين الكومل والخوصر.

- عبارة جروان كجزء من قناة سنحريب.

الفصل الثالث

الحدائق والبساتين ومشاريع الري الملكية

كان الاعتقاد الديني من أن المياه نعمة أسبغتها الآلهة على البشر سائد في بلاد الرافدين منذ القدم وما الإناء الفوار ذو الأصل السومري الذي ينبس منه مجريان يشكلان مصادر لنهري دجلة والفرات (الشكل 34) إلا خير دليل على ذلك، ومن هذا المنطلق بقيت المياه تعامل بنوع من القداسة في بلاد الرافدين وفي كافة أرجاء المشرق العربي القديم. ومن منطلق آخر شكلت الحاجة للمياه من أجل استخدامها في الزراعة عامل قوي في الجد في محاولة تأمينها في كل الأوقات والظروف لذا فمن غير المستغرب أن تكون أرض الرافدين قد عرفت أقدم أنظمة الري ولاسيما في الجزء الشمالي منها حيث كان الاعتماد على مياه الأمطار وسيلة أساسية للزراعة لكن مع ظهور دولة قوية كالإمبراطورية الآشورية الحديثة وظهور مدن وعواصم آشورية متعددة ذات كثافة سكانية عالية زادت الحاجة للمياه ولاسيما إذا علم المرء أن الاهتمام بالزراعة وتوسيع نطاقها كانت من أولويات الملوك الآشوريين بحكم الأوامر الإلهية القاضية بتوفير الرخاء للرعية، ناهيك عن ظهور ملوك آشوريين من أمثال آشور ناصر بال وشاروكين الثاني وسنحريب، أبدوا ولع شديد في اقتناء غرائب النباتات والأشجار المثمرة وحتى غرائب أنواع الحيوانات جلبوها من مختلف المناطق التي طالتها سطوتهم الملكية وأودعوها في حدائقهم الملكية الضخمة وهذه بدورها احتاجت لكميات كبيرة من المياه لإروائها وهذا ما دفعهم لبذل أقصى الجهود في سبيل توفير المياه لعواصمهم وللحدائق والبساتين المنشأة فكانت مشاريعهم الإروائية خير دليل على تطور نظم هندسة الري الآشورية الحديثة وعلى الرقي الحضاري الذي بلغوه في هذا المجال.

أولاً - مدينة كلخو:

يعدُّ نصب المأدبة (الشكل 35) الذي أقامه آشور ناصر بال الثاني تخليداً للاحتفال الذي أقامه بمناسبة تدشين قصره الملكي في كلخو واحداً من أهم المصادر المادية والكتابية الشاهدة على نشاطات هذا الملك في كلخو ومنها قناة الري التي شقها من الزاب الأعلى وجرها إلى البساتين والحدائق المنشأة حول قصره وحول العاصمة. كما أن نصوص آشور ناصر بال الثاني الحولية المنقوشة على مختلف الآثار المادية تشكل مصدر غني للمعرفة التاريخية يمكن من خلالها تكوين صورة واضحة عن الحدائق والبساتين المنشأة في كلخو وماحوته من أنواع للنباتات والأشجار والحيوانات المختلفة وكذلك عن كيفية تأمين مياه الري.

1 - الحدائق والبساتين الملكية:

أ - حدائق القصر الملكي والبساتين المحيطة:

((...زرعت البساتين بكل أنواع أشجار الفاكهة. عصرت الخمر (و) قدمت الفاكهة الأولى قربان لآشور، سيدي، وإلى معابد بلادي،... عبر البلاد التي زحفت عليها والمرتفعات التي عبرتها، الأشجار والنباتات التي شاهدها...))⁽¹⁾

يقدم هذا المقطع معلومات هامة في مجال المعرفة التاريخية فهو يلخص الاهتمام الملكي الذي أبداه آشور ناصر بال الثاني في مجال إنشاء الحدائق والبساتين ولو أكمل المرء المقطع لوجده يعدد أنواع مختلفة من النباتات والأشجار المألوفة منها والغريبة التي جلبها الملك خلال حملاته العسكرية من مناطق مختلفة وفي هذا السياق يسجل الملك الآشوري تجلات بليصر الأول (1117-1077 ق.م) في نقوشه وبافتخار كبير أنه أول ملك آشوري أقام الحدائق والبساتين وجلب غرائب النباتات وزرعها في بلاد آشور ((أخذت الأرز، شجرة البقس (و) البلوط من البلاد التي أخضعها لسيطرتي. بعض الأشجار لم تكن معروفة من الملوك السابقين أجدادي، لم يزرعوها، أنا زرعته في بساتين بلادي، حصلت على فاكهة البساتين النادرة التي لم تكن موجودة في بلادي (و) زرعته في بساتين آشور))⁽¹⁾.

إذا كان تجلات بليصر الأول يفتخر بأنه أول من أدخل غرائب النباتات لبلاد آشور فإن مسألة الاهتمام بالزينة النباتية وإنشاء حدائق النبات الملكية مقرونة بحدائق الحيوان قديمة قدم التاريخ سواء في حضارة بلاد الرافدين أو في حضارة مصر القديمة أو الحضارات اللاحقة الأخرى، وقد مكنت التحقيقات الأثرية من الحصول على طائفة من أفضل السجلات المرئية المحفوظة لحدائق النبات الأقدم في العالم ويأتي الدليل الفني الأوفر من مصر القديمة من مقابر يعود تاريخها من عام 2500 ق.م إلى عام 1400 ق.م ومثال ذلك من عهد الملكة حتشبسوت Hatshepsut التي حكمت نحو عام 1460 ق.م فمن خلال نقش في مجمع دفن الفرعونة في طيبة يعلم المرء أنه كان لدى الملكة حتشبسوت بُعد نظر، وفكرة ذكية في الحصول على غراس من نبات المر من القرن الإفريقي (بلاد بونت-الصومال) للبدء بزراعتها في مصر، إذ كان استيراد صمغ نبات المر اللازم للتحنيط ولحرق البخور مكلف جداً، وتذكر حتشبسوت في نقشها: ((لم يُجلب قط ما يشبه هذا (شتلات المر) من قبل لأي ملك منذ بدء الخليقة))⁽²⁾.

1) - Grayson.A, Assyrian Rulers, vol.1, p.27 .

1) - فوستر، كارين بولنجر، أقدم حدائق النبات وحدائق الحيوان، تر: مجلة العلوم الكويتية عن مجلة العلوم الأمريكية، مجلة العلوم، الكويت، مج16، 2000، ص 1-2 .

أما الدليل الأغنى من بلاد الرافدين فيأتي من بقايا القصور الآشورية الحديثة ولاسيما من فترة 880 ق.م إلى نحو 627 ق.م، فمنذ أيام آشور ناصر بال الثاني وبعده أبدى ملوك الإمبراطورية الآشورية الحديثة اهتمام بالغ بمختلف صنوف النباتات والأشجار التي صوروها في منحوتاتهم النافرة وأعمالهم الفنية الأخرى بدءاً من عهد آشور ناصر بال الثاني وتتويجاً بعهد آشور بانيبال، وهذا ما جعل من الممكن التعرف على المناطق الجغرافية التي نشأت فيها أصناف النباتات والأشجار وساعد أيضاً على معرفة الجذور الأصلية للعديد من النباتات والأشجار في بلاد آشور فمنها ما تبين أنه محلي ومنها ما تبين أنه جلب على يد الملوك الآشوريين الذين قاموا بدورهم بزراعتها في حدائق قصورهم وبساتينهم الملكية ⁽¹⁾ مبدئين تفاخر واعتزاز بالغ انعكس في منحوتاتهم وحولياتهم، فالملك آشور ناصر بال الثاني وكما ذكر في بداية الفقرة يفتخر بزراعة حدائق وبساتين كلخو بمختلف أنواع أشجار الفاكهة التي عصر من بعضها الخمر وقدمها للإله آشور وآلهة المعابد الأخرى. وفي نصب المأدبة يعدد أكثر من (41) نوعاً من الأشجار والنباتات التي جلبها من مختلف المناطق التي طالتها حملاته العسكرية وكذلك تلك التي كانت تصله على شكل هدايا من الملوك والحكام الأصدقاء ومن الضرائب والجزى التي تقدمها الشعوب المغلوبة، ولا شك أن تلك السلطات أدركت نوعية الأشياء التي تدغدغ الشعور الملكي الآشوري ومنها غرائب النباتات والحيوانات.

وفيما يلي مقطع من نصب المأدبة يعدد الأنواع النباتية المغلوبة من قبل آشور ناصر بال الثاني: ((...الأشجار والنباتات التي شاهدتها: الأرز⁽²⁾، السرو⁽³⁾، البقس⁽⁴⁾ (العرعر⁽⁵⁾،، لوز⁽⁶⁾،

1) Radner.Karen, "How did the Neo-Assyrian King perceive his Land and its resources" in: Rainfall and Agriculture in Northern Mesopotamia- Proceedings of the Third Mos symposium (Leiden 1999), Pihans, vol. 88, 2000, pp. 238-239 .

(2) -الأرز Cedar، ورد في السومرية بصيغة (GIŠ-ERIN)، وفي الأكادية بصيغة (erenu). انظر: -CAD: vol 5, D, p. 2.

3) السرو Cypress، ورد في السومرية بصيغة (GIŠ-ŠU-ÜR-MÍN)، وفي الأكادية بصيغة (Šurmênu). انظر: -CAD: vol 17, Š, part 3, p. 349.

4) -البقس Box، ورد في السومرية بصيغة (GIŠ-ŠIM-ŠAL)، وكذلك بصيغة (GIŠ-ŠIM-MIŠ-LI) وفي الأكادية (Simeššalū). انظر: -CAD: vol 17, part 3, p. 4.

(5) -العرعر Juniper، ورد في السومرية بصيغة (GIŠ-ŠIM-DUP-RA-NA)، وفي الأكادية (daprañu). انظر: -CAD, vol 3, D, p. 189.

(6) -اللوز Almond، ورد في السومرية بصيغة (GIŠ-LAM-KUR)، وفي الأكادية (Šiqdu). انظر: -CAD, vol 17, Š, pp. 94-95

بلح⁽¹⁾، أبنوس⁽²⁾، Meskanu^(؟)، زيتون⁽³⁾، Susun^(؟)، بلوط⁽⁴⁾، الطرفاء⁽⁵⁾،
Dukudu^(؟)، بطم⁽⁶⁾، Murrānu⁽⁷⁾، Mehru^(؟)، ...، Tillatu⁽⁸⁾، بلوط، Haluppu،
Sadanu^(؟)، رمان⁽¹⁰⁾، Salluru^(؟)، تنوب، Ingirasu⁽¹¹⁾، إجاص (كمثرى)⁽¹²⁾،

- 1 (بلح date palm: ورد في السومرية بصيغة (gi-šim-mar) و (gi-ši-mmarātu)، وورد في الأكادية بصيغة (gišimmaru). انظر: -CAD, vol. 5, G, p. 102 .
- 2 (-أبنوس ebony، ورد في السومرية بصيغة (GIŠ-GIR-AB-NU)، وفي الأكادية بصيغة (abn-u). انظر: -CAD, vol. 1, A, p. 54.
- 3 (-الزيتون olive: ورد في السومرية بصيغة (GIŠ-GI-RIM) و (GIŠ-SI-IR-DU)، وفي الأكادية بصيغة (sirdu). انظر: -CAD, vol. 15, Smp. 311.
- 4 (-البلوط oak: ورد في السومرية بصيغة (GIŠ-AL-LA-AN) وكذلك بصيغة (GIŠ-LAM-MAR)، وفي الأكادية بصيغة (allānu). انظر: -CAD, vol. 1, part 1, A. 354
- 5 (-الطرفاء tamarisk: وردت في السومرية بصيغة (GIŠ-ŠA-GIR)، وفي الأكادية بصيغة (tar-pa-u). انظر: -CAD, vol. 19, T, p. 358 .
- 6 (-البطم terebinth: ورد في السومرية بصيغة (GIŠ-LAM-GAL)، وفي الأكادية (butnu-butnanu). انظر: -CAD, vol. 2, B, p. 358.
- 7 (-وردت في السومرية بصيغة (GIŠ-MA-NU-SIG-SIG) و (GIŠ-MA-NU-MUR-RA) وفي الأكادية بصيغة (murrānu) ولمعناها عدة احتمالات منها أنها شجيرة للزينة زرعت في الحدائق الملكية أو نوع من الأعشاب أحمر اللون، أو صنف من أصناف شجرة الدردار ash، أو أنها مشتقة من murru الأكادية التي تعني المر. انظر: -CAD, vol. 10, M, part. 2, p. 220.
- 8 (-وردت في السومرية بصيغة (GIŠ-GEŠTIN-GAM-MA) وفي الأكادية (tillatu, tillutu)، ويبدو أنها نوع من أنواع العنب أو الكرمة. انظر: -CAD, vol. 18, T, p. 408-409 .
- 9 (-وردت في السومرية بصيغة (GIŠ-HA-LU-ÚB) وفي الأكادية بصيغة (haluppu, huluppu)، وهي شجرة ربما تكون نوع من أنواع البلوط، ورد ذكرها في ملحمة جلجامش الأسطر (26، 68). انظر: =CAD, vol. 6, H, pp. 55-56 .
- 10 (-الرمان pomegranate ورد في السومرية بصيغة (GIŠ-NU-ÚR-MA) وفي الأكادية (nurmú). انظر: -CAD, vol. 11, N, part 2, pp. 345-346 .
- 11 (-هي في السومرية (GIŠ-IN-GA-RA-SU) و (GIŠ-IN-GI-RA-SU) وفي الأكادية (ingirašu, imgirašu) شجرة أجنبية غير محددة النوع لكنه كان يستفاد من خشبها. انظر: -CAD, vol. 7, I and J, p. 147 .
- 12 (إجاص pear وردت في السومرية بصيغة (GIŠ-KIB-KUR-RA) وكذلك بصيغة (KA-MIŠ-ŠA-) RU) ومنها أتت تسمية الكمثرى (إجاص)، ووردت في الأكادية بصيغة (angašu). انظر: -CAD, vol. 1, A, part 2, p. 117.

سفرجل⁽¹⁾، تين⁽²⁾، عنب⁽³⁾، إجاص (كمثرى) (4)Titipu⁽⁵⁾،
(6)Sipputus، (7)Zanzaliqqu، (8)Swamp-apple، (9)Hambuququ،
(10)Nuhrtu، (11)Urzinu، (12)Kanaktu، ((...⁽¹³⁾

- 1 - السفرجل quince ورد في السومرية بصيغة (GIŠ-ŠENNUR-KUR-RA) وفي الأكادية بصيغة (supurgili). انظر: -CAD, vol. 15, S, p. 396 .
- 2 - التين fig ورد في السومرية بصيغة (GIŠ-PI-EŠ-ŠE-MA) وورد في الأكادية بصيغة (tittu, tiittu). انظر: -CAD, vol. 18, p. 435.
- 3 - العنب grapevines ورد في السومرية بصيغة (GIŠ-GURUN-HAD-MEŠ) وفي الأكادية بصيغة (inbu). انظر: -CAD, vol. 10, M, 322
-CAD, vol. 7, I, p. 144.
- 4 - Sumlalu وردت في السومرية بصيغة (ŠIM-GAM-MA) وكذلك (GIŠ-ŠIM-GAM-ME) ، وفي الأكادية بصيغة (sumlaliu و sumlalú) وهو نوع من النباتات العطرية. انظر: -CAD, vol. 16, S, p. 245.
- 5 Titipue وردت في السومرية بصيغة (GIŠ-TI-TI-IP) وفي الأكادية بصيغة (titipu) ، يحتمل أنها إحدى أشجار الفاكهة الأجنبية التي زرعت في الحديقة الملكية، أو أنها نوع من الفاكهة المقدمة على المائدة. انظر: -CAD, vol. 18, T, pp. 434-435.
- 6 - وردت في السومرية بصيغة (GIŠ-SAR-KI-ŠÚR-RA) وفي الأكادية بصيغة (Sipputu أو Sippatu) ، يحتمل أنها نوع من أنواع الفاكهة. انظر: -CAD, vol. 16, S, pp. 202-203 .
- 7 - Zanzaliqqu وردت في السومرية بصيغة (GIŠ-MEŠ-AŠAL) وبصيغة (GIŠ-ZA-AN-LI-QU) وفي الأكادية بصيغة (zanzaliqqu) وهي من أشجار الحديقة الملكية يعتقد أنها تحمل خاصية الفاكهة إلا أن ثمارها منفرة ولعلها تشبه الأكاسيا acacia. انظر: -CAD, vol. 21, Z, p. 49 .
- 8 - وردت في السومرية في صيغة (GIŠ-HAŠ-HUR) واحتفظت بذات التسمية في الأكادية hašhuru. انظر: -CAD, vol. 6, H, p. 140 .
- 9 - Hambaququ وردت في السومرية في صيغة (GIŠ-HA-MA-BU-QU-QU) وفي الأكادية (habbaququ أو habbaququ وكل ماهو معروف عنه أنه نوع من أشجار الفاكهة. انظر: -CAD, vol. 6, H, p. 13 .
- 10 - Nuhrtu وردت في السومرية في صيغة (GIŠ-NU-HUR-TU) وفي الأكادية nahurutu و nuhrtu. انظر: -CAD, vol. 2, N, part 2, p. 322.
- 11 - Urzinu وردت في السومرية في صيغة (GIŠ-ÚR-ZI-NU) ووردت كذلك بصيغة (GIŠ-ÚR-ZI-IN-NU) ووردت في الأكادية بصيغة hurzinu و urzinu و urzinu وهو نوع من الأشجار المجلوبة من المناطق الجبلية الغير محددة، ولا يعرف حقيقة نوعه. انظر: -CAD, vol. 20, U and W, p. 273 .
- 12 - Kanaktu وردت في السومرية في صيغة (GIŠ-ŠIM-GIG) وفي الأكادية بصيغة kanaktu و kanatku وهو إما نوع من الشجر أو منتج عطري مستخرج من هذه الشجرة. انظر: -CAD, vol. 8, K, p. 135 .

يلاحظ المرء أن الأصناف الإحدى والأربعون-على الرغم من عدم معرفة حقيقة بعضها- التي يعرضها آشور ناصر بال الثاني في نصه تتنوع ما بين أشجار فاكهة، بعضها منتجة للزيت والخمر، وثانية منتجة للأخشاب اللازمة للبناء، وشجيرات ونباتات زينة وأخرى عطرية، وقد قام آشور ناصر بال الثاني بجمع نماذج مختلفة من هذه الأنواع لحوائقه الملكية وبساتينه التي أقامها على جانبي قناة الخصوبة⁽¹⁾. ولا شك أنه نجح في تأسيس بيئة مشابهة لتلك التي شاهدها في حملاته بدليل النص التالي: ((تتحدّر القناة من الأعلى وتسقط في الحقائق، حيث ينتشر الشذى على الطرقات، وجداول الماء العديدة كعدد النجوم في السماء، تجري في الحديقة الجميلة. وهناك أشجار الرمان المزخرفة بالعناقيد مثل دوالي العنب... في الحديقة الملكية (أنا) آشور ناصر بال، في الحديقة الرائعة أقطف الفاكهة مثل [ثغرة]...))⁽²⁾.

من النص المذكور يمكن تكوين العديد من الأفكار والتصورات حول الحديقة الملكية في كلخو فالقناة (قناة الخصوبة) تتحدّر من مستوى أعلى لتصب في الحقائق الملكية عبر جداول وقنوات شقها مهندس آشور ناصر بال الثاني خلالها، وانتشرت الزهور الملونة

والنباتات العطرية على ضفاف الجداول. في حين انتشرت مختلف أشجار الفاكهة كالرمان والكرمة والتوت والإجاص والسفرجل... الخ في أرجاء الحديقة الملكية ولاشك أنها تأقلمت مع بيئة كلخو وأنتجت ثمارها التي يفخر آشور ناصر بال بجمعها منها، في حين انتشرت الأشجار الحراجية على أطرافها، وبالتأكيد شكلت دوالي العنب تحتها مكان مناسب لجلسة ملكية استجمامية.

من خلال هذا النص وغيره من النصوص لا يمكن للمرء إلا أن يصف آشور ناصر بال الثاني بالبستاني والمزارع النشط الذي يعنى بمزروعاته ويوفر لها مياه الري والبيئة الملائمة، لتضاف هذه الصفة إلى صفاته الشخصية كسياسي بارع وعسكري حاذق وبنّاء من الطراز الرفيع. لكن بنفس الوقت يجد المرء في شخصية آشور ناصر بال تناقض صارخ بين افتخاره بإنشاء الحقائق والبساتين وبين تمجيد نفسه كمدمر لمدن الأعداء وقاطع لأشجار بساتينها ومحرق إياها⁽³⁾.

أخيراً وليس آخراً لا شك أن آشور ناصر بال الثاني أراد من حوائقه الملكية أن تكون منطقة استجمام لنفسه يجد فيها الهدوء والسلام بعيداً ولو قليلاً عن مسؤوليات الدولة المرهقة ومشاكلها، ولاشك أيضاً أن الغاية من هذه الحقائق غاية تزيينية تجميلية للعاصمة كلخو التي حاول صاحبها أن يميزها عن غيرها من المدن لتليق بالعظمة الإمبراطورية، ولاشك أيضاً أنها كانت للتسلية الملكية وهذا ما

1) -Oates, Joan and David, Nimrud..., op. cit, p.33 .

2) -Grayson, A., Assyrian Rulers... (1114-859 B.C), vol. 1, p.290 .

3) -Radner, K., op. cit, p.240 .

حققه آشور ناصر بال الثاني بإنشاءه حدائق للحيوانات ضمنها مختلف الأنواع الغريبة. ومن ذلك كله تظهر للعيان شخصية متذوقة للجمال محبة للطبيعة.

ب - حدائق الحيوان الملكية:

تعد حدائق الحيوان الجزء الآخر المكمل للحدائق النباتية الملكية السالفة الذكر، لذا فهي قديمة قدم جزئها الآخر ويجدها المرء مقرونة فيها في كل المنحوتات والرسوم المكتشفة. ومرة أخرى كانت مصر القديمة وبلاد الرافدين من أقدم الحضارات التي وجد ملوكها في إقامة حدائق الحيوان وتضمينها غرائب الحيوانات نوع من التسلية الملكية ومجالاً للمفاخرة والمباهاة وبحسب المرء أن يذكر مثال من مصر القديمة وتحديدًا من عهد الفرعون تحوتمس الثالث (Tuthmosis III) (1468-1436 ق.م) حيث ذكرت أحد نصوصه أنه استمتع بحديقة حيوان ملكية كان من بين طيورها أربعة طيور هندية ((كانت تضع البيض يوميًا)) وهي أول دجاج مدجن في مصر الفرعونية وقبله كانت الملكة حتشبسوت قد حصلت على بعض قرود الرِّبَاح (البابون) لحديقة الحيوان الملكية.

وبالمقابل لا يكاد يخلو نص أو حولية من حوليات الملوك الآشوريين إلا وتوجد فيه إشارة إلى أنواع من الحيوانات حصلوا عليها إما على شكل غنائم أو جزى أو هدايا من حكام أصدقاء أو شعوب مغلوبة لا بل إنهم كانوا يسيرون حملات خاصة للحصول على غرائب الحيوانات والنباتات بغرض جمعها في حدائق قصورهم الملكية ليس لشيء إلا إرضاء للكبرياء الملكية الساعية للتميز وللحصول على تسلية تليق بالنفس الملكية العنيفة وما منحوتات الصيد الملكي إلا خير دليل على ذلك.

بغض النظر عن الحب والرغبة في جمع كل ماهو غريب فقد أبدى الملوك الآشوريون اهتماماً واضحاً في هذا المجال فبدلوا قصارى جهدهم للتأكد من أن الحيوانات المجلوبة ستأقلم وتتكاثر في بلادهم فأمنوا لها الأماكن الخاصة واستخدموا مختصين في هذا المجال⁽¹⁾. وفي هذا فإن آشور ناصربال الثاني لم يشذ عن ذلك لا بل كان من أصحاب السبق في هذا المجال بدليل نصوصه ومنحوتاته المعبرة عن ذلك فهو المتباهي بجمع غرائب النباتات والحيوانات من الأصقاع البعيدة والمفتخر باكتثار أعدادها بعد تكيفها وتوالدها في حدائقه وبساتينه. فيطالعنا في نص له نقش على تماثيل لثيران وأسود ضخمة من كلخو وهي من مقتنيات المتحف البريطاني اليوم، أنه وخلال حملته نحو البحر الكبير (المتوسط) وجبال لبنان تلقى الجزية من مدن وممالك الساحل السوري (صيда، صور، جبيل، أرواد، أمورو...)، ويذكر من ضمن هذه الجزية أنواع مختلفة من الحيوانات والطيور ومنها الناختيرو (Nahiru) الذي يبدو أنه نوع من الكائنات البحرية كاللافين أو الفقمة أو ما شابه ذلك، وأنواع أخرى من الحيوانات الصغيرة والكبيرة التي حرص آشور ناصر بال الثاني على نقلها حية إلى كلخو ومن ثم جهد من أجل تكيفها وتكاثرها في عاصمته الملكية، ومن هذا يفهم أن الملك قد

(1) - فوستر، المرجع السابق، ص 2-4 .

خصص أماكن خاصة في حديقة قصره الشمالي الغربي أو في أي مكان آخر من العاصمة كلخو وبما أنه جرى الحديث في النص الملكي عن مخلوقات بحرية فلا بد من وجود بركة أو عدة برك ضمن الحديقة الملكية وضعت فيها تلك المخلوقات.

يقول النص: ((...في ذلك الوقت تلقيت الجزية من ملوك شاطئ البحر، السوريين، الصيدايين، الأموريين، الجبيليين،...ومدينة أرواد القائمة وسط البحر،...وناخيرو مخلوق البحر، في ذلك الوقت تلقيت منه (ناخيرو) بأحجام كبيرة وصغيرة...، أحضرتها إلى بلادي آشور، وفي مدينتي كلخو ولدت منها قطيع كبير. جعلت الرعية في بلادي يشاهدوه))⁽¹⁾.

ثم يمضي آشور ناصر بال الثاني في نصه يُخبر عن أنواع الحيوانات التي اصطادها وهي على قيد الحياة ثم نقلها إلى عاصمته كلخو التي تجمعت فيها كل أنواع نباتات وحيوانات الجبال والغابات: ((بذراعي القوة، وباندفاعي الشجاع، قبضت على خمسة عشر أسداً من الجبال والغابات ونقلت خمسين من الأشبال. وجمعتها في أقفاص في كلخو وفي قصور بلادي. وربيت صغارها بأعداد هائلة. وأمسكت بنمور حية، وشكلت قطعان من الثيران البرية والفيلة والأسود والنعام والقرود الذكور والقرود الإناث والحمير البرية (حمار الوحش) والغزلان وإناث الدببة والنمور وحيوانات الجبال والسهول جميعها. جمعتها في مدينتي كلخو، وقمت بعرضها لكل الرعية في بلادي))⁽²⁾.

هذا النص يقدم صورة واضحة عن الحيوانات المجلوبة التي تضمنتها الحديقة الملكية في كلخو ويعلم المرء منه أن هذه الحقائق شكلت مثار دهشة للرعية التي شاهدها ((قمت بعرضها لكل الرعية في بلادي))، لكن التساؤل المحير هل كان يسمح للعامة بدخول الحدائق الملكية وهي من الخصوصية بمكان ؟؟؟!! أم كان هناك حدائق حيوان في أماكن أخرى خارج دائرة القصر الملكي؟ في الحقيقة لا يمكن إثبات ذلك مع صمت النصوص الكتابية.

ومن هذا النص يُعلم أيضاً أن عملية صيد الحيوانات حية كانت هواية ملكية محببة للملك آشور ناصر بال الثاني وبالتالي تجعل المرء يجزم بخروج الملك في حملات صيد خاصة، كيف لا وهو يفاجئنا بالقول في نقش مسلة المأدبة بأن الأوامر الإلهية فرضت اصطیاد الحيوانات البرية: ((الإله نينورتا(و) الإله نيرجال، اللذان أحبا كهانتي، منحاني وحوش البرية، وأمراني باصطيادها، وقد ذبحت 450 أسداً و 390 ثور بري، وبهجومي الملكي قطعت 200 نعامة كطيور محبوسة وأوقعت 30 فيلاً في فخ و 50 ثوراً برياً و 140 طائر نعام حي و 20 أسداً قوياً. تلقيت

1)– Luckenbill,D,D,ARAB,vol.1, , p.189 .

2)– Ibid,p.189 .

خمس فيلة برية من حاكم بلاد سوخي....شكلت قطع من الثيران البرية، الأسود، النعام، القروء الذكور، والقروء الإناث. ولدت قطعاناً منها...⁽¹⁾.

إن تحديد آشور ناصر بال الثاني بلاد سوخي كمكان وصلت منه الفيلة يسهم في تحديد البيئة الجغرافية التي نشأ فيها هذا النوع من الحيوانات وهي منطقة الفرات الأوسط، أيضاً إن كثير من الحيوانات الواردة في النص مصدرها الأراضي السورية.

وبلاحظ في هذا النص أيضاً لجوء ملوك آشور إلى تبرير وشرعنة اصطيادهم الحيوانات البرية بالقول أنها أوامر إلهية وبأن الملك حريص كل الحرص على تنفيذ رغبات الآلهة، ولعل هذا الأمر فيه إشارة إلى سيطرة الملك على الطبيعة واخضاعها. وأياً كان الأمر فإن فكرة الصيد الملكي التي يشاهدها المرء بأجلى صورها في المنحوتات النافرة من القصر الشمالي الغربي في كلخو خدمت عدة غايات فهي المفخرة الملكية والتسلية المفضلة عند آشور ناصر بال الثاني وهي برهان على قوة الملك ورجولته ما يبعث المهابة والرغبة في نفوس الأصدقاء قبل الأعداء، ولهذا جدّ آشور ناصر بال الثاني في اقتناء أشرس أنواع الحيوانات لاسيما الأسود وأودعها في أقفاص في حديقته الملكية، ثم وعندما تحين لحظة اللهو الملكي يتم إطلاقها وهنا تبدأ دراما تراجيدية تتمثل بمعركة صيد الأسود. وقد أبدع الفنان الآشوري في تصوير هذا المشهد أيما إبداع فأظهره بدقائق تفاصيله بدءاً من البطولة التي يبدىها الملك، إلى الشراسة والقوة التي تظهرها الأسود المكشرة عن أنيابها ثم بالمشاهد المؤلمة التي تصور الأسود وقد اخترقتها السهام والرماح وجعلتها تتلوى ألماً، وانتهاءً بمشهد سكب الخمر على جثثها وتقديمها قرابين للآلهة⁽²⁾.

2 - الحقائق والبساتين (حدايق النبات والحيوان) في ضوء المشاهد الفنية:

ذكر آنفاً أن الحصول على غرائب النباتات والحيوانات كانت هواية مفضلة لدى ملوك وحكام المشرق العربي القديم، فبلغ لديهم الاهتمام بهذا الأمر أن صوروه في منحوتاتهم ونقوشهم البارزة كنوع من المفاخرة والمباهاة. ويأتي أقدم مثال على ذلك من نحت بارز ملون من المعبد الجنزي في مجمع هرم الفرعون المصري ساحورع Sahure (نحو 2458-2446 ق.م) في منطقة أبو صير (نحو 5 كم شمال سقارة)، يصور النقش رحلة تجارية على طول الشاطئ الشرقي للبحر المتوسط ويظهر دبية سورية مزودة بأطواق وأرسان كانت من بين الهدايا المقدمة للفرعون ساحورع وكذلك جلب التجار أوعية سورية وقطع ضخمة من خشب الأرز الذي كانت له قيمة كبيرة في مصر⁽³⁾.

1 - Wiseman.D.J, op.cit , p.31 .

(2) - غافليكوفسكا، مرجع سابق، ص 163 .

(3) - فوستر، مرجع سابق، ص 4

وبالانتقال إلى عهد الملك الآشوري آشور ناصر بال الثاني الذي يُعد عهده بداية مميزة على صعيد ظهور وتطور المنحوتات النافرة لدى الآشوريين، وإن المدقق في منحوتات هذا الملك ومنحوتات خليفته شلمنصر الثالث يلاحظ تركيز على الحدث التاريخي المراد تصويره (الحملة العسكرية بمراحلها، تسلم الجزية، الصيد الملكي) أكثر من الاهتمام بالمشهد الطبيعي الذي يجري فيه الحدث وهذا الأمر كان واضحاً في العهد الأول للإمبراطورية الآشورية الحديثة إلا أنه أصبح أكثر تعقيداً وغنى وزاد الاهتمام بتفاصيل المشهد الطبيعي في العهد الأخير للإمبراطورية لاسيما في عهد الملكين سنحريب وآشور بانيبال⁽¹⁾.

وهنا قد يتساءل سائل كيف يمكن الوصول إلى حقيقة تصوير النباتات والحيوانات في منحوتات آشور ناصر بال الثاني والوصول لبعض التعميمات حول حداثته الملكية؟ هذا الأمر يمكن أن يتم من خلال الاطلاع على بعض المنحوتات التي تعنى بتصوير الحدث التاريخي.

- من أهم المنحوتات على الإطلاق والتي يمكن اعتبارها ممثلة للطبيعة بأسرها تلك التي تصور شجرة الحياة المقدسة الممثلة بشجرة النخيل وتعتبر المنحوتة المكتشفة من قبل لايارد في الغرفة (B) من القصر الشمالي الغربي من أفضل الأمثلة الدالة على شجرة الحياة (راجع الشكل 4). تظهر الشجرة المقدسة في الوسط وقد زخرفت بإطار من الزخارف التي تمثل أشجار نخيل مصغرة -أغلب الظن- ويظهر الملك آشور ناصر بال الثاني على جانبي الشجرة رافعاً يده اليمنى في كلتا الحالتين في مشهد يشير إلى الرعاية الملكية من قبل الملك لهذه الشجرة التي أضحت رمزاً للإمبراطورية الآشورية الحديثة، وفي القسم الأعلى من المنحوتة يظهر القرص المجنح رمز الإله آشور في حين تظهر خلف الملك من الجانبين المخلوقات الحارسة المجنحة تحمل بيدها اليمنى المرفوعة ما يشبه الكوز في حين تحمل بيدها اليسرى المسبلة إناء في مشهد يشير إلى القداسة المصبغة على الملك وعلى المشهد كاملاً الذي فُسر بأنه يمثل دورة الإحياء السنوي للنبات وحماية الملك لهذا الطقس بكونه راعياً للنباتات⁽²⁾. ومن هذا المنطلق لعل الملوك الآشوريين عدواً أنفسهم حكماً على البيئات الطبيعية كلها التي طالتها حملاتهم ولعلمهم أرادوا أن يروا ذلك بجلب نباتات وحيوانات تلك البيئات إلى مقراتهم الملكية.

- ومن الآثار الفنية المثيرة مشهد صيد الطيور (الشكل 36) المصور على مزهرية عثر عليها في إحدى غرف القصر الشمالي الغربي، يبلغ قطرها 29 سم وارتفاعها 27/5 سم، يظهر من الجانبين شكل

(1)- الحديدي، أحمد زيدان خلف، الحملات العسكرية الآشورية إلى الجهات الغربية (883-626 ق.م) في ضوء المشاهد الفنية، دراسات موصلية، العدد 21، 2008، ص 108.

(2)- Mallowan.M, Nimrud and its Remains, vol.1, p.97.

القرص المجنح وفي الوسط تظهر ثلاثة طيور يعتقد أنها طيور نعام على اعتبار سيقانها الطويلة، وتظهر في حالة ذعر فخلفها يظهر فارس ممتطياً جواده في حالة عدو سريع، ويعترض المشهد جدول ماء تظهر فيه أسماك كبيرة، ويبدو أنها محاولة من الفنان لإظهار البيئة الطبيعية التي يجري فيها الحدث التاريخي مكتفياً بإظهار الجدول دون أن يصور المشهد الطبيعي كاملاً، أما الجزء الأعلى من المشهد فقد زين بشريط ممتد بشكل أفقي تظهر فيه خطوط متعرجة مزدوجة كل اثنين منها يشكلان ما يشبه شكل البرج⁽¹⁾.

وفي هذا المشهد ككل يجد المرء تطابق الحدث التاريخي المصور فنياً مع النص الكتابي الذي تذكره النصوص الحولية العائدة لآشور ناصر بال الثاني كنص المأدبة على سبيل المثال الذي يذكر طيور النعام من بين الطيور والحيوانات التي قبض عليها حية وأودعها في أقفاص حديقته الملكية ولعله بالامكان التعرف على بيئتها الأصلية من العاجية التي تصور شخص يعتقد أنه فينيقي يحمل على كتفيه حيوان يشبه الماعز ويمسك بيده اليسرى رقبة طائر النعام في مشهد يشير إلى أنها نوع من الجزية المقدمة من البلاد السورية (الشكل 37).

عثر على هذه العاجية في إحدى غرف حصن شلمنصر الثالث خليفة آشور ناصر بال الثاني وهي محفوظة في متحف بغداد⁽²⁾.

-ومثال آخر قد يعكس تأثيراً حضارياً كبيراً ويمكن أن يأخذ كدليل على محاولات الفنان الآشوري في نقل المشهد الطبيعي ومحاولة تجسيده بشكل يلامس الواقع، منحوتة تمثل لبوة تقترس شاباً زنجياً بدليل شعره المجعد وسط أجمة من أزهار اللوتس ونبات البردي (راجع الشكل 5) وهنا يظهر التأثير المصري في الفن الرافدي لتقف المنحوتة دليلاً على الصلات الحضارية بين المنطقتين في فترة القرن التاسع ق.م.

صنعت المنحوتة من المرمر وزينت بالعقيق الأحمر والصفائح الذهبية، يبلغ ارتفاعها 10/5 سم، عثر عليها في إحدى آبار القصر الشمالي الغربي في كلخو وهي محفوظة اليوم في المتحف العراقي ببغداد⁽³⁾.

-ويمكن عرض مثال آخر أيضاً يدل على أنه من بين الأنواع المقدمة كجزية من الشعوب المقهورة أنواع مختلفة من الحيوانات كالمشاهد المصورة على المسلة السوداء (الشكل 38) العائدة

1 - Mallowan.M, Nimrud and its Remains, vol.1. p.119 .

2) -Herrman, Georgina, The small collections from Fort Shalmaneser, in: Ivories from Nimrud (1949-1963), fascicle V, The British School of Archaeology in Iraq, London, 1992, Pl.61

3) - Mallowan.M, Nimrud, vol. 1, pp.140-141 .

لشلمنصر الثالث، فتصف في عشرين لوحة منقوشة وفي كتابة مسمارية على الحافتين العليا والسفلى حملات الملك العسكرية والجزية التي تلقاها من جميع أنحاء إمبراطوريته، ومن المشاهد التي تعرضها المسلة حيوانات مجلوبة إلى الملك منها مشهد يمثل جلب الجمال مايدل على أنها مقدمة من عرب الصحراء ومشهد آخر يمثل موكب يتقدمه فيل وخلفه يظهر أشخاص يقتادون قرود مربوطة بأرسان وفي المشهد الذي يليه يظهر صف من الأشخاص يحملون ما يشبه الأقمشة وكذلك ألواح من الخشب. ومن هذه الأنواع يمكن للمرء أن يتكهن بالبيئة الجغرافية المجلوبة منها وهي البيئة السورية من جديد⁽¹⁾.

أخيراً يمكن القول أنه في عهد آشور ناصر بال الثاني تم الاعتماد في تخليد الحدث التاريخي المرتبط بإنشاء المباني الملكية، وإنشاء الحدائق والبساتين، والافتخار بجلب النباتات والحيوانات الغريبة، من خلال النقش الكتابي أكثر من تخليده على شكل مشاهد من المنحوتات النافرة أو غيرها من أنواع الفنون الأخرى وهذا مايفسر ندرة وجود منحوتات ورسوم تصور الحدائق الملكية بشقيها (حدائق النبات وحدائق الحيوان).

3-1-2 قناة الخصوبة (باتي هيجالي) Batti Hegalli:

احتاجت الحدائق والبساتين المنشأة في العاصمة كلخو إلى جر المياه إليها لسقايتها ولتأمين مياه الشرب لسكان المدينة، وقد حقق آشور ناصر بال الثاني ذلك عندما أمر بإنشاء قناة جلب عبرها الماء من الزاب الأعلى وجعله يفيض في جداول تخترق بساتين المدينة ثم أوصله إلى حديقته الملكية، وإلى اليوم لا زال بالامكان تتبع جزء هام من مجرى هذه القناة وهنا يتكامل النص الكتابي مع الدليل الأثري الملموس.

أطلق آشور ناصر بال على هذه القناة اسم باتي هيجالي أي قناة الوفرة أو الخصوبة في إشارة واضحة منه إلى أهمية القناة والدور الذي لعبته في ازدهار الحدائق والبساتين، في حين تعرف القناة محلياً باسم النقوب أو النكوب (Negub) وهو اسم أطلقه السكان المحليين على صدر القناة لوجود ثلاثة أبواب أو نقوب عند مدخلها محفورة في الصخر لتنظيم دخول الماء إليها⁽²⁾، حيث تظهر القناة في البداية كنفق عميق يمر عبر تل مرتفع على الضفة الشمالية من نهر الزاب الأعلى مقابل القرية

(1)-مورتكات، تاريخ الفن، ص394

(2)-سوسة، أحمد، تاريخ حضارة وادي الرافدين في ضوء مشاريع الري الزراعية والمكتشفات الآثارية والمصادر التاريخية، ج2، دار الحرية، بغداد، 1986، ص122.

الحديقة كوير Quwair⁽¹⁾ (الشكل 39) وهذا ما يوضحه نص آشور ناصر بال الثاني: ((حفرت قناة من الزاب الأعلى، شققته عبر قمة الجبل، (و) أسميتها باتي هيجالي))⁽²⁾.

يبدو أن هذه القناة كانت على درجة من الأهمية دفعت معها الملوك الآشوريين الذين أعقبوا آشور ناصر بال الثاني على الاستمرار في ترميمها والعناية بها فقد عثر في القصر الشمالي الغربي في كلخو على نص مكسور نقش على بلاطة جدارية تشير إلى أن تجلات بليصر الثالث أعاد ترميم نظام القناة في كلخو⁽³⁾، كما تمكن ليارد من العثور في خارج النفق على لوح حجري منقوش بنص غير كامل للملك أسرحدون يسجل قيام هذا الملك بعمل ما على القناة إما توسعة أو كربي وتنظيف⁽⁴⁾. وفي نهاية النفق تظهر القناة مسيطرة الزاب الأعلى وقد حفرت في الصخر بعرض أربعة أمتار وتستمر حتى تصل سهول كلخو الجنوبية⁽⁵⁾ ثم تجري بمجرى متعرج نحو المدينة قبل أن تختفي على مسافة 3/5 كم جنوب شرق القلعة وفيما إذا استمرت بالطريق المرسوم لها الظاهر في (الشكل 39) فإنها ستصل إلى حوالي منتصف الطريق الواصل بمحاذاة السور الجنوبي للمدينة وهنا من المفترض أنها تحولت غرباً لتصب في نهر دجلة على الرغم من عدم وجود دليل باقي عن مجرى القناة هنا⁽⁶⁾.

لكن مما لا شك فيه أن القناة تدخل القلعة لتصل إلى حديقة القصر الشمالي الغربي أو قد يكون جدول مأخوذ من القناة ذلك أن آشور ناصر بال الثاني يذكر في نقش المأذبة وجود جداول تخترق الحديقة الملكية: ((تنحدر القناة من الأعلى وتسقط في الحقائق... و جداول الماء العديدة كعدد النجوم في السماء تجري في الحديقة الجميلة...))⁽⁷⁾

من هذا النص يظهر أن الهدف من القناة هو إرواء الحقائق الملكية والبساتين المحيطة بالعاصمة لا سيما أن بعض الآراء تذكر أن موقع مدينة كلخو أقيم في مكان كان أعلى من مستوى فيضان نهر دجلة الذي كان بكل الأحوال يفيض في وقت لا يتوافق مع مواسم البذر والسقي، لذلك

1)-Davey.J.Christopher, The Negub Tunnel, Iraq, vol.47, 1985, p.49 .

2)-Grayson.A, Assyrian Rulers ... (1114-859B.C), vol.1, p.290 .

3)-Davey.C, op.cit, p.49 .

4) -Ellison, Elizabeth .Rosemary, A Study of Diet in Mesopotamia (3000-600B.C) and associated Agricultural Techniques and Methods of food preparation , University of London, 1978, p.80 .

(5)-سوسة، المرجع السابق، ص 122 .

6)- Oates, Joan and David, op.cit, p.33 .

7)- Grayson.A, Assyrian Rulers ... (1114-859B.C), vol.1, p.290 .

أضحت مسألة شق القناة ضرورة ملحة، ومن المؤكد أيضاً أن القناة استعملت لتأمين مياه الشرب للعدد الكبير المتنامي لسكان العاصمة⁽¹⁾.

لقد قدرت الأرض التي ترويه القناة ب(25 كم²)⁽²⁾ وقد لا يكون هناك مبالغة في هذا الرقم إذا علم أن طول القناة قد قدر بنحو ثمانية عشر كم⁽³⁾.

ثانياً - مدينة دور شاروكين:

يذكر شاروكين الثاني في نص له بمناسبة تأسيس عاصمة جديدة في موقع دور شاروكين: ((...الملك الحكيم...الذي أعطى أوامره لإعادة بناء (المدن) التي تحولت إلى أنقاض، إلى حراثة الحقول، إلى زراعة البساتين، الذي وضع في فكره زراعة المحاصيل على المنحدرات العالية التي لم تزهر من قبل، الذي تحرك قلبه لزراعة الفقار حيث لم يكن المحراث معروف (في كل الأيام) لدى الملوك السابقين، ليجعل هذه المناطق تدوي (صوتها) بابتهاج، ليدفع الينابيع إلى السهل ليدر باستمرار، ليفتح قنوات الري، ليجعل المياه الغزيرة تتدفق شمالاً وجنوباً مثل موج البحر...))⁽⁴⁾.

هذا المقطع يقدم صورة واضحة للرعاية الكبيرة التي أولاها شاروكين الثاني للناحية الزراعية في بلاد آشور عامة ودور شاروكين خاصة، ويظهر بمظهر الراعي للزراعة والبستنة والمحب للطبيعة وهذا يأتي ولا شك من منطلق واجبه الملكي تجاه الإمبراطورية ورعاياها التي يخاف عليها من العوز والجوع ومن منطلق واجبه الديني في إرضاء الآلهة، ويأتي أيضاً من باب التفاخر والتباهي الذي اعتاده ملوك الإمبراطورية الآشورية الحديثة، وهو في هذا لم يختلف عن آشور ناصر بال الثاني.

وفيما يلي سيقصر الحديث على نشاطات شاروكين الثاني في عاصمته دور شاروكين وكيف أنشأ حدائقها وبساتينها وأمن لها حاجتها من المياه.

1 - الحدائق والبساتين الملكية في دور شاروكين:

أقام شاروكين الثاني حدائق واسعة في قصره الملكي وفي البساتين التي أحاطت بالعاصمة، ويجد المرء دلالة ذلك في نقوشه وعدد من مراسلاته الملكية وفي مشاهد من المنحوتات النافرة التي زينت قصره الملكي⁽⁵⁾ فيفتخر بأنه جعل حدائق وبساتين مدينته تشبه جبال الأمانوس: ((...حولها أنشأت متنزه صورة طبق الأصل عن جبال أمانوس...))⁽⁶⁾.

1)- Ellison, E, R, op. cit, p. 79 .

2)-Oates, Joan and David , op. cit, pp. 33-34 .

(3)-سوسة، مرجع سابق، ص 122 .

4)- Luckenbill, D. D, ARAB, vol. 2, pp. 60-62 .

5)- Radner, K, op. cit, p. 239

6)- Luckenbill, D. D, ARAB, vol. 2, p. 42.

هذا المقطع يظهر افتتاح ملكي بطبيعة البلاد السورية الواقعة غرب بلاد آشور . ولا شك أن القيام بهذا الأمر اقتضى تخطيط ومتابعة ملكية ونص الرسالة التالية التي بعثت من مقاطعة شمالية إلى الشرق من نصيبين يؤكد ذلك، حيث يقرأ فيها: ((فيما يتعلق بالغراس التي كتب لي بخصوصها الملك، سيدي، يوجد الكثير من الثلج والجليد، لذلك لم يتمكنوا من قطفها بعد، سوف يقطفونها ومن ثم يحضرونها إلى دور شاروكين في بداية القمر الجديد من آذار [الربيع المبكر]))⁽¹⁾.

هذه الرسالة تؤكد أن الملك يتابع شخصياً مسألة إنشاء الحدائق وتزويدها بكل الأصناف النباتية التي يرغب بمشاهدتها من شرفات قصره المرتفع عن الأسوار، وهذه الميزة العمرانية جعلت بالامكان مشاهدة الحدائق الملكية والطبيعة الخلابة المحيطة بالمدينة في مشهد أخذ يذكر بغابات الأمانوس⁽²⁾ لقد جعل شاروكين الثاني حدائقه الملكية تنشأ تحت ناظره فتابعها خطوة بخطوة وزرع فيها كل أنواع النباتات والأشجار المنتشرة في ((سورية)) وغيرها من البلاد. ((... نباتات كل الجبال، أقمتها على جوانبها (جوانب المدينة) ...))⁽³⁾.

تم العثور على سبع رسائل تشير صراحة إلى غراس الأشجار والنباتات العطرية المطلوبة من بلاد خاني (سورية) أي من المناطق الشمالية الغربية لبلاد آشور والاستثناء الوحيد هو رسالة من مقاطعة شمالية إلى الشرق من نصيبين وقد سبق ذكرها أما الرسائل الأخرى فهي بمعظمها من منطقة الخابور، وفيما يلي رسالة هي على درجة كبيرة من الأهمية في مجال الجغرافية التاريخية وفي معرفة الأصل الجغرافي للعديد من النباتات والأشجار.

فتشير الرسالة إلى غراس مأخوذة من بلاد سوخي Suhi ولاقي Lاق في منطقة الفرات الأوسط: ((أنا فرضت على الشعب في نيمد عشتار Nemed-Istar⁽⁴⁾ 2350 حزمة من شجرة التفاح (غراس) و 450 حزمة من شجرة فاكهة...، جميعها 2800 حزمة، في اليوم السادس من شهر شباط Shebat أعدت السيد نن NN إلى دور شاروكين، ناني Nani وملك سوخي قدما إلي ومعهما Ahu-illika و Zabina انتزعوا غراس اللوز Almond، السفرجل Quine والإجاص

1) Parpola.S, "The construction of Dur-Sharrukin in the Royal correspondence " Korsabad le Palais de Sargon II Roi d'Assyrie , Louvre, 1994, p.58 .

2)– Novak, Mirko, From Ashur to Nineveh: The Assyrian Town-planning Programm, Iraq, vol.66, 2004, p.181 .

3)– Luckenbill, D.D, ARAB, vol.2, p.42 .

4) -نيميد عشتار يعتقد أنها تل عفر الحالية على بعد 60 كم شمال غربي الموصل. انظر: حنون، مدن قديمة ومواقع أثرية، ص 99-100.

Plum ونقلوها إلى دور شاروكين. السوخيون والأناس المحليون أحضروا أيضاً غراس من بلاد لاقى 10000 حزمة من أشجار التفاح، طلائعها قد وصلت وأنا رأيتها، لكن الحامية لم تصل بعد ((⁽¹⁾.

هذه الرسالة وغيرها من الرسائل لا تعطي فكرة عن أعداد الأشجار وأنواعها التي تحتاجها الحدائق الملكية وبساتين المدينة فحسب وإنما أيضاً تظهر الكفاءة والدقة في التعامل مع مسألة الحصول على الغراس وهذا الأمر غير مفاجئ بالنسبة لشاروكين الثاني لا سيما إذا عرف المرء أن شاروكين ما فتأ يذكر في نصوصه أنه قضى العديد من الليالي وهو يفكر ويخطط لبناء مقره الملكي الجديد، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى إن تحديد منطقة الخابور يعطي دلالة واضحة على الأهمية الطبيعية للمنطقة آنذاك، ومن هذه الرسالة يعلم المرء أن أشجار التفاح واللوز والسفرجل والإجاص هي من أشجار منطقة الفرات الأوسط وبالتالي أضحت هذه الأشجار دالة على بيئتها الجغرافية.

وتشير الرسائل الأخرى إلى أنواع إضافية من أشجار الفاكهة وكذلك إلى الأشجار الحراجية كالأرز والسرور والصنوبر والمجلوبة من المناطق الجبلية السورية بالطبع، في حين أن الصنوبر قد يكون قد جلب أيضاً من بلاد أورارتو التي تنتشر في مناطقها أشجار الصنوبر بكثرة. وبالتالي صار بالامكان عند مشاهدة هذه الأصناف من الأشجار مصورة على المنحوتات النافرة وغيرها من الأعمال الفنية التي زاد فيها تمثيل المنظر الطبيعي بدرجة كبيرة -كما سيتضح في الفقرة التالية- صار بالامكان تحديد مناطقها الجغرافية وبيئاتها الطبيعية التي جلبت منها مما يسهم في إعطاء صورة واضحة عن أصول النباتات والأشجار المنتشرة في بلاد آشور ويسهل تقسيمها ما بين محلية ومجلوبة.

بالمقابل إن تغني شاروكين الثاني في نصوصه وفي منحوتاته بحدائقه الملكية يدل صراحة على نجاح محاولته في نقل صورة البيئة الطبيعية الموجودة في الغرب السوري إلى عاصمته الملكية دور شاروكين مما يدل أيضاً على ملائمة مناخ بلاد آشور لزراعة هذه الأصناف من النباتات والأشجار⁽²⁾. شابه شاروكين الثاني في هذا سلفه آشور ناصر بال الثاني وحقق نفس نجاحه في إنشاء الحدائق الملكية، كما شابهه في الغاية من إنشاء الحدائق الملكية ألا وهي الإعجاب بالبيئات الطبيعية التي شوهدت أثناء الحملات العسكرية، والرغبة العارمة في أن تكون تلك البيئات داخل عواصمهم، إنه الغرور الملكي والرغبة الجامحة في تملك حتى البيئات الطبيعية وإحضارها صاغرة إلى المقر الملكي. والغاية في ذلك أيضاً أن يجد شاروكين الثاني مستقراً طبيعياً لإراحة النفس وعزلها عن مشاغل الحكم ومشاكله. وقد أظهر توحيد المصادر النصية والمصادر المرئية المصورة في المنحوتات النافرة مدى الانغلاق وصعوبة الوصول إلى الملك عندما يكون في حديقته الملكية وهذا ما

1) Parpola.S, Construction of Dur-Sharukin..., pp.58-59 .

(2) - الحديدي، مرجع سابق، ص 109 .

تظهره رسالة موجهة إلى شاروكين الثاني تبين كيف يتحایل الموظفون للوصول إلى الملك عندما يكون داخل حديقته الملكية (1).

أيضاً شابه شاروكين الثاني سلفه آشور ناصر بال الثاني في شخصيته المتناقضة فهو المحب للطبيعة والمزارع والبستاني وصاحب الذوق في تبصر الجمال، لكنه من جانب آخر صاحب النزعة الهمجية في تدمير بساتين الأعداء وقطع أشجارها وإحراقها وهذا ما يتضح أيضاً من نصوصه وحوليّاته الملكية ومنحوتاته النافرة والمرء أن يأخذ مثلاً على ذلك المنحوتة التي تصور إحدى حملاته ضد المناطق الجبلية الشمالية (الشكل 40)، يظهر جنود آشوريون في البساتين وهم يقطعون الأشجار الواحدة تلو الأخرى وينتفون المحاصيل. ومن خلال تصوير مشهد الجبال المكتضة بأشجار الصنوبر يعلم المرء أن الحدث يجري في إحدى مناطق مملكة أورارتو (2).

2- نماذج منتخبة لأعمال فنية تصور الحقائق الملكية في دور شاروكين:

ذكر سابقاً أن تصوير المنظر الطبيعي في المنحوتات التي أنتت من عهد آشور ناصر بال الثاني كان ضعيفاً بدرجة كبيرة إلا أن الوضع اختلف في عهد السلالة الشاروكينية فقد حصل تطور كبير فأصبحت المنحوتات النافرة تميل إلى الواقعية من خلال محاولة الفنان الآشوري إظهار المشهد التاريخي بصورته الحقيقية قدر الامكان وقدم ذلك على خلفية غنية بالمناظر الطبيعية فأصبح المنظر الطبيعي في العديد من المنحوتات جزء من الحدث التاريخي (3).

هذا الأمر ساعد على تقديم صورة واضحة عن البيئة الطبيعية الآشورية وعن الحقائق الملكية الآشورية وحتى تكوين صورة واضحة عن البيئات الأخرى في العديد من المناطق خارج نطاق بلاد آشور.

وفيما يلي بعض مشاهد المنحوتات التي توصل لهذه الحقيقة:

- واحد من أهم المشاهد يأتي من الغرفة السابعة من قصر شاروكين الثاني الملكي (الشكل 41)، يظهر من جهة اليسار بناء بجانب غابة جبلية مكتظة بأشجار الصنوبر حيث يظهر الصف الأول على جانب الجدول في حين تظهر الأشجار الأخرى البعيدة بمستوى أعلى من الصف الأول، وقد يكون هدف الفنان من ذلك الإيحاء ببعد الأشجار البعيدة فظهرت كما لو أنها معلقة في الفراغ، أو أنه قصد التعبير عن الارتفاع التدريجي للجبل، في حين يظهر جدول الماء ساكناً لا يعكر

1 - Radner, Karen, op. cit, p. 240 .

2)Power, Bruce. Arthur, Iconographic Windows to Ezekiel's World, University of Toronto, 1999, pp. 263-264 .

(3) - مورتكات، الفن في العراق القديم، ص 409-410 .

صفوه سوى حركة بعض الأسماك وفيما يبدو أنها طيور إوز تسبح وتظهر في الخلف منطقة سهلية مزروعة بأشجار تشبه الفستق أو ما شابه (1).

إن هذا التصوير يوحي بأن المشهد قد حدث في منطقة جبلية عليها في بلاد أورارتو أو في البلاد السورية، يعزز ذلك البناء الجانبي الذي قال عنه بلاس أنه معبد، يظهر مرتفعاً ويبدو السطح محمول على أعمدة ذات تيجان وهذا البناء يذكر بنمط بيت خيلاني/عيلاني الشائع شمال سورية والأناضول وبالتالي ينهض دليلاً آخر على أن الفنان قصد من هذا المشهد نقل البيئة الجبلية بكل عناصرها التي دلل عليها من خلال الإيحاء بالمنظر الطبيعي، وبالعودة قليلاً إلى الجانب العمراني في قصر شاروكين الملكي نعلم أن الغرفة السابعة التي زينت جدرانها بمشاهد المنحوتات النافرة ومنها هذا المشهد هي جزء من جناح السكن الملكي الذي يمتد خارج الشرفة إلى الشمال الغربي والذي لا يوجد اتصال مباشر بينه وبين بقية أجزاء القصر إلا من خلال منفذ واحد، وهو (جناح السكن الملكي) يتمتع بموقع ممتاز إذ ينفتح على الجزء الواسع من الشرفة وبواجه نهر الخوصر والجبال المرتفعة ذات القمم المغطاة بالثلوج، يوجد بناء ملحق يتوضع قريباً من نفس الشرفة الواسعة (2)، يشبه البناء المذكور أعلاه الذي قال عنه بلاس أنه معبد ما يجعل المرء يجزم أن هذه المنحوتة وإن كانت تصور بيئة جبلية ونمط عمراني (بيت خيلاني) منتشر في بيئة معينة تصور الحديقة الملكية في قصر شاروكين الثاني وأن البناء ذو الأعمدة خدم كمكان يجلس فيه الملك للاستمتاع بالبيئة الجبلية التي نقل صورتها بالكامل، بما فيها إنشاءه تلة صناعية من الأتربة جعلها مكتضة بمختلف صنوف الأشجار، وبذلك تطابق المشهد الفني مع الأثر العمراني المثبت بالتنقيب الأثري.

-منحوتة أخرى من قصر شاروكين الملكي من ذات الغرفة السابعة ومن نفس الصف الذي عرض فيه المشهد السابق، وهنا من المناسب الذكر أن المشهد الواحد في عهد شاروكين الثاني وما بعده امتد على عدة منحوتات نافرة مشكلاً وحدة زمانية ومكانية (3)، تقدم مشهد صيد ملكي في حديقة ملكية آشورية أو في إحدى البقاع الآشورية التي زرعت بأشجار الصنوبر (الشكل 42) يظهر الملك في عربته الملكية يجرها حصانان ومعه حاشيته قسم على ظهور الخيل وقسم آخر يمشي على الأقدام ويحملون أسلحتهم ومعهم طرائد الصيد.

وفي مرحلة أخرى من عرض مشهد الصيد هذا يظهر الملك وقد ترجل عن مركبته وتوغل داخل غابة الصنوبر التي تعج بالطيور، في حين يظهر مرافقه وقد أثقلتهم الطرائد التي تنوعت ما

1)- Loud.G,Khorsabad I,p.72 .

2)-Ibid,pp.70-71 .

3)-محمد علي، ياسمين عبد الكريم، المنحوتات الجدارية خلال عصر السلالة السرجونية-دراسة تحليلية بين النص المسماري والمشهد الفني، جامعة الموصل، 2011، أطروحة دكتوراة غير منشورة، ص 174 .

بين طيور وأرناب وما يبدو أنه غزال حي محمول على الكتف (الشكل 43) في حين غابت عن المشهد مناظر صيد الأسود والثيران والوحوش المفترسة ولعل هذا ناجم عن تبدل في العقلية الملكية الآشورية أو قد يفسره المرء بأن قوة الملك وسطوته وقوة إمبراطوريته أصبحت حقيقة ماثلة لا تحتاج للإثبات.

أيضاً إن المدقق في المشهد يلاحظ اختلاف أحجام الهيئات البشرية والأشجار بشكل ملموس كما لو أنها نقشت اعتباطاً ودون تصور مسبق، ولعلها محاولة غير ناجحة من الفنان اعطاء فكرة عن التعاقب الزمني بين الشخصيات القريبة من عين الرائي وتلك البعيدة المتوغلة في الداخل⁽¹⁾.

إن تصوير مشاهد الصيد في هذه المنحوتات يقدم لأول مرة مثال شكلت فيه البيئة الطبيعية محور الحدث مع أن هذا الحدث مرتبط بالحدث الأول (مشهد الصيد) لكن الجديد كلياً أن المنظر الطبيعي الذي يحوي أشجار الصنوبر المرتبة في صفوف يصور الحقائق والحراج الآشورية وبالتالي فإن مشهد الصيد قد تم ضمن الحقائق أو الأحرار الآشورية وبذلك نجح الفنان في تقديم صورة حقيقية لجانب من البيئة الآشورية المحدثه وبذلك تطابق النص التاريخي الذي أخبرنا عنه شاروكين الثاني في نصوصه مع المشهد المرئي في المنحوتات النافرة والذي نقله الفنان الآشوري ببراعة ودقة عالية وبذلك اختفى الفراغ الذي كان يُشاهد قبل عهد شاروكين الثاني وأصبح الفراغ مجالاً للتعبير يرسل رسائل واضحة عما يريده الفنان⁽²⁾.

3-تزويد دور شاروكين بالمياه(قناة شاروكين الثاني):

إن المعلومات المتاحة عن هذه القناة ضئيلة جداً وتقتصر على بعض الإشارات التي تقدمها النصوص والرسائل الملكية وبالتالي لا تمكن المرء من تقديم صورة واضحة عن القناة من حيث منبعها وخط سيرها وخطوات بناءها إلا بصورة ظنية.

ومع ذلك من الممتع معرفة أن شق القناة جاء بعد موافقة إلهية وبعد أن قدم شاروكين الثاني تضرعاته وكلماته الطيبة بحق الآلهة التي أبدت موافقتها لبناء المدينة وشق القناة: ((...الكلمات الصالحة من فمي، التي كانت محبة، نالت فائق الرضا من الآلهة، سادتي، الذين أمروا بأنه يجب أن تبني المدينة وتحفر القناة))⁽³⁾.

يلاحظ أن شاروكين اعتمد على اكساب مخططه لبناء المدينة شرعية إلهية وهذا حال كل الملوك الآشوريين وغير الآشوريين لشرعنة أعمالهم.

(1)-مورتكات، الفن في العراق القديم، ص 410 .

(2)-الحديدي، أحمد، مرجع سابق، ص 109 .

3) -Luckenbill.D.D,ARAB,vol.2,p.64 .

كما يمكن أن تُستخلص نقطة هامة وهي أن العمل على القناة كان قد بدأ مع الشروع بالبرنامج العمراني في دور شاروكين نحو 717 ق.م- هذا إذا سلم المرء جدلاً أن النقش قد كتب مع بداية تأسيس المدينة- وتحديدًا بعد الانتهاء من بناء سور المدينة، هذا المقترح يجده المرء في إحدى الرسائل الموجهة إلى الملك شاروكين الثاني وتذكر على ما يبدو آلية العمل في حفر القناة وتطلب أيضاً رأي الملك في قضية ما متعلقة بأعمال القناة⁽¹⁾.

ذكر سابقاً أن دور شاروكين أقيمت في موقع ذي أرض زراعية خصبة أسفل جبل موصري (بعشيقه حديثاً) وعلى مقربة من نهر الخوصر وهذا ما يوضحه نص شاروكين نفسه: ((...مدينة ميغانوببا Magganubba، التي تقع أسفل جبل موصري، الجبل (القائم) مثل العمود فوق مجرى الماء، وأرض نينوى القابلة للحراثة، الموقع الذي لم يفكر أحد من الأمراء القدامى الـ 350 الذين عاشوا قبلي،...، ولم يعرفوا كيف يجعلوا حفر قناة ممكناً، (لكن أنا)، بحكمتي الشاملة،...، خططت ليل نهار لإنشاء المدينة...))⁽²⁾.

إن جملة فوق مجرى الماء تجعل المرء يجزم أن المقصود هو نهر الخوصر وبالتالي يمكن الاعتقاد بأن القناة قد أخذت من نهر الخوصر ومن ثم تم إيصالها إلى البساتين المحيطة بالمدينة وتوزيع مياهها عبر جداول ومن ثم دخلت القناة الحديقة الملكية في قصر شاروكين الثاني. هذا الأمر يبقى مجرد افتراض مع غياب الأدلة الأثرية حول هذه القناة وضعف الأدلة النصية وعدم قدرتها على تقديم صورة واضحة عنها، مع أنها أظهرت شاروكين الثاني كملك حريص على رعاياه وعلى أن تكون محاصيل بلاده وافرة لدرجة أنه كان يتابع أحوال المطر ونسبه في مقاطعاته ويجد في تقديم الصلوات للآلهة لتتعم بلاده بوفرة المياه والخيرات وهذا ما تعكسه رسالة كتبها إيشاردوري Issarduri حاكم مدينة أرابخا Arrapha (كركوك) إلى الملك شاروكين الثاني يخبره بأحوال المطر ووضعية المحاصيل في مدينته، الأمر الذي يدل على دقة إدارية كبيرة ومركزية متناهية: ((إنها أمطرت كثيراً، المحصول سيكون جيداً، الملك، سيدي، يمكنه أن يسعد بذلك))⁽³⁾.

وفي نص آخر لشاروكين الثاني، عثر عليه منقوش على عتبة إحدى بوابات معبد إله العاصفة أدد في دور شاروكين، نجد الملك شاروكين الثاني يقدم صلواته وتضرعاته للإله أدد في سبيل أن يعم الخير بلاده: ((...أدد، المتحكم بقنوات المياه في السماء والأرض،... لأجل شاروكين...باني

1) -Parpola.S, Construction of Dur-Sharrukin..., p.65 .

2) - Luckenbill.D.D, ARAB, vol.2, p.63 .

3) - Radner.K, op.cit, p.236 .

مقدسك [حرم الإله أدد]، أحضر المطر من السماء واجعله يفيض في الجداول، يُجمع الحب والزيت حولها [دور شاروكين]، دع رعاياك ترعى الماشية في المروج الوفيرة...⁽¹⁾ وبذلك يظهر شاروكين الثاني بمظهر المزارع والبستاني والراعي لمحاصيل بلاده الحريص على وفرتها.

ثالثاً - مدينة نينوى:

1- حدائق سنحريب الملكية وبساتين نينوى.

يعتبر الملك سنحريب الملك الأكثر شهرة بين الملوك الآشوريين الذين أولوا الزراعة والبستنة الرعاية والاهتمام، فقد كان سنحريب شغوف بالطبيعة مولع بإقامة الحدائق والمنتزهات في عاصمته الجديدة نينوى، حول قصره الجنوبي الغربي ((القصر الذي لا مثيل له))، وشبهها بجبال الأمانوس، ونجح بتحويل أراضي نينوى المحيطة إلى بساتين تنوء بثمارها المتنوعة وهذا ما يجد المرء تفصيله بوفرة في النقوش الملكية التي خلفها سنحريب، وفي العديد من المنحوتات النافرة التي زينت قصره الملكي.

ومنها هذا المقطع النصي: ((أقمت حدائق مزروعة في الأراضي العليا والدنيا من المدينة [نينوى]، جمعت فيها أشجار فاكهة الجبال وفاكهة كل البلاد (و) كل نوع من النباتات العطرية الموجودة في بلاد خاتي (سورية). في الأرض المحروثة حديثاً، والمحمية، زرعت وبشكل كثيف كل (أنواع) كرمة الجبال، كل نوع من أشجار الفاكهة الموجودة في كل العالم، (ومن ضمنها) البهار (الكمون) وأشجار الزيتون))⁽²⁾.

لعل هذا المقطع من النص الذي عثر عليه منقوش على موشورين شبه كاملين في مدينة نينوى والمؤرخ بنحو العام 694 ق.م والمعروف لدى جمهور الباحثين بـ ((موشور الملك))⁽³⁾. يقدم للمرء صورة شبه كاملة عن النشاط الكبير الذي أبداه سنحريب في مجال إقامة الحدائق الملكية والبساتين التي ضمنها مختلف صنوف نباتات وأشجار المناطق التي وصلتها حملاته العسكرية من بلاد خاتي إلى المناطق الجبلية في بلاد أورارتو وصولاً إلى الجنوب البابلي وفيما يلي تفصيل ذلك:

لم يكتف سنحريب بتزيين قصره الملكي بالمنحوتات النافرة التي زادت عن المئتين كما يذكر الإنكليزي لايارد والتي جعلت من القصر أشبه بالمعرض لاسيما مع نمط بناءه المنفتح على بعضه وكثرة عدد الأبواب في الأجنحة والغرف المنفتحة على بعضها - وإنما أراد أن يمنح قصره الحياة

1)- Radner.K, op.cit, p.236 .

2)-Grayson.A, and Novotny.J, op.cit, p.144.

3)-Grayson.A, and Novotny.J, op.cit, p.125 .

بجعله وسط بيئة طبيعية خلابة تشبه غابات الأمانوس على حد تعبيره، ويجعل من عاصمته نينوى جنة على الأرض.

ولا شك أن دافع العظمة والأبهة وحب الجمال، والرغبة الصادقة في توفير الرخاء لسكان العاصمة، والافتتان بالبيئات الطبيعية الأخرى لا سيما غابات الأمانوس السورية ومحاولة خلقها في نينوى في محاولة منه استحضار شعور الراحة والاسترخاء الذي كان يحسه عندما يكون وسط غابات الأمانوس، وهنا قد نأخذ الفكرة من جانب آخر لتدل على عالمية تفكير سنحريب الذي أراد أن يجمع ويستحضر في عاصمته كل البيئات الطبيعية الأخرى التي وطأها بحملاته العسكرية وكأنه يريد من ذلك الاستحضار (استحضار البيئات الطبيعية في نينوى) أن يرى خضوعها المستمر، وليدلل على بسط سلطانه الإمبراطوري عليها⁽¹⁾.

أيضاً من ناحية أخرى جاءت هذه المشاريع كجزء من عملية تجميل مدينة نينوى وهندستها بطريقة تليق بالسمو الإمبراطوري الذي وصلته الإمبراطورية الآشورية.

لا شك أن اليد العاملة المسخرة في إنشاء الحدائق والبساتين هي ذاتها المسخرة في الأعمال البنائية الأخرى الجارية في المدينة وبالتالي فإن أصولهم كما ذكرها سنحريب في نصوصه هي كندية وآرامية ومن بلاد المانيين وأرض قوئي وخیلاكو (كليكية) والفلسطينيين وأرض مدينة صور⁽²⁾، وهي تقريباً الجزء الأعم من المناطق التي جلب منها سنحريب نباتاته ومزروعاته لذا يعتقد أنه كان لهذه اليد العاملة، بحكم خبرتها الأكيدة، دور ما في تخطيط وإنشاء الحدائق والبساتين وطبعاً بإشراف ملكي وسلطوي من سنحريب نفسه وكبار موظفيه.

ومن المؤكد حرص سنحريب على تنظيم حديقته الملكية وإخراجها بصورة تليق بعظمة قصره الذي أدخل في جزء من بناءه نمط بيت خيلاني العمراني من أجل سعادته الملكية كما يدعي: ((لأجل سعادتي الملكية، أقمت رواق، صورة طبق الأصل عن القصر الحثي، الذي يسمونه بيت خيلاني Bit-hilani في لهجة بلاد أمورو Amurru بنيته داخله (داخل القصر)))⁽³⁾.

وقبله كان والده شاروكين الثاني قد استعمل هذا النمط من البناء في قصره الملكي في دور شاروكين وأظهرت إحدى منحوتاته كما ذكر سابقاً رواق يطل على الحديقة الملكية لذا فمن المؤكد أن هذه الأروقة استعملت كمكان يجلس فيه الملك في إطلالة تؤدي إلى الحدائق الملكية المحيطة

1)-Power.B.A, op.cit,pp.224-225 .

2)- Grayson.A, and Novotny.J,op.cit,p.137 .

3)- Ibid,p.46 .

بالقصر، يحصل الملك من خلالها على الراحة والاستجمام وسط منظر طبيعي شاعري متعدد الألوان ولعل هذا ما قصده سنحريب بقوله ((لأجل سعادتي الملكية))⁽¹⁾.

هذا المنظر الطبيعي الذي أنشأه سنحريب قد ضم مختلف صنوف النباتات وأشجار الفاكهة والنباتات العطرية والزهور المتنوعة وهذا ما يفتخر فيه سنحريب في نصوصه بأنه جلب مختلف أنواع الزروع ومن شتى الأصقاع، يقول في إحداها⁽²⁾: ((غرس على جوانب القصر حديقة نباتية، تشبه جبل أمانوس، واحتوت كل أنواع النباتات العطرية، وأشجار الفاكهة، والأشجار الأساسية في الجبال وفي كلدية، جمعتها داخلها))⁽³⁾.

في هذا المقطع يجعل سنحريب غابات الأمانوس مثله الأعلى في إنشاء حدائق قصوره وبساتين عاصمته، ويعكس محاولته الجادة في خلق بيئة مشابهة لبيئة الأمانوس عبر جلبه مختلف صنوف أشجار المناطق السورية الجبلية والسهلية على السواء، ويضيف بيئة جديدة يبدو أنها أعجبت به وهي بيئة الجنوب البابلي بمستنقعاته المزدهمة بأجمات القصب وحيواناته المتنوعة وهذا ما عكسه سنحريب في المستنقع الذي أنشأه -إن كان لغاية هندسية تتعلق بالري والسيطرة على تدفق المياه وتصريف الفائض منها بعد أن نفذ سنحريب عدة مشاريع مائية في نينوى- ويبدو أن هذه الفكرة قد لاحت له أثناء حملاته إلى مناطق المستنقعات في الجنوب البابلي.

كانت الكرمة بأنواعها من أهم أشجار الفاكهة التي زرعها سنحريب في حديقته الملكية وفي البساتين المحيطة بالمدينة، ولهذه الشجرة تاريخ طويل في بلاد آشور وتشكل واحدة من بين العديد من المزروعات الحدائقية الملكية، وقد ذكرت في وقت مبكر من القرن التاسع ق.م في عهد الملك آشور ناصر بال الثاني الذي ذكرها مع العديد من الأنواع التي جمعها خلال حملاته وقام بزراعتها في حدائقه الملكية. ومع أن تصوير الكرمة في منحوتات آشور ناصر بال الثاني كان قليلاً إن لم يكن معدوماً إلا أن نصوصه الملكية تذكر ذلك بصراحة.

أيضاً كان العنب الأسود من بين المزروعات التي وصفت في ملحمة جلجامش (النسخة الآشورية) أثناء رحلته إلى الغرب، ما يعني أن العنب لم يدخل بلاد آشور إلا في الألف الأول ق.م

1)-Foster.Karen.Polinger, The Hanging Gardens of Nineveh, Iraq, vol.66, 2004, p.214

2)-يعود هذا المقطع إلى نص نقش على إسطوانة عثر عليها في نينوى وهي من مقتنيات المتحف البريطاني اليوم، تؤرخ لحملة سنحريب الأولى عام 704 ق.م ضد بلاد بابل وحلفائها العيلاميين وكذلك لأعمال البناء والبستنة وإنشاء الحدائق التي نفذها سنحريب في نينوى، يعرف هذا النقش باسم ((إسطوانة الحملة الأولى)). انظر:

-Grayson.A and Novotny.J, op.cit, p.29 .

3)-Ibid, p.39 .

ومن ثم حقق انتشاراً واسعاً شمل كل بلاد آشور⁽¹⁾، وأن مصدره السفوح الجبلية السورية أو حتى السفوح الجبلية الأورارتية التي اشتهرت بمناطقها بأشجار الكرمة مترافقة مع أشجار الصنوبر عندما كانت بحالتها البرية ولعل الآشوريين قد أخذوا فكرة زراعة أشجار الكرمة مع أشجار الصنوبر -التي تشاهد في العديد من المنحوتات النافرة من عهد سنحريب وآشور بانيبال من بلاد أورارتو .

قبل ذلك كان الملك شاروكين الثاني قد قدم وصفاً دقيقاً لبلاد أورارتو خلال حملته الثامنة (714 ق.م) وذكر ضمن وصفه وجود أشجار الكرمة والصنوبر مزروعة سوية⁽²⁾.

ولطالما افتخر الملوك الآشوريون بعصرهم الكرمة وتقديم خمرتها قرباناً للآلهة.

تخللت أشجار الكرمة في الحديقة الملكية وفي البساتين، أشجار أخرى كأشجار التين والرمان التي شكلت مع العنب والصنوف الأخرى فاكهة محببة للنفس الملكية. ومن المعلوم أن التين والرمان هما من الأنواع ذات الانتشار الواسع في البقاع السورية ويوجدان بأنواع مختلفة لذا لا شك أن سنحريب نقل العديد من غراسها أثناء حملاته العسكرية وقام بزراعتها في حدائقه، مع الإشارة إلى أن التين كان معروفاً في بلاد الرافدين منذ العصر السومري وذكرت منه أنواع مختلفة مثل تين أكد⁽³⁾.

كان لشجرة النخيل حيز واسع ضمن الحدائق الملكية وبساتين نينوى، زرعت هذه الشجرة على جوانب الحدائق وتخللتها أشجار الكرمة، وقد قدمت المنحوتات النافرة العديد من المشاهد التي صورت شجرة النخيل بأنواعها المختلفة وقد تدلت منها قطوف البلح والتمر. والنخيل هي شجرة جنوبية دون شك جلبت من بلاد بابل ذات البساتين الواسعة المنتشرة على جانبي الفرات، مع العلم أن مصدرها الأول شبه الجزيرة العربية.

شكلت أشجار السرو والصنوبر والحوار والبلوط والطرفاء عنصراً رئيساً في حدائق نينوى الملكية وبساتينها ولطالما افتخر سنحريب بجلبها من الجبال السورية (جبال الأمانوس الشهيرة) ثم زرعها ضمن حدائقه في نطاق محاولاته خلق بيئة طبيعية تشبه بيئة الأمانوس.

أيضاً عمل سنحريب على زراعة شجرة الزيتون في حدائقه وبساتينه وهي شجرة ولا شك مجلوبة من البلاد السورية. وقد قدمت ثمارها المقطوفة بأغصانها قد يكون ذلك لإحداث منظر طبيعي كنوع من الترغيب لسنحريب ضمن الفاكهة الطازجة التي يتناولها ما يعني أنه كان لهذه الشجرة أهمية كبيرة

1)- Albenda, Pauline, Grapevines in Ashurbanipal's Garden, The American Schools of Oriental Research, No. 215, 1974, p. 5 .

2) - Ibid, p. 10 .

3) - الأحمّد، سامي سعيد، الزراعة والري، حضارة العراق، نخبة من الباحثين، ج2، بغداد، 1985، ص165 .

من المنظور الملكي وقد صور ذلك على العديد من المنحوتات النافرة⁽¹⁾. ولا شك أنه كان لاستخدام زيت الزيتون أهمية كبيرة في بلاد آشور.

ومن أهم المزروعات التي يفخر سنحريب بزراعتها في حدائقه الملكية وفي حقوله نبات القطن: ((الأشجار التي تحمل الصوف، هم جزوه ونسجوه (القطن) واتخذوا منه أثواب))⁽²⁾.

يشير سنحريب في هذا النص إلى أنه زرع القطن ((الشجرة التي تحمل الصوف)) كما يحلو له أن يسميها في حديقته الملكية، لكن من المؤكد أنه زرع في البساتين الواسعة لكي تكون إنتاجيته كافية. ويبدو أن القطن قد تلائم مع مناخ بلاد آشور.

مهما يكن من أمر فإن الفضل في إدخال زراعة هذه النبتة إلى بلاد آشور يعود للملك سنحريب⁽³⁾، ومن المعروف أن الموطن الأصلي لهذه النبتة هو الهند إلا أن الجهة التي جلب منها نبات القطن إلى بلاد آشور غير مؤكدة فلربما أحضرت كجزية من أحد الأقاليم الشرقية، أو من بلاد عيلام، أو عبر التجارة البرية عن طريق مدينة نيبور في بلاد بابل ذات المركز التجاري الهام على طريق التجارة البرية بين الشرق والغرب، وجدير بالذكر أن القطن كان قد انتشر في الجهات الغربية (سورية) منذ وقت مبكر من الألف الأول قبل الميلاد ووصل إلى مصر منذ منتصف الألف الأول قبل الميلاد⁽⁴⁾.

-من المزروعات التي أثارت اهتمام سنحريب وقام بزراعتها في بساتينه نبات السمس الذي وفر له المياه الكافية لزراعته وزراعة الأنواع المختلفة الأخرى من الحبوب: ((...وفرت المياه لزراعة الحبوب والسمسم...))⁽⁵⁾. ويبدو أن سنحريب قد جلب السمس من الجنوب الرافدي النبات المعروف في تلك الأنحاء منذ القدم والذي أطلق عليه السومريون اسم (حب شجرة الزيت) في دلالة إلى استخراج الزيت منه واستعماله لأغراض عده، وقد كان غالي الثمن ونادراً في بلاد آشور على الرغم من التوسع في زراعته⁽⁶⁾.

-ومن المزروعات الأخرى التي ضمتها حدائق سنحريب وبساتينه أشجار التوت والفسق ونبات المر الذي نجحت زراعته بدرجة كبيرة في عهد سنحريب واستعمل لأغراض مختلفة منها كبخور

1)- Albenda,P, Grapevines in Ashurbanipal's Garden,p.5

2) Luckenbill.D.D,The Annals of Sennacherib,The University of Chicago press, Chicago,1924,p.116 .

3)-الأحمد، مرجع سابق، ص 164 .

4)- Albenda,P,Ornamental Wall painting in the Art of the Assyrian Empire, Leiden , 2005, p. 57 .

5)-Luckenbill.D.D,The Annals of Sennacherib,p.80 .

6)-الأحمد، المرجع السابق، ص 164 .

وكعلاج للعديد من الأمراض⁽¹⁾. ولا يعلم بالضبط فيما إذا كان نبات المر يزرع في بلاد آشور قبل عهد سنحريب.

-وبين جنبات الأصناف المختلفة من الأشجار ازدهرت بيئة نباتية عطرية حوت مختلف صنوف الأزهار ذات الألوان البهيجة والروائح الزكية، وقد حدد سنحريب في نصوصه المصدر الأهم الذي جلب منه النباتات العطرية وهو بلاد خاتي Hatti أي البلاد السورية: ((...جمعت كل الأنواع العطرية في بلاد خاتي...))⁽²⁾.

ومع أن سنحريب لم يحدد في نصوصه الأنواع العطرية التي جلبها لكن يمكن معرفتها من خلال بيئتها الأصلية (سورية) فلا شك أنه جلب الآس والغار والزنابق والرياحين ومختلف أنواع الزهور والورود المنتشرة في سورية وكذلك المنتشرة في المناطق الأخرى. وعثر على سلسلة من المنحوتات تعود لعهد سنحريب هي للأسف مفقودة الآن ولم يبق منها إلا رسوماتها ومع ذلك فإنها تظهر أنواع مختلفة من الزهور والنباتات العطرية المجلوبة من المناطق السورية⁽³⁾.

من منحوتة الحديقة الملكية التي صورت احتفال الملك آشور بانيبال بعد انتصاره على الملك العيلامي تيومان في حديقة قصره الشمالي في نينوى يمكن مشاهدة أنواع مختلفة من الزهور لاسيما الزنابق المتنوعة ومنها الزنابق المائية (اللوتس) المشتقة من نباتات اللوتس المصرية ما يجعل افتراض وجود بركة ماء أو أكثر وسط الحديقة الملكية، نمت فيها وعلى جوانبها الزنابق أمر معقول لا سيما مع ظهور الزهرة العطرية مربوطة بيد الملك آشور بانيبال في حين يضم قبضة يده على نوع من الزنابق⁽⁴⁾. وافترض العديد من الباحثين أن الحديقة التي صورتها المنحوتة ما هي إلا حديقة جده سنحريب والتي وصلت لصورتها الكاملة في عهد آشور بانيبال.

يبدو أن سنحريب لم يكتف بحديقته وبما جلبه من الجنوب الرافدي من مزروعات وحيوانات لذا عمد لإنشاء بيئة شبيهة ببيئة المستنقعات في الجنوب فأقام بحيرة خارج أسوار المدينة بين نهر دجلة في الغرب ونهر الخوصر في الجنوب، حيث وجدت مساحة شاسعة من الأرض المنخفضة قرب منطقة تريبسو أو طرابزيو (قرية شريف خان حالياً على ساحل دجلة الأيسر) استغلها سنحريب محولاً إيها إلى غابة كثيفة من نباتات وأشجار الجنوب الرافدي. وقد ذكر آنفاً أن الهدف الحقيقي من

1) - Luckenbill, D.D, The Annals of Sennacherib, pp.113-114 .

2) - Grayson, A, and Novotny, J, op.cit, p.104 .

3) - Albenda, P, Grapevines in Ashurbanipal's Garden, p.5 .

4) - Ibid, p.6 .

المستنقع هو التخفيف من سرعة تدفق المياه في القناة التي أنشأها سنحريب لتزويد نينوى وحدائقها وبساتينها بالمياه وكذلك لتصريف الفائض من المياه لا سيما أوقات الفيضان⁽¹⁾.

يذكر سنحريب في نصوصه هذه الغاية بصراحة فيقول: ((...وللتخفيف من جريان هذه المياه أنشأت بحيرة زرعت فيها القصب، أطلقت الحرية فيها لطيور مالك الحزين، والخنازير البرية، والأيائل،...وبنت طيور السماء وطيور مالك الحزين ذات الأوطان البعيدة أعشاشها، وتكاثر الخنازير البرية والأيائل بوفرة...))⁽²⁾.

لا يذكر سنحريب في هذا المقطع النصي إلا نبات القصب في حين أنه زرع أنواع عديدة بالإضافة للقصب كأشجار السرو والتوت والحرور وغيرها من النباتات، ثم عمد إلى جلب حيوانات الجنوب من خنازير برية وأيائل وطيور مختلفة، ويبدو أن هذه الحيوانات قد تأقلمت مع بيئتها الجديدة بدليل نص سنحريب السابق وبدليل المنحوتة الجميلة التي صورت المستنقع ونباتات القصب الكثيفة التي انتشرت بين عيدانها خنزيرة ولود وخلفها صغارها، سيفصل الحديث عن هذه المنحوتة لاحقاً.

كما يفخر سنحريب بنجاح مزروعاته في منطقة المستنقع وكذلك في بساتينه: ((... قطعت أشجار التوت والسرو من منتجات البساتين والقصب الذي نبت في المستنقع واستعملتها في بناء قاعات قصري الملكي))⁽³⁾.

هذا الأمر يؤكد أن عملية بناء القصر الجنوبي الغربي استمرت عدة سنوات وإن كان في حديث سنحريب نوع من المبالغة فالأشجار حتى يمكن استعمال أخشابها في البناء تحتاج لعدة سنوات من النمو.

احتاجت حدائق وبساتين سنحريب إلى كميات ضخمة من مياه الري أمنها سنحريب بذكاء كبير، عندها أحب هذا الملك أن يشرك أهالي نينوى بمشاريعه الزراعية فلجأ إلى تقسيم الأراضي المحيطة بالعاصمة لا سيما الشمالية منها إلى قطاعات متساوية ثم منحها للمواطنين ليزرعوها بعد أن زودهم بمختلف أنواع البذار والغراس لا سيما غراس أشجار الفاكهة، وفي هذا فإن سنحريب قد ارتقى بتفكيره وعمل على تأمين الرخاء لسكان العاصمة، ولم تذكر النصوص قبله أن ملكاً وزع الأراضي حول العاصمة على المواطنين: ((من أجل زراعة الحدائق، قسمت المروج في المدينة إلى أقسام بحجم اثنين بانو Panu (؟) ومن ثم منحها لكل واحد من مواطني نينوى))⁽⁴⁾.

1- سوسة، أحمد، مشروع سنحريب لإرواء منطقة نينوى، المجمع العلمي العراقي، مج9، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1381هـ-1962م، ص40-41.

2- Grayson and novotny, op.cit, pp76-77.

3- Ibid, p. 77.

4- Ibid, p. 39.

من خلال نصوص سنحريب يعلم المرء أن زراعته قد حققت نجاحاً كبيراً فحصل منها على منتجات وفيرة وقد عبر عن سروره وغبطته بذلك بقوله: ((وبمشيئة الآلهة ازدهرت الكرمة وأشجار الفاكهة والسرو والنباتات بأنواعها ونمت في الحدائق والبساتين (في نينوى) أكثر مما تنمو في بلدانها الأصلية، ونمت أشجار التوت وغيرها من الأشجار بكثرة وتفرعت أغصانها...))⁽¹⁾.

أقام سنحريب احتفالاً ضخماً بمناسبة انتهائه من بناء قصره الجنوبي الغربي ونجاح مشاريعه الزراعية والإروائية، دعى إليه كل آلهة آشور وقدم لها القرابين والهدايا من ضمنها منتجات حدائقه وبساتينه: ((بعد أن انتهيت من بناء قصري، دعوت الإله آشور، السيد العظيم وكل آلهة بلاد آشور، بعدها قدمت قرباني الرائع وكذلك الهدايا. صنعت زيت جيد من الزيتون، وعطور من البساتين المزروعة في الأراضي المحروثة حديثاً. وفي (حفل) تدشين القصر، بللت رؤوس الرعية في بلادي (و) رويت أجوافهم بالخمير الحلو))⁽²⁾.

قبل هذا ذكر سنحريب نجاح زراعة القطن في بلاده وبأن الرعية قطفوه وحلجوه ومن ثم صنعوا منه ملابس قطنية.

أخيراً وليس آخراً فإن سنحريب وإن ذكر أنه زرع في حدائقه الأنواع المختلفة من الأشجار والنباتات العطرية المحلية والمجلوبة، إلا أنه لم يقدم تفاصيل أخرى حول المنهج الذي اتبعه في تصميم حدائقه الملكية، ومع ذلك يمكن للمرء وضع تصور ما عنها:

فالأشجار والزهور يجب أن تكون قد زرعت بشكل منظم ومتناسق لكي تعكس صورة طبيعية جميلة ولا سيما الكرمة التي شكلت ولا شك دوالي متنوعة، ومن المؤكد أن الحيوانات تم عزلها وتخصيص أماكن خاصة لكل منها لمعيشتها، فوجدت ولا شك برك الماء في الوسط والتي احتوت بدورها أنواعاً مختلفة من الأسماك ومن طيور الإوز والبط وغيرها من الأنواع المائية. بالتأكيد شقت جداول الماء والقنوات الفرعية وتم إيصالها لكل أجزاء الحديقة ولا بد أن أقيمت البوابات والمماشي الخاصة بتجوال الملك، لابل أقيمت بعض التلال الاصطناعية التي زرعت بمختلف الأشجار لتمثل بيئة الأمانوس. ومن البديهي أن تكون الحدائق قد أحيطت بأسوار تحميها من الحيوانات سواء البرية أو المجلوبة إلى الحديقة الملكية وكذلك وفرت الأسوار الحماية للمزروعات من عوامل المناخ المختلفة لاسيما الرياح العاصفية، وبالتالي تم هندسة أراضي الحديقة الملكية وتقسيمها بدقة متناهية، ولا شك أن هذا الأمر قد تم على يد متخصصين بأمور البستنة والحدائق⁽³⁾.

1)- Luckenbill.D.D, The Annals of Sennacherib, op.cit, pp.115-116 .

2)- Grayson.A, and Novotny.J, op.cit, p.145 .

3)- Power.B.A, op.cit, p.231 .

وبهذا فإن الحديقة الملكية لا تمثل العالم بحالته الفوضوية وإنما تمثل العالم المنظم تحت سلطة الملك الآشوري -البستاني والمزارع الأول- والمؤيد من قبل آلهة السماء والأرض كما أنها تمثل صورة حية تدل على السلام والاستقرار وبذات الوقت تدل على الغزو والتوسع والهيمنة والنفوذ إذ تحولت النباتات والحيوانات المجلوبة لمُعبر حي عن خضوع الأقاليم والمناطق التي أنت منها سواء طوعاً (هدايا) أم قسراً (غنائم وجزية)⁽¹⁾.

أخيراً لا بد من الإشارة إلى أن هناك من يرى بأن الحقائق المتعلقة أول ما أنشأت في نينوى من قبل الملك سنحريب ثم انتقلت فكرتها إلى بابل حيث أخذت شكلها المتطور⁽²⁾

ومن هؤلاء ستيفاني دالي التي لا ترى بوجود الحقائق المتعلقة في بابل على الإطلاق، ومن الحجج التي تقدمها وتراها مبرراً لرأيها: غنى المنحوتات النافرة الآشورية التي صورت حقائق نينوى الملكية ومنها منحوتة احتفال الحديقة الملكية العائدة لآشوربانيبال، وكذلك النصوص الملكية التي قدمت معلومات وفيرة عن الحقائق المنشأة من قبل الملوك الآشوريين، وعن مشاريع الري المبتكرة التي نفذوها لإرواء حدائقهم الملكية والبساتين المحيطة بعواصمهم، وبالمقابل فإن صمت المصادر البابلية النصية منها والفنية وحتى الأثرية لا تدعم فكرة وجود الحقائق المتعلقة في بابل، لابل إن نبوخذ نصر الثاني (605-562 ق.م) نفسه الذي نسبت الحقائق المتعلقة إليه لم يذكر في نصوصه البنائية الوفيرة أية إشارة للحدائق المتعلقة حتى أن طبوغرافيا مدينة بابل لم تقدم أي دليل أثري على ذلك⁽³⁾.

قد تكون النقطة الأخيرة غير دقيقة إذ أظهرت الاكتشافات الأثرية لقصر نبوخذ نصر الثاني (القصر الجنوبي) شرفة كبيرة مقامة على أربع عشرة حجرة مقببة وهذا دفع بعض الباحثين للاعتقاد أنه كانت تقوم هنا ((حدائق بابل المتعلقة))⁽⁴⁾.

ما يمكن قوله بهذا الخصوص، صحيح أن سنحريب قد أقام حدائق ملكية هامة حول قصره الملكي إلا أنه ليس بالضرورة أن يكون قد أنشأ الحدائق المتعلقة، لكنه من المؤكد أنه أنشأ في حدائقه بعض التلال الترابية الاصطناعية زرعها بالمزروعات المختلفة في محاولة منه لمحاكاة بيئة الأمانوس

1) - Power.B.A, op.cit, pp.223-224 .

2) - لمزيد حول الحقائق المتعلقة والقضايا المطروحة حولها انظر :

-Dalley.Stephania, Nineveh, Babylon and the Hanging Gardens: Cuneform and Classical sources Reconciled, Iraq, vol.56, 1994, pp.45-58.

-Foster, Karen, Polinger, The Hanging Gardens of Nineveh, Iraq, vol.66, 2004, pp.207-217 .

3) -Dalley.S, op.cit, pp.50-51 .

4) - مرعي، وعبدالله، مرجع سابق، ص 402 .

الجبالية وأطل عليها من شرفات قصره المرتفعة ولعل هذه الفكرة انتقلت إلى بابل وظهرت بشكل متطور هناك.

أ - حدائق وبساتين نينوى الملكية (حدائق النبات والحيوان) في ضوء المشاهد الفنية:

تعتبر منحوتة المستنقع أو البحيرة التي أنشأها سنحريب من أبرز المنحوتات النافرة التي عكست جانباً مهماً للحدائق والبساتين المنشأة في نينوى، وهي تدل على بيئة مقتبسة من الجنوب البابلي حيث المستنقعات المنتشرة بكثافة. فإذا كان شاروكين الثاني قد جهد في سبيل إنشاء بيئة تشبه بيئة المناطق الجبلية السورية فإن سنحريب قد حاول ونجح في أن ينشئ بيئة طبيعية شبيهة ببيئة الجنوب البابلي⁽¹⁾ حيث المستنقعات التي ينمو فيها نبات القصب والتوت وغيرها من نباتات المستنقعات التي جالت بين أرجائها حيوانات وطيور الجنوب البابلي كالخنازير البرية والأياثل وطيور مالك الحزين وغيرها⁽²⁾.

تظهر المنحوتة (الشكل 44) التي انقسم فيها المشهد إلى صفيين -فيما تبدو أنها رغبة من الفنان لتغطية الخلفية بالحدث الأساسي الطبيعي- منظر طبيعي كثيف مؤلف من نباتات القصب المتشابكة بكثافة، أما الصف الأسفل فتظهر فيه من جهة اليسار خنزيرة برية ولود تسير صغارها خلفها، في حين تظهر في الصف الأعلى، الذي يشابه الصف الأسفل من حيث كثافة القصب، غزالة في وضعية السير، ووعل لا يكاد يرى من كثافة القصب جاثم على قدميه وذراعيه. لعل الفنان الآشوري قد قصد من تصوير الخنزيرة الولود مع صغارها إظهار أن هذه الحيوانات المجلوبة من الجنوب البابلي قد تأقلمت مع بيئة بلاد آشور بدليل تكاثرها فيها، وبذلك يتطابق النص المسماري السابق ذكره بهذا الخصوص مع المشهد الطبيعي الذي عكسه الفنان في هذه المنحوتة.

هذا الأمر نجده في منحوتة أخرى من قصر سنحريب الجنوبي الغربي في نينوى، الحدث الرئيسي في المشهد نقل تمثال غير مكتمل النحت (الشكل 45) يمثل ثور مجنح برأس بشري من أحد المحاجر الآشورية⁽³⁾، وليس هذا المهم في الموضوع لكن ما يهم هو أن الفنان الآشوري حاول أن يحدد مكان المحجر في موقع قرب البساتين الآشورية التي تظهر أعلى المنحوتة فحاول أن يبرز بعض التلال المنفردة التي أعطاها شكل مخروطي يشبه حراشف السمك -وهذه ميزة آشورية عامة في وصف الجبال ومناطقها- وغطى سطوحها بأنواع مختلفة من الأشجار يمكن التعرف عليها بتقريب المشهد لتبدو أشجار الصنوبر في النقاط المرتفعة ثم في مستوى أدنى أشجار العنب والتين والرمان

1)-Radner,K,op.cit,p.240 .

2)-سوسة، مرجع سابق، ص 37 .

3)-Curtis.J and Reade.J,Art and Empire Treasures from Assyrian in the British Museum,British Museum Press,1995,pp.40-41 .

التي تتوء أغصانها بالثمار ما يجعل المرء يجزم أن الحدث قد تم في فصل الصيف موسم نضج هذه الثمار (1).

لا يذكر هذا المشهد إلا بالبيئة الجبلية والسفحية السورية الموطن الأصلي لهذا النوع، أو حتى ببيئة بلاد أورارتو.

وبالعودة إلى الحديث بشكل أدق عن الحقائق الملكية في قصور نينوى تظهر للعيان أكثر من منحوتة تصور بجمالية بالغة المشاهد الحداثية في المدينة وهذه المرة تأتي المنحوتات من القصر الشمالي العائد لآشور بانبيال حفيد سنحريب الذي يظهر أنه ورث عن جده عشق الطبيعة ومناظرها الممتعة.

تصور إحدى هذه المنحوتات (الشكل 46) مشهد رائع يتكامل فيه العنصر العمراني مع العنصر الطبيعي فتظهر الحديقة الملكية بشكل يبدو أنها تبة مرتفعة (تلة صغيرة) لتلائم ارتفاع البناء، وتبدو مكتظة بأصناف مختلفة من أشجار السنوبر والسرو والتين والرمان والعنب وغيرها من النباتات العطرية، وتعرض هذا المشهد الذي يغطي كامل المنحوتة مسلة ملكية تمثل الملك على الأعم الأغلب، أما البناء الظاهر والمرفوع على أعمدة فهو رواق من نمط بيت خيلاني الذي زاد استخدامه في هذه الحقبة وقد افتخر بذلك كل ملوك السلالة الشاروكينية، ومن المؤكد أنه استخدم لغاية استجمامية بإحداث إطلالة ملكية على الحديقة.

أما من جهة اليمين فتظهر قناة للمياه محمولة على قناطر وتسقط مياهها في جداول الحديقة الملكية (2).

على الرغم من العثور على هذه المنحوتة في قصر آشور بانبيال إلا أن هناك من يعتقد أن الحديقة الملكية الموصوفة تمثل صورة طبق الأصل عن حديقة سنحريب الملكية التي أخبر عنها وعن كيفية جره المياه التي جعلها تسقط خلالها عبر العديد من الجداول.

إلا أن المنحوتة التالية (الشكل 47) تصور بكل تأكيد الحديقة الملكية في قصر آشور بانبيال الشمالي، وعثر عليها في ذات القصر وتعتبر من أهم وأندر المنحوتات التي تصور حفلة شراب ملكية خاصة في حديقة القصر الملكي، واتضح أن هذه الحفلة كانت بمناسبة انتصار آشور بانبيال على الملك العيلامي تيومان وقد أشار الفنان لهذا الحدث من خلال رأس تيومان المعلق أعلى شجرة السرو ما أحدث تشويهاً في جمالية المنظر الذي يبدو فيه الملك وقد اتكأ على مخدة فوق سريره الملكي وقابلته على كرسي الملكة في مشهد موسيقي خاص وسط دوالي الكرمة التي تسلقت أشجار السنوبر التي ظهر عليها آثار التقليم منذ زراعتها ما يدل على وجود هندسة حدائقية متطورة تمثلت هنا

1 - Reade.J, Assyrian Sculpture, p.38 .

2) - Ibid, op.cit, p.36 .

بتوظيف أشجار الصنوبر لتحمل دوالي العنب التي أرسلت أغصانها بكل الإتجاهات وقد تدلت منها عناقيد العنب، ولعلها إشارة من الفنان إلى أن الحدث الاحتفالي قد تم تحت عرائش العنب المحببة لدى الملوك الآشوريين.

وانتشرت أشجار النخيل ذات القطوف الدانية وأشجار السرو والرمان والشجيرات الأخرى بشكل متناوب في الحديقة وقد عششت طيور الحديقة أعلى هذه الأشجار التي تخللتها أيضاً أنواع مختلفة من أزهار الزنبق التي لوحظ انتشارها بكثافة في الحديقة الملكية وبأنواع مختلفة حتى أن المدقق يلاحظ أن الملك يحمل بيده التي استند فيها على المخدة زهرة من الزنبق.

وبهذا أبدى الفنان الآشوري مهارة عالية في تصويره وأثبت نجاحاً كبيراً في تقديم صورة جميلة لما كانت عليه الحدائق الملكية في نينوى⁽¹⁾.

حتى تكتمل صورة المشهد الطبيعي في حدائق نينوى الملكية لابد من استعراض بعض المنحوتات التي صورت العديد من الحيوانات لاسيما في مشاهد الصيد المختلفة، تلك الهواية التي كانت أقرب إلى المجزرة منها إلى الصيد الطبيعي:

المنحوتة الأولى تمثل مشهداً لجانب من حديقة الحيوان الملكية حيث تمكن الفنان وبمهارة عالية من عرض جانب سلمي لحياة واحد من أشرس الحيوانات وهو الأسد وسط بيئة طبيعية جميلة (الشكل 48) يظهر فيها من جهة اليمين أحد الأسود منتصباً على قوامه في مهابة كبيرة، في حين واجهه أسد آخر جاثم في حالة استرخاء واضح وكأنها تدل على تأقلم مع بيئة الحديقة المغلقة التي أظهرها الفنان بواقعية كبيرة فتظهر شجرة يعتقد أنها شجرة سرو أو صنوبر وقد التقت حول ساقها وبين أغصانها فروع شجرة الكرمة التي تدلى منها العنب في مشهد أخاذ، وظهر كذلك جذع شجرة نخيل أما قسمها الآخر مفقود نتيجة تضرر المنحوتة.

في حين ملأت الزهور والزنابق والنباتات الأخرى الصغيرة الحجم أرجاء المشهد⁽²⁾.

تثبت هذه المنحوتة مقولة تخصيص الملوك الآشوريين محميات خاصة للحيوانات حاولوا من خلالها أن يوفر لها بيئة مناسبة لتعيش وتتكاثر فيها وخاصة لدينا الملك آشور بانيبال الذي أبدى هوس كبير في صيد الأسود داخل هذه المحميات وترك منحوتات رائعة بهذا الشأن قدمت تفاصيل مهمة على صعيد تطور المعرفة التاريخية في مجال دراسة تاريخ حدائق الحيوان وماهيتها التي كانت عليها.

هذا ما يسوق الحديث إلى منحوتة أخرى تلخص مشهد آلية إطلاق الأسود من أقفاصها (الشكل 49)، أهمية هذه المنحوتة أنها تعطينا فكرة دقيقة عن حدائق الحيوان الملكية وكيف تم

1)-Albenda.P, Grapevines in Ashurbanipal's Garden, p.5 .

2)-Curtis.J, and Reade.J, op.cit, pp.82-83 .

تخصيص أماكن خاصة لإقامة هذه الحيوانات (بعضها أودع في أقفاص وبعضها الآخر -بالتأكيد الأليف منها قد أطلق في مساحة واسعة ومحمية بذات الوقت).

يظهر في هذه المنحوتة أسد مفترس يخرج من قفصه بعد أن فتح بابه من قبل رجل يظهر فوق القفص في وضعية حذرة مرتبكة، أما القفص فيظهر ذا شكل مستطيل مصنوع من الخشب، إن إطلاق الأسد من قفصه يدل ولاشك على بدء دراما الصيد الملكي من قبل آشور بانيبال، ويبدو أن هذا الحدث قد تم داخل الحديقة الملكية المحيطة بالقصر أو أنه تم في أماكن معينة قد تكون ما يصطلح على تسميته حديثاً بالمحمية الطبيعية لكنها بالطبع محمية لحين بدء لحظة اللهو الملكي.

وقد نجح الفنان في تصوير الأسد وهو خارج من القفص بشكل حيوي مفعم بالحركة⁽¹⁾ ينقلنا موضوع الصيد إلى منحوتة أخرى تصور مشهد صيد الغزلان (الشكل 50) وسط بيئة طبيعية عكسها الفنان بين أشجار الصنوبر التي تعلو بعض التبات أو التلال الصغيرة لكنه بنفس الوقت أظهر أن المشهد يتم وسط بيئة محصورة إذ يظهر ما يشبه السور أو السياج المصنوع من الخشب المتشابك وحوله بعض الأشخاص، في حين تبدو الغزلان داخل هذا المشهد بحالة ارتباك شديد وتجري مسرعة في محاولة منها للتخلص من السهام التي تلاحقها وقد أصابت بعضها. تمكن الفنان الآشوري من النقاط ملامح هذه الحيوانات بدقة متناهية وصورها بحيوية بالغة ما عكس فهم واضح من جانب الفنان لفيزيولوجيا هذه الحيوانات، وعكس تطور كبير على صعيد تمثيل المشهد الطبيعي بواقعية بالغة.

هذا ما يجده المرء في منحوتة أخرى أتت من قصر آشور بانيبال الشمالي، تمثل مشهد صيد الحمر الوحشية (الشكل 51) التي ملأت كامل سطح المنحوتة التي عمد الفنان فيها إلى تصوير عدة تراكيب حول حدث الصيد فتظهر بعضها وقد اخترقتها السهام في حين تلفت إحدى الحمر الوحشية رأسها إلى الخلف خوفاً على صغيرها المتخلف وراءها من أن يلحقه كلب الصيد -ما يشير إلى استخدام الآشوريين الكلاب في عمليات الصيد-. لقد أظهر الفنان في هذه المنحوتة تفاصيل دقيقة جداً استطاع من خلالها أن ينقل للمشاهد الحس الدرامي المأساوي الذي بدت عليه الحمر الوحشية⁽²⁾.

2 - مشاريع سنحريب الملكية لإرواء حقائق وبساتين نينوى:

احتاجت الحقائق والبساتين الضخمة المزروعة من قبل سنحريب إلى كميات ضخمة من المياه لإروائها، وكذلك لتأمين حاجة سكان العاصمة من المياه بعد تزايد عددهم، وقد حقق سنحريب ذلك من خلال تنفيذ مشروع إروائي عملاق اعتبر من أهم مشاريع الري في بلاد آشور وفي الشرق

1) -Layard.Austen.Henry,Nineveh and Babylon. A Narrative of a Second Expedition to Assyria during the Years 1849-1850-1851,London, 1876, p.24((من المقدمة)

2)-Lloyd.S,The Art of the ancient Near East,p.210 .

القديم قاطب، تجلت فيه العقلية الهندسية الآشورية بأجلى صورها وأظهرت تطور كبير في مجال هندسة الري لدرجة أدهشت مهندسي ري العصر الحديث، لابل إن مهندسي العصر الحديث عندما أرادوا أن ينفذوا مشاريع ري حديثة في منطقة نينوى والموصل لم يجدوا تخطيط أفضل من التخطيط الذي كان قد اعتمدته مهندسو سنحريب آنذاك⁽¹⁾.

تم تقسيم مشروع سنحريب الإروائي إلى عدة أقسام أو مراحل وذلك بالاستناد إلى النصوص الملكية التي خلدت هذا العمل وبالأستناد إلى الأدلة الأثرية التي توصل إليها الخبراء والباحثون وهذه المراحل كالتالي:

أ - المرحلة الأولى: بناء سد على نهر الخوصر⁽²⁾ Khosr، وتحويل مجراه عبر قناة (قناة كيسيري) Kisiri، وتوسيع الينابيع في أعالي الخوصر.

ذكر سنحريب في نصوصه أن مدينة نينوى قبل عهده كانت تعاني من الفقر بموارد المياه وتحولت حقولها نتيجة ذلك إلى خراب ولم يكن لأهلها إلا أن يصلوا للسماء مستمطرينها، وقد لام سنحريب أسلافه على هذا الإهمال: ((...حقولها التي كانت تعاني من نقص الماء تحولت إلى خراب وتم نبذها وإهمالها، لذلك لم يعرف الناس أي ماء لإروائها وكانوا يرفعون أنظارهم نحو السماء (يرجون) مطرها، لكني أنا (سنحريب) رويتها...))⁽³⁾.

كان نهر الخوصر بجوار نينوى هو النهر الأنسب الذي يمكن الاستفادة من مياهه ولكن بعد إجراء التعديلات على نظام جريانه إذ كانت مشكلة الخوصر انخفاض مجراه وعمقه وبالتالي لم تتم الاستفادة من مياهه وبقيت تصب في نهر دجلة دونما فائدة وهذا ما توضحه كتابات سنحريب نفسه : ((كانت مياه الخوصر تجري منذ القدم في منسوب منخفض، ولم يقم أحد من الملوك أسلافي بحصرها (بجعل الماء يتدفق عبر قناة)، لذا بقيت تنحدر إلى نهر دجلة))⁽⁴⁾. لذا فكر سنحريب ومهندسوه بضرورة إيجاد حل لهذه المعضلة، فتوصلوا لفكرة بناء سد على النهر لحجز مياهه ورفع منسوبها، واختير موقع للسد قرب بلدة كيسيري على بعد عشرة أميال أعلى الخوصر شمالي نينوى وقد طبقها جاكسون ولويد مع تل أنثى القائم على الجانب الأيسر من الخوصر وهو التل الوحيد في

(1)-سوسة، المرجع السابق، ص 25 .

(2)- الخوصر رافد قديم لنهر دجلة ينبع من شمال الموصل في مرتفعات قضاء الشيوخان ويجري جنوباً حتى يصل إلى مدينة نينوى فيخترقها ويصب في الجانب الأيسر من نهر دجلة مقابل مدينة الموصل حالياً، ويحمل هذا الرافد مياه السيول التي تنحدر من المناطق الجبلية في موسم الفيضان، وقد احتفظ الخوصر باسمه القديم منذ أيام سنحريب انظر: - المرجع نفسه، ص 10 .

(3) - Luckenbill.D.D, The Annals of Sennacherib ,p.79.

(4)- Grayson..A, and Novotny.J, op.cit, p.144 .

الجوار الذي تطابقت المسافة بينه وبين نينوى مع المسافة التي كانت بين نينوى وكيسيري (أي عشرة أميال/16 كم) وكذلك مع المسافة التي ذكرها سنحريب ((...لمسافة بيرو ونصف البيرو...))⁽¹⁾.

قد كان هذا الموقع في مستوى أعلى مما كان قرب نينوى وبالتالي يناسب بناء سد تؤخذ من أمامه قناة يمكن من خلالها التحكم بمستوى الماء وبالتالي إمكانية استخدامه في الري⁽²⁾.

وقد أمكن تتبع القسم الأكبر من مجرى هذه القناة من خلال آثارها المتبقية، فتبين أنها أخذت من الجانب الأيمن لنهر الخوصر في موقع يعتقد أنه كان سد قديم في السابق ومن ثم سايرت نهر الخوصر لمسافة واحد كم ثم غيّر الاتجاه نحو الجنوب الغربي نتيجة مصادفة حوض وادي عميق ثم انعطفت شمالاً، وعند النهاية الجنوبية لامتداد القناة اتضح أنها تفرعت إلى فرعين الفرع الشرقي انحدر نحو الزاوية الشمالية من سور المدينة وقد استفيد من مياهه في ري الحدائق الملكية المتنوعة، والفرع الغربي من القناة انعطف غرباً ويبدو أنه وفر مياه الري للحقول في تلك المنطقة⁽³⁾ حيث جرى توزيع المياه على الحقول عبر قنوات فرعية أخرى وهذا ما يشير إليه سنحريب في معرض حديثه عن إنشاء قناة كيسيري: ((...ولكي أجعل البساتين مزدهرة حفرت قناة بفؤوس حديدية، تمتد عبر التلال والوديان من مدينة كيسيري إلى السهول المحيطة بمدينة نينوى. ولمسافة بيرو ونصف البيرو أجريت المياه بشكل دائم من الخوصر (عبر القناة)، ثم حفرت قنوات أخرى تتفرع إلى الحدائق))⁽⁴⁾.

تم تأريخ هذا النص نهاية العام 703 ق.م ما يعني أن القناة قد حفرت مع بدايات إنشاء سنحريب لحدائقه وبساتينه الملكية⁽⁵⁾.

وبالعودة قليلاً إلى سد الخوصر فقد عمد مهندسو سنحريب إلى خطوة هامة حيث تركوا حيز في السد (فتحة أو ما شابه) بغية تحويل مياه السيول أوقات الفيضان وصبها في نهر دجلة عن طريق مجرى الخوصر الأصلي وهذا ما ساعد على التحكم في مستوى المياه المتدفقة إلى القناة التي حولت عبرها مياه الخوصر لتصل سهول وحدائق نينوى.

1) - يساوي البيرو حسب الخبراء والآثارين 10692 م لذا فإن مسافة بيرو ونصف البيرو تساوي نحو 16 كم انظر: سوسة، المرجع السابق، ص 15 .

2) - Jacobson.Thorkild and Lloyd.Seton, Sennacherib's Aqueduct at Jerwan, the University of Chicago press, Chicago, 1935, p.33 .

3) - Ur.Jason, Sennacherib's Northern Assyrian Canals: New insights from satellite imagery and aerial Photography, Iraq, vol.67, part1, 2005, p.322 .

4) - Grayson.A, and Novotny.J, op.cit, p.33 .

5) - Jacobson.T, and Lloyd.S, op.cit, p.33 .

وبالمقابل ومن أجل رفع منسوب مياه نهر الخوصر عمد سنحريب إلى إعطاء أوامره من أجل توسيع منابع نهر الخوصر وتحويلها إلى خزانات ثم جرها عبر قنوات وصبها في الخوصر أمام السد (1).

ب - المرحلة الثانية:

يمكن القول أن هذه المرحلة قد مرت بعدة مراحل أيضاً تمثلت في:

- توسيع الينابيع والعيون في جبال موصري Musri وجبال تاس Tas:

في الفترة ما بين 700-694 ق.م كان هناك حاجة لمزيد من أنظمة الري للحصول على المياه إذ لم تعد مياه الخوصر تكفي مشاريع سنحريب الزراعية الآخذة بالتمدد والانتساع لاسيما بعد توزيعه الأراضي المحيطة بالعاصمة على المواطنين وهذا الأمر اقتضى كميات إضافية من مياه الري ما دعى سنحريب أن يقوم بعمل مماثل لما قام به في المرحلة الأولى من البحث عن مصادر مياه جديدة في المناطق الجبلية المجاورة فوجد ضالته في جبال موصري (جبل بعشيقه حديثاً إلى الشرق من نهر الخوصر) وفي هذا يقول سنحريب:

((لاكتشاف المياه التي توجد في جبل موصري، سلك الطريق وصعدت بصعوبة حتى وصلت مدينة إيلموناكيني. وجدت في رأس المدن دور عشتار Dur-Ishtar، شيبانيبا Shibaniya، سولو Sulu جداول مائية وسعت ينابيعها الضيقة وحولتها إلى أنهار. حفرت بالفؤوس مجاري مائية في المناطق الصعبة، وجعلتها تتدفق مباشرة إلى سهل نينوى، وأنشأت لها (المجاري المائية) جوانب عالية كما الجبال فحافظت على مياهها التي أضفتها إلى مياه نهر الخوصر الدائمة، جعلت كل البساتين وعلى مدار العام تروى بالمياه في موسم الصيف الحار، أرويت بهذه المياه آلاف الحقول الممتدة حول المدينة)) (2).

إن نص سنحريب المذكور آنفاً والمؤرخ بنحو العام 694 ق.م يوحي بأن الملك سنحريب نفسه خرج يبحث عن مصادر جديدة للمياه ما يدل على عمق اهتمامه بمسألة الري من جهة، ومدى الحاجة الملحة للمياه لإرواء البساتين المزروعة من جهة ثانية.

وقد حدد سنحريب في نصه المصدر الذي جلب منه المياه وهو جبل موصري (جبل بعشيقه حديثاً) وإن المدن التي وجد عندها منابع المياه هي دور عشتار وشيبانيبا وسولو (3) توجد قرب جبل

(1) - سوسة، مرجع سابق، ص 14-17.

(2) - Grayson, A. and Novotny, J., op. cit., pp. 144-145.

(3) - تمت مطابقة مدينة شيبانيبا مع تل بلاء Tell Billah الواقع قرب بعشيقه، في حين اقترح مطابقة دور عشتار أو سولو مع جدول باهزاني Bahzani المعاصر قرب بعشيقه انظر:

- Jacobson, T. and Lloyd, S., op. cit., pp. 34-35.

موصري فعمل سنحريب على توسيع هذه الينابيع وتحويلها إلى خزانات ثم ربطها مع بعضها بقنوات ثم جرها عبر قناة لتصب في نهر الخوصر محققاً بذلك وفرة بالمياه مكنته من ري الحقول صيفاً وشتاءً، إلا أنه لم يتم التوصل إلى حقيقة القناة التي جر عبرها سنحريب مياه الينابيع المذكورة إلى الخوصر وقد اقترح جاكبسون ولويد خط سير لها حيث تتبعت جدول باهزاني Bahzani قرب بعشيقه إلى داراويش Darawish ومنها على طول طريق الموصل بعشيقه إلى نقطة أورتان خراب Ortan Kharab حيث تلاقي واد يؤدي إلى نهر الخوصر⁽¹⁾ وبذلك لا تكون القناة اصطناعية بالكامل وإنما تم الاستفادة من الجداول الموجودة على طريق القناة. النقطة المثيرة أن سنحريب لم يشر في نصه إلى نهر الكومل ولا إلى السد الذي أنشأه عليه ما يعني أن هذه الخطوة التي نفذها سنحريب سبقت خطوة إنشاء السد وتحويل مياهه عبر قناة سنحريب إلى الخوصر.

- إنشاء المستنقع (البحيرة) قرب نينوى.

ولعل سنحريب قد أنشأ في هذه الفترة أيضاً وبعد أن زادت كميات المياه المتدفقة إلى سهول نينوى وحدائقها- المستنقع الذي أخبر عنه في نصوصه والذي حدد موقعه في منطقة طرابيزو الواقعة على الجانب الأيسر من نهر دجلة في شمال نينوى إذ كان يتبع لهذه البلدة أرض منخفضة يحدها نهر دجلة من الغرب والخوصر من الجنوب وفيها أقام سنحريب مستنقعه الذي زرعه بمختلف نباتات الجنوب الرافدي ووطن فيه حيوانات مناطق المستنقعات⁽²⁾، وقد سبق تفصيل ذلك.

يعود سنحريب ويحدثنا في نص آخر، نقش على صخور بافيان عند فوهة قناة الكومل والمؤرخ نحو العام 690 ق.م أي في الفترة التي شارف فيها على الانتهاء من اكمال مشاريعه المائية، عن تحويله لمياه ينابيع ثمانية عشر نهراً أو جدولاً عبر حفره ثمانية عشر قناة جمع مياهها معاً وحولها إلى نهر الخوصر وفيما يلي أسماء هذه الينابيع:

((...كانت حقولها (مدينة نينوى) تعاني من نقص المياه وتحولت إلى خراب...إلا أنني أرويتها من مياه القرى ماسيتي، بنباكانبا، شاباريشو، كار شماش ناصر، كارنوري، ريموسة، خاته، دالين، رش عيني، سولو، دور عشتار، شيبانيبا، اسباريرة، جنجيلنيس، نمباقتي، تيلو، ألومسوشي، ومن المياه التي توجد في أعالي مدينة خدابيتي، حفرت لها ثمانية عشرة قناة، سيرت المياه عبرها إلى نهر الخوصر... أتيت بتلك المياه الوافرة من أواسط جبل تاس⁽³⁾...، أضفت إليها مياه الجبال من من اليمين واليسار، ومياه كوكوك وبيتورة القريبتين منها، وشيدت القناة بالحجارة وأطلقت عليها اسم

1)- Jacobson.T, and Lloyd.S, op.cit, pp.35-36 .

(2)- سوسه، مرجع سابق، ص 40-41 .

(3)- لدراسة مفصلة حول منابع مياه هذه القرى والقنوات التي أنشأها سنحريب عليها انظر: Ur.J, op.cit, pp.317-

قناة سنحريب، بالإضافة إلى مياه العيون والمياه التي سبق وأن جلبتها عبر القنوات التي حفرتها، جمعتها وسيرتها نحو مدينة نينوى العاصمة العظيمة،...))⁽¹⁾.

في هذا النص يكرر سنحريب ذكر مناطق دور عشتار وشيبانينا وسولو التي جر مياهها في مرحلة سابقة من أعالي نهر الخوصر في جبل موصري (بعشقة) وجعلها تصب في الخوصر، في حين أن الينابيع والقنوات الأخرى المذكورة في النص تقع في أعالي مجرى نهر الكومل في جبال تاس Tas حيث يقع فيها مضيق أو خائق بافيان قرب قرية خنس الحالية وهذا ما يؤكد أن سنحريب قد شمل في نقشه هذا كل الينابيع التي وسع أحواضها وجرّ مياهها في مختلف مراحل مشاريعه المائية المنفذة على الخوصر والكومل وبالتالي يؤكد خطأ محاولة جاكسون ولويد من ربط كل مناطق الينابيع المذكورة آنفاً في منطقة الخوصر⁽²⁾.

وفي هذا النص أيضاً يذكر سنحريب أنه حوّل جميع المنابع والمياه إلى نهر الخوصر إلا أن جاسون أور شكك بذلك نتيجة الصعوبة الفعلية التي ظهرت عند محاولة مطابقة بعض الآثار الظاهرة للعديد من قنوات الينابيع التي غدت نهر الكومل مع عبارة سنحريب: ((سيرت المياه عبرها إلى نهر الخوصر...)) ورأى (أور) بعدم ضرورة أخذ عبارة سنحريب بحرفيتها وفسرها من أن القنوات جميعها تدفقت باتجاه عام نحو نينوى وأن معظمها تدفق نحو الخوصر إلا أن بعضها الآخر لم تُضف مياهها إلى مياه الخوصر واستعملت في الري بشكل مستقل⁽³⁾.

- إنشاء سد على نهر الكومل (Gomel):

أقيم هذا السد في منطقة بافيان Bavian الجبلية الواقعة شمالي شرقي قرية خنوسا أو خنس الحالية Khinis⁽⁴⁾ على نهر الكومل أحد روافد الزاب الأعلى الذي تأتيه المياه في منطقة منبعه في جبال تاس عبر فرعين الأول ينحدر من الشمال في جهة أتروش ويسمى فرع أتروش أو بروباز أتروش وهو الفرع الرئيسي لنهر الكومل، والثاني ينحدر من الشرق ويصب في الجانب الأيسر من الفرع الأول شمال خنس ويعرف اليوم باسم نهر بورك، وكان سنحريب قد أشار في نصوصه إلى هذين الفرعين باسم النهران التوأمان، وقد أقيم السد الذي بني من الحجر جنوب ملتقى هذين الفرعين لحجز مياه نهر الكومل وتشكيل ما يشبه الخزان. وبالتالي فإن إنشاء السد شكل الخطوة الثانية في المرحلة الثانية من مشروع سنحريب الإروائي⁽⁵⁾.

1) Luckenbill.D.D, The Annals of Sennacherib's, pp.79-84 .

(2) - سوسة، مرجع سابق، ص 33-35 .

3) - Ur.J, op.cit, pp333-334 .

4) - Ibid, p.336 .

(5) سوسة، المرجع السابق، ص 32 .

- قناة سنحريب بين الكومل والخور:

فيما شكلت القناة التي حولت عبرها المياه من نهر الكومل إلى نهر الخور الخطوة الثالثة في المرحلة الثانية:

تبدأ هذه القناة على شكل نفق يتصل بالخزان مباشرة، قدر عرضه من قبل جاكبسون ولويد بنحو سبعة أمتار⁽¹⁾ وكان ارتفاع الكتل الصخرية التي اعترضت مجرى القناة السبب وراء حفر النفق، شقت القناة من الجانب الغربي لنهر الكومل⁽²⁾، وأقيم في فوهتها ناظم ذو بوابة تنظم بواسطته كميات المياه الجارية في القناة وهذا يشابه الطرق المتبعة في تنظيم الجداول الحديثة، وأقيمت بجانب الناظم غرفة صغيرة يبدو أنها خصصت لإقامة الشخص المسؤول عن تنظيم المياه بواسطة الناظم⁽³⁾.

وبالقرب من فوهة هذه القناة وعلى جانبي صخور مضيق بافيان أمر سنحريب بنحت منحوتات نافرة تصور الآلهة الآشورية العظيمة وفي بعضها الآخر يصور سنحريب نفسه في وضعيات مختلفة ومنها تلك التي نحتت على الصخور القائمة على الجانب الأيسر من الكومل وقد مثلت سنحريب في وضعية خشوع أمام صور الآلهة وهذا ما يذكره سنحريب صراحة في كتاباته المنقوشة جانب المنحوتات وتسمى هذه النقوش عامة (نقوش بافيان) نسبة لموقعها، وتعتبر بمثابة سجل خالد لأعمال سنحريب المختلفة العسكرية منها والعمرانية والإروائية ومنها ذكر قناته هذه ((قناة سنحريب)) التي سبق ذكرها في نص عام 690 ق.م السالف الذكر⁽⁴⁾.

وبخصوص هذه المنحوتات يقول سنحريب: ((وعند فوهة القناة التي حفرتها في وسط جبل تاس أمرت بنحت ست صور للآلهة العظيمة سادتي، وأقيمت أمامها صورتني الملكية في وضعية تعبدية ونقشت أمامها كل الأعمال الحسنة التي قمت بها لأجل نينوى وتركت ذلك ذكرى لأبنائي الملوك...))⁽⁵⁾.

بالعودة لمتابعة خط سير القناة فإنها تتجه بعد خروجها من النفق نحو الجنوب مسايرة نهر الكومل على طول ضفته اليمنى ثم تتعطف غرباً على طول الجانب الجنوبي تتوج دخلاً وخروجاً بمحاور صغيرة عديدة قبل أن تجتاز قناة صناعية بنيت على قناطر في منطقة جيروان Jerwan -تعتبر قناطر جيروان من أبرز وأهم القناطر المنشأة في هذا المشروع- ثم تتجه جنوباً من جديد لتستدير حول تلة منخفضة تقع جوار بلدة مقبل Muqbil ثم تعود القناة وتتعطف شمالاً ثم إلى

1) Jacobson.T, and Lloyd.S, op.cit, pp.42-43.

2) Ur.J, op.cit, p.336 .

(3)-سوسة، مرجع سابق، ص 23.

(4)-سوسة، المرجع نفسه، ص 23.

5)-Luckenbill.D.D, The Annals of Sennacherib's, p.84 .

الغرب لتعبر السهل أسفل منطقة عين سفني Ain Sifni في قناتين متوازيتين قبل أن تصب في حوض الخوصر قرب بلدة شيفشيرين Shifshirin ليحول الماء بعدها عبر قناة كيسيري المؤدية إلى حقول نينوى⁽¹⁾.

هذا الاتجاه كما حدده أور يماثل تقريباً الاتجاه التقريبي للقناة الذي حدده كل من جاكبسون ولويد بالمناطق التالية: بافيان، جفته، بيران، مامرشان، جيروان، باقصرة، بيت نار، محمودان، مقبل، كنداله، شيفشيرين⁽²⁾، ومنها إلى الخوصر.

قدر امتداد القناة من بدايتها عند بافيان وحتى مصبها في الخوصر بنحو (50كم) أما عرضها فقدر بنحو (19م) وذلك بالاعتماد على بعض آثار القناة (كتل من الحجارة الكلسية تراوحت مقاسات بعضها بين 60-70سم وبعضها الآخر بين 80-90سم) التي ظهرت على مبعده 1500م من بلدة شيفشيرين⁽³⁾.

ومن خلال تتبع مجرى قناة سنحريب لوحظ كثرة تعاريجها وهذا ناجم عن كونها تمر في منطقة جبلية صعبة لذا حاول المهندسون الابتعاد عن العقبات الجبلية قدر الامكان توفيراً للوقت والجهد، في حين عولجت مشكلة الأودية والمنخفضات التي تعترض مجرى القناة ببناء قناطر عبرت القناة فوقها وأشهر هذه القناطر على الإطلاق قنطرة جيروان⁽⁴⁾.

- عبارة جروان كجزء من قناة سنحريب: (The Jerwan Aqueduct)

شكلت هذه العبارة علامة فارقة في مجال هندسة الري الآشورية فقد أثبتت تطور هندسة الري الآشورية ورقياً بدليل توافقها مع الأسس الحديثة لبناء العبارات وتحديد اتجاه سير جداول الماء. وقد قام كل من جاكبسون ولويد بدراسة هذه العبارة دراسة مفصلة أثبتا خلالها مستوى الدقة والاتقان التي رافقت عملية البناء بدءاً من تهيئة الأساس في عمق الوادي ومن ثم بناء القناطر وإنشاء الرصيف المقاوم لنفاذ الماء ومستوى انحداره وغيرها من نقاط هامة، على الرغم مما في هذه الدراسة من بعض الآراء الغير دقيقة⁽⁵⁾.

أقيمت هذه العبارة بالقرب من قرية جيروان أو جيروانه إلى الشرق من عين سفني (Ain Sifni) عبر أحد أودية روافد الكومل لعبور قناة سنحريب التي حول من خلالها مياه نهر الكومل إلى

1)-Ur.J,op.cit,pp.337-338 .

2)- Jacobson.T, and Lloyd.S,op.cit,pp.29-30.

3)-Ibid,p.30 .

4)-سوسة، مرجع سابق، ص26.

5)-لتفاصيل وافية حول هذه العبارة انظر: Jacobson.T, and Lloyd.S,op.cit,pp.6- 30 .

نهر الخوصر⁽¹⁾، واستعملت في بناءها حجارة كلسية ضخمة حجم الواحدة منها يصل إلى (50سم³) وبالتالي استخدم في بناءها مايزيد عن مليوني قطعة حجرية، وبلغ طولها نحو (280م) تألفت من مجموعة قناطر أقيمت على منصات حجرية تم تهيئتها في قاع الوادي وارتفعت (القناطر) نحو سبعة أمتار من الأرضية حتى مستوى الرصيف الذي تدفقت فوقه مياه القناة، وتكون هذا الرصيف بدوره من رصف حجري ممهد بشكل دقيق⁽²⁾، ولاشك أنه استخدمت مادة عازلة لمنع تسرب المياه لم يتم تحديد نوعيتها بدقة لكن الفحوص أظهرت استخدام الحجر الكلسي ومزيج من نوع معين من الرمل والكلس المحروق. وأقيم فوق الرصيف جدار من كل جانب من العبارة على طول البناء وبارتفاع مترين وذلك بهدف حبس المياه داخل القناة فوق العبارة⁽³⁾، وقدر عرض أرضية رصيف العبارة بنحو (22م) أما العرض داخل القناة فبلغ نحو 19م وهو العرض الذي قدر للقناة في مناطق أخرى كما في شيفشرين⁽⁴⁾. وبالعودة إلى فكرة القناطر فقد تألفت العبارة من (13) قنطرة عرض كل منها نحو (15م) وفي الوسط أقيمت قنطرة ضخمة عرضها نحو (30م) وقسمت إلى أربعة فتحات عميقة في وسط عقيق الوادي ويبدو أن الهدف من هذه القنطرة إمرار مياه الوادي الصيفية من تحت العبارة⁽⁵⁾ وبشكل عام فإن استخدام القناطر في بناء العبارة أكسبها قوة ومتانة كبيرة⁽⁶⁾.

خلّد سنحريب هذا العمل في عدد من النقوش التي ذكر فيها صراحة إقامته جسور فوق الوديان العميقة ومنها جسر (عبارة) جيروان وهذا ما يطالعنا به النقش المعياري (B) الذي عثر عليه منقوش على العديد من الكتل الحجرية المستعملة في بناء العبارة لاسيما في الأجزاء الشمالية منها: ((...فوق الوديان العميقة أقمت جسراً من الحجارة الكلسية البيضاء. وجعلت هذه المياه تسير من فوقه))⁽⁷⁾.

عندما شارف سنحريب على اتمام مراحل مشروعه الإروائي قام بإرسال كاهنين إلى منطقة بافيان لأداء الطقوس الضرورية لضمان اتمام العمل بنجاح، وقدم الهدايا الثمينة لآلهة الأنهار والينابيع تحضيراً لافتتاح المشروع الذي أنجز في ظرف سنة وثلاثة أشهر بحسب زعم كتابات سنحريب المنقوشة في بافيان والمؤرخة نحو العام 690 ق.م⁽⁸⁾ لكن من المعلوم أن هذا المشروع

(1)-سوسة، مرجع سابق، ص26 .

2) -Jacobson.T, and Lloyd.S,op.cit,pp.6-8 .

3)-Ibid,p.16 .

(4)-سوسة، المرجع السابق، ص27 .

(5)-سوسة، المرجع السابق، ص28 .

6)- Jacobson.T, and Lloyd.S,op.cit,p.10.

7)- Ibid,p.20 .

8) -Luckenbill.D.D,The Annals of Sennacherib's,op.cit,pp.81-82 .

الإروائي الضخم بدأ مع بدايات حكم سنحريب تقريباً نحو العام 703 ق.م وبذلك فإن عمر المشروع الإروائي المنفذ يزيد على عشرة أعوام، ولعل قصد سنحريب من قوله: ((...في ظرف سنة وثلاثة أشهر، وأنهيت حفرها في اليوم الذي أكملت فيه بناءها...))⁽¹⁾ هي إنهاء المرحلة الأولى من مشروعه (قناة كيسيري).

ومهما يكن من أمر فإن سنحريب قد افتتح مشروعه عام 690 ق.م وقدم القرابين والهدايا للآلهة العظيمة وخلع على العاملين في المشروع خللاً وهدايا ثمينه: ((...قدمت كقربان للآلهة التي ساندتني أفضل أنواع الثيران وأسمن الماشية وأجودها، وخلعت على العاملين في حفر القناة أثواباً مختلفة الألوان من الكتان ومن الصوف، وقدمت لهم خواتم ومديات من الذهب الخالص))⁽²⁾.

وكخاتمة لأعمال سنحريب الإروائية في مدينة نينوى نذكر قيام سنحريب في بداية عهده بتحويل مجرى نهر تيبيلتو Tebiltu إلى خارج أسوار المدينة وتوجيهه نحو البساتين لإروائها، لكن هذا العمل يمكن أن يأخذ صفة حل للمشكلة التي يسببها هذا النهر إذ كان يجري وسط نينوى منذ القدم وقد أحدث تخريبات في أبنية المدينة ومقابرها ووصل خطره إلى حد تهديد أساسات القصر الملكي فهدم جزء منها في الجهة الجنوبية الغربية من القصر وهذا ما تذكره نصوص سنحريب:

((...نهر تيبيلتو، الفيضان العاصف (بمياهه) الذي كان يدمر الأبنية المقدسة داخل المدينة، وكشف المقابر في التلة (عرضها للشمس)، والذي يفيض منذ القدم بجانب القصر ما سبب تآكل في أساساته...، حولت مجرى نهر تيبيلتو، وأصلحت التخريبات التي أحدثها، ووجهت جريانه...))⁽³⁾.

تم تأريخ هذا النص نحو العام 702 ق.م، وبهذا فهو من أولى المشاريع المائية التي اضطلع بها سنحريب⁽⁴⁾.

وكانت قد طرحت فرضيات عدة حول هوية هذا النهر ومجره إلا أن الاعتقاد شبه المؤكد أنه يتفرع من الجانب الأيمن لنهر الخوصر في نقطة تقع خارج السور الداخلي للمدينة ثم يخترق السور ويسير غرباً بموازية نهر الخوصر حتى يصل إلى محاذاة تل قويونجيق من الجهة الغربية ثم يتجه نحو دجلة غرباً⁽⁵⁾.

1) - Luckenbill.D.D, The Annals of Sennacherib's, op.cit, pp.81-82 .

2) - Ibid, pp.81-82 .

3) - Grayson.A, and Novotny.J, op.cit, p.45 .

4) - Ibid, p.40.

5) - سوسة، مرجع سابق، ص 46-47 .

أخيراً وليس آخراً لابد من القول أن نشاطات سنحريب الإروائية تعدت العاصمة نينوى إلى المدن الأخرى فقد نفذ سنحريب مشروع إروائي هام في مدينة أربيل Erbil، مدينة السيدة الجليلة عشتار، وقد خلد هذا العمل في نقش على كتلة حجرية تقع إلى الشرق من مدخل القناة التي شقها من نهر باستورا Bastura، ويذكر فيه ما قام به سنحريب من خطوات لتنفيذ مشروعه: ((سنحريب ملك العالم، ملك آشور، حفرت ثلاثة أنهار في جبال خاني Khani، الجبال الواقعة فوق مدينة أربيل، وأضفت إليها مياه الينابيع الواقعة على يمين وشمال تلك الأنهار، حفرت قناة أوصلتها إلى وسط مدينة أربيل، مقر السيدة الجليلة، الإلهة عشتار،...))⁽¹⁾.

(الفصل الثالث: الحقائق والبساتين)
سبب جيب سري سوق أربيل، ويبدو أن سنحريب قام بتطهيرها وكرّيها ثم أضاف إليها مياه الينابيع في المنطقة المحيطة بها ثم وجهها نحو نهر باستورا، ثم عمد إلى الضفة اليسرى من النهر (باستورا) فأخذ منها مدخلاً لقناته التي أنشأها ومدها إلى داخل مدينة أربيل⁽²⁾.

وأيضاً قام سنحريب بإنشاء حديقة وبساتين واسعة حول معبد احتفال رأس السنة (أكيتو) الذي بناه في مدينة آشور، وجر المياه عبر القنوات والجداول لتأمين مياه الري لتلك البساتين: ((... بنيته من أساساته إلى الأسوار (المعبد)...، حفرت على جوانبه قناتين للري وأحطته بحديقة غنية وبساتين ذات نباتات وفيرة...))⁽³⁾.

(4)– Safar,Fuad,Sennacherib’s Project for supplying Erbil with Water, Sumer, vol.3, part .1,1947,p.23 .

2)- Ellison.E.R,A study of Diet in Mesopotamia ,op.cit,p.81 .

3)– Luckenbill.D.D,The Annals of Sennacherib,p.137.

الفصل الرابع

المكتبات في العصر الآشوري الحديث وتاريخ الكتاب

(الفصل الثالث: الحقائق والبساتين)

سابقہ حصے: السحاب والنبات.

ثالثاً- المكتبات في العصر الآشوري الحديث.

- 1- مكتبة تجلات بليصر الأول (1117-1077 ق.م)
- 2- مكتبة شاروكين الثاني (722-704 ق.م)
- 3- مكتبة آشور بانيبال (668 - 627 ق.م)
- أ- استقراء في شخصية آشور بانيبال.
- ب- مكتبة آشور بانيبال (التنظيم والإدارة)
- ج- مكتبة آشور بانيبال (النسخ والترجمة)
- د- مكتبة آشور بانيبال (التذييلات والشروحات والتعليقات)
- هـ- مكتبة آشور بانيبال (المحتويات)
- مجموعة نصوص العرافة والكهانة.
- مجموعة النصوص الدينية.
- مجموعة النصوص الأدبية والعلمية.

رابعاً - تاريخ الكتاب.

- 1- كتاب كلخو (نمرود) العاجي .
- 2- الوصف المادي للكتاب .
- 3- مضمون الكتاب وتاريخه .

أولاً- نشأة المكتبة :

إن تاريخ المكتبات تاريخ طويل، إذ يعيد المرء إلى بداية التاريخ، إلى بداية ظهور الكلمة المكتوبة وظهر مسألة التدوين التي أملت لها متطلبات الحياة الآخذة بالتطور، وكان ذلك أواخر الألف الرابعة وبداية الألف الثالثة قبل الميلاد في بلاد سومر في جنوبي العراق، حيث اخترع السومريون الكتابة المسمارية. واخترع المصريون القدماء بعد ذلك بفترة قصيرة الكتابة الهيروغليفية.⁽¹⁾

وعلى هذا فإن إرهاصات ظهور المكتبة جاءت مع ظهور الكتابة، وبما أن الكتابة في بدايتها، وكذلك في الفترات اللاحقة كانت محصورة بالمعابد والقصور لذا فمن الطبيعي أن تكون نشأة المكتبة أول أمرها في أحضان السلطتين الدينية (ممثلة بالكهنة) والسياسية (ممثلة بالسلطة الملكية بعد استقلالها بشكل فعلي عن سلطة المعبد منتصف الألف الثالث ق.م، مع أن إرهاصات هذا الاستقلال بدأت مع نهايات الألف الرابع) وبما أنها نشأت لدى هاتين السلطتين فمن البديهي أنها لم تنشأ في بداياتها كما هي الكتابة ذاتها. لغاية الفكر والأدب وقرض الشعر وتأليف الملاحم والأساطير... الخ، وإنما نشأت بناء على ضرورات عملية ملحة⁽²⁾، ونتيجة لتوسع المعارف والمدارك حول ضرورتها وأهميتها فالمعبد وجد أنه بحاجة إلى تنظيم المسائل الدينية المختلفة ولا سيما إعداد الكادر الكهنوتي، وهذا ما اقتضى القيام بتدريب الأشخاص المعنيين وتعليمهم الكتابة وتدريبهم على إدارة شؤون المعبد الدينية والإدارية والاقتصادية التي اقتضت بدورها تسجيل القرارات والأوامر التي تصدرها السلطة الكهنوتية، وتسجيل الهبات والهدايا، والمدخلات والمخرجات المالية المتعلقة باقطاعات المعبد الزراعية وممتلكاته والقروض التي يقدمها... الخ.⁽³⁾

وقد تطلب القيام بهذه المهام تدوينها وحفظها كوثائق خاصة في أماكن مخصصة لها داخل المعبد، عرفت بأسماء مختلفة - سيأتي ذكرها فيما بعد وما قيل عن المعبد يمكن أن يُقال عن القصر، إذ دعت الحاجة إلى حفظ الأمور الإدارية والقوانين والأحكام القضائية والأوامر الملكية والمراسلات والاتفاقيات والمعاهدات إلى تدوينها ومن ثم حفظها كوثائق أرشيفية يسهل الرجوع إليها عند الحاجة، لذلك جرى تخصيص حجرات خاصة لها في القصور لحفظها.⁽⁴⁾

1 - (مرعي، عيد، المكتبات في العالم القديم، مجلة دراسات تاريخية 101-102، (2008)، ص 34

2 - (ستيفنشتش، الكسندر، تاريخ الكتاب، القسم الأول، ترجمة محمد الأرناؤوط، عالم المعرفة، 169، الكويت، 1993، ص 11-12

3 - (عواد، كوركيس، خزائن الكتب القديمة في العراق، منذ أقدم العصور حتى سنة 1000 للهجرة، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، 1948، ص 42-43

4 - (المرجع نفسه، ص 43

لا شك أن القيام بهذه المسؤوليات بالنسبة للسلطتين الدينية والسياسية اقتضى وجود كتاب كانوا على معرفة بالكتابة وأسرارها وهذا ما يفترض خضوع الكتاب لعمليات تدريب من قبل هيئة تعليمية كانت تتبع القصور والمعابد، ولعل هذه الهيئة شكلت النواة الأولى لظهور المدارس، حيث عثر على العديد من الأدلة التي تشير إلى وجود مثل تلك الهيئة التعليمية في بلاد الرافدين منذ بداية العصور التاريخية. ومنها النصوص المكتشفة في طبقة أوروك الرابعة، منطقة (ب) حيث كان نحو (15%) منها هي لوائح معجمية تشمل أسماء أشياء مختلفة، وأسماء حيوانات وموظفين، ويعتقد أن الغرض من تأليفها كان تعليمياً.

كذلك اكتشفت نصوص مدرسية عديدة في شوروباك (فارة حالياً)، واكتشفت قوائم معجمية مختلفة في أبو صلابيخ وفي إبلا (في سورية)، بالإضافة إلى اكتشاف معاجم لغوية من العصر البابلي القديم تضم مفردات ومصطلحات سومرية مع ترجمة أكادية لها، ما يوحي أنها كانت لغايات تعليمية.⁽¹⁾

ولقد كشفت التنقيبات الأثرية التي جرت في العديد من المواقع الأثرية في بلاد الرافدين وسورية والشرق الأدنى عموماً، كشفت النقاب عن العديد من محفوظات الألواح الطينية ذات الكتابة المسمارية والتي شكلت بمحتوياتها أرشيفات ومكتبات ضخمة.

وهنا لا بد من التعرف بعجالة على بعض أهم وأقدم دور الأرشيفات والمكتبات في بلاد الرافدين وسورية والشرق الأدنى عموماً، وذلك بهدف تكوين صورة واضحة عما كانت عليه المكتبات قبل العصر الآشوري الحديث.

جدير بالتنويه أنه لا يمكن الفصل بشكل جذري بين مسمى الأرشيف ومسمى المكتبة، إذ أن محتوياتها كانت متداخلة.

من أشهر المكتبات تلك التي عثر عليها في مدينة نيبور Nippur (نفر حديثاً) جنوب شرق مدينة بابل (إحدى أشهر مدن السومريين الثقافية والدينية. بدأت فيها تنقيبات أمريكية مبكرة منذ العام 1889-1900 م من قبل هلبيرشت H.V.Hilpercht، بيترز J.P.Peters، وهينس J.H.Haynes. ثم استأنفت التنقيبات عام 1948 من قبل D.E.Mccown وهائنس R.C.Hains وأكملت عام 1972 من قبل MCCuire Gibson.

وقد أسفرت هذه التنقيبات بمجموعها عن آلاف الألواح والكسر الطينية تم اكتشافها في أبنية المدينة في (القصور والمعابد) والبيوت الخاصة التي قامت في القسم الشرقي من المدينة والتي

1 (-مرعي، عيد ، الكتابة والتعليم في بلاد الرافدين، مجلة دراسات تاريخية، العددان 41-1992، 42، ص 15-16

عرفت بنتلة الألواح نتيجة العثور على كميات ضخمة من الألواح في بيوت الكهنة والموظفين، كانت بمثابة مكنتبات وأرشفات خاصة.⁽¹⁾

ومع أن حالة من الضبابية تخيم على طبيعة أرشفات ومكنتبات مدينة نيبور، وكذلك بقية مكنتبات المدن السومرية والبابلية الأخرى، إلا أنه بالإمكان وضع تصور لها من خلال الاكتشاف المهم الذي حققه صموئيل نوح كريم S.N.Kramer إذ أظهرت دراسته لأحد ألواح مكتبة نيبور والمحفوظ حالياً في المتحف الجامعي في فيلاديلفيا الأمريكية، أنه عبارة عن فهرس لمكتبة نيبور ذاتها، أرخ نحو العام 2000 ق.م، وقد نقش على وجهه بكتابة مسمارية ضمت أسماء اثنين وستين لوحاً في موضوعات مختلفة تنتمي الألواح الثلاثة عشر الأخيرة منها إلى مجموعة الحكمة

هذا الاكتشاف يسمح للمرء بأن يفترض تصوراً معقولاً لآلية تنظيم المكنتبات السومرية فقد كانت الألواح تصنف بحسب موضوعاتها من خلال وضعها في أماكن معينة في المكتبة سواء على رفوف أو في جزار خاصة⁽²⁾ ومن ثم تدوين أسماء الألواح العائدة لنفس الموضوع في ألواح على شكل فهرس، وهذا الأمر يثبت وجود نظام فهرسة متطور لدى السومريين وليس نظاماً بدائياً كما يعتقد البعض والدليل أن نفس الطريقة، من حيث المبدأ، لا تزال تستخدم في العصور الحديثة أما عن مواضيع الألواح الطينية التي ضمتها مكتبة نيبور فقد شكلت مختلف علوم العصر آنذاك، من أعمال أدبية وأسطورية وملحمية، كملحمة جلجامش التي غدت المرجع الأول لجميع ملحم جلجامش اللاحقة، كما ضمت المكتبة معاجم لغوية ونصوص طبية وفلكية ودينية ورياضية⁽³⁾.

شكلت النصوص الإدارية الجزء الأكبر من تلك المحتويات وتنوّعت بين قوائم إدارية سلطوية ونصوص اقتصادية منها ما يتعلق بالمبادلات التجارية والزراعية واستلام وتسليم البضائع، وعقود بيع وشراء.⁽⁴⁾ وعلى هذا النحو يمكن اعتبار مكتبة وأرشفات مدينة نيبور نموذجاً لكل المكنتبات والأرشفات السومرية والبابلية المكتشفة في مدن مثل لاجاش وأوروك وكيش وسيبار... وغيرها من المراكز الثقافية.

أما في سورية فقد أوضحت التنقيبات الأثرية الستار عن مكتشفات غاية في الأهمية غيّرت معها العديد من المفاهيم بالنسبة للتاريخ السوري القديم (الألف الثالث والثاني ق.م).

1)- Pedesen. O, op.cit , p112

2) -سنييتشفيتش ، المرجع السابق ، ص 12-13

3) - المرجع نفسه ، ص 14

4)- Pederson.O ,op.cit ,pp.115-116.

ففي إبلا (تل مريدخ حالياً) كشفت التنقيبات الإيطالية برئاسة باولو مايتيه P.Matthia منذ العام 1974 وما بعد، كشفت النقاب عن أرشيف ومكتبة ملكية ضخمة زاد عدد محتوياتها عن (17000) لوح وكسرة كانت محفوظة في غرف القصر الملكي العائد بتاريخه إلى نحو منتصف الألف الثالث ق.م.⁽¹⁾ وقد كان لهذا الاكتشاف عدا عن أهميته الكبيرة بالنسبة للتاريخ السياسي والحضاري السوري أهمية خاصة على صعيد تطور نظام المكتبات والأرشيفات القديمة وآلية فهرستها وحفظها، وعلى صعيد تطور المعارف والعلوم القديمة في سورية والمشرق العربي القديم عموماً.

إذ كشفت التنقيبات أنه تم ترتيب الألواح الطينية المسمارية وتنظيمها بعناية كبيرة دلت معها على تقنية متطورة وخبرة واسعة، حيث تم تخزين الألواح في غرفتين يقعان إلى الشمال من قاعة حضور كبيرة قد تكون أعدت للمطالعة أو للكتابة. وقد أسهمت حادثة دمار وإحراق المدينة نحو 2250 ق.م على يد الملك نارام سين Sin-Naram الأكادي (2291-2255 ق.م) في حفظ الألواح الطينية بعد أن شويت بالنار التي التهمت المدينة، وبقيت الألواح محفوظة على وضعيتها كما كانت قبل دمار المدينة وهذا الأمر أسهم في معرفة الآلية التي رتبت فيها الألواح، إذ تبين أنه جرى ترتيبها على ثلاثة رفوف قد تكون مصنوعة من الخشب، جرى تثبيتها على جدران الغرف بواسطة أوتاد بارزة ودعائم أرضية على الزوايا. وهذا ما ساعد على معرفة عمق الرفوف (80 سم) والارتفاع الفاصل بينها (50 سم)

ثم جرى تصنيف الألواح الطينية في الرفوف بحسب موضوعاتها (رفوف خاصة بالنصوص الإدارية وأخرى خاصة بالنصوص الأدبية وثالثة مختصة بالقوائم المعجمية... الخ)، وأشكالها وأحجامها. فكانت الألواح إما دائرية أو مربعة أو مستطيلة الشكل، لكن بشكل عام كانت بمعظمها مربعة (18×18 سم). وجرى تقسيم كل لوح إلى أعمدة على كلا الوجهين.

وكنوع من التنظيم ولغاية الوصول بسهولة إلى اللوح المطلوب جرى توزيع موضوعات النصوص بحسب أشكال الألواح، فالمدورة منها خصصت للنصوص الاقتصادية والإدارية، وهذه رتبت في الرفوف الدنيا، في حين أن الألواح المربعة احتوت نصوص من مختلف الأنواع رتبت في الرفوف الوسطى والعليا⁽²⁾.

كما أظهرت الألواح الطينية دقة كبيرة في الفهرسة، حيث عمد القائمون على المكتبة إلى التدوين على حافة الألواح الطينية العلوية الظاهرة للعيان عناوين النصوص ومضامينها باختصار.

1)-Welhisch .Hans.H,Ebla : the worlds oldest library , the Journal of library history , Vol.16,No.3, 1981 .p489

2)- Ibid.pp.490-491 .

أما موضوعات النصوص فتبين من خلال الألواح التي تمت دراستها أن القسم الرئيسي من الألواح يُقدّم تفاصيل عن الحياة الإدارية والسلطوية والقانونية (أوامر ملكية، مراسيم وتشريعات، قوانين واتفاقيات مع المدن والدول المجاورة وغير ذلك)، والأمور الاقتصادية لاسيما التجارية منها المتعلقة بالمبادلات التجارية من البضائع والمواد المختلفة كالمعادن والأخشاب والمنسوجات والخزف.

كما ضمت الألواح الطينية العديد من القواميس الجغرافية التي تعدد أسماء الأماكن والمدن وكذلك ضمت نصوص أدبية استمد جزء هام منها من الثقافة السومرية، تنوعت بين صلوات وتعاويز وملاحم وأساطير وأمثال وحكم، والأهم من كل ذلك القوائم المعجمية (قواميس) التي بلغ عددها (32) معجم ثنائي اللغة (سومرية - إبلوية)⁽¹⁾. بالإضافة إلى نصوص نحوية إبلوية، وقوائم في مواضيع مختلفة، وينسخ متعددة مثل قوائم الآلهة، قوائم الملوك، قوائم الحجارة والمعادن والخشب والحيوانات والأسماك والطيور... الخ⁽²⁾.

وبذلك تكون مكتبة إبلا وأرشيفها الملكي نموذجاً فريداً على صعيد معرفة تاريخ وتنظيم المكتبات القديمة في المشرق العربي القديم والمشرق الأدنى عموماً.

أما في أوجاريت (رأس شمّر حديثاً، تبعد نحو 9 كم شمال اللاذقية) التي حققت نحو 1400 - 1200 ق.م ازدهاراً وشهرة عالمية تجارياً وثقافياً، بعد تحولها إلى مركز دولي للتبادل التجاري، وبعد إبداعها أول أبجدية في التاريخ. فقد تمكنت تنقيبات البعثة الفرنسية منذ عام 1929 برئاسة كلود شيفر Schaeffer من إزالة النقاب عن أبنية المدينة (القصر الملكي، والمعابد والبيوت الخاصة)، عثرت البعثة فيها على كنوز ضخمة من الألواح الطينية ومنها الأرشيف الملكي الذي تألف مما يزيد عن (10000) لوح طيني توزعت على خمسة أقسام من القصر الملكي، ضمت نصوصاً تتعلق بالأمور الإدارية والسلطوية والقانونية والمعاهدات والاتفاقيات الدولية، ورسائل بلغات مختلفة أكادية، وأوجارينية وحتى حورية⁽³⁾.

وهذه تقريباً السمة العامة لكل الأرشيفات في مختلف مناطق المشرق القديم.

إلا أن أبرز الاكتشافات وأهمها على الإطلاق هي مجموعة المكتبات الخاصة التي دلت على مستوى ثقافي متطور لدى أفراد السلطتين السياسية والدينية:

ففي **بيت الكاهن الأكبر** في أوجاريت تم الكشف عن المكتبة الخاصة بهذا الكاهن، والتي احتوت على أرشيف رئيسي ضم رسائل ونصوص إدارية، بالإضافة إلى النصوص الأدبية كالملاحم

1) -Wellish .H.H,op.cit ,pp492-494

2) - Ibid, pp.495-496.

3) - Pederson.O , op.cit ,p 68-70

والأساطير " أسطورة بعل وعنات " (Ba'l and Anat) وقوائم معجمية كتبت باللغة الأكادية أو السومرية، وقوائم أخرى كتبت باللغة الحورية.

عثر على نصوص دينية منها قوائم تتعلق بالتقدمات وصلوات ونصوص كهانة، وقوائم آلهة⁽¹⁾ كشفت التنقيبات عن مكتبة خاصة أخرى في بيت أحد الموظفين الملكيين إلى الشرق من القصر الملكي، ضمت نحو (343) لوح طيني، كانت نسبة هامة منها عبارة عن قوائم معجمية أهمها معجم بأربع لغات سومرية - أكادية - حورية - أوجاريتية، بالإضافة إلى نصوص نحوية أكادية، ورسائل خاصة، ورسائل دولية بلغة أكادية ما يشير إلى أن صاحب المكتبة كان من كبار المسؤولين، كذلك ضمت المكتبة قوائم إدارية ووثائق قانونية.

اكتشفت مكتبة خاصة أخرى ضمت أعمالاً أدبية هامة : قوائم معجمية، قوائم نحوية، نصين من نصوص الحكمة، نص لملمة جلجامش، نص لقصة الطوفان، نذور وتفسير قصيرة دينية أوجاريتية، بالإضافة إلى قوائم إدارية وقانونية. وتم الكشف أيضاً عن مكتبات خاصة أخرى، الأمر الذي يدل على الانتشار الواسع لها في أوجاريت⁽²⁾.

أما في فاتوشا (بوغازكوي حالياً، تبعد نحو 150 كم شرق أنقرة في تركيا) العاصمة الحثية، فقد تم اكتشاف العديد من الأرشيفات والمكتبات في القصور الملكية والمعابد وفي الأبنية الحكومية، حيث ضمت آلاف الألواح الطينية المكتوبة باللغة الحثية وبالكتابة المسمارية والتي دونت خلال القرنين الرابع عشر والثالث عشر ق.م.

تنوعت محتوياتها بين نصوص إدارية ودبلوماسية وسلطوية، ونصوص أدبية ودينية وتاريخية، كالأساطير والملحاح (ملحمة جلجامش بأسلوبها الحثي).

ورببت الألواح الطينية بشكل منظم وتمت فهرستها بدقة من حيث تدوين عناوين وأرقام ومعلومات مختصرة على الألواح الطينية، وذلك بصورة مشابهة لما سبق ذكره في مكتبات نيبور وإبلا⁽³⁾.

إن ما تقدم ذكره عبارة عن بعض نماذج لأبرز الأرشيفات والمكتبات القديمة في بلاد الرافدين وسورية⁽⁴⁾. وبالمجمل يمكن القول أن جميع دور الأرشيف والمكتبات المكتشفة تشترك عموماً بتأديتها

1)-Pederson.O,op.cit ,pp73-73

2)-Ibid ,pp77-79 .

(3)-ستيفن شيفيتش ، المرجع السابق ، ص 21

(4)-لدراسة وافية لدور الأرشيف والمكتبات في الشرق الأدنى انظر :

-Pederson. op.cit ,pp.1-291

لوظيفة إدارية بالدرجة الأولى بدليل أن النسبة الأكبر من النصوص هي نصوص إدارية خدمت القضايا الحياتية العملية. أما القسم الآخر من النصوص والتي اختصت به المكتبات فهو النصوص الأدبية والدينية بأنواعها المختلفة. وتشترك أيضاً بطرائق حفظ الألواح (جرار فخارية، سلال من القصب والطين، صناديق خشبية وطينية، ورفوف) وهذا ما سيتم الحديث عنه لاحقاً – كما تشترك المكتبات باستعمالها الكتابة المسمارية لتدوين نصوصها.

ثانياً – أصل كلمة المكتبة والكاتب :

أطلق على المكان الذي تحفظ فيه الألواح الطينية المسمارية اسم " بيت الألواح " أو " بيت الأختام ⁽¹⁾ ولعل التسمية الأخيرة جاءت من كون أن الألواح كانت تُختم بخاتم خاص بالمكتبة لتمييز ملكيتها عن غيرها من الألواح الأخرى.

وتسمية " بيت الألواح " تلك مشابهة تماماً لمعنى تسمية (المدرسة) في اللغتين السومرية والأكادية، ففي اللغة السومرية عُرفت باسم إيدوبا Edubba أو e-dub-ba.a وفي اللغة الأكادية بيت طوبي Bit-tuppi ومعناها الحرفي " بيت الألواح " Tablet house، وكما ذكر آنفاً كانت النشأة الأولى للمدرسة كجزء ملحق بالمعابد والقصور، لذا فليس من

المستبعد أن يكون نفس المكان الذي كانت تحفظ فيه المحفوظات، كانت تجري فيه أو في أجزاء منه عمليات التعليم والتدريب. وعلى كل حال كانت المدرسة سواء تابعة أو مستقلة مكان التعلم وهي موضع الحكمة لمن يطلبها⁽²⁾، إذ كانت تجري فيها عمليات التأليف والنسخ والترجمة لمختلف الأعمال الأدبية والعلمية ومنها تخرج الكتاب والعلماء الذين أجادوا مختلف علوم العصر آنذاك.⁽³⁾ وللمرء أن يدرك أهمية بيت الألواح (المدرسة) في التعليم، إذا ما اطلع على الأحجية السومرية التالية :

" بيت كالسما أسس على قاعدة، بيت غطاه المرء بالكتان كأنه وعاء نقي "

بيت كالوزة الواقفة على قاعدة (متينة)،

يدخله المرء بعيون مغمضة،

ويخرج منه بعيون مفتوحة. (فما هو)

1)– Driver.G.R,semitic writing – from pictograph to alphabet ,London , 1948 ,p75

2)–Lucas .Christopher.J,S scribal tablet–house in ancient Mesopotamia , history of education quarterly , vol.19.no.3,1979 ,p309–310

(3)–مرعي ، عيد ، الكتابة والتعليم في بلاد الرافدين ، دراسات تاريخية ، 41-42 ، ص 28

الحل : بيت الألواح " (1)

من المفترض أن بيت الألواح " نفسه قد تطور وتحول إلى مكتبة، والتي عرفت في اللغة السومرية باسم إم- جور - لا Im-Gu-La (2)، وفي اللغة الأكادية جرجيناكو girginakku نسبة إلى الجرار الفخارية التي كانت تحفظ فيها الألواح الطينية المسمارية. ولقب مدير المكتبة في اللغة الأكادية بلقب " ربّ جير جيناكي " Rab-Gerginaki (3).

كما عرفت تسميات أخرى أطلقت على المكان الذي تحفظ فيه الألواح أتت من طبيعة الشيء الذي حفظت فيه الألواح، فهناك تسمية " جرة الرقم " (a pot of Tablets) وهي تسمية تشير بكل وضوح إلى أن الألواح كانت تحفظ في جرار مصنوعة من الفخار أو سلال معمولة من القصب والطين (4) ثم فيما بعد أخذت تتطور عملية ترتيب الألواح فاستخدمت الرفوف.

وأطلق على الشخص المسؤول عن حفظ الألواح وتنظيمها لقب " ابن جرة بيت الألواح " (a son of a pot of tablets).

وُجدت تسمية أخرى أطلقت على الوعاء الذي يحتوي على الألواح ذات المضامين الهامة كالقوانين أو الشرائع أو المعاهدات، و كان إما على شكل جرة أو على شكل صندوق مصنوع من الطين أو من الخشب، يسمى " صندوق - الكتاب " أو " الوعاء الخشبي الحافظ للوح الطيني " ويُسلم هذا الوعاء إلى أمين المكتبة الذي يُلقب أيضاً بـ " رئيس صندوق الألواح " (5).

إذاً أتت هذه التسميات من طبيعة الشيء الذي حُفظت فيه الألواح، وهي تسميات فرعية داخل بيت الألواح (الذي لم تقتصر محتوياته على الجرار والصناديق وإنما ضمّ أيضاً رفوفاً رُتبت فيها الألواح الطينية). أما كلمة " مكتبة " في اللغة العربية فهي من " كتب " وهي المكان الذي تجمع فيه الكتب (6) لغاية حفظها ولمطالعتها. وفي الإنكليزية library وفي اللاتينية Bibliotheca (مكتبة) التي أخذت اسمها من التسمية الإغريقية Biblion والتي تُرجمت بدورها إلى " كتاب " (7) والجمع منها منها Bibla: كتب. وكلمة Biblion مأخوذة بدورها من كلمة Byblos وهو الاسم الذي أطلقه

(1)- مرعي ، عيد ، الكتابة والتعليم في بلاد الرافدين ، دراسات تاريخية ، 41-42 ، ص 16

(2)-المرجع نفسه، ص 34

(3)-المرجع نفسه ، ص 40

(4)- Driver .G.R,op.cit ,pp70-75 .

(5)-Ibid ,pp74-75

(6)-مرعي، المكتبات في العالم القديم، دراسات تاريخية، 101-102 ، ص 33

(7)-Woolf.Greg ,Histories of ancient libraries in(konig.Jason,oikonomopoulo.katerina and woolf .Greg , ancient libraries ,(cambrdg university press , New York ,2013,p1

الإغريق على مدينة جبيل الفينيقية التي أصبحت منذ القرن السادس قبل الميلاد المركز الرئيسي لتجارة البردي المصرية Papyrus مادة الكتابة الرئيسية آنذاك في مصر وما جاورها.⁽¹⁾

أما تسمية الكاتب، الذي كان له دور أساس في عمليات الكتابة والنسخ والترجمة في أروقة المكتبة، فقد وردت بعدة صيغ اختلفت من عصر لآخر، ولعلّ أقدم مصطلح عبّر معنى كلمة كاتب هو المصطلح السومري (دوب - سار) Dub-sar في منتصف الألف الثالث ق.م وكان يُطلق على الفرد الذي نال تعليمًا ليكون المعنى "كاتب للوح الطيني"

أما في اللغة الأكادية فعُرف الكاتب باسم طوبشرو Tupasrru، في حين أن النصوص القانونية والاقتصادية من العصر الآشوري الحديث تقدم مصطلح آخر لمعنى الكاتب وهو (ل - آبا) (Lu.A.B.A) ويعني حرفياً (رجل الألف باء) وهي إشارة صريحة إلى تأثير الكتابة الهجائية، واللغة الآرامية في تدوين بعض النصوص باللهجة الآشورية الحديثة⁽²⁾.

ثالثاً- المكتبات في العصر الآشوري الحديث :

1- مكتبة تجلات بليصر الأول (1117-1077 ق.م)

إن إدراج هذه المكتبة من ضمن مكتبات العصر الآشوري الحديث لا يُعتبر خروجاً زمنياً عن الموضوع، والسبب في ذلك أن ذات المكتبة شكّلت نواة أساسية لمكتبة معبد الإله آشور في مدينة آشور في العصر الآشوري الحديث، هذا ناهيك عن أهميتها التاريخية حيث تُعد من أقدم المكتبات الملكية الخاصة في أواخر العصر الآشوري الوسيط وبذلك فإن تجلات بليصر الأول سبق كل من تجلات بليصر الثالث وشاروكين الثاني وآشور بانيبال بفكرة إنشاء مكتبة خاصة.

كشفت التنقيبات الألمانية بقيادة فالتر أندريه W.Andre في العام 1904-1905 م والتي جرت في مدينة آشور (قلعة الشراقات)، في الفناء الجنوبي الغربي من معبد الإله آشور، كشفت عن مكتبة خاصة بالملك الآشوري تجلات بليصر الأول⁽³⁾ والتي تألفت بحسب الألواح التي تم اكتشافها من (650) لوح طيني كانت محفوظة في جرار طينية، بعضها كان منقوشاً بكتابات تشير إلى محتوياتها من الألواح الطينية. وقد نسبت كتابة العديد من نصوص المكتبة إلى إيزبو - ليشر Ezbu - lesir مسؤول تقديم القرابين في معبد الإله آشور وخدام الملك تجلات بليصر الأول.

وتم تأريخ نصوص هذه المكتبة من نهاية عهد الملك توكولتي نينورتا الأول (1244-1208 ق.م) إلى عهد الملك تجلات بليصر الأول (1117-1077 ق.م) وتنوعت موضوعاتها بين وثائق

(1)-مرعي، المكتبات في العالم القديم، دراسات تاريخية، 101-102، ص 33

(2) -الجميلي، عامر عبد الله، الكاتب في بلاد الرافدين القديمة، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005، ص 14-15.

(3) -مرعي، المكتبات في العالم القديم، دراسات تاريخية، 101-102، ص 37.

إدارية كانت على شكل قوائم ورسائل، ونصوص تتعلق بتقديم القرابين لمعبد الإله آشور، ونصوص اقتصادية كالقروض ونصوص البيع والشراء... الخ وهذه تمثل قسم الأرشيف في المكتبة.⁽¹⁾

أما قسمها الثاني فضم نصوصاً أدبية تألفت من أساطير وملاحم وترانيم وصلوات وتساييح وقوانين ومراسيم ملكية، ونصوص رياضية وفلكية وتنجيمية وقوائم معجمية وتنبؤات وتعاويز.⁽²⁾ ولعل أهم التعاويز نسخة من تعويذة أوتوكا -ليمينوتو Utukka -lemnutu السومرية الأصل التي حفظت باللغتين السومرية والأكدية وتتعلق بحماية الإنسان من المرض وطرد الأرواح الشريرة وهي من أهم وأطول التعاويز التي تم تأليفها - سيأتي الحديث عنها لاحقاً⁽³⁾.

جدير بالذكر أنه نُسب إلى تجلات بليصر الأول صياغة مجموعة من المواد القانونية حيث كشفت التنقيبات الألمانية في مدينة آشور عن مجموعة من الألواح الطينية التي كتبت عليها هذه المواد. إلا أن ثلاثة منها فقط كانت بحالة جيدة هي (a,b,c) ومن خلال هذه الألواح تبين أن المواد القانونية تهدف إلى تنظيم الحياة الاجتماعية والاقتصادية داخل المجتمع الآشوري، لذا فهي على درجة كبيرة من الأهمية حيث ساهمت في تقديم صورة مصغرة عن تركيب المجتمع الآشوري من خلال معالجتها لقضايا اجتماعية مختلفة فالكثير من المواد في (اللوحة A) تعالج قضايا الزواج والخيانة الزوجية والاعتصاب وقضايا تتعلق بالمرأة الحرة وبالإماء والزوجة الشرعية والمحظية ووضع الأولاد الناتجون عن ذلك وكذلك تحدد العقوبات بحق من يقترب جرمًا مخالفًا للمواد القانونية.

أما مواد (اللوحة B) فتتعلق بملكية الأرض، مثل وجوب إعلان بيع قطعة الأرض، وتحريم نقل أحجار الحدود حيث يُعاقب مرتكب هذا الفعل بشدة كقطع الإصبع وضربه مائة عصا وإجباره على السخرة لمدة شهر.

في حين يختص (اللوحة C) بتحديد العلاقة بين الدائن والمدين في مجال الرهن، كمنع بيع أشخاص أو حيوانات مرهونة عند الدائن وتعرض مقترف هذا الفعل لعقوبة شديدة، وتحدث بعض فقرات هذا اللوح عن سرقة الحيوانات وعقوبتها.

بشكل عام تتميز هذه القوانين بالشدة فهي تفرض عقوبات جسدية بحق مخالفيها كالإعدام وقطع أعضاء مختلفة من الجسم.

1)-pederson.O,op.cit,pp.84-85

2)-Ibid,p134 .

3)-Spar.Ira and .Lambert .W.G,cuneiform texts the metropolitan museum of art .literary and scholastic texts of the first mille nniun B.C, vol 2.new York ,2005, p134

كما يُنسب إلى تجلات بليصر الأول إصدار مجموعة من القوانين الأخرى تُعرف بمراسيم الحريم التي كانت تهدف إلى تنظيم العلاقات بيت موظفي القصر المتزايدين ونساء الملك اللواتي كنَّ يسكنن في جناح الحريم في القصر الملكي، وكانت أم الملك تحتل المكانة الأولى بين نساء الحريم الملكي تليها زوجة الملك أو زوجاته، إذ كان جناح الحريم يضم نساء آشوريات من عائلات عريقة إضافة إلى بنات ملوك أجنبيات قُدمن إلى القصر الملكي نتيجة زواج سياسي أغلب الأحيان⁽¹⁾.

وكما ذُكر آنفاً استمر وجود مكتبة تجلات بليصر الأول في العصر الآشوري الحديث حيث جرى ضمّها إلى مكتبة معبد الإله آشور⁽²⁾ لابل إن المكتبة شكّلت النواة الأساسية لمكتبة العصر الآشوري الحديث إذ اكتشفت فيها نسخ من نصوص تعود إلى فترة القرن التاسع ق.م⁽³⁾.

2- مكتبة الملك شاروكين الثاني (722-704 ق.م) :

كان شاروكين الثاني قد أبدى ميلاً لجمع الألواح المسمارية بغية تشكيل مكتبة خاصة به، ولعل هذا يعكس اهتماماً علمياً وأدبياً لدى الملك. لكن أين أنشأ شاروكين الثاني مكتبته الخاصة ؟ هل أنشأها في عاصمته الجديدة دور شاروكين (خورسباد حالياً)، أم أنه أنشأها في العاصمة كلخو ثم نقلها إلى دور شاروكين ؟ أم أنها بقيت في كلخو ولم يتسنَّ له نقلها ؟

ولماذا لم يُعثر إلا على نسبة قليلة من الألواح العائدة بتاريخها لعهد شاروكين الثاني ؟ أيضاً ما هي طبيعة النصوص التي اهتم شاروكين الثاني بجمعها وتنظيمها في مكتبته الملكية ؟ لا بل ما هي الأدلة التي أكّدت جهود شاروكين الثاني من أجل إنشاء مكتبته الخاصة ؟

ظهرت العديد من الإشارات والأدلة التي أثبتت اهتمام شاروكين الثاني بالناحية العلمية والأدبية والجهود التي بذلها في سبيل إنشاء مكتبة خاصة به ومنها جزء من رسالة كانت قد كُتبت من قبل أحد كتّاب شاروكين الثاني في مدينة نيبور الذي أرسلها إلى الملك يُفهم منها أن أشخاصاً تابعين لمردوك – أبال – إدينا Marduk-apla – iddina قد أخذوا ألواحاً كتابية من كتّاب تابعين لشاروكين الثاني وأرسلوها إليه (مردوك أبال إدينا) :

" عندما تم أخذ ألواح الكتابة الخاصة بنا، تم جلبها إلى مردوك أبال إدينا (الثاني) " هذا الجزء من الرسالة يشوبه الغموض، فلا يُعلم بالضبط كيف أن العديد من الألواح قد أُخذت، ولا من يملكها بالأساس، لكنها قد تُنسب إلى بعض الكتّاب في مدينة نيبور أو إلى أحد المعابد المحلية في

1 -) مرعي ،وعبد الله، مرجع سابق، بلاد الرافدين، ص 311-312

2)- Fincke .C.Jeanette, the Btrish muesums Asarbanipal library project ,Iraq
vol.66,2004,p60 .

3)- Pederson.O,op.cit ,p132

المدينة. إلا أن الشيء المهم أن هذه الرسالة قد تدل على توقع مردوك أبال إدينا الثاني قيام السلطة الآشورية بمحاولة الحصول على المعارف البابلية المكتوبة، وربما حاول أن يمنع حدوث ذلك الأمر عبر جمعه الألواح وتخزينها في مكان آمن⁽¹⁾.

وهناك إشارة أخرى جد هامة تشير إلى مساعي شاروكين الثاني للحصول على النصوص البابلية لأجل مكتبته الخاصة، إذ بعد هزيمة مردوك أبال إدينا الثاني وفراره إلى عيلام نحو 710 ق.م واعتلاء شاروكين الثاني العرش البابلي، أعطى شاروكين الثاني - يُحتمل أن يكون خليفته سنحريب - أمراً للكاتب البابلي بيل - إدينا Bel - iddina بأن يضع قائمة بأسماء المعابد البابلية وألواحها الكتابية المخزنة في أرشيفاتها ومكتباتها.

بدوره بيل - إدينا أرسل تقريراً إلى الملك يصف فيه المناطق البابلية التي تفحصها ويذكر أنه وضع جداول لمعابدها، ثم يشير في تقريره إلى خوفه من التوغل في مناطق الجنوب البابلي لأنها مناطق ذات خطورة كبيرة عليه كونه موظف تابع للملك الآشوري.

يبدو أن السيادة الآشورية لم تكن مستقرة بعد في تلك الأنحاء⁽²⁾.

من المعروف أن شاروكين الثاني قد أقام في بداية عهده في مدينة آشور ثم انتقل إلى مدينة كلخو التي بقيت عاصمة للإمبراطورية إلى ما قبل انتهاء عهد شاروكين الثاني وانتقاله إلى عاصمته الجديدة في مدينة دور شاروكين (خورسباد)، لذا لا شك أن المكان الذي أنشئت فيه المكتبة الملكية كان في مدينة كلخو، فقد تم الكشف عن العديد من النصوص الأرشيفية والمكتبية العائدة لعهد شاروكين الثاني وعهود أخرى في كل من القصر الشمالي الغربي ومعبد الإله نابو.

ففي القصر الشمالي الغربي تم الكشف في إحدى الغرف القائمة على الجانب الشمالي من الفناء الشمالي، عن نحو (400) لوح طيني، حيث كانت الغرفة التي أنتجت هذه الألواح مشغولة في نصفها الشرقي بدكتين مصنوعتان من الآجر المشوي، وتم العثور بينهما على صناديق طينية يعتقد أنها كانت مخصصة لحفظ الألواح الطينية التي شكّلت الأرشيف الملكي للملك شاروكين الثاني وأحد أسلافه.

أما مضمون النصوص فكانت عبارة عن رسائل إلى الملك، ونسخ من رسائل مرسلة من شاروكين الثاني نفسه وعدد من النصوص الأدبية وقوائم على شكل ملاحظات بعضها طويلة تتعلق بأشخاص وبمواضيع مختلفة، وكذلك قوائم تسجل مدفوعات من المناطق التي تم غزوها، ونصوص اقتصادية، وقوائم تتعلق بتخزين كميات من الزيت في القصر الملكي ونص أدبي واحد⁽³⁾. وفي غرفة

1)- Fincke.C. J ,op.cit ,p55 .

2)- Fincke.C. J,op.cit ,p55-56 .

3)-Pederson .O,op.cit,pp147-148

أخرى من القصر تم الكشف عن ما يزيد عن (180) لوح طيني أرخت نصوصها بالفترة 736-800 ق.م وتكوّنت من وثائق تجارية، ومجموعة أقدم من هذه النصوص تعود لكاتب القصر نابو-توكلاتيا Nabu-tuklataya تتعلق ببيع وشراء العبيد والخيول، ومجموعة أخرى تعطي تفاصيل حول استملاك حقول من قبل بعض الأشخاص⁽¹⁾.

إلا أن أهم الاكتشافات المتعلقة بمكتبة شاروكين الثاني جاءت من بئرين في الجزء الجنوبي من القصر الشمالي الغربي، حيث كشف ماكس مالوان عن مجموعة من ألواح الكتابة العاجية بلغ عددها (16) درفة، مكتوبة على الوجهين بخط مسماري دقيق، وكانت الألواح قد جمعت مع بعضها مشكلة ما يُشبه الكتاب الذي تبين أنه كان مُعد للنقل إلى مدينة دور شاروكين⁽²⁾ وسيأتي تفصيل ذلك لاحقاً.

كما كشف عن عدة أجزاء من ألواح كتابة خشبية، حيث أظهرت تسجيلات النصوص أن الألواح الكتابية (Leu)⁽³⁾ قد استخدمت بشكل متكرر من أجل كتابة النصوص الأدبية الطويلة وكتابة العديد من الأمور الإدارية الهامة. وقد تكون طبيعة المادة الكتابية (الخشب مثلاً) المستخدمة في عهد شاروكين الثاني قابلة للتلف وبالتالي تكون السبب في قلة ما اكتشف من محتويات مكتبة شاروكين الثاني. بشكل عام إن أغلب النصوص المكتشفة من القصر الشمالي الغربي العائدة لعهد شاروكين الثاني قد أرخت بالفترة السابقة لانتقال العاصمة إلى دور شاروكين⁽⁴⁾.

أما مكتبة وأرشيف معبد نابو إله الفن والكتابة في مدينة كلخو، فقد عثر المنقبون على بقاياها في غرف الجانب الشرقي من الفناء الداخلي للمعبد، حيث تم الكشف عن سبعة كسر من ألواح كتابة خشبية وعاجية، ما يعزز فكرة أن نسبة هامة من نصوص مكتبة شاروكين الثاني قد كُتبت على هكذا مواد قابلة للتلف.

كشف المنقبون أيضاً عن (280) لوح طيني صُنفت في موضوعات مختلفة، أكبرها مجموعة تتكون من (79) لوح طيني تتعلق بالتفسير، لا سيما التفسيرات التجسيمية والفلكية، تليها نصوص التعاويذ، والنصوص الطبية (75 لوح)، ثم القوائم المعجمية (37 لوح)، بالإضافة إلى نصوص تتعلق بالصلوات والتسابيح والترانيم ومراسيم تخص الشعائر الدينية، وملاحم كملحمة جلجامش الشهيرة

1)- Pederson .O,op.cit, p150

2)-Mallowan.M,Nimrud and its remains ,vol .1, p156

(3)-(Leu) تشير إلى عدة ألواح خشبية قد يصل عددها إلى ستة أو أكثر تكون مجموعة مع بعضها بما يشبه الكتاب وسيأتي تفصيل ذلك لاحقاً .

4)-Pederson .O,op.cit ,p150

والعديد من النقوش الملكية المكتوبة على مواشير وإسطوانات طينية⁽¹⁾ ونصوص اقتصادية كالاتفاقيات والوثائق التجارية المؤرخة في القرن السابع ق.م⁽²⁾.

وبالمجمل تم تأريخ محتويات هذه المكتبة التي بدت كمكتبة وأرشيف معاً من نحو العام 800 ق.م إلى نهاية الإمبراطورية الآشورية الحديثة⁽³⁾. وعلى هذا لا يمكن الجزم من أن محتويات مكتبة وأرشيف معبد نابو قد شكلت مكتبة للملك شاروكين الثاني، إذ من البديهي أن يكون للمعبد مكتبة وأرشيف خاص به، كما أن تاريخ نصوص المكتبة امتد على فترة زمنية طويلة من ضمنها فترة حكم شاروكين الثاني.

فهل يعني هذا أن شاروكين الثاني قد نقل مكتبته الملكية إلى عاصمته الجديدة دور شاروكين (خورسباد)، وإذا حدث ذلك فعلاً فأين أقامها ؟

إن الألواح العاجية التي عُثر عليها في القصر الشمالي الغربي في كلخو والتي شكلت ما يشبه الكتاب، كُتبت على غلافها الخارجي ما يشير إلى أنها أودعت في القصر الملكي في دور شاروكين، إلا أن التنقيبات لم تعثر على ألواح طينية أو أي مواد كتابة أخرى في ذلك القصر تدل على أن المكتبة قد أنشئت فيه.

أما معبد الإله نابو في دور شاروكين القائم في الجزء الجنوبي الغربي من الحصن، فقد اكتشفت في غرفتين من غرفه، جنوب وجنوبي غربي الفناء المؤدي إلى الأقسام الداخلية للمعبد اكتشفت ألواح طينية قليلة العدد وكانت على ما يبدو جزءاً من أرشيف ومكتبة، ضمت محتوياتها قوائم معجمية، وقوائم بأسماء الآلهة، وصلوات، وتسابيح، وترانيم، وتفسير، ونذور، وقليل من التعاويذ.

عُثر في غرفة على الجانب الجنوبي الشرقي لذلك الفناء على لوح طيني يحتوي على قائمة ملكية، في حين احتوت غرفة تقع في الجانب الشمالي الغربي من الفناء (1)، في الجدار الشمالي الشرقي منها على ثلاثة محاريب عثر فيها على قليل من كسر الألواح الطينية وبعض المواشير، ووجد محرابين على الجانب الشمالي الغربي للفناء المركزي (2) مقابل الحرم الرئيسي للإله نابو، لكنها كانت فارغة من أي شيء⁽⁴⁾.

إن اكتشاف هذه المحاريب فارغة من الألواح الطينية كان عكس ما اكتشف في معبد الإله نابو في مدينة سيبار، الذي عثر في محاريبه على ألواح طينية ذات مواضيع أدبية ودينية مختلفة. ولهذا

1)- Pederson .O,op.cit,pp151-152

2)-Mallowan .M.E.L, the excavations 1956 ,Iraq ,vol.19 ,part 1,1957 ,p7

3)-Pederson.O,op.cit,p 152

4)-Ibid,p.155 .

يمكن الاعتقاد أن محاريب معبد نابو في دور شاروكين احتوت أيضاً على ألواح طينية على غرار تلك التي في سيبار، أما عن كونها وجدت فارغة فيعتقد بدرسن أنه عندما قام سنحريب بنقل العاصمة من دور شاروكين إلى نينوى، عمد إلى نقل أجزاء رئيسية هامة من أرشيف ومكتبة معبد نابو إلى عاصمته الجديدة.

كما يضع بدرسن احتمالية أن المواد التي كتبت عليها النصوص كانت قابلة للتلف مثل ألواح الكتابة الخشبية أو البردي الذي شاع استخدامه منذ عهد شاروكين الثاني وذلك بحسب أقدم الأدلة الدالة على ذلك⁽¹⁾.

مما تقدم يمكن الاستنتاج أن شاروكين الثاني لم يُقَم مكتبته الخاصة في موضع واحد وإنما كانت مشتتة بين القصر الشمالي الغربي ومعبد نابو في كلخو، وكذلك في معبد نابو في دور شاروكين ولعله قد نقل محتويات مكتبته في القصر الشمالي الغربي ومعبد نابو في كلخو إلى معبد نابو في دور شاروكين، ولم يتم بنقلها إلى قصره الملكي في العاصمة الجديدة دور شاروكين، كما أوحى لنا عنوان الكتاب العاجي.

ثم قام سنحريب بدوره بنقل محتويات معبد نابو في دور شاروكين إلى عاصمته الجديدة نينوى. وبذلك كانت عملية نقل المكتبات من مكان إلى آخر أمراً شائعاً جداً في العصر الآشوري الحديث، لاسيما في عهد آشور بانيبال - كما سيتضح لاحقاً.

إن العثور على العديد من آثار ألواح الكتابة الخشبية العائدة بتاريخها إلى عهد شاروكين الثاني تجعل المرء يجزم أن نسبة كبيرة من نصوص مكتبة وأرشيف شاروكين الثاني قد كتبت على هذه المواد القابلة للتلف وما قد يفسر قلة المواد النصية العائدة لعهد شاروكين الثاني.

أخيراً جدير بالذكر أن الملك تجلات بليصر الثالث كان قد سبق الملك شاروكين الثاني بإنشاء مكتبة خاصة، ولعله من أوائل ملوك العصر الآشوري الحديث، يعمل على تكوين مكتبة خاصة أنشأها في مدينة أوروك. وقد تضمنت ترجمات من الأكادية إلى الآرامية والآشورية ونصوص تتعلق بالقواعد، ومعاجم لغوية، كما عثر في المكتبة على لوحين الأول ينتمي لملمحة جلجامش والثاني يتعلق بقصة الطوفان الشهيرة⁽²⁾.

1) - Pederson.O, op.cit, p158 .

(2) - ستيبتشفيتش، المرجع السابق، ص 25

3- مكتبة آشور بانيبال :

أ- استقراء في شخصية آشور بانيبال :

بداية وقبل التعرف على الإنجاز الحضاري العظيم لآشور بانيبال، والمتمثل بالمكتبة الملكية التي أنشأها في قصره الشمالي في نينوى، لابد من التعرف على شخصيته، وأهم السمات التي ميزته عن غيره من الملوك الآشوريين على امتداد عصرهم.

كان آشور بانيبال قد تلقى في صغره تربية خاصة أشرف عليها والده أسرحدون الذي خصص له معلمون يشرفون على تأديبه وتعليمه، من أمثال المعلم بلاسي Blasi والمعلم نابو - آخي - إريبيا Nabu-ahi-eriba، من المؤكد أن آشور بانيبال قد تعلم على أيديهم القراءة والكتابة والآداب والعلوم المختلفة التي برع فيها كما يذكر هو في نصوصه، لكن بالمقابل لابد أن آشور بانيبال كان لديه اهتمام وميل شخصي للتعلم منذ صغره، لكن السؤال لماذا أراد أسرحدون لابنه هذا المستوى العالي من العلم ؟

يبدو أن أسرحدون الذي كان يعاني من وساوس فأل الشر لم يكن يعرف القراءة والكتابة ما خلق لديه مشكلة ثقة مع كتابه وكهانه، وهذا ما لم يرده لابنه آشور بانيبال⁽¹⁾.

وهلى هذا فإن تربية آشور بانيبال الخاصة هي التي جعلت منه فيما بعد عسكرياً فذاً وسياسياً بارعاً وصياداً ماهراً لأكثر الحيوانات شراسة، وهذا ما يتجلى بأدق التعابير في حولياته الملكية، وتظهر تفاصيله الدقيقة في المشاهد التي صورتها المنحوتات النافرة في قصره الشمالي.

إلا أن الصفة الآجل التي فاقت كل الصفات، واصطبغت بها شخصية آشور بانيبال هي حبه للعلم وشغفه الشديد في تعلم مختلف ضروب المعرفة. هذا ما جعله الراعي الملكي الأول للعلوم على اختلاف صنوفها.

ولا شك أن تربية آشور بانيبال الخاصة لعبت دوراً في ذلك، ومع هذا من المؤكد أن هناك أموراً ساعدته على الاستمرار بالاهتمام بالعلوم والمعارف ومنها أن الامبراطورية الآشورية كانت قد بلغت من القوة السياسية والعسكرية الدرجة الكافية التي أتاحت له الانصراف إلى ما تهواه نفسه من الاشتغال بالمعارف والعلوم - على الرغم من الأحداث السياسية والعسكرية الجسام التي حصلت في عهده (إعادة السيطرة على مصر، سحق عيلام) - إلا أنه يمكن القول أن الإمبراطورية الآشورية الحديثة كانت قوية بما يكفي لتدفع آشور بانيبال لكي يُنِيب عنه كبار قادته العسكريين في قيادة الحملات العسكرية وهذا ما وقر لآشور بانيبال إمكانية الانصراف لدراسة العلوم المختلفة من فنون أدبية كالملاحم

1 - (دامروش، ديفيد، كتاب بين الركام، ملحمة جلجامش العظيمة، كيف ضاعت وكيف اكتشفت، ترجمة موسى

الحالول، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2012، ص 209

والأساطير والقصص والروايات والكهانة والتنجيم والأهم من ذلك الاطلاع على النصوص القديمة السومرية والأكدية ونسخها وترجمتها⁽¹⁾.

تظهر هذه الأمور بشكل جلي في النصوص الملكية التي خلفها آشور بانيبال إذ ما فتأ يذكر ويكل افتخار المعارف التي أَلَمَّ بها، ومنها النص المنقوش على إسطوانة هرمزد رسام (نسبة لمكتشفها) نقتطف منه المقطع التالي :

" أعطاني مردوك سيد الآلهة ذكاءاً مفتحاً وطاقة كبيرة من الفكر، ووهبني نابو، إله الكتاب من حكمته...، واكتسبت براعة الحكيم أدياباً، سر معرفة تعاليم الكتابة، معرفة بشائر السماء والأرض... درست التنجيم مع كهنة العرافة بالزيت، حللت المسائل الصعبة في الكهانة والضرب والتي لم تكن واضحة، قرأت وبيراعة النصوص السومرية الغامضة و النصوص الأكديّة التي يصعب حل غموضها. تفحصت وقرأت النقوش المربكة المكتوبة على الحجر (من فترة) ما قبل الطوفان... " ⁽²⁾.

ونقرأ في مقطع آخر : " المختار من فن الكتابة، الرقم التي لم يملكها أحد من الملوك أسلافي، حكمة نابو، الأسافين المضغوطة على اختلافاتها كتبتها على ألواح ورتبتها وراجعتها ثم وضعتها وسط قصري لرويتها وقراءتها " ⁽³⁾

يشير آشور بانيبال في المقطع الأول إلى المعارف والفنون التي اضطلع بها من معرفة قراءة الإشارات المسمارية وكتابتها على الألواح الطينية، ومعرفة فك رموز النصوص القديمة ذات اللغات الصعبة، إلى الاضطلاع بأمور الكهانة والعرافة وقراءة بشائر السماء والأرض.

في حين يجد المرء في المقطع الثاني غلبة منطق الأنا عند آشور بانيبال فهو الكاتب والناسخ والمدقق والمراجع، لا بل هو المرتب والمنظم للألواح التي أودعها في قصره الملكي⁽⁴⁾.

إلا أن المؤكد أن آشور بانيبال قد اعتمد على موظفيه ليقوموا بهذه المهام، في حين احتفظ لنفسه بالإشراف المباشر مع المشاركة في بعض المهام القريبة إلى قلبه كنسخ وترجمة النصوص السومرية والأكدية.

والمعلومة الجوهرية هنا أن آشور بانيبال عمل على جمع ألواح من مختلف صنوف المعرفة أقامها في قصره ما يعني أن آشور بانيبال قد أقدم على عمل لم يسبقه إليه أحد من الملوك السابقين

1)-Frame .G and George A.R, the royal libraries of ninveh : New evedince for king Asur banibal Taplet collecting ,Iraq ,vol,67 ,part 1,2005 ,pp.279-280

2)- Luckenbill .D,ARAB ,vol 2,pp378-379

(3)-مرعي ، وعبد الله، المرجع السابق، ص 378

4)-Fincke .Jeanette , The Babylonian texts of Nineveh – Report on the british museum ashurbanipal library project , archive for orient for schung, 50, 2003 ,pp.121-122 .

في ميادين الأدب والمعرفة عبر إنشاء مكتبة تجمع التراث الرافدي وهي المبادرة التي لا مثيل لها قبل ذلك (1).

لقد شكل عهد آشور بانيبال قمة الرقي والتطور الحضاري للإمبراطورية الآشورية الحديثة إلا أنه ولسخرية القدر لم يكتب لهذا الازدهار أن يحيا لفترة أطول بعد انقضاء عهد آشور بانيبال، وكأنه ارتبط بشخصه، فما إن انتهى عهده حتى أعقبه سقوط مدوي للإمبراطورية الآشورية الحديثة بكل أركانها وصروحها، على يد التحالف الميدي الكلداني، الذي دمر كل ما يمت لآشور بانيبال بصلة فكان نصيب المكتبة الملكية النهب والاحتراق والاندثار تحت الركام. ليبقى بعدها إرثها الحضاري دفيناً قرابة (2500) عام (2) حتى أُنْزِلَ له بالعودة مجدداً منتصف القرن التاسع عشر على يد منقبي وباحثي الغرب لتعود مكتبة آشور بانيبال وتشكل من جديد المفتاح الأول في التعرف على التراث الحضاري الآشوري والرافدي عامة.

لأبد في نهاية الحديث عن شخصية آشور بانيبال من طرح القضية التالية :

لقد تفرّد آشور بانيبال من بين كل ملوك المشرق العربي القديم والمشرق الأدنى عموماً، في إنشاء أول مكتبة تجمع شتات التراث الرافدي بالكامل، والسؤال ما الذي دفعه إلى كل ذلك ؟ هل المستوى الثقافي والعلمي الذي بلغه جعل هذه الفكرة تلوح في خلدات نفسه، حيث أدرك أهمية حفظ التراث الحضاري لأرض الرافدين ؟

أم أنه قصد من وراء ذلك أن يستعين بمحتويات النصوص عله يجد ما يساعده في إدارة دفة الحكم التي ورثها عن أبيه أسرحدون والذي عانى كما ذكر سابقاً من وسواس قهري اسمه الخوف من المرض والأعداء، وفقدانه الثقة بالمحيط الخاص به، والذي عالج به بدوره بالاستحاطة بعشرات لا بل مئات الرقي والتمائم والتعاويذ.

فهل ورث آشور بانيبال هذا المرض أو شيء منه ؟ بدليل تركيزه الكبير على جلب ونسخ الألواح الكتابية المتعلقة بهذه المواضيع، وهذا ما سيتضح من رسائله التي أرسلها إلى كتّابه يأمرهم فيها بنسخ النصوص الدينية والتعويذية المختلفة.

أم أن فكرة سيادة آشور العالمية المستمدة من عالمية الإله آشور قد وجدت طريقها إلى فكر وقناعات آشور بانيبال الذي رأى أن عالمية آشور قد تحققت سياسياً وعسكرياً، فلا بد أن تتحقق فكرياً؟

1 - (ستيتشفيش، مرجع سابق، ص 22

2 - (دامروش، مرجع سابق، ص 230

أم هل يمكن أن يُسمى المرء ذلك انفتاحاً حضارياً وثقافياً، فلم يجد آشور بانيبال ضيراً من الآخذ عن الغير بدليل أن جزءاً كبيراً من محتويات مكتبته كانت نصوصاً ونسخاً بابلية، وهي الحقيقة التي يلمسها المرء عند كل الملوك الآشوريين.

أم أن جميع الافتراضات السابقة قد اجتمعت مع بعضها فولدت دافعاً كبيراً لدى آشور بانيبال لينجز هذا العمل ؟

مهما يكن من أمر تبقى الحقيقة الماثلة للعيان وهي أن آشور بانيبال قد أسهم الإسهام الأجل في حفظ التراث الرافدي، وكأنه أراد بذلك أن يطلع الأجيال اللاحقة عما وصلته الحضارة الرافدية من رقي وازدهار.

ب- مكتبة آشور بانيبال (التنظيم والإدارة) :

تعتبر هذه المكتبة ثمرة لنتاج التطور الحضاري الذي مرت به المكتبات عبر تاريخها. ومع أن مكتشفي المكتبة الأوائل (هرمد رسام ومن أتى بعده) لم يقدموا معلومات كافية حول الماهية التي كانت عليها المكتبة لحظة اكتشافها-لعل ذلك عائد لانتفاء الدليل الأثري نتيجة الدمار الذي حصل إبان سقوط العاصمة نينوى- لكن مع ذلك يمكن رسم صورة واضحة نوعاً ما عن الحالة التنظيمية والإدارية للمكتبة الملكية، وذلك بالقياس على ما كانت عليه المكتبات الأقدم كنيبور وسيبار وكيش، لاسيما وأن علاقة قوية ربطت مسألة إقامة مكتبة آشور بانيبال مع تلك المكتبات، حيث تم نسخ كل الألواح الهامة والنادرة الموجودة في تلك المكتبات.

تكونت مكتبة آشور بانيبال القائمة في القصر الشمالي من عدة غرف أدت وظائف متعددة فبعض الغرف أو الفسحات قد خصصت لتجهيز مادة الطين وصنع الألواح اللازمة للكتابة، وهذا يفترض وجود مصدر مائي لتحقيق هذه الغاية، مع أنه ليس من المؤكد أن تكون عملية إعداد الألواح الطينية قد تمت داخل القصر، ولعله في مكان قريب من المكتبة، ولا بد أن تنفيذ عملية صنع الألواح استلزمت توظيف عدد لا بأس به من العمال، بحكم برنامج النسخ الضخم الذي نفذته المكتبة، سيأتي ذكر ذلك بعد قليل وهنا قد يفترض المرء أن العمال كانوا من الأسرى على غرار بقية الأعمال الأخرى التي اعتمد فيها على العبيد والأسرى كقوة رئيسية لتنفيذها، ولا شك أن هؤلاء العمال قد عملوا تحت إدارة موظفين مسؤولين عنهم بحكم أن عملية إعداد الألواح المطلوبة تحتاج إلى خبرة وعناية كبيرة.

وبالمقابل بوسع المرء أن يفترض تخصيص غرف أخرى للكتّاب الذين يقومون بأعمال النسخ والترجمة على اعتبار أن آشور بانيبال كان له نشاط محموم في هذه الناحية ناهيك عن أن عملية النسخ والترجمة الضخمة التي تمت في المكتبة تفرض وجود غرف معدة إعداداً جيداً لهذه الغاية، ولنا

أن نتصور احتواء غرف النسخ على طاولات ومقاعد خصصت لعمل الكتّاب والنساخ كما يخطر ببال المرء تساؤلات أخرى حول الأقسام التي شغلتها المكتبة قياساً على تنظيم مكتبات الوقت الراهن، ومنها هل خُصصت غرف لقراءة ومطالعة الألواح أم هل خصصت حجرة خاصة للملك آشور بانيبال الذي أبدى - كما ذكر سابقاً - اهتماماً واضحاً بمسألة القراءة ومطالعة ألواح مكتبته ؟

أما مسألة حفظ ألواح المكتبة، وتصنيفها فيمكن القول أنها شكلت مرحلة متقدمة في ميدان التصنيف والأرشفة، ونكرر مجدداً أن هذا بالقياس على ما وجد في المكتبات الأقدم. بالإضافة إلى الدراسة الهامة التي قام بها سيمو باريولا، على بعض كسر الألواح الطينية التي تبين أنها تمثل فهارس وتصانيف هامة -سيأتي الحديث عنها لاحقاً- تم تصنيف الألواح الطينية حسب موضوعات نصوصها، على حجرات معينة، فيقال مثلاً حجرة الألواح اللغوية والنحوية أو حجرة الألواح الدينية، أو حجرة الألواح الإدارية.. الخ⁽¹⁾، وإذا صح هذا الأمر المشابه لنظام التصنيف والفهرسة في مكتبات الوقت الحاضر، فإنه يسجل نقطة جدّ هامة في مجال التصنيف والأرشفة لدى الآشوريين وبضيف لهم سمة حضارية جديدة في ميدان إنجازاتهم الحضارية.

تم حفظ الألواح داخل الحجرات بأساليب مختلفة : منها ما تم ترتيبه على رفوف مصنوعة من الطين المجفف تحت أشعة الشمس -من المؤكد أنها لم تكن من النوع المشوي وإلا لكانت بقيت آثارها على غرار الألواح الطينية المشوية - وتم تغطية هذه الرفوف بالحصير أو تم طلائها بمادة القار منعاً للرطوبة التي تعرض الألواح للتلف.

قد تكون الرفوف مصنوعة من الخشب تُثبّت على الجدران على غرار ما اكتشف في مكتبات نيبور وكيش⁽²⁾، وما اكتشف في مكتبة وأرشيف القصر الملكي في إبلأ.

وربّت الألواح الطينية ذات الكتابة المسمارية على الرفوف بحسب موضوعاتها كما هو الأمر في مكتبات العصر الحديث.

أما النوع الثاني من أساليب حفظ الألواح في المكتبة فتمثل في استعمال سلاسل مصنوعة من القصب والطين، أو جرار من الفخار أو صناديق مصنوعة من الخشب أو الطين - وقد سبق ذكر أساليب الحفظ هذه وذكر التسميات التي أطلقت على أماكن تواجدها وتسميات المسؤولين عنها - فكانت الألواح توضع داخل تلك الأوعية وكما في حالة الألواح التي نظمت على الرفوف بحسب موضوعاتها، تم ترتيب الألواح الطينية داخل الجرار والسلاسل والصناديق بحسب موضوعاتها ولغرض معرفة محتوى تلك الجرار والصناديق، جرى التدوين عليها من الخارج بملاحظات تعريفية مختصرة

1) -باقر، طه، مقدمة في أدب العراق القديم، دار الحرية، بغداد 1976، ص 47

2) - Driver. G.R, op.cit .p.75

على شكل بطاقات أو على شكل لوح طيني صغير أو أي مادة أخرى، دون عليها عناوين الألواح الطينية وأسماء كاتبها ومضمونها بشكل مختصر.

وكانت الجرار بشكل خاص ترتب على جوانب الغرف التي خصصت لها، وهنا قد يفترض المرء أنه تم توزيع الجرار على الغرف وفق موضوعاتها.⁽¹⁾

ولا شك أن القيام بهذه الأعمال تطلب وجود إدارة منظمة للمكتبة تكونت من عدد كبير من العمال والنسّاح والكتّاب والمترجمين... إلخ. وهؤلاء حتى يستقيم عملهم لابد من وجود مشرف عليهم وهو ما ندعوه اليوم أمين المكتبة أو مدير المكتبة.

يبدو أن مدير مكتبة آشور بانيبال قد احتفظ بالتسمية الأكادية القديمة - التي سبق ذكرها - ربّ جرجيناكو، إلا أنه لم يصلنا أي من أسماء المدراء الذين تولوا إدارة المكتبة.

مهما يكن من أمر فقد كان مدير مكتبة من كبار موظفي الدولة، لكنه بالمقابل لا بد أنه كان من صنف الكتّاب ليكون قادراً على إدارة المكتبة بشكل جيد، ويقوم بالأعمال التي أنيطت به، وأهمها الإشراف على عملية إدخال وإخراج الألواح الطينية من وإلى المكتبة، وعلى عملية تخزينها، وعُهد إليه أيضاً بمهمة حفظ الألواح القيمة⁽²⁾.

بعد تكوين صورة عامة عن آلية حفظ الألواح في المكتبة وعن آلية إدارتها، يتناهى إلى الفكر سؤال على درجة كبيرة من الأهمية وهو كيف أمكن مدير المكتبة ومساعديه من تنظيم الآلاف من الألواح الطينية، ذات الموضوعات المختلفة، وكيف ميّزت الألواح من بعضها ؟

من المؤكد أن إدارة المكتبة الملكية اتبعت نظام فهرسة وتصنيف سهّل عليها أمر الوصول إلى اللوح المطلوب فبعد أن فرزت الألواح على الرفوف والجرار وفق مواضيعها، جرت عملية إحصاء وفهرسة لكل الألواح، كل بحسب موضوعه، حيث تم التسجيل على طرف كل لوح معلومات استدلالية مختصرة عن مضمونه : رقم اللوح، عنوان النص الذي يحتويه واسم كاتبه، ومختصر عن موضوعه، ثم جرى ختمه بخاتم المكتبة لتمييز ألواحها عن غيرها ولإثبات خصوصية ملكيتها - لعل هذا الأمر كان في الألواح الأصلية أما الألواح التي جرى نسخها فقد احتوت تذييلاتها على تعريفات وشروحات أكثر غنى من الأصلية وهذا ما سيذكر بعد قليل - ثم سجلت عناوين تلك الألواح في فهرس تعريفية خاصة⁽³⁾ على غرار فهرس مكتبة نيبور التي سبق ذكرها.

1)- Driver. G.R,op.cit,p74

2)- Ibid ,p.74 .

3) -ستيبنتشيفتش، مرجع سابق، ص 24

وبهذا الخصوص قدّم سيمو باربولا دراسة قيمة بكشفه النقاب عن محتوى بعض كسرات الألواح تبين أنها تعود لثلاثة ألواح طينية كانت عبارة عن فهارس مخصصة لأعمال أدبية تم ترتيبها في أقسام وكل قسم يُختتم بقائمة عليها تحمل الاسم العام لمحتوى القائمة، وكذلك اسم شخصي، لعله اسم الشخص الذي قام بالعمل الأدبي أو الذي قام بعملية الفهرسة أو الإشراف عليها، وفي بعض الحالات اسم جغرافي متبوع بمعرّف مهني أو اسم الأب أو الأسرة.

والجيد أن الألواح الثلاثة اتضح أنها كتبت من قبل نفس الكاتب وبنفس الفترة حيث أُرخت في أواخر العام 648 ق.م وتم إنجازها خلال مدة شهرين.

تألف اللوح الأول من عشرة أقسام يفصل بينها خطوط، وتألف اللوح الثاني من اثنا عشر قسمًا على الأقل، وتألف اللوح الثالث من قسمين متشابهين⁽¹⁾. الميزة الأخرى الجديرة بالذكر لهذه الفهارس التصنيفية أنها لا تحدد العناوين وأنواعها فحسب وإنما تذكر أيضاً عدد الألواح التي كتب عليها النص الواحد إضافة إلى إرفاق شرح عن مادة اللوح وصيغته باستخدام مصطلحات مثل (tuppu) وتعني لوح طيني و (Egirtu) وتعني رسالة، و (Leu) وتعني لوح كتابة مغطى بالشمع، و (Daltu) والذي يعني باب، بالإضافة إلى مصطلح (Assaru) الذي يفترض باربولا أنه نوع من الألواح الطينية.

فالمصطلحان الأول والثاني يشيران للألواح الطينية إلا أن الاختلاف بينهما هو أن الأول يشير إلى ألواح كاملة تحتوي عمودان أو أكثر، أما المصطلح الثاني فيشير إلى لوح أصغر ويحتوي عموداً واحداً فقط.

أما مصطلح (Leu) فيشير إلى مجموعات من ألواح الكتابة المصنوعة من الخشب والتي تتألف غالباً من لوحين أو أكثر، وهنا عمد منظمو مكتبة آشور بانيبال إلى طريقة تصنيفية دقيقة حيث سجلوا أمام هذا المصطلح مجموعتين من الأعداد تشير الأولى إلى عدد الألواح الموجودة في كل مجموعة وتشير المجموعة الثانية إلى عدد النسخ من هذه المجموعات أي كم مجموعة (نسخة) للموضوع الواحد.

وأما مصطلح (Daltu) : الباب فإنها تسمية للألواح الكتابية المنفردة التي لا تشكل جزءاً من الكتاب المتعدد الألواح. ومع أن هذا المصطلح غير معروف في أية نصوص أخرى إلا أن باربولا بنى اعتقاده انطلاقاً من شكل ألواح الكتابة الآشورية الشبيهة بالأبواب⁽²⁾.

1)-Parpola. siom,Assyrian library records ,JNES ,vol.42 ,no1,1983,pp.1-2

2)- Ibid. p.2

هذه الدقة في تصنيف والفهرسة تدل على مستوى الخبرة والحرفية العالية التي بلغها إداريو مكتبة آشور بانيبال وتدلل في الوقت ذاته على المستوى الحضاري المتطور الذي بلغه الآشوريين. نقطة أخرى جُذ هامة إذا سلم المرء جدلاً بمصطلح Leu (اللوح الكتابي المغطى بالشمع) فإن هذا الأمر يدفع المرء لإعادة التفكير في العدد الذي تم تقديره لمحتوى المكتبة الملكية (25 ألف لوح وكسرة) ويجعله يفترض أن عدد الألواح الطينية وألواح الكتابة تجاوز 75 ألف لوح. أمام هذه الدقة المتناهية في التصنيف والفهرسة، والحرص الشديد للحفاظ على الألواح يتبادر إلى الذهن تساؤل حول مستخدمي هذه المكتبة :

هل كانت مكتبة خاصة بالملك وحده أم أُتيحت لموظفي القصر لاسيما المتعلمين منهم، وهل فتحت أمام غير الموظفين ؟

إذا كان قد سمح لموظفي القصر والمتعلمين منهم باستخدام محتويات المكتبة، بدليل كثرة المعاجم اللغوية ونصوص القواعد النحوية، فإنه من المؤكد أن المكتبة لم تفتح أبوابها أمام العامة (1) وهذا أمر طبيعي إذ أن موقع المكتبة داخل القصر الملكي، وللضرورات الأمنية فلن يسمح للعامة بالدخول. بالمقابل لا يمكن الحديث عن امتلاك المكتبة الملكية في نينوى برنامج إعارة للألواح الخاصة بها سواء للعامة أو غير العامة، وصمت النصوص عن هذا الجانب يعتبر دليلاً بحد ذاته.

لكن بالمقابل يمكن الحديث عن وجود نظام استعارة الألواح من مكتبات أخرى لدى أصحاب المكتبات أنفسهم (الملوك)، فهناك لوح من مكتبة أوروك من عهد الملك شاوركين الثاني كُتب عليه ملاحظة تشير إلى أنه نسخة من لوح كان قد استعير من قبل " قصر آشور " ويبدو أنه لم يُعاد إلى مكانه. وهناك لوح آخر كان قد استعير من قبل نابو بولاصار ملك بابل (626-604 ق.م) لكنه لم يُعاد إلى مكانه، إلى أن وجد هذا اللوح من قبل كاهن بابلي من مدينة أوروك عثر عليه في عيلام ثم أعاده إلى مكانه نحو القرن الثالث ق. م (2).

أما بالنسبة لآشور بانيبال فيبدو أنه سجل رقماً قياسيًّا بين ملوك الشرق العربي القديم من حيث طلبه الألواح واستعارتها من المكتبات الأخرى العامة والخاصة على السواء، وبشكل خاص من مكتبات مدن الجنوب البابلي ذات التراث الفكري العريق، وقد زاد طلبه للألواح بعد انتصاره على أخيه، وذلك لأجل نسخها والاحتفاظ بنسخها أو بالنسخ الأصلية في مكتبته، إلا أن المؤكد أن الألواح التي جُلبت من المكتبات الأخرى ووصلت إلى مكتبة نينوى الملكية، كانت استعارة مؤقتة ريثما يتم نسخها، مع

1)-Chiera.Edward , the wrote on clony – the Babylonian tablets speake today, the university of ch cago press,Chicago , 1938 ,p175

2)-Driver.G.R ,op.cit ,p76

احتمالية أن تكون هناك ألواح مستملكة بعد مصادرتها من أصحابها، وما يمكن قوله بهذا الخصوص أن العديد من الألواح التي عثر عليها في مكتبة آشور بانيبال كانت قد نقشَت عليها أسماء مالكيها السابقين⁽¹⁾.

لقد ضم بانيبال إلى مكتبته الملكية ألواح من مكتبات أخرى خاصة ومكتبات أخرى تخص المعابد والقصور، فهل استخدم آشور بانيبال سلطته الملكية كنوع من الترهيب للحصول على مبتغاه؟ أم أن العديد من الألواح، لا سيما مقتنيات المكتبات الخاصة قد وصلت إليه كهدايا أو ما شابه؟ هذا ما لم يتم الإشارة إليه في أي من نصوصه المدروسة.

ج- مكتبة آشور بانيبال (النسخ والترجمة) :

لم يكن عمل آشور بانيبال وموظفي مكتبة من إداريين وكتّاب ينحصر في مسألة جمع الألواح وحفظها، وإنما تعداه إلى القيام بعمليات نسخ وترجمة النصوص الهامة لا سيما القديمة منها كالسومرية والأكادية ومحاولة الوقوف على كنهه وغوامض تلك النصوص بإضافة شروحات وتعليقات وتذييلات. وقد حولت هذه المهام المكتبة الملكية إلى مؤسسة علمية متعددة النشاطات، كانت سمتها التنظيم والدقة، حيث حظيت بإشراف ملكي مباشر من الملك آشور بانيبال. وقد اتضح ذلك من خلال التذييلات التي دونت على الألواح المنسوخة من قبل النساخ⁽²⁾ ومن خلال الرسائل الملكية المرسلة من آشور بانيبال إلى الكتّاب والنساخ يأمرهم فيها بنسخ كل ما تقع عليه أيديهم من نصوص مفيدة ونادرة ومن خلال الرسائل التي ردّ فيها الكتّاب على رسائل الملك يعدّونه بتنفيذ الأوامر الملكية دون تردد.⁽³⁾

وفيما يلي بعض الرسائل التي تقدم صورة واضحة عن ضخامة برنامج النسخ الذي نفذ لتزويد المكتبة الملكية بالألواح المطلوبة ويقف المرء فيها على تفاصيل دقيقة كموضوعات النصوص التي ركّز آشور بانيبال على نسخها، وعلى طبيعة الردود التي أبدّاها الكتّاب تجاه الأوامر الملكية، والمناطق التي جُلبت منها الألواح المنسوخة.

إحدى أهم الرسائل، رسالة من آشور بانيبال إلى أحد موظفيه في مدينة بورسيبا، المركز العلمي الهام يقول فيها :

" كلمة الملك إلى شادونو Shadunu : أنا بحالة جيدة، أرجو أن تكون أنت بحالة جيدة، عندما تصلك هذه الرسالة خذ معك هؤلاء الأشخاص الثلاثة (تذكر الرسالة أسمائهم) وأصحاب

1)- Driver.G.R ,op.cit,p76

2)-Ibid ,p76

3)-Frame .G, and Georgw.A.R,op.cit,p.265 .

العلم في مدينة بورسيبا وفتشوا عن كل الألواح التي في بيوتهم وتلك التي حفظت في معبد إيزيدا Ezida (معبد الإله نابو في بورسيبا) "

ثم يتابع الرسالة بذكر قائمة من الأعمال المهمة الأدبية والعلمية التي يطلبها الملك بشكل خاص ثم يختتم رسالته بالقول:

"... وفتشوا عن الألواح ذات القيمة الموجودة في أرشيفاتكم والتي لا توجد في بلاد آشور، ومن ثم أرسلوها إليّ. كتبت إلى الموظفين والمراقبين.. وسوف لن يمتنع أحد عن إعطائكم أي لوح تحتاجونه، وإذا رأيت أي نص أو لوح يتعلق بالطقوس لم أكتب لك عنه لكنك تعتقد أنه مفيد لقصري ابحث عنه واحصل عليه وأرسله لي"⁽¹⁾

إن مقتطفات هذه الرسالة تفصح عن الكثير فيما يتعلق ببرنامج الجمع والنسخ الذي انتهجه آشور بانيبال، كما يلاحظ المرء في هذه الرسالة تركيز آشور بانيبال على النصوص المتعلقة بالطقوس والندور والتعاويز الوقائية التي تحفظ الملك من المرض ومن أي ضرر قد يلحقه، ولعله في هذا الشأن قد ورث بعضاً من وساوس والده أسرحدون.

كما تعكس الرسالة إشرافاً مباشراً واهتماماً خاصاً من قبل آشور بانيبال للحصول على نسخ لمختلف النصوص البابلية المحفوظة في مكاتب بلاد بابل إلا أنها قد تفصح بالوقت نفسه عن أن الطريقة التي اتبعها آشور بانيبال في جمع الألواح كانت استبدادية نوعاً ما، لكنها بالمقابل تعكس فكرة على درجة كبيرة من الأهمية، تمثلت بوجود المكتبات الخاصة لدى كتّاب وعلماء من مدن الجنوب البابلي.

أما الرد على هذه الرسالة فيبدو أن كتّاب مدينة بورسيا قد حملوا الأمر الملكي على محمل الجد وقاموا بتنفيذه⁽²⁾ بدليل نص الرسالة المرسل من قبلهم إلى آشور بانيبال، حيث يبدأ نص الرسالة بتوجيه مخاطبات إلى الملك آشور بانيبال ثم ألقابه الملكية، يليها تقديم كلمات الطاعة والولاء ثم تسجل الرسالة نقطة هامة تتعلق برعاية الإله نابو للملك آشور بانيبال، والذي منحه مهارة معرفة الكتابة بأنواعها المختلفة، وهذا يدل على عناية كبيرة في اختيار ألفاظ الرسالة. ثم يلي ذلك ابتهالات وأدعية، وأخيراً اسم كاتب نص الرسالة⁽³⁾.

((.... إلى آشور بانيبال الملك العظيم،....، نحن نرسل هذه الكلمة :.... أيضاً كتّاب بورسيبا الصالحون سوف يرسلوا إلى الملك سيدهم، والذي كلّفهم بما يأتي. (وهنا اقتباس من رسالة الملك

1)- Chiera.E,op.cit ,p174 .

2)- Frame.G,and George.A,R, op .cit ,pp.281-282

3)- Ibid ,pp.265-266

السابقة) ((انسخوا كل ألواح المعرفة الخاصة بمكتبة الإله نابو وأرسلوها إلي، أكملوا التكليف)) . ربما يقول الملك لنفسه، نحن (وحدنا)، مواطني بابل، سوف يتملصوا من (ذلك) باستخدامهم لغة مريكة، نحن لن نتملص (من الأمر الملكي)، سوف نبدأ بالنسخ، سنواصل العمل ليل نهار لإكمال ما كلفنا به من قبل سيدنا الملك. سوف نكتب على الألواح، وسنستجيب حالاً، وبخصوص اللوح السومري، المسرد الذي أرسلت إلينا بخصوصه، لا يوجد (لدينا) ولا واحد منه، لكنه موجود في إيزنجيل E-Sangil ... يجب أن ترسل كلمتك إلى مواطني مدينة بابل...، نُسخ هذا النقش (نص الرسالة) على لوح من الألباستر وأرسل إلى جميع زملائنا،... دُقق وقورن. لوح بيل - أو باليصو، ابن نابو - موشتيكي - أودي ابن موشتيزيب...⁽¹⁾

تظهر هذه الرسالة محاولة كُتاب مدينة بورسيبا الظهور بمظهر الحريص على تنفيذ الأوامر الملكية، إلا أنه يمكن أن يستشعر المرء وجود نوع من التنافس بين كُتاب مدينة بورسيبا وكُتاب مدينة بابل الذي أتهموا بمحاولة التملص من الأوامر الملكية باستخدام تعابير لغوية صعبة على حد زعم كُتاب مدينة بورسيبا.

ويظهر أيضاً من نص الرسالة أن من بين الألواح التي طلبها آشور بانيبال، لوح باللغة السومرية، والذي أشير لوجوده من قبل كُتاب بورسيبا في معبد إيزانجيلا (معبد الإله مردوك) في مدينة بابل.

رسالة أخرى مشابهة لرسالة كُتاب بورسيبا، أرسلها كُتاب مدينة بابل يردون على الأمر الملكي القاضي بنسخ ألواح قديمة من معبد إيزانجيلا في مدينة بابل. للأسف إن نص الرسالة مشوه بدرجة كبيرة إلا أنه يمكن أن يفهم منه أن (12) كاتباً بابلياً، بعض أسماؤهم واضحة والقسم الأغلب مشوه، سيقومون بمهمة نسخ الألواح، وبأن الكُتاب سيقومون بتنفيذ التكليف على أكمل وجه، ولن يتملصوا من الأمر الملكي⁽²⁾.

ونقرأ في رسالة أخرى من أحد الكُتاب إلى آشور بانيبال تشير إلى أمر الملك بجمع الألواح المكتوبة باللغة السومرية :

((فيما يتعلق بالألواح المدونة باللغة السومرية سنعمل على جمعها ونرسلها))

وفي رسالة لكاتب آخر يقول فيها بأنه سيجلب الألواح التي كان الملك حمورابي قد أمر بنسخها بعد أن تلقت النسخة الأصلية :

1)- Frame.G, and George.A,R, op .cit, pp.268-269

2)- Ibid.p.275

((إن اللوح الطيني الذي عمله الملك حمورابي كان نسخة بديلة عن اللوح التالي))⁽¹⁾

تشير الرسائل السالفة الذكر وغيرها مما وجد محفوظاً في نينوى إلى عدة حقائق منها تنفيذ عمليات جمع ونسخ دقيقة للألواح، لاستخدامها من قبل آشور بانيبال أو من قبل مستشاريه وحاشيته⁽²⁾ وأن عملية نسخ النصوص البابلية والآشورية وغيرها من النصوص القديمة لم تتم في المكتبة الملكية في نينوى فقط، وهذا ما يفهم من رسائل كتّاب بورسييا وبابل وغيرهم من كتّاب المدن البابلية ذات المراكز العلمية، حيث دلّت أن عمليات نسخ للألواح المطلوبة قد تمت في مدنهم والمدن الآشورية الأخرى كمدن آشور، وكلخو التي كانت تعتبر مركزاً هاماً للنسخ.

وقد يستشعر المرء عند قراءة الرسائل الملكية وجود صيغة الأمر التي لا شك أنها زادت وتنامت معها عملية نسخ الألواح البابلية بعدما أصبح آشور بانيبال ملكاً على بلاد بابل. فأضحت كل مكتبات المدن البابلية، بما فيها المكتبات الخاصة تحت تصرفه⁽³⁾.

نقرأ ذلك في مثال معبر عبارة عن رسالة كانت بمثابة مذكرة فردية حول إتمام عمل كتابي من قبل بعض الأشخاص :

" نينورتا - جاميلي Ninurta - gimilli ... أكمل المجموعة ووضعها مكانها... كودورا Kudurra وكونايا Kunaya قد أكملوا " شياطين الشر " ... هذه التسعة ؟ قد تم تحقيقها مع الكتاب الذين يعملون على " بيت الرجل المريض " ... هؤلاء الثلاثة قد انتهوا من مجموعة تسجيلات اللوح (اللوح الأصلي)⁽⁴⁾.

من الأسماء التي تذكرها الرسالة شخصية نينورتا - جاميلي الذي يبدو أنه كان ذا مكانة عالية ويعتقد أنه ابن حاكم نيبور، ويبدو أن هؤلاء الأشخاص كانوا في نينوى، ولعلمهم رهائن لدى السلطة الآشورية، لضمان تبعية ذويهم ولضمان ولائهم كحكام مستقبليين. أما ما ورد من أسماء " شياطين الشر " و " بيت الرجل المريض " فأغلب الظن أنها أسماء لبعض التعاويذ والرقى⁽⁵⁾.

وبالمقابل كشفت بعض النصوص عن وجود وعود بمكافآت ملكية مغرية لمن ينفذ الأوامر الملكية في الحصول على الألواح ونسخها.

1)-Driver.G.R,op.cit, pp76-77

2)- Frame. G, and George .E.R.op.cit ,p. 278

3)- Driver.G.R .op.cit , p 67

4)- Frame.G, and George.A.R,op.cit ,p 278

5)- Ibid, p 279

وبذلك يكون آشور بانيبال قد اتبع في عملية إنشاءه المكتبة الملكية، أسلوب الأمر السلطوي الواجب التنفيذ، وأسلوب الترغيب عبر الإغراء بمكافآت قد تكون مالية أو منصبية أو منح اقطاعاً زراعياً. وبالمجمل يدل هذا على ما بذله آشور بانيبال من جهود في عملية جمع الألواح⁽¹⁾، فمن الرسائل السالفة الذكر وغيرها يعلم المرء أن عملية النسخ قد لاقت متابعة دقيقة من آشور بانيبال لدرجة أنه كان يستشار من قبل كتابه فيما يتعلق بنسخ النصوص التي كات يلقى بعضها على مسامعه، ثم يعطي توجيهاته بإدخال التعديلات، وليس أدل على ذلك من رسالة كاتب يدعى نينورتا - آخي - إدين Ninurta - ahi - iddin يقول فيها :

((دعني أقرأ الألواح بحضور الملك سيدي، دعني أعبر عنها بحضوره (لأعلم) فيما إذا تلاقي استحسان من الملك، أو فيما إذا لاقت عدم قبول منه، فإني سوف أنزعها منها (لعلها الفقرات التي يتوقع أن يعترض الملك عليها)، والألواح التي أتحدث عنها لها أهمية كبيرة للحفاظ عليها في الأيام القادمة))⁽²⁾

تقدم هذه الرسالة معلومة ذات أهمية كبيرة فهي تؤكد أن العديد من مضامين الألواح المنسوخة لا سيما الهام منها، كانت تتم قراءتها ومراجعتها على مسامع آشور بانيبال ليبت في أمرها، وهذا ما يدل مجدداً على المستوى العلمي الذي بلغه الملك، لدرجة أنه أحياناً يقوم بالنسخ والترجمة بنفسه، حيث يقول في أحد نصوصه :

((آشور بانيبال، الملك العظيم،...، أنا كتبت، فحصت، وجمعت هذا اللوح،... وفق صيغة الألواح الكتابية، نماذج من الآشورية، السومرية والأكادية، أنا أقمته في قصري لأجل معاينتها))⁽³⁾

وأيضاً اضطلع النساخ والكتاب بأعمال ضخمة تجاوزت عملية نسخ النصوص على ألواح جديدة، حيث أكتبوا على ترجمة العديد من النصوص الأدبية السومرية القديمة لا سيما ما يتعلق منها بالقصص والملاحم والأساطير إذ عمدوا إلى نقل النص الأصلي وأضافوا بين سطوره ترجمات آشورية حديثة، وهذا ما قام به آشور بانيبال نفسه.

من المؤكد أن عمليات الترجمة قد تطلبت جهداً ووقتاً طويلاً وعدداً هائلاً من الكتاب والنساخ، إذ لا شك أنه واجهتهم صعوبات كبيرة في مسألة ترجمة النصوص القديمة للغة كانت قد ماتت لأكثر من ألف سنة مضت، لذا لجأوا إلى استخدام ألواح معجمية ثنائية اللغة سومرية - آشورية وأكادية -

1)- Frame.G, and George.A.R,op.cit,p.282

2)-Ibid,p.278

3)- Ibid,p.280

أشورية وكذلك بابلية، وقواعد لغوية ونحوية لمساعدتهم في فك ما أعسر فهمه من رموز وكلمات صعبة.

وعلى هذا وصلتنا ملحمة جلجامش ذات الاثني عشر لوحاً بصيغتها الآشورية، إضافة لأعمال أدبية أخرى.

د- مكتبة آشور بانيبال (التذييلات Colophons) والشروحات والتعليقات :

كما واجهت النساخ صعوبات أخرى أثناء عملية النسخ منها أن بعض النصوص المراد نسخها تكون قديمة وبعض كتاباتها مطموسة أو غير واضحة، وهنا يلجأ الناسخ إلى وضع إشارات أو كلمات فوق المكان المطموس أو الكلمات التي تعذرت قراءتها كأن يضع كلمة (كسر) أو (فراغ) أو هامش يشير إلى وجود ثغرة قديمة في النص.

ومن الأمور الهامة التي اضطلع فيها النساخ إعطاء توضيحات حول هوية العمل المكتوب وكان لهذا أهمية كبيرة في التعرف على نظام فهرسة المكتبة الملكية، وعلى طبيعة الألواح المنسوخة ومصادرها ومواضعها وأسماء النساخ وغيرها من أمور هامة. لذلك استخدم النساخ التذييلات أو ما يدعى بالكولوفونات (Colophones)، والكولوفون عبارة عن تذييل يرد في نهاية النص المكتوب. وغالباً ما يرد في النصوص الأدبية، ويحتوي معلومات عن العمل المكتوب (عنوانه، عدد الأسطر، مصدر النسخة المكتوبة) وعن الكاتب والهدف من الكتابة وأدعية وصلوات والتاريخ، ولكن هذه المعلومات ليست كلها موجودة على كل كولوفون، كما أن ليس على كل لوح مكتوب كولوفون⁽¹⁾.

وإذا كان العمل الأدبي أو التاريخي المراد تدوينه طويلاً فإنه يتم تدوين نصه على عدة ألواح ترتب على هيئة سلسلة متتابعة ويذيل كل لوح منها بعنوان السلسلة العام مع رقم تسلسله.

أو بإضافة السطر الأول الذي يبدأ فيه اللوح التالي إلى نهاية اللوح السابق، ومثال ذلك ملحمة جلجامش التي دوت كما ذكر آنفاً على اثني عشر لوحاً، وأسطورة الخليقة على تسعة ألواح⁽²⁾ وكان عنوان العمل المكتوب يتألف إما من الكلمات الأولى منه مثل : **إنوما إليش** : **" عندما في العلى "** أو من وصف لمحتواه.

وإذا كان له عنوانان يمكن أن يذكر الاثنان مثل ملحمة جلجامش التي عنونت بـ **" الذي رأى كل شيء "**، **" سلسلة جلجامش "**

1 -مرعي، الكتابة والتعليم في بلاد الرافدين، دراسات تاريخية، 41-42، ص 29

2 -باقر، مقدمة في أدب العراق القديم، ص 48

أما الكاتب فيذكر نفسه بصيغة طوبى (Tuppi) فلان، أي: لوح فلان أو طوبشارو (tupsarru) فلان، أي الكاتب فلان أو يميز نفسه بكتابة قات (Qat) فلان أي : يد فلان، أو بكتابة شاطر (Satir) فلان، أي الكاتب فلان⁽¹⁾

وقد وصلنا من العصر الآشوري الوسيط والحديث بعض أسماء كتّاب لمؤلفات مختلفة، أو أسماء لكتّاب ملكيين خدموا في البلاط الآشوري. مثل سين - ليقى - أونيني Sin - liqi - unninni مؤلف سلسلة جلجامش، الذي ورد اسمه في إحدى نسخ الملحمة، إذ من المرجح أن الصيغة النهائية التي جاءت فيها الملحمة تعزى إلى هذا الكاتب من حدود العام 1250 ق.م مع أنه من النادر أن تذكر أسماء مؤلفي الأعمال الأدبية⁽²⁾.

ومن الكتّاب الملكيين ذوي الشهرة في العصور الآشوري الحديث، الكاتب نابور - زوكوب - كينا nabu-zukup-kena، كاتب مدينة كلخو الذي عمل ككاتب من العالم 716 ق.م إلى 683 ق.م وكان أبا للكاتب الملكي نابو - زيرو ليشر Nabu-zeru-lseir وجدّ لرئيس الكتّاب إيشار - شومو - إيرش Issar-sumu-eres في عهد كل من أسرحدون وآشور بانيبال وهذا الأخير كانت قد وكلت إليه مهمة إدخال شروحات وتعليقات على العديد من النصوص⁽³⁾

وأما ذكر الهدف من الكتابة فهو لبيان استخدامات النص المكتوب للاستفادة من ثواب الآلهة على القيام بالكتابة، وكان الهدف من الأدعية والصلوات تحقيق الخير للكاتب وحفظ اللوح المكتوب، وأخيراً يتم إيراد التاريخ على الكولوفون ويبدأ بالشهر، ثم اليوم فالسنة. أما ذكر المدينة في الكولوفون أحياناً فهو مفيد جداً لمعرفة المكان الأصلي الذي نسخ فيه النص ويبين انتقال النص من مكان إلى آخر⁽⁴⁾.

وعلى هذا كان للتذييلات (الكولوفونات) التي يوردها النساخ أهمية كبيرة على صعيد التعريف بهوية الألواح وتنظيمها وسهولة فهرستها وعلى صعيد الناحية التاريخية فمن خلال هذه التذييلات أمكن تحديد التواريخ التي نسخت فيها الألواح.

1 - (مرعي، الكتابة والتعليم في بلاد الرافدين، دراسات تاريخية، 41-42، ص 29-30

2 - (باقر، مقدمة في أدب العراق القديم، ص 35

3 - Farham.Eckart , Royal hermeneutics: observations on the commentaries from Ashur banipal's libraries at Nineveh , Iraq ,vol.66,2004 p.47

4 - (مرعي، الكتابة والتعليم في بلاد الرافدين، دراسات تاريخية، 41-42، ص 30

كذلك استخدم نساخو آشور بانيبال الشروحات والتعليقات⁽¹⁾ أثناء عملية نسخ النصوص لا سيما النصوص اللغوية القديمة، ذات التراكيب الصعبة، وكذلك استخدموها لتفسير القراءات المتعلقة بالندور المقدمة كقرايين أو الندور المتعلقة بالفأل، أو من أجل تفسير بعض الكلمات والمصطلحات الصعبة المتعلقة بالنصوص الأدبية، فعلى سبيل عُر في تلة فويونجيق على (22) كسرة لشروحات تتعلق بإعطاء تفاصيل أدبية حول قصة الخليقة البابلية " إينوما إيش " **Enuma elis** (عندما في العلى)، وحول نصوص الحكمة.⁽²⁾

أيضاً استعملوا الشروحات والتعليقات لتفسير بعض النصوص المتعلقة بالطقوس الدينية والتنجيمية، وتلك التي ترافق عملية تقديم قرايين الحيوانات، وبالمجمل كل أنواع الندور والتبشير التي شكلت (83.4 %) من جميع الشروحات والتعليقات المكتشفة في قويونجيق.

إن العثور على أعداد كبيرة من الألواح المتعلقة بالشروحات والتعليقات النذرية يدل على اهتمام آشور بانيبال بهذا النوع من المعارف، وما الرسائل والتقارير النذرية المرسلة من بعض الكتّاب والكهّان إلا خير شاهد على ذلك⁽³⁾.

جدير بالذكر أن الشروحات والتعليقات قد كتبت بالخط البابلي والخط الآشوري. كما اقتضت كتابة الشروحات والتعليقات على الألواح المنسوخة دون الأصلية، وهو أمر محال بطبيعة الحال بحكم مادة الكتابة (الطين)⁽⁴⁾.

1- تم تمييز نوعين من الشروحات والتعليقات، النوع الأول ويسمى تعليقات **Satu** التي يستشهد من خلالها بإشارات فردية ، كلمات أو مصطلحات وعبارات مأخوذة من النص ومن ثم شرحها بتقديم إشارات لفظية ، أو تفسيرات رياضية معقدة ، وكان يتم تصنيف التعليقات في الألواح على شكل أعمدة وهي التسمية الخاصة بالقوائم المعجمية التي يمكن أن تدعى **Satu**. أما النوع الثاني من التفسيرات والشروحات فيسمى تعليقات **Mukallimtu** حيث يقتبس الكتّاب عبارة أو يصوغونها من جديد ، مثال ذلك لغة الشرط أو جواب الشرط ، أو كلاهما لمدونة نذرية ، وشرحها بإعطاء معلومة حقيقية أو تقديم أسئلة حول جواب الشرط أو كلاهما لمدونة نذرية وشرحها بإعطاء معلومة حقيقية لها أو تقديم أسئلة حول المصطلحات الصعبة . جدير بالذكر أنه تم إحصاء نحو 798 نص من مجموعة ألواح قويونجيق يعود أغلبها للمكتبة الملكية، هي عبارة عن شروحات وتفسيرات للندور والتنبؤات في قسمها الأغلب. انظر :
-Frahm.E,op.cit,pp.46-48 .

2)- Ibid, pp.46-48

3)-Ibid,pp47-48 .

4)-Ibid,pp.49-50

4-3-3-5- مكتبة آشور بانيبال (المحتويات) :

ذكر سابقاً ن تسمية المكتبة الملكية أطلقت على المكتبة التي أقامها آشور بانيبال في قصره الشمالي في نينوى، إلا أن تصنيف المتحف البريطاني الذي تحفظ فيه محتويات المكتبة وأغلب الألواح المكتشفة في نينوى يختلف قليلاً، إذ تم إطلاق تسمية مجموعة قوينونجيق أو نينوى على كل الألواح الطينية التي عُثر عليها في تلة قوينونجيق، وقد تم تقسيم هذه المجموعة إلى ثلاثة مجموعات: **المجموعة الأولى** هي التي كشف عنها لايارد في القصر الجنوبي الغربي العائد للملك سنحريب.

المجموعة الثانية هي التي كشف عنها هرمزد رسام في القصر الشمالي وهي المجموعة الأكبر والأهم كونها المكتبة الأساسية لآشور بانيبال.

أما المجموعة الثالثة فقد عُثر عليها في معبد الإله نابو، وعثر على جزء بسيط في معبد الإلهة عشتار (1).

إن ما دفع المتحف البريطاني لإطلاق تسمية مجموعة ألواح قوينونجيق على كل ما عثر عليه في التلة من ألواح هو عدم تحديد المنقبين الأوائل للمواقع التي عثروا فيها على الألواح بشكل دقيق (2)، بالإضافة إلى أن جزء كبير من الألواح المسمارية حملت إشارات زمانية ومكانية تظهر أنها جمعت أو كتبت لصالح آشور بانيبال، فعلى الرغم من إقامة آشور بانيبال مكتبته الخاصة في قصره الشمالي، إلا أنه استمر في استخدام مكتبتي معبد نابو والقصر الجنوبي الغربي، كمراكز أرشيفية، ولاسيما معبد نابو الذي كشف فيه عن مئات من الألواح التي كتبت باسم آشور بانيبال كان قد كتبها بيده في المراحل الأخيرة من فترة تدريبه ثم أودعها ضمن مكتبة المعبد (3).

والسؤال الهام الآن كيف شكّل آشور بانيبال مكتبته الملكية ؟

اتبع آشور بانيبال في تحقيق هدفه هذا عدة وسائل : فأول ما قام به أن نقل جزءاً هاماً من محتويات كل من مكتبة القصر الجنوبي الغربي ومكتبة معبد نابو فشكلنا النواة الأساسية لمكتبته الملكية (4).

1)-Konig .Jason, Oikonomopoulou .Katerina and woolf .Greg. Ancient libraries
,Camridge university press,Cambridge ,2013,p.42

2)-Parpola .Simo , the Royal archives of Nineveh in Cveenhof klass .R, Cueiform
Archives libraries , leiden , 1986,p223 .

3)-Koing .Jason and others ,op.cit ,pp43-44 .

(4)-عواد ، مرجع سابق ، ص 53

ثم قام بإجراء آخر حيث عمد إلى ضم العديد من المكتبات الخاصة المنتشرة في بلاد الرافدين ولا سيما من بلاد بابل وخاصة بعد أن فرض سيطرته عليها عام 648 ق.م إثر القضاء على ثورة أخيه المتمرد (1).

وعدا عن المكتبات الخاصة فقد أرسل آشور بانيبال في طلب الألواح القيمة لا سيما القديمة منها المحفوظة في مكتبات المدن البابلية الهامة (بابل، بورسيبا، نيبور..) وهذا ما يفسر أن أكثر من (3500 لوح) من الألواح التي تمت دراستها من المكتبة الملكية تبين أنها جمعت من بلاد بابل أو أنها كانت قد كُتبت من قبل كتّاب بابليين تم أسرهم واستدل على ذلك من العلامات البابلية التي تميز الخط البابلي ومن التذييلات وغيرها من الامور .

أما القسم الأكبر من محتويات المكتبة الملكية فقد تجمع عن طريق عمليات النسخ والكتابة التي قام بها نساخوا آشور بانيبال - وقد سبق شرح هذه الفكرة - .

السؤال الآن كيف تعامل الباحثون مع المواد النصية المكتوبة على الألواح الطينية المكتشفة في تلة قوينجيق ؟

بعد العديد من الدراسات والمقارنات تم تقسيم المواد النصية بشكل عام إلى مجموعتين رئيسيتين: الأولى : النصوص المكتوبة وتتكون من نصوص أدبية معجمية وتاريخية وطبية ونصوص تتعلق بالطقوس الدينية، وتساييح وصلوات سومرية، إضافة إلى نصوص نذرية متنوعة.

أما المجموعة الثانية فهي الوثائق الأرشيفية مثل الرسائل والعقود الاقتصادية والاتفاقيات والملاحظات الإدارية وغيرها من أمور .

وفي حين أرخت الوثائق الأرشيفية من قوينجيق بعدة عهود تعود للملوك الآشوريين من القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد، فإن النصوص المكتوبة بدت بمعظمها أنها تعود إلى عهد الملك آشور بانيبال (2).

وهذا التصنيف ذاته الذي وجد في المكتبة الملكية في القصر الشمالي، إذ جرت العديد من الدراسات والأبحاث لمحاولة إحصاء المواد النصية التي تضمنتها ألواح المكتبة، ومعرفة أعداد الألواح الطينية. وألواح الكتابة الخشبية، لكل نوع من المواد النصية، إلا أن العدد الكبير جداً لكسر الألواح حال دون تقديم دراسة شاملة لكامل محتويات المكتبة، إذ لا يزال 74.7% من محتوياتها غير

1)- Driver .G.R,op.cit ,p 76

2)-Frahm .Eckart , op.cit .p 45

معروف، إلا أنه وبلاستناد إلى المواد التي تمت دراستها وضعت التصنيفات التالية بإجماع معظم الباحثين الذين عنوا بدراسة محتويات المكتبة، مع وجود بعض الاختلافات الثانوية في التصنيف⁽¹⁾.

جدير بالذكر أن الألواح البابلية بمواضيعها القيمة شكّلت نسبة مهمة من تكوين المكتبة لذا سيتم الإشارة إليها في مواضيعها، ولا بد من التنويه أيضاً أنه لم يتم التوصل إلا لما نسبته (25.3%) من عناوين الألواح التي ضمّتها المكتبة الملكية، لذا فإن النسب المئوية المعطاة هي لما تم دراسته فقط، وهي نسبة تقديرية تتغير مع ظهور دراسات جديدة⁽²⁾.

شملت المكتبة الملكية المجموعة التصنيفية التالية :

4-3-5-1- مجموعة نصوص العرافة والكهانة :

أولى آشور بانيبال النصوص المتعلقة بالعرافة والكهانة وكل ما يمت لها بصلة، اهتماماً خاصاً بدليل أن نصوصها استحوذت على النسبة الأكبر من بين المواد النصية التي ضمّتها المكتبة الملكية، فبلغت (82%) من جميع الألواح المتعرف عليها، وتقريباً (60%) من جميع ألواح الكتابة (الخشبية)، في حين شكّلت نصوص الكهانة والعرافة البابلية في المكتبة الملكية ما نسبته (46.8%) من المجموع العام لنصوص العرافة والكهانة في المكتبة⁽³⁾.

وتعتبر رسائل آشور بانيبال الملكية والتقارير المختلفة دليل آخر على عظم اهتمامه بنصوص الكهانة والعرافة وسعيه الحثيث للحصول عليها⁽⁴⁾.

يبدو أن آشور بانيبال قد تشارك هذا الاهتمام مع والده أسرحدون الذي يُعد أول ملك من ملوك العصر الآشوري الحديث، يحتفظ في سجلاته بتقارير عن الملاحظات الخاصة بالكهانة والعرافة والتنجيم، وذلك لغايات مرجعية، وإن العدد الكبير لهذه التقارير يشير إلى استخدام أسرحدون الكهانة والعرافة لدرجة فاقت حد المعقول حتى أنه أعاد إحياء الطقس القديم " طقس الملك البديل "⁽⁵⁾.

وبالمجمل يمكن تصنيف نصوص العرافة والكهانة إلى المجموعات التالية:

1)- Fincke J.C, the Babylonian texts of Nineveh , P124 .

2)- Ibid ,p134

3)-Ibid, p 134

4)- Frame.G.and George.A.R, op.cit ,p.278

5)- Fincke.J.C, the Babylonian texts of Nineveh , P.117

– مجموعة نصوص التعاويذ والرقى والتمايم:

استخدمت لغاية الحماية من الشرور والأمراض ولا سيما لشخص الملك آشور بانيبال، إذ اقتضى الحفاظ على الملك إحاطته بعدد كبير من التعاويذ والرقى، التي طلبها وحدد نوعيتها آشور بانيبال نفسه، كما في نص رسالته إلى شادونو في مدينة بورييا :

((... كل الألواح التي تتعلق بتعاويذ الملك، وتلك المتعلقة بمجريات شهر نيسان والتعاويذ المتعلقة بمجريات شهر تشريو Tasritu، مثلاً التعويذة المتعلقة بطقس bitsulame (house of the water sprinkly) (بيت رش الماء)، التعويذة المتعلقة بمجموعات القرارات أو المحاكمات...، التمايم (التي توضع) على سرير الملك عند رأسه وقدميه...، تعويذة " لعل إيا ومردوك " (may Ea and Marduk) التي تجلب الحكمة، السلسلة (المتعلقة) بالمعركة،...، بما فيها الألواح ذات الأعمدة المنفردة الإضافية، تعويذة " أن السهم يجب أن لا يقترب من شخصي في المعركة، طقوس من أجل السير في عرض الدولة، لدخول القصر وإرشادات رفع اليد (الصلاة والدعاء)، نقش التمايم، وكل ما هو جيد للمملكة، (تعويذة) تطهير القرية،...، وكل ما هو مطلوب في القصر،...، والألواح النادرة المعروفة لك وليست موجودة في آشور.. "(1).

من خلال هذا المقطع يمكن للمرء تكوين فكرة واضحة عما يريده آشور بانيبال من تعاويذ وتمايم فمنها ما يتعلق بتوجيهات لما يمكن أن يفعله من طقوس تتعلق بالاحتفالات الدينية أو اتخاذ قرارات سياسية أو ما شابه ذلك، في الشهر الأول والسابع من السنة، ومنها تعاويذ تتعلق بسرير الملك لتؤمن له النوم الهادئ، وأخرى لحمايته أثناء خوضه المعارك، فتيه من أسلحة العدو الغادرة، وكذلك تعاويذ للحماية أثناء السير في الصحارى والقفار الخطرة، وتمايم للوقاية ضد الشر، سواء الشر الناجم عن الأرواح الشريرة أو ذاك الناجم عن شرور البشر، وتمايم أخرى لرعاية القصر، ويبدو أن قائمة التعاويذ والتمايم التي يطلبها آشور بانيبال طويلة لذا لخصها بطلب كل ما هو مفيد للإمبراطورية والقصر، وقبل كل شيء التعاويذ التي تؤمن له الحماية الخاصة⁽²⁾ وتبقي عليه قوياً سليم النفس معافى البدن، لذلك لا غرابة أن يكون في قصره خمسة وأربعون عالماً من المنجمون والكهنة والراقون والمعوزون والأطباء وغيرهم موزعون على طول البلاد وعرضها⁽³⁾، هذا ناهيك عن أن آشور بانيبال نفسه يفتخر بأنه أتقن فنون الكهانة والعرافة ((... لوح آشور بانيبال،...، الخبير في فن الكهانة، المختص بمعرفة أسرار السماء والأرض، (الذي امتلك) حكمة الآلهة شماش وأدد...))⁽⁴⁾

1)– Fincke .J.C, the Babylonian texts of Nineveh , pp.122–123

2)– Ibid , pp.122–123

(3)– دامروش، مرجع سابق، ص 195

4)–Frame .G, and George.A.R,op.cit ,p280 .

هذا فيما يتعلق بالتعاون والرقى الملكية، وبالمقابل وجدت تعاويذ ورقى لمختلف الشؤون الحياتية العامة.

- مجموعة نصوص النذور :

عثر على العديد من الرسائل التي كانت بمثابة تقارير أرسلت من كهنة وعرافون آشوريون وبابلليون إلى أسرحدون ومن بعده إلى ابنه آشور بانيبال وهو ما أشار إلى متابعة حثيثة من قبل آشور بانيبال، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى كانت العديد من هذه التقارير بمثابة شروحات وتفسير للعديد من الأمور الصعبة والغير مفهومة التي تتخلل بعض النذور (1).

وقد أسهمت تلك التقارير في تقديم صورة واضحة عن الوظيفة الأساسية للعلماء والعرافون بأصنافهم المختلفة في البلاط الآشوري، وهي محاولة جمع أكبر قدر من المعلومات التي تقدمها النذور والبشائر المختلفة بغية المساعدة في صنع القرار الملكي، وبغية التأكيد على الدعم السماوي المستمر للعرش (2).

ويبدو أن ضخامة عدد العلماء وكثافة التقارير المرسلّة دفعت آشور بانيبال لأن يعين مندوباً عنه، كان بمثابة كبير المنجمين ويدعى "أكولانو" وهو الذي أدار الانتاج الأدبي في المكتبة (3).

وبشكل عام شملت مجموعة نصوص النذور الأقسام التالية :

- نصوص النذور الدنيوية "terrestrial omens"

بلغت نسبة النصوص الدنيوية في المكتبة الملكية نحو (43.3%) من مجموعة نصوص النذور عامة، في حين بلغت نسبة النصوص البابلية في المكتبة الملكية من ذات النوع (النصوص الدنيوية) (4.6%) وتتعلق جميع هذه النذور بأحداث نذائرية على الأرض وأغلب القصص البابلية من هذا النوع تنتمي إلى سلسلة النذور المعنونة (summa alu in a mele sakin) والتي تعني ((لو أن مدينة بنيت على ارتفاع)) . إضافة إلى نصوص أخرى (66 لوح وكسرة) تدور في فلك هذه السلسلة، بالإضافة إلى سبعة تعليقات من نوع Satu (شرح كلمات أو مصطلحات صعبة تكون في النص) كتبت بالخط البابلي.

وعثر أيضاً على تقرير واحد متعلق بالنذور الدنيوية كتبه الكاتب البابلي نابور - اقبي - nabu - iqbi أثناء عهد آشور بانيبال.

1)- Frahm .E,op.cit .p 46

2)-Robson .Eleanor, Reading in the libraries of assyria and Babylonian in : (konig. J and others ,Ancient libraries ,p44

3)-Ibid, pp44-45 .

وهناك سلسلة أخرى تدعى (iqqur - ipus) وهي سلسلة مزدوجة تتألف من قسمين الأول يتعامل مع الأحداث النبوية، والثاني مع الظواهر السماوية، وتختص هذه السلسلة بتفسير كل حدث يقع خلال شهور السنة الاثنا عشر، وقد تم العثور على ستة نصوص من هذه السلسلة في المكتبة الملكية كتبت من قبل كُتاب بابليين⁽¹⁾.

- نصوص النذور التنجيمية (السماوية) (astrological omens) :

بلغت نسبة النصوص التنجيمية في المكتبة الملكية (19.6 %) من مجموعة نصوص النذور، في حين كانت نسبة النصوص التنجيمية البابلية (22.5 %) من مجموعة نصوص النذور البابلية المكتشفة في المكتبة الملكية⁽²⁾، وتشير جميعها إلى ظواهر تنجيمية مختلفة توزعت ما بين نصوص تنجيمية (359 نص من المكتبة الملكية أي 38.1 %) وتقارير عرافة (333 أي 51.6 %)، بالإضافة إلى 6 كسر غير مفهرسة.

وبالمجمل كانت نصوص المكتبة المتعلقة بهذا الموضوع مستمدة من ألواح السلسلة الفلكية المعنونة (when anu (and) enlil) (enuma and enlil) (عندما أنو و إنيل) وقد تناولت تلك النصوص نذور تنجيمية مختلفة. بالإضافة إلى شروحات وتعليقات من نوع Satu وكذلك من نوع mukalimtu، بالإضافة إلى فهرس واحد للنذور السماوية والديوية.

إن التقارير التنجيمية المكتشفة تعود لأكثر من ملك يعود اثنان منها لعصر شاروكين الثاني، ووحد لعهد سنحريب، إلا أن النسبة الأكبر تعود لعهد أسرحدون حيث بلغت 85 تقرير، أما آشور بانيبال فظهر له (20) تقرير، في حين أن (222) تقرير غير مفهرسة⁽³⁾.

- نصوص التنبؤ عن طريق أمعاء الحيوانات المقدمة كقربان "baruta" (Extispicy)

استعمل هذا النوع من التنبؤات عن طريق تفحص أمعاء الحيوانات المقدمة كقربان للآلهة للبحث عن أية إشارات غريبة قد تظهر في الأمعاء والكبد، لتفسير الشيء الذي تم تقديم النذر لأجله على أساس تلك الإشارات⁽⁴⁾.

وقد أظهرت دراسة مشروع المتحف البريطاني للنصوص البابلية المكتشفة في مكتبة آشور بانيبال النسب التالية فيما يتعلق بهذا الموضوع من النذور :

1) -Fincke .J.C, the Babylonian texts of Nineveh , P.133

2) -Ibid, pp.133-134

3) - Ibid , p.132 .

4) -Frahm.E ,op.cit ,p48

تم إحصاء (104) ما بين لوح وكسره أي (13.9%) من مجموعة نصوص العرافة البابلية في المكتبة و (289) تقرير تنبؤي (44.8) من جميع التقارير البابلية في المكتبة و (51) كسرة غير مصنفة (55.6%) من نصوص العرافة البابلية غير المصنفة في المكتبة، بالإضافة إلى (100) نص أو جزء من نص مرتبط بموضوع التنبؤ عن طريق أمعاء الحيوانات، و 4 تعليقات من نمط mukallimtu) كتبت بالخط البابلي.

وبمقارنة هذه النسب مع النسبة العامة في سجلات المكتبة تكون نسبة نصوص التنبؤ عن طريق أحشاء الحيوانات هي :

(50.4%) من كل ألواح الكتابة المتعلقة بالنذور هي لنصوص التنبؤ عن طريق أحشاء الحيوانات، في حين كانت نسبة نصوص التنبؤ البابلية في المكتبة الملكية (6.5%).

- نصوص النذور المتعلقة بالولادة "Summa izbu" (teratomantic omens):

تم الكشف عن خمسة أمثلة من نذور الولادة، جميعها نصوص للمكتبة الملكية، وثلاثة ألواح تنتمي إلى سلسلة النذور المسماة "summa izbu" بالإضافة إلى تعليقين من نوع Satu وهي بجميعها نصوص بابلية.

- نصوص النذور الجسمية أو الجسدية (Physiognomical omens) كُشف عن كسرتين من نصوص بابلية في المكتبة الملكية، يمثلان نذور تتعامل مع مظهر جسد الإنسان (0.3%) وينتميان إلى سلسلة (alandimmu؟).

-نصوص نذور الأحلام "iskar zaqiqu" (dream omens):

تشير سجلات المكتبة إلى (16) لوحاً من نذور الأحلام (43.%) في حين لم يتم الكشف في المكتبة عن أية نصوص بابلية تدخل ضمن هذا النوع من النذور.

ولعله من المناسب هنا ذكر مقتطف من قصيدة أدبية لآشور بانيبال يذكر فيها الرؤيا التي أرسلها له في منامه الإله نابو رداً على التضرعات التي رفعها آشور بانيبال إلى نابو ومردوك :

((ستذرو الرياح حُسادك يا آشور بانيبال، مثل (غبار الطلع) على سطح الماء، وسينسحقون أمام قدميك مثل ذبابات أيار في الربيع، أما أنت يا آشور بانيبال، فستقف أمام الأرباب العظام وتسبح بحمد نابو))⁽¹⁾

1 -دامروش، مرجع سابق، ص 217

-نذور تتعلق بالفراسة (Physiognomic) :

بلغت نسبتها في سجلات المكتبة الملكية (10.5%) في حين كانت نسبة النصوص البابلية من ذات النوع (0.1%)

وعدا عن الأصناف المختلفة من نصوص العرافة والكهانة المذكورة آنفاً، وجدت نصوص أخرى لم يتم التوصل لإمكانية تصنيفها مع ما سبق من نذور⁽¹⁾.

مما تقدم يمكن الاستنتاج الأهمية الكبيرة التي شغلتها النصوص البابلية في مكتبة آشور بانيبال والتي عكست مدى ما بذله هذا العاهل من جهد في سبيل جمع ونسخ النصوص المتعلقة بالنذور والرقى والتعاويذ التي قامت بشكل عام على أساس مراقبة ظواهر معينة، ومحاولة تفسير الأمر المراد معرفته وفق ما تبديه تلك الظواهر، فإما أن يكون التفسير فآل خير، وإما أن يكون فآل شر وغالباً ما استعملت هذه النذور للبت في مختلف شؤون البلاط الآشوري، لدرجة تدفع المرء إلى تصور حالة من الهيمنة والنفوذ تمتع فيها المعوذون والرقاة والكهنة.

- مجموعة النصوص الدينية :

ضمّت المكتبة الملكية عدداً كبيراً من النصوص الدينية تنوعت بين صلوات وتسابيح وترانيم ومدائح وتراتيل وأدعية وابتهالات ومراثي. كما يمكن إدراج التعاويذ والنذور المذكورة آنفاً ضمن مجموعة النصوص الدينية، وفي الحقيقة لا يمكن إلا نادراً وضع حدود دقيقة بين هذه الأشكال المختلفة مما يمكن تسميته بأدب الدعاء نظراً لوجود عدداً كبيراً من الأدعية والتراتيل لا يمكن تصنيفها ضمن إحدى تلك الأشكال وبالتالي فإن الصلوات والتراتيل والأدعية والمراثي وغيرها من المسميات تتقاطع مع بعضها بأنها موجهة إلى الآلهة، وهي غالباً إما لطلب عطف الآلهة لتديم رعايتها أو استرضاء لها لتجنب غضبها أو للحماية من الشر، لذا فإن هذه المسميات لا تعبر سوى عن بعض سمات طبيعتها الخاصة⁽²⁾.

لقد خرجت دراسة المتحف البريطاني حول النصوص البابلية المكتشفة في مكتبة آشور بانيبال بنتائج على درجة كبيرة من الأهمية ومنها ما يتعلق بالنصوص البابلية الدينية التي يمكن عدها النموذج الأمثل للنصوص الدينية في المكتبة الملكية، لا بل إن غالبية النصوص الدينية قد كتبت باللغات السومرية والأكادية وأحياناً بالبابلية القديمة.

1)- Fincke .J.C, the Babylonian texts of Nineveh , P.193-194

2)-فون زودن، ف، مدخل إلى حضارات الشرق القديم، تر:فاروق اسماعيل، دار المدى، دمشق، سورية، 2003 ،

بلغت نسبة النصوص الدينية في تسجيلات المكتبة عامة (7.8%) من جميع الألواح المدروسة و (11.7%) من جميع ألواح الكتابة هي ذات محتوى ديني أيضاً⁽¹⁾، في حين تم دراسة (585) لوح وكسرة تبين أنها نصوص دينية بابلية.

وقد تنوعت هذه النصوص بين نصوص ثنائية اللغة وأخرى أحادية اللغة، كتبت باللغتين السومرية والأكدية. أما محتواها فقد تضمنت نصوص تتعلق بالرياء والندب⁽²⁾ "Kalutu" (Lamentation). خاصة بكهنة الرياء والندب الذين تولوا مهمة إرسال الروح إلى العالم السفلي عبر طقوس ينفذونها⁽³⁾.

ونصوص عبارة عن صلوات سومرية وأخرى ثنائية اللغة (سومرية وأكدية) وترانيم وابتهالات دينية، ونصوص تتعلق بالتعاويذ وبكهنة التعاويذ (Exorcists) (asiputu) (طارد الأرواح الشريرة). كذلك احتوت المكتبة على نصوص عبارة عن تائم وطقوس دينية.

في حين صنفت النصوص الأكادية المتعلقة بالصلوات إلى صلوات عادية (Ikribu)، وصلوات Tamitu التي تنتمي إلى كهنة التنبؤ عن طريق أحشاء الحيوانات المقدمة كقربان.

وسميت الصلوات السومرية والصلوات ثنائية اللغة (balag, ersemma, ersahnuga) وبالمقابل فإن معظم الطقوس الأكادية والتعاويذ تنتمي إلى ما يسمى (namburbi)⁴ أو إلى طقوس Maqlu وهي تعويذة تعرف باسم الحارق، حيث يقوم صاحبها بحرق تمثال صغير للتخلص من تأثير السحر، وكانت مفصلة ويبلغ عدد ألواحها ثمانية⁽⁵⁾.

أما الطقوس ثنائية اللغة فهي تنتمي بأغلبها إلى سلسلة طرد الأرواح الشريرة المسماة أوتوكو ليمنوتو (Utukka lemnutu)⁽⁶⁾ سيأتي ذكرها بعد قليل.

من المفيد هنا الإشارة إلى بعض الترانيم التي يعتقد أن آشور بانيبال قد كتبها أو كلف أحد ما بكتابتها، وهي تعكس بوضوح وضع آشور بانيبال أو على الأقل تعكس وضعه كما أراد هو أن يقدمه في صورة شعرية، حيث يلمح في العديد من ترانيمه الأدبية إلى مصاعب الحكم التي واجهها في

1)- Fincke .J.C, the Babylonian texts of Nineveh , P.135

2)- ibid, p 130

3)- دامروش، مرجع سابق، ص 195

4)-Fincke .J.C, the Babylonian texts of Nineveh , P.130

5)-قرانجي، فؤاد يوسف، مكتبة آشور بانيبال: أعظم مكتبة في التاريخ القديم، بغداد، دار الشؤون الثقافية، 2003 ، ص 117

6)- Fincke .J.C, the Babylonian texts of Nineveh , P.130

أخريات حياته. فيقول في إحداها مناشداً الإله نابو (إله الكتابة والحكمة)، وقد بدأ باستذكار أيام طفولته التي قضاها في ربوع العلم والأدب :

((في طفولتي كنت أتلهف للمجلس، لكي أجلس في بيت الألواح ...))، أما الآن على حد

قوله فإن أعداءه يحيطون به، فيصرخ مستغيثاً بالآلهة، لدرجة أنه تظهر لديه ميول للانتحار:

((غالباً ما أصعد للسطح لعلّي أقفز إلى الهاوية

لكن يخطر لي أن الحياة ثمينة فأعود أدراجي

أود أن أسري عن قلبي، ولكن هيهات، فأني قلب لديّ لأمنحه ؟

وأود أن ألت أشتات أفكاري، ولكن هيهات، فأني فكر لدي لأجمعه ؟

فأين غفرانك يا نابو،... يا دليل الحائرين ؟))⁽¹⁾

وفي ترنيمة أدبية مكتملة لهذه يرسل نابو إلى آشور بانيبال رؤيا في منامه رداً على ذلك.

وقد سبق ذكر ذلك لكن يجب تكرار مقطع بسيط لتمام المعنى :

((ستدروا الرياح حسّادك يا آشور بانيبال،...، أما أنت، يا آشور بانيبال، فستقف أمام

الأرباب العظام وتسبح بحمد نابو !))

وهناك ترنيمة أخرى طويلة في مدح الإله مردوك وزوجته، يُعرف من مقاطعها اللفظية الافتتاحية

أن الذي نظمها هو آشور بانيبال نفسه :

((أنا آشور بانيبال الذي دعاك : أعطني الحياة يامردوك وسأسبح بحمدك !))⁽²⁾

لعل هذه الترانيم تعكس الوضع السياسي المتدهور الذي آلت إليه الإمبراطورية الآشورية الحديثة

أواخر عهد آشور بانيبال، لكنها بالمقابل تظهر آشور بانيبال شاعراً وأديباً لتضاف هذه السمة إلى سماته الشخصية.

- مجموعة النصوص الأدبية والعلمية :

- مجموعة النصوص الطبية (medical texts (bulte) :

بلغت نسبة النصوص الطبية المدروسة في مكتبة آشور بانيبال بناءً على دراسة مشروع

المتحف البريطاني سبعة ألواح (طينية) طبية (1.9%) و 27 لوح كتابي (ألواح خشبية) (19.7%)

(1)-دامروش ، المرجع السابق ، ص 216 .

(2)-المرجع نفسه، ص 217 .

ما يشير إلى أن استعمال ألواح الكتابة الخشبية في كتابة النصوص الطبية كان مرغوباً من قبل الكتاب والنسّاح.

في حين بلغت نسبة النصوص الطبية البابلية في المكتبة (81) نص أي (5.1%) من مجموع النصوص الأدبية والعلمية البابلية الموجودة في المكتبة الملكية⁽¹⁾.

ويمكن تصنيف النصوص الطبية في المكتبة إلى :

نصوص تتعلق بممارسات سحرية ورقى وتعاويذ وصلوات من أجل شفاء المريض وطرده الأرواح الشريرة وكان لهذه الممارسات دور هام في تقوية إرادة الشفاء لدى المريض حتى أن تحقيق أي نجاح في الشفاء غير ممكن بدونها، كما أنه لا يمكن الفصل بينها وبين الأدوية العلاجية الأخرى، لذا لم يتم التمييز بين التأثير السحري والطبي الحقيقي وأبها كان فعالاً في شفاء المريض⁽²⁾.

تعتبر سلسلة تعاويذ الشفاء أوتوكو ليمنوتو السومرية الأصل العائدة بتاريخها إلى منتصف الألف الثالث ق.م، من أهم وأطول التعاويذ المتعلقة بالشفاء وطرده الأرواح الشريرة، كتبت باللغتين السومرية والأكادية، وبقيت معروفة في العهود البابلية والآشورية اللاحقة، وقد عثر في مكتبة آشور بانيبال على نسخة كاملة منها مكتوبة بلغتين، تعود لعهد أو لعهد والده أسرحدون.

تحدث هذه التعويذة عن اعتداء الشياطين والأشباح على الإنسان ومن ثم التدخل الإلهي لكل من الإلهين أيا ومردوك لحماية الإنسان وشفاءه من المرض، كما تتضمن السلسلة تفاصيل لوصف الأرواح الشريرة التي تنبعث إثر ذلك وتهدد حياة الملك وهذا ما أدى لابتداع الملك البديل

كما تقدم السلسلة معلومات هامة تتعلق بالفكر الديني الرافدي حول العالم السفلي وعلاقة الإنسان بالآلهة وعن الدور الخطير للأرواح الشريرة وتأثيراتها في الحياة اليومية للإنسان الرافدي⁽³⁾.

وهذه بعض مقتطفات من العمود الأول من اللوح الثالث من السلسلة :

((شياطين الشر، أوتوكو، الشيطان **Alu**، الشبح،... (هم الشر)، عسى أن لا يقتربوا من جسدي ولا أن يؤذوا وجهي، ولا أن يتغلغلوا داخلي، ولا أن يدخلوا بيتي، ولا أن يعتلوا سطح بيتي،

1)- Fincke .J.C, the Babylonian texts of Nineveh , P.135

(2)-فون زودون، مرجع سابق، ص 18.

3)- Geller .Makham , Utukka lemnutu. In (Ira .Spar and Lambert .W.G , Cuneiform texts the metropolitan museum of art ,library and scholastic texts of the first millennium.BC vol 2 . the metropolitan museum of art , New york , 2005 ,p.134

ولا أن يدخلوا غرفة معيشتي، بمناشدة (آلهة) السماء بمناشدة آلهة الأرض، تعويذة لـ أوتوكو ليموننتو⁽¹⁾

وعدا عن هذه السلسلة من تعاويذ الشفاء، يوجد العديد من التعاويذ الأخرى المتعلقة بذات الموضوع.

أما **الصنف الثاني** من النصوص الطبية، فهي المتعلقة بتشخيص الأمراض التي تصيب الإنسان حيث تبدأ عملية تشخيص المرض بذكر وقائع تساعد الطبيب على تفهم حالة المريض عن قرب، ثم تشخيص لحالة أعضاء الجسم من الرأس إلى القدمين، ومظاهر الآلام ذات الأعراض المختلفة، ثم تسميه المرض، وحول إمكانية الشفاء منه والمدة الزمنية التي يحتاجها للشفاء، أو عدم إمكانية الشفاء والفترة الزمنية المقدرة لحدوث الموت⁽²⁾.

هذه التفاصيل تشير إليها النصوص الطبية البابلية المكتشفة في مكتبة آشور بانيبال، إذ أن أغلبية هذه النصوص (81) نص هي عبارة عن ما يمكن تسميته " خلاصة طبية " تشير لأمراض معينة، أو أعضاء من الجسد (71 لوح وكسرة) لكن للأسف حالتها المتشظية والتشوه الشديد للقسم الأكبر منها حالت دون التمييز بشكل مؤكد لهذه الخلاصات، وهناك احتمالية أن يكون جزء منها عبارة عن تعليقات لحالات تشخيصية.

أما **الصنف الثالث** من النصوص الطبية فهي التي تصف الوصفات العلاجية للأمراض إضافة إلى احتواءها قوائم بأسماء النباتات والأعشاب والمعادن وحتى الحجارة⁽³⁾ وغيرها من المواد التي كانت تدخل في تحضير الأدوية العلاجية التي استعملت إما شرباً أو أكلاً أو دهناً أو تضميداً على شكل ضمادات⁽⁴⁾.

ومن الوصفات الطبية المكتشفة في المكتبة الملكية نسان محفوظان في المتحف البريطاني تحت الرقم (K.7845) للنص الأول و الرقم (K.9283) للنص الثاني.

خصص النص الأول لعلاج لدغة العقرب، وقسم إلى قسمين، وقد تنوعت المواد الداخلة في تركيب القسم الأول ما بين مواد نباتية ومعنوية تخلط بزييت خشب الأرز وتعمل على شكل مرهم يُدهن به مكان اللدغة : وفيما يلي النص الأول (القسم الأول منه) :

1) - Geller .Makham , Utukka lemnutu, p 139 .

2) - Fincke .J.C, the Babylonian texts of Nineveh , P131

3) -فون زودون، المرجع السابق، ص 181.

4) - Fincke .J.C, the Babylonian texts of Nineveh , P.131

((إذا أصيب رجل بمرض سم (لدغة العقرب)،

(لأجل شفاؤه يأخذ) نبات المرجان و نبات Ean ⁽¹⁾،

ملح البارود و نبات El.kul.la ⁽²⁾ ونبات الترمس ونبات الأذريون،

ونبات زهرة الشمس (هذه المواد) تسحق سوياً،

وتخلط بزيت شجر الأرز،

ثم يُدهن بها مكان اللدغة وسوف يُشفى))

أما القسم الثاني من الوصفة فقد ذكر فيه نبات الأذريون للعلاج بعد سحقه وخلطه مع الزيت النباتي ويعمل بهيئة مرهم يُدهن به مكان اللدغة.

((وكذلك يسحق نبات الأذريون، يُسحق في الزيت النباتي،

ويخلط ثم يُدهن به مكان اللدغة وسوف يُشفى)) ⁽³⁾

أما النص الثاني فقد خصص لعلاج لدغة العقرب والأفعى وعضة الكلب، قسم إلى ثلاثة حقول ذكر في الحقل الاول اسم النبات وفي الثاني اسم المرض وفي الحقل الثالث ذكرت طريقة استعمال النبات لعلاج اللدغة أو العضة ⁽⁴⁾، ومثال مقتبس من النص قد يوضح الصورة

نبات الأذريون	نبات لعلاج لدغة الأفعى	يخلط في الجعة والزيت النباتي ويدهن به (مكان اللدغة) ⁽¹⁾
------------------	---------------------------	---

إن تقسيم النص إلى قوائم يُذكر فيها اسم الدواء والمرض الموصوف لعلاجهم ومن ثم آلية المعالجة يدل على تقدم البابليين والآشوريين في ميدان المعرفة الطبية التي استندت على أسس علاجية دقيقة، إضافة إلى توظيف العلاج الروحي (النفسي) المتمثل بالتعاويذ والرقى، وفي هذا يقول فون زودون.ف: ((... وقد عكس الطب البابلي - الآشوري في الربط بين الطب والممارسات السحرية أسبقية على مناهج العلاج النفسي المعاصرة...)) ⁽⁵⁾

(1)-GAN : نبات غير معروف .

(2)-El.kul.la : نبات غير معروف.

(3)-سليمان، مؤيد محمد، " وصفات لعلاج لدغة العقرب والأفعى وعضة الكلب في ضوء نصوص مسمارية من مكتبة آشور بانيبال، كلية الآثار، جامعة الموصل، د.ت، ص 151-152 .

(4)- المرجع نفسه، ص 152 .

(5)-فون زودون، ف، المرجع السابق، ص 18

ولابد من الإشارة أيضاً إلى اكتشاف طبي هام جاء من مكتبة معبد الإله نابو في مدينة كلخو (نمرود) إذ اكتشفت مجموعة من الألواح تبين أنها احتوت على وصفات وتفسيرات طبية متنوعة، إضافة إلى رقى وتعاويذ سحرية، وقد اصطلح على تسمية هذا الاكتشاف ((فهرس نمرود الطبي))⁽¹⁾.

- مجموعة النصوص المعجمية ونصوص الفهارس والشروحات:

كانت قد ظهرت القوائم المعجمية بعد اختراع السومريين للكتابة مباشرة، حيث استعملوها لتصنيف العلامات الكتابية، وكانت في البداية فهارس مفردات كون كل علامة كتابية كانت تدل على كلمة مفردة واحدة ثم أخذت عملية إنشاء القوائم المعجمية بالتطور مع مرور الوقت، فأضحت منذ أواخر الألف الثالث قبل الميلاد فهارس تعنى بأسماء المواد المختلفة وجرى محاولة ترتيبها في مجموعات ولاسيما في العهد البابلي القديم⁽²⁾.

إلا أن المفاجأة تمثلت بظهور المعاجم ثنائية اللغة ولأول مرة في إبلا شمالي سورية (إذ اكتشف في أرشيف القصر الملكي مجموعة ضخمة من الفهارس المعجمية ثنائية اللغة (سومرية - إبلوية) كتبت فيها الكلمات السومرية أولاً ثم كتبت تحتها الكلمات الإبلوية. بلغ عددها نحو (36) نسخة، والتي قد تكون بمثابة معجم لغوي تعليمي شاع استخدامه في مدارس إبلا، هذا بالإضافة إلى معاجم أحادية اللغة سومرية أو إبلوية⁽³⁾.

وبذلك تكون القوائم المعجمية ثنائية اللغة الإبلوية، أقدم الوسائل المعجمية التي عرفت البشرية، إذ أن البابليين لم يعرفوا القوائم المعجمية ثنائية اللغة إلا بعد 2000 ق.م وستبقى هذه الحقيقة ماثلة إلى أن يظهر ما غيرها.

ومع تحول اللغة الأكادية في الفترة 1400 - 1200 ق.م إلى لغة الدبلوماسية في العالم القديم ظهرت قوائم معجمية ثلاثية ورباعية اللغة ومثالها من العاصمة الحثية خاتوشا حيث اكتشفت فهارس ألفاظ سومرية -أكدية - حثية ومن أوغاريت السورية - كما سبق ذكره- وصلت قوائم معجمية رباعية اللغة (سومرية -أكدية - أوجاريتية - حثية)، وهي على درجة كبيرة من الأهمية على الرغم من حالتها السيئة⁽⁴⁾.

1)-Wilson ,kinnier ,J.V, the Nimrud catalogue of Medical and physiognomecal omina , Iraq , vol.24 , part 1,1962 , pp.52-54

(2)-فون دودون، ف، مرجع سابق، ص 163

(3)-مرعي، عيد، تاريخ مملكة إبلا وآثارها، الهيئة السورية للكتاب، دمشق، 2015 ، ص 141-142

(4)-فون زودون، ف، مرجع سابق، ص 166-167

أما في بلاد آشور، وتحديدًا في مكتبة آشور بانيبال، فقد اكتشف العديد من النصوص ذات القوائم المعجمية ثنائية اللغة كانت عبارة عن فهارس مترادفات مرتبة في عمودين : سومرية أكديّة، أكديّة - بابليّة، أكديّة - آشورية، آشورية - بابليّة.

وبلغت نسبتها 56 نص معجمي بابلي أي ما نسبته 3.5% من جميع النصوص العلمية والأدبية البابلية في المكتبة. في حين بلغت نسبة النصوص المعجمية عامة في سجلات المكتبة 1.6% و 12 نص من النصوص المعجمية البابلي تنتمي لسلسلة معجمية مشهورة تسمى hubullu-Har-ra⁽¹⁾ (5) (نصوص)، بالإضافة إلى عشرين لوح أو معظمها عبارة عن كسر لألواح خمسة منها هي نصوص تعليقات و (15) غير مصنفة. وكذلك احتوت المكتبة على نصوص معجمية عبارة عن قوائم لإشارات قديمة أفاد منها الكتّات الآشوريين والبابليين في عمليات ترجمة ونسخ النصوص القديمة السومرية والأكادية، وبلغ عددها (22 نص) وبالإضافة إلى القوائم المعجمية اكتشف نصين يمثلان قواعد نحوية. أيضاً تم الكشف عن ألواح احتوت نصوص شكلت قوائم فهارس ذات عمودين لكنها ليست ثنائية اللغة في قسمها الأكبر، تضمنت قوائم لموضوعات معينة مثل الفهارس المتعلقة بأسماء نباتات وأحجار طيبة خصصت لعرض أسماء الأدوية النباتية والحيوانية والمعدنية، إلا أنها غالباً ما تخلو من توضيحات لها.

والفهارس الأدبية التي تضم قوائم بأعمال أدبية وعلمية مختلفة - وقد سبق الإشارة إلى هذه الفهارس في فقرة التنظيم والإدارة - إلا أن ما يجب قوله بشأنها هو العدد الكبير الذي دونته هذه الفهارس من الألواح الطينية. وألواح الكتابة، والتي بلغ عددها (1441) لوح طيني و 69 لوح كتابي متعدد الألواح تكونت غالبيتها من أربعة ألواح أو يزيد⁽²⁾.

عدا عن القوائم المعجمية والفهارس المتنوعة، احتوت المكتبة الملكية أيضاً على عدد كبير من النصوص التي تضمنت شروحات صيغت بشكل جزئي في هيئة فهارس مرتبة في عمودين، ووردت فيها نقولات كثيرة مأخوذة من الفهارس التصنيفية وفهارس المترادفات القديمة وهي تقدم الصيغ المصدرية

(1)- اسم هذه السلسلة مأخوذ من السطر الأول منها ويعني " فرض الفائدة " بلغ عددها أربعون لوحاً ، تم تصنيفها بعد العصر البابلي القديم ، وتضم قوائم معجمية لأنواع مختلفة من المواد والأشياء الجامدة والحية مثل أنواع الأشجار وأنواع النباتات وأنواع الحيوانات البرية والأهلية وقوائم بأسماء الكواكب والآلهة ...، بالإضافة إلى تضمينها شروحات مستقلة موازية للعمل الفهرسي المعجمي ، وباختصار تقدم لمحة شاملة عن موجودات العالم الحي والجامد وعن الجغرافية والكواكب وعن المواد التي صنعها البشر . انظر المرجع نفسه ، ص 166-168-169 .

2)- Parpola.S, Assyrian library records ,p4

لكثير من الأفعال الواردة فيها، ويجد المرء فيها إلى جانب الشروح اللغوية للألفاظ - تعليقات ذات صلة بطبيعة استخداماتها⁽¹⁾.

مجموعة النصوص الفلكية Astronomy:

تتداخل النصوص الفلكية مع نصوص العرافة والتنجيم نتيجة الترابط الوثيق بينهما، حيث تطور علم الفلك عن التنجيم الذي ازدهر أواخر الألف الثاني ق.م، ووصل إلى درجة انتشرت فيها مراقبة الكواكب بدقة أكثر من السابق. ومن ثم قاد ذلك إلى تمييز عدد كبير من أشكال النجوم ما أدى إلى وضع فهارس للنجوم مصنفة في عمودين تحدد النجوم الثابتة والكواكب السيارة. كما صيغت سلسلة فلكية سميت في السومرية بـ (Mul-apin) "نجم المحراث". لعل هذه التسمية لها علاقة بالدورة الزراعية وفتراتها، أو قد يكون لها معنى آخر.

راقب الفلكيون البابليون العاملون في خدمة البلاط الآشوري والفلكيين الآشوريين خلال الألف الأول ق. م الشمس والقمر والكواكب السيارة والنجوم الثابتة، بعناية ودقة من خلال استخدامهم الزقورات كـ (مرصد فلكية)، كما كان عليه الأمر في مدينة كلخو (نمرود) التي تحولت إلى مركز أساسي للأرصاد الفلكية منذ القرن التاسع ق.م، ثم أضيفت إليها العاصمتين دور شاروكين ونيوى. توصلوا إلى إعداد قوائم منظمة بحوادث الكسوف والخسوف، واستطاعوا اعتماداً عليها أن يحسبوا بشكل تقريبي، بعد 700 ق.م، مواعيد خسوف القمر.

أما في مجال التقويم الزمني فقد قسم الآشوريين السنة إلى اثني عشر شهراً، وكل شهر 30 يوماً وأضافوا شهراً آخر ليتم التوفيق بين السنة القمرية والسنة الشمسية وكانت إضافة الشهر الثالث. عشر تتم بأمر ملكي⁽²⁾.

قدمت مكتبة آشور بانيبال العديد من كسر النصوص الفلكية منها (13) كسره من نصوص بابلية تنتمي إلى السلسلة الفلكية (Mal-apin) "نجم المحراث" و 9 كسر هي من ملحقات السلسلة وتشمل جميعها وصف السماء ليلاً - النجوم والكواكب مع شرح إسطوري للنجوم إضافة إلى بعض التفسيرات النذائرية لمظاهر معينة مثل النصوص التنجيمية في سلسلة (mal.apin) وهي خلاصة مصادر متعددة تصف النجوم والكواكب المشاهدة في أوقات مختلفة، ولا تقدم معلومات كافية لحسابات فلكية، وعلى هذا فإن سلسلة (mal-apin) هي أقرب لسلاسل العرافة والتنجيم منها للسلاسل الفلكية⁽³⁾.

(1)-فون زودون، مرجع سابق، ص 167

(2)-المرجع نفسه، ص 188-190

3)-Fincke.j.c,the Babylonian texts of Nineveh ,pp132-133

وضمّت مكتبة آشور بانيبال أيضاً نصوص هامة من سلسلة إنوما أنو إنليل (enumma An (Enlil) وهي سلسلة تفاسير نذور تنجيمية ولكنها قدمت معلومات فلكية مهمة. كما ضمت المكتبة تقارير فلكية آشورية هامة⁽¹⁾.

- مجموعة النصوص التاريخية والجغرافية :

كان الآشوريين قد عرفوا طريقة تأريخ سنوية تعرف باسم ليمو (Limu) حيث كانت السنة الجديدة تسمى باسم أحد الموظفين الآشوريين الكبار، وغالباً ما كانت السنة الأولى من حكم الملك تسمى باسمه⁽²⁾. كذلك عرفوا ما يسمى بالحواليات الملكية، سجل فيها الملوك الآشوريين أهم إنجازاتهم العسكرية والعمرانية التي اضطلعوا بها، وقد تم تدوين تلك الأحداث على مواد من أنواع مختلفة كالألواح الطينية والإسطوانات والمواشير والمخاريط، وكذلك على منحوتات قصورهم ومختلف الآثار التذكارية. اكتشف في مكتبة مكتبة آشور بانيبال (27) نص تاريخي هي بأغلبها نقوش ملكية : (14) نص منقوش على ألواح و (8) نصوص على إسطوانات، ونصين على مواشير ونص واحد على مخروط.

أما نقوش الألواح فمنها نص يعود لعهد أسرحدون وأربعة لعهد آشور بانيبال، ونص آخر ينسب إما لعهد أسرحدون أو لعهد آشور بانيبال، في حين كانت البقية مجهولة، أما الإسطوانات فاثنتان تعودان لعهد أسرحدون وواحدة لعهد آشور بانيبال والبقية مجهولة التاريخ، في حين أرخت المواشير بعهد كل من شاروكين الثاني وآشور بانيبال، أما المخروط فهو مخروط مسماري بابلي ينسب إلى الملك البابلي شمشي إيلونا Samsuiluna (1749-1712 ق.م).

كما اكتشف في المكتبة بعض الكسر تدل على أنها معاهدات، منها كسرة لوح بابلي احتوت نص معاهدة بين شمشي أدد الخامس (823-810 ق.م) و مردوك زاكير شومي الأول ومعاهدة أخرى بين آشور بانيبال والحلفاء البابليين⁽³⁾.

أما على صعيد الجغرافية فقد عثر في المكتبة الملكية على العديد من كسر الألواح ضمت نصوصاً أو أجزاء من نصوص كانت على شكل قوائم جغرافية تتحدث عن البلدان والمدن والمصادر المائية والجبال وكذلك قوائم مما يدخل في نطاق العلوم الطبيعية كقوائم النباتات والأشجار وقوائم

1)- Walker .C.B.F ,Astronomical texts in (spar.Ira and lambert .W.g, op.cit,p315

(2)-مرعي ، وعبد الله، مرجع سابق، ص 44 .

3)-Fincke.J.C the Babylonian texts of Nineveh , p 131

بأسماء الطيور والحيوانات⁽¹⁾. ومن المؤكد أنه تم جمع معلومات هذه القوائم بنسبتها الأكبر من قبل الكتاب الذين رافقوا الجيش الآشوري في حملاته العسكرية إلى مختلف المناطق.

- مجموعة نصوص الملاحم والأساطير والقصص وأنواع أخرى من النصوص الأدبية:

هذا النوع من النصوص على الرغم من أهميته إلا أن نسبته المئوية بالنسبة لبقية موضوعات المكتبة هي نسبة ضئيلة جداً لا تزيد بحسب إحصائية مشروع المتحف البريطاني، عن (0.3%) من مجموع النصوص التي تمت دراستها، في حين قدرت نسبة النصوص البابلية المتعلقة بالملاحم والأساطير نحو (1.1%) من مجموع النصوص الأدبية البابلية في المكتبة الملكية⁽²⁾، وعلى الرغم من هذه النسبة الضئيلة فقد ضمت المكتبة أهم الملاحم والأساطير وقصص الأبطال التي عرفت في بلاد الرافدين والشرق الأدنى عموماً. ويقف على رأسها ملحمة البطل جلجامش التي تعتبر أقدم نموذج لأدب الملاحم في تاريخ الآداب العالمية، وقد شكّلت ألواحها المكتشفة في المكتبة الملكية أولى المصادر لمعرفتها في العصر الحديث، كما تشكل ألواحها أكبر مجموعة موجودة من ألواح الملحمة في الألف الأول ق.م⁽³⁾ حيث احتفظت المكتبة بالنص الكامل تقريباً وليس هذا وحسب وإنما تظهر كسر الألواح ونصوصها أن المكتبة ضمت عدة نسخ من الملحمة⁽⁴⁾ تعود واحدة لعهد سنحريب، ونسختان لعهد آشور بانيبال⁽⁵⁾ بدليل التذييلات والحواشي التي ذكرها النساخ والتي تعرّف بألواحها مثلاً ((اللوح العاشر، سلسلة جلجامش، ذلك الذي رأى في الأعماق، قصر آشور بانيبال، ملك العالم، ملك آشور)). وفي حاشية أخرى: ((اللوح الخامس، سلسلة جلجامش، ذاك الذي رأى في الأعماق، نسخة مطابقة مع الأصل راعيم نابشتي، صبي تحت التدريب يُلقى بسمعه إلى الإلهين نابو وتاشميتوم))⁽⁶⁾

تدور هذه الملحمة بشكل أساسي حول محاولات الإنسان اليائسة في البحث عن الخلود ومن ثم الانتهاء بالفشل المتمثل بالموت⁽⁷⁾.

احتوت المكتبة أيضاً على ألواح من أسطورة الخليقة البابلية (إنوما إيش) " حينما في العلى " (Enuma-elish) وسميت من قبل بعض الباحثين بألواح الخليقة السبعة لأنها جاءت مدونة بالشعر

1)- Fincke.J.C the Babylonian texts of Nineveh, p 131

2)- George .A.R, op.Cit ,p348

3)-Ibid ,p. 348

4)-دامروش، مرجع سابق، ص 185

5)- Frincke.J.C, the babylonian texts of Nineveh, p 131

6)-دامروش، مرجع سابق، ص 185

7)-باقر، مقدمة في أدب العراق القديم، ص 100-101

البابلي على سبعة ألواح من الطين، يحتوي كل لوح منها مابين 115-170 سطراً أو بيتاً من الشعر، ومجموع أبياتها زهاء ألف بيت.

عثر على أجزاء من ألواح هذه الأسطورة في مدينة آشور وفي مدن رافدية أخرى، إلا أن مكتبة آشور بانيبال، احتوت على معظم ألواحها وبالنسخة الآشورية.

أما موضوعها الأساسي فإنه يدور حول تمجيد الإله " مردوك " ومقاومته لقوى الشر، وإحلاله النظام في الكون، ثم خلق الإنسان، ونشوء العمران، لكن جعل الآشوريين الإله آشور في النسخة الآشورية للأسطورة بطل الملحمة بدلاً من الإله مردوك، وتم ذلك في عهد الملك سنحريب⁽¹⁾.

ضمت المكتبة الملكية ألواحاً من قصة الطوفان الشهيرة، التي تم التعرف عليها صدفة عندما كان جورج سميث يعمل على دراسة وتنسيق بعض الألواح المحفوظة في مستودعات المتحف البريطاني الذي أرسل سميث لبحث عن الجزء المفقود من القصة وقد نجح في مساعاه⁽²⁾

وضمت المكتبة الملكية متفرقات من نصوص لقصص ملحمية أخرى منها على سبيل المثال لا الحصر : قصة الطائر آنزو Anzu، كتبت باللغة البابلية القديمة، يتحدث ملخص القصة عن مخلوق غريب بهيئة طائر اسمه (أنزو) قام بسرقة " ألواح القدر " من الإله إنليل ما أدى لانتشار الفوضى في الكون، ومن ثم تدخل الإله "أنو" كبير الآلهة، الذي ندب أحد الآلهة للقضاء على آنزو، وإعادة ألواح القدر⁽³⁾.

هناك قصة صعود " إيتانا " أول ملوك سلالة كيش الأولى إلى السماء، وتتلخص هذه الأسطورة ببحث إيتانا عن نبات من السماء له خاصية الحمل لأن امرأته كانت عاقراً، وكيف أن الإله شمش أوحى له بمساعدة نسر كان قد كسر جناحيه لأنه نكث عهد مع جاره الثعبان الذي كان قد اشتكى إلى الإله شمش الذي دبر أمر عقاب النسر، ومن ثم بدأ هذا الأخير بإرسال رسائل الاستعطاف والندم، فأرسل عندها شماش المدعو " إيتانا " ليساعده، وهنا يتم الاتفاق بين النسر و " إيتانا " على أن يحمل الأول، الثاني إلى السماء بحثاً عن نبات الحمل، إلا أنهما بعد أن وصلا إلى السماء الثانية شعر إيتانا بالدوار وسقط كلاهما⁽⁴⁾.

كما تضمنت المكتبة نصوصاً من أدب الحكمة التي جاءت على شكل وصايا وحكم وأمثال ونصوص تتعلق بالعدل الإلهي، نذكر منها على سبيل المثال : نص أدبي يعتبر على قدر كبير من

(1)- باقر، مقدمة في أدب العراق القديم، ص 72-73

(2)- دامروش، مرجع سابق، ص 101

(3)- باقر، مقدمة في أدب العراق القديم، ص 130-131

(4)- دامروش، المرجع السابق، ص 238

الأهمية في تأريخ نظام الحكم، إذ أنه من نوع النصائح الموجهة إلى الحكام أن يلتزموا العدل بين الناس، ويرقى تاريخ هذا النص إلى الفترة ما بين (1000-700) ق.م، ومن خلال محتواه يتضح أنه يخص المدن البابلية، سيبار وبابل ونيبور (نفر)، ومما جاء فيه:

((وإذا حكم على مواطن من نفر ظلماً من أجل الرشوة فإن إنليل سيد الأقطار سيسلط عليه جيوش الأعداء))⁽¹⁾.

من نصوص العدل الإلهي التي قدمتها مكتبة آشور بانيبال قصة " حوار بين صديقين " التي يرقى تاريخها إلى مطلع الألف الأول ق.م. نظمت هذه القصة الشعرية، باللغة البابلية على شكل حوار بين شخص معذب متشكك بالعدل الإلهي وبين صديقه الواثق بالعدالة الإلهية⁽²⁾.

وسبقت الإشارة إلى نصوص أدب التراتيل والصلوات والابتهالات والأدعية التي تضمنتها المكتبة، ويكتفى هنا بذكر مثال عبارة عن ترتيلة موجهة من آشور بانيبال إلى إله الشمس " شماس " نقتطف منها :

((يا نور الآلهة العظام، يانور الأرض، ويامضيء أقاليم العالم، أيها القاضي الأعظم، المبجل في السماء والأرض،...، أنا عبدك آشور بانيبال، الذي قدرت له الملوكية في الرؤى. أنا الذي يلهج بعظمتك وبمجدك أمام الخلق))⁽³⁾

أخيراً يمكن القول أن المكتبة الملكية في نينوى كانت بمثابة الجامع لكل العلوم والمعارف التي توصل إليها الإنسان الرافدي عبر تاريخه الطويل. لكن المقابل أدت المكتبة وظيفة أخرى عدا عن احتوائها مختلف المعارف والعلوم، إذ خدمت كأرشيف إداري للإمبراطورية الآشورية في عهد آشور بانيبال وكان هذا الأرشيف من الغنى بمكان ضمّ كل ما يتعلق بشؤون الإدارة والاقتصاد : رسائل من وإلى الملك، أو إلى كبار المسؤولين في الإمبراطورية، ورسائل بمثابة تقارير العرافة والتنبيؤ، وكذلك اتفاقيات وأمور إدارية وسلطوية، وقانونية، واتفاقيات اقتصادية من عقود ومعاملات تجارية (بيع وشراء وقروض ورهون) جميع هذه الأمور وغيرها الكثير حفظت في المكتبة في القسم الخاص بالأرشيف⁽⁴⁾.

(1)- باقر، مقدمة في أدب العراق القديم، ص 160-161

(2)- المرجع نفسه ، ص 150-151

(3)- المرجع نفسه ، ص 201-202

(4)- Fincke .J.C, the Babylonian texts of Nineveh ,pp129-130

رابعاً- تاريخ الكتاب :

1- تاريخ الكتاب :

بداية لابد من طرح بعض التساؤلات والاستفسارات المتعلقة بإشكالية الكتاب وأولها كيف تولدت فكرة صنع الكتاب، وإلى أي زمن يعود تاريخها، وعند أي من الشعوب ظهرت هذه الفكرة، وهل توجد أدلة مادية، غير كتاب (كلخو) العاجي، وهل الآشوريين في عصر إمبراطوريتهم الحديث هم فعلاً أول من أبدع فكرة الكتاب المتعدد الألواح (الصفحات)، كما يرى مالوان، مكتشف كتاب كلخو العاجي، إذ اعتبره النموذج الأول للكتاب في التاريخ الإنساني أجمع، أم هل لورق البردي المصري الذي كان معروفاً - كما ذكر سابقاً - في بلاد الرافدين في عهد شاروكين الثاني، دور في اختراع الكتاب وظهور فكرته الأولى، وإذا كان ذلك وارداً أليس الأولى بالمصريين أن يكونوا هم أصحاب فكرة الكتاب ؟

أيضاً تساؤل آخر محير، إذا كان كتاب مدينة كلخو العاجي، الذي أرخ بعهد شاروكين الثاني، هو النموذج الأول للكتاب، فلماذا لم يُعثر على نماذج أخرى مشابهة لذلك الكتاب، ونحن نعلم أن الفترة التي تلت عهد شاروكين الثاني، مثلت أوج الازدهار الثقافي والحضاري للإمبراطورية الآشورية الحديثة، لا سيما في عهد الملك المثقف آشور بانيبال ؟

أم هل وجدت نماذج أخرى تحاكي كتاب كلخو العاجي، إلا أن طبيعة مادتها التي صنعت منها (الخشب مثلاً) لم تقاوم عواتي الزمن، فتحللت واندثرت ؟

لاشك أنه من الصعوبة بمكان الوصول لإجابة شاملة لكل هذه التساؤلات، لكن طرحها قد يساعد على التوصل لبعض الاستنتاجات.

يرى ستيتشفيتش أن فكرة الكتاب قد بدأت مع بداية التدوين والكتابة لدى السومريين باستخدامهم الألواح الطينية كمادة للكتابة، دونوا عليها الأمور التي تنظم حياتهم بمختلف جوانبها، كما يرى ذات الباحث أن: ((السومريين هم الذين خصوا الكتاب بالدور الذي ارتبط به حتى هذه الأيام، أي أن يكون الحافظ للإنجازات الإنسانية الثقافية والتكنولوجية وأن يخدم أيضاً الأهداف الرسمية والتعليمية وغير ذلك من الغايات اليومية...))⁽¹⁾

إذا كان السومريون قد أدركوا أهمية التدوين لتنظيم أمور حياتهم، فهل أدركوا أيضاً فكرة صنع الكتاب المكون من عدة ألواح طينية ؟ وهل يمكن للمرء أن يطلق كلمة كتاب على سلسلة الألواح الطينية المنتمية لموضوع معين والمرقمة ترقيماً تسلسلياً كما هو الأمر في العديد من السلاسل الأدبية والنثرية ؟

(1)-ستيتشفيتش، مرجع سابق، ص 14

يبدو أن الألواح الطينية الثقيلة الوزن والسريعة التلف والصعبة النقل، مع عدم إمكانية ربط مجموعة ألواح منها سوية، يجعل الأمر فكرة غير متقبلة.

أياً يكن قد يكون اللوح خطوة أولى على طريق إبداع فكرة الكتاب المتعدد الصفحات، ولكن ليس اللوح الطيني نفسه (Dub بالسومرية و tuppū بالأكدية)، وإنما اللوح الخشبي، إذا قابل هذين المصطلحين مصطلح أكادي آخر هو ليئو (Leu) الذي يعني " لوح خشبي أو معدني، وقد استخدم كمادة للكتابة عليه، إضافة إلى توظيفه في مجالات عملية أخرى كاستخدامه في صنع أو تغطية أبواب القصور والمعابد، أو كألواح نذور أو قرابين ⁽¹⁾

وعلى هذا هل يمكن القول أن الألواح الخشبية قد استخدمت للكتابة عليها منذ الفترات المبكرة كما يقول وايزمن ؟ إذا كان هذا صحيحاً فلا شك أن استخدامها لم يصل لدرجة أن يقارن بألواح الطين الكتابية، مادة الكتابة الأساسية في بلاد الرافدين.

ويبدو أن شعوباً أخرى قد استعملت الألواح الخشبية للكتابة عليها، كالمصريين مثلاً الذي شاع عندهم ورق البردي كمادة أساسية للكتابة، لكن بالمقابل استعملوا الألواح الخشبية على نطاق ضيق جداً، لكتابة بعض النصوص القصيرة ⁽²⁾.

كما كتب الحثيون على ألواح الكتابة الخشبية، ويفترض وايزمن أنه من المحتمل أنهم قاموا بتغطية الألواح الخشبية الكتابية بالشمع، حيث تم العثور على إبرة ذهبية مدببة ألحق بها ختم إسطواني من الألف الثاني ق.م افترض أنهما خصصا للكتابة على الشمع، وعلى هذا الأساس يقترح إمكانية افتراض أن الآشوريين قد تبنا استخدام اللوح الكتابي ذو الشمع من الحثيين ⁽³⁾، إلا أن هذا الأمر تقتضيه الأدلة الداعمة.

وكذلك يذكر وايزمن ورود إشارة إلى اللوح الكتابي ذو الشمع في نصوص من سورية وفلسطين، وهنا يعود وايزمن ليفترض إمكانية أخذ الآشوريين هذه الفكرة من سورية كنتيجة من نتائج الحملات العسكرية الآشورية المتواصلة إلى تلك الجهات لاسيما ضد الآراميين الذين بدأوا يشكلون منذ القرن الثامن ق.م ضغطاً على الحدود الغربية للإمبراطورية الآشورية ومن ثم أخذوا في التغلغل داخل الإمبراطورية الآشورية، لا سيما مع الحملات العسكرية الآشورية ضدهم وما نجم عنها من دخول أعداد كبيرة من الأسرى الآراميين، إلى داخل الإمبراطورية، وهذا ما نجم عنه أيضاً انتشار اللغة الآرامية - لهجة وكتابة كونها أسهل من الكتابة المسمارية- داخل الإمبراطورية الآشورية. وهناك

1)-Wiseman.D.J,Assyrian writing –boards, Iraq ,vol.17, part 1,1955,p10 .

(2)-ستيبثيفيتش، مرجع سابق ، ص 35

3)- Wiseman.D.J, Assyrian writing .Boards, Iraq ,17, p11

احتمال كبير أن يكون الآراميون قد استخدموا لوح الكتابة ذو الشمع، إلى جانب استعمالهم ورق البردى أو الرق كعنصر أساسي للكتابة.

هذا ما يظهر في منحوتات نافرة من قصور أدد نيراري الثالث وتجلات بليصر الثالث وسنحريب، ففي منحوتة من قصر سنحريب يظهر كاتبان إلى جانب بعضهما البعض أحدهما يكتب على مادة يُحتمل أنها من الرق، والآخر يكتب على شيء مستطيل مسطح يظهر في وسطه ما يشبه المفاصل، وهذا ما اعتبره وايزمن لوح كتابة خشبي مغطى بالشمع⁽¹⁾ وهذا احتمال كبير إذ أن المكان الذي صوّر فيه الكاتبان هو في الجنوب البابلي بدليل أشجار النخيل الظاهرة في الخلف، وأن الرؤوس المكومة على الأرض تشير إلى مكان معركة، وهنا قد يكون استعمال لوح الكتابة الخشبي ذو الشمع مناسباً أكثر من لوح الكتابة الطيني. من خلال عرض الفرضيات السابقة يجد المرء أن الاحتمالية الأكبر حول أصل استخدام اللوح الخشبي للكتابة قد أتت من سورية، وإذا ما تذكر المرء أن الألواح الخشبية قد صنعت من خشب الأرز والسرو والطرفاء والجوز - الأخشاب التي تنتشر أشجارها بالدرجة الأولى في البيئة السورية - يصبح معها هذا الافتراض وارداً.

مهما يكن من أمر وبغض النظر عن الأصل الأول للفكرة فإن أيّاً من تلك الشعوب لم تصل إلى مستوى الآشوريين في عصر إمبراطوريتهم الحديث في مسألة استخدامهم ألواح الكتابة الخشبية، فقد عثر في كلخو (نمرود) عاصمة آشور ناصر بال الثاني على كسرات لألواح خشبية مصنوعة من خشب الطرفاء والسرو والأرز والجوز⁽²⁾. ويأتينا الدليل النصي الأوفى من عهد الملك آشور بانيبال حيث تم ذكر الألواح الكتابية في العديد من الرسائل الملكية المرسلّة إلى آشور بانيبال ومنها رسالة كتاب مدينة بورسيبا - السابق ذكرها - ولعلمهم عندما كتبوا ردهم إلى آشور بانيبال حول الألواح التي طلبها كتبوه على لوح كتابة خشبي، أو أن الألواح المطلوبة من قبل الملك كتبت على ألواح كتابة خشبية، وفي كلتا الحالتين تبرز أهمية الألواح الكتابية وقيمتها وأنها كانت تروق للنفس الملكية⁽³⁾.

كذلك قدمت تسجيلات مكتبة آشور بانيبال أدلة مهمة على وجود أعداد كبيرة من الألواح الكتابية المتعددة الألواح وهذا ما أكدته دراسة كل من سيمو باربولا، ودراسة المتحف البريطاني للنصوص البابلية التي ضمتها المكتبة.

باربولا، وفي دراسته لبعض الألواح الطينية العائدة للمكتبة الملكية في نينوى، تبين له أن هذه الألواح عبارة عن قوائم مخصصة لأعمال أدبية ضمتها المكتبة الملكية - وقد سبق الحديث عن

1)- Wiseman .D.J , Assyrian writing .Boards , Iraq ,17 ,pp.11-12

(2)-مرعي، الكتابة والتعليم في بلاد الرافدين، دراسات تاريخية 41-42 ، ص 14

3)-Frincke .J.C, the British museums ashurbanipal library project , Iraq 66,2004 , p60

توصيف هذه القوائم - إلا أن المفيد ذكره هنا هو أن هذه القوائم تميز بين المواد التي سجلت عليها الأعمال الأدبية، فتشير إلى الألواح الطينية، وإلى الألواح الكتابية الخشبية، وهنا يرى باربولا أن المصطلح الأكادي Leu يشير إلى مجموعات من ألواح الكتابة المغطاة بالشمع، والتي تتألف من درفتين أو ثلاثة أو أكثر من الألواح، ويتم فهرسة تلك الألواح في القوائم بجعل كل نسخة من الألواح المتعددة لأحد النصوص الموجودة في القائمة تكون مسبقة بمجموعتين من الأعداد، أولاهما تشير إلى عدد الألواح المتعددة المغطاة بالشمع، والثانية تشير إلى عدد الألواح في كل (Leu) مجموعة ألواح مغطاة بالشمع.⁽¹⁾

وبحسب دراسة باربولا فقد بلغ عدد الألواح التي سجلت عناوين نصوصها في تلك القوائم : (1441) لوح طيني و 69 لوح كتابي Leu تكونت غالبيتها مما يزيد على أربعة ألواح⁽²⁾.

ومن الجدير بالذكر أن نسبة كبيرة من النصوص المكتوبة على الألواح الكتابية - وذلك بحسب تلك القوائم - هي نصوص تتعلق بالتفسير والتنبؤ عن طريق كبد وأحشاء الحيوانات المقدمة كقرابين (135 لوح كتابي) ونصوص تتعلق بوصفات وتصنيفات طبية (24 لوح)، إضافة إلى الأنواع الأخرى من نصوص النذور المختلفة⁽³⁾.

ولعل في ذلك إشارة إلى الاستخدام الواسع للألواح الكتابية في عملية نسخ النصوص البابلية لصالح المكتبة الملكية في نينوى، ما يجعل المرء يفترض أن عدداً كبيراً من الألواح الكتابية الخشبية قد يصل لآلاف تم فقدها من المكتبة الملكية إلى الأبد.

وجاءت نتائج دراسة المتحف البريطاني للنصوص البابلية في مكتبة آشور بانبيال مطابقة تماماً لنتائج دراسة باربولا وقدمت في ذلك إحصائيات ونسب مئوية دقيقة⁽⁴⁾ - وقد سبق تفصيل ذلك - ولا بد من القول أن اكتشاف القوائم التي دلت على وجود ألواح الكتابة في المكتبة الملكية يُلزم إعادة النظر في العدد الكلي المقدر لمحتويات المكتبة (25 ألف) لوح وكسرة طينية.

لعل الميزات التي تمتعت بها ألواح الكتابة الخشبية عن الألواح الطينية قد ساعدت على التوسع في استخدامها، لا بل تحويلها إلى كتب متعددة الألواح، فهي تستوعب عدداً من الأسطر أكبر بكثير مما تستوعبه الألواح الطينية، لذا يمكن كتابة سلسلة كاملة في نسخة واحدة متعددة الألواح كما أنه يسهل نقلها كونها أخف من ألواح الطين الصعبة النقل. أيضاً تتميز ألواح الكتابة بإمكانية التعديل

1)-Parpola.S, assyrian library records, JNES , vol,42 ,no.1,1983 ,p2

2)- Ibid,p.4

3)- Ibid, p.6

4)- Frincke.J.C, the Babylonian texts of Nineveh, p 125

على كتابتها نتيحة أن الشمع يبقى طرياً لفترة أطول، وهذا عكس الألواح الطينية التي تجف وتتصلب بسرعة أكبر وبالتالي يستحيل التعديل على كتابتها، لكن من المؤكد أيضاً أن ألواح الكتابة كانت أغلى ثمناً وصناعتها أصعب من صناعة الألواح الطينية⁽¹⁾ ومهما يكن من أمر فقد استمر استخدام ألواح الكتابة الخشبية ذات الشمع حتى آخر الفترة البابلية الحديثة.⁽²⁾

إن استخدام الألواح العاجية وتوظيفها للكتابة عليها، فلا يمكن إرجاع تاريخها أبعد من نهايات القرن الثامن ق.م، ومع أن فكرة استخدام هذه الألواح لم تحسم لصالح شعب معين، يبقى الآشوريون هم أصحاب السبق في صناعة أول كتاب متعدد الألواح، من العاج المغطى بشمع النحل.

عُثر على هذا الكتاب في مدينة كلخو (نمرود) ونُسب إلى الملك شاروكين الثاني، كما تبين من النص المكتوب على الغلاف⁽³⁾.

جدير بالذكر أنه لم يُعثر على ألواح عاجية مماثلة لنموذج كلخو - باستثناء لوح عاجي أتروسكي من مارسيلينا (Marsilina)، والآن محفوظ في فلورنسا ظهرت على هذا اللوح العاجي الذي نقش على حوافه نقش كتابي أتروكسي آثار للشمع وكان سطحه مخدوشاً بخطوط متداخلة لتثبيت الشمع، وهو ذات الأمر في ألواح كتاب كلخو العاجي.

يعتقد أن تاريخ هذا اللوح (الأتروكسي) يعود إلى نحو 700 ق.م وهو بذلك من ذات الفترة التاريخية التي أُرُخ فيها كتاب كلخو العاجي⁽⁴⁾

تأسسناً على ما تقدم. يمكن الاستنتاج أن الكتاب المتعدد الألواح يعود بتاريخه إلى نهايات القرن الثامن ق.م (ومثاله كما ذكر آنفاً كتاب كلخو العاجي العائد لعهد شاروكين) ثم بلغ ذروة الاستخدام في عهد الملك آشور بانيبال (ومثاله الألواح الكتابية الخشبية التي أشارت إليها قوائم مكتبة نينوى الملكية).

وبناءً على ذلك يبقى الآشوريون في عهد إمبراطوريتهم الحديث، أصحاب السبق في صناعة أول كتاب متعدد الألواح (الصفحات) في التاريخ، وستبقى هذه الحقيقة قائمة إلى أن يظهر ما يفندها وقد لا يظهر إطلاقاً.

1)- Parpola.S , assyrian library records , JNES , vol,42 ,no.1,1983,pp.6-7.

2)-Wiseman .D.J, Assyrian writing boards .p10

3)- Veenhof .klaas .R, (uneofirm archives .in (cuneiform archives and libraries ,op,cit,p2

4)-Wiseman .D.J ,Assyrian writing boards ,pp9-10

1-كتاب كلخو(نمرود)العاجي:

أ- الوصف المادي للكتاب :

تألف هذا الكتاب من ستة عشر لوح عاجي(الشكل52-53) ⁽¹⁾ بلغ طول كل منها تقريباً (33-8 سم) و (15.6 سم) عرضاً بما فيها الحواف التي ارتفعت (3ملم) وذلك لتوفير مساحة فاصلة بين الألواح لحماية الشمع من التلف عندما يتم إغلاقها، وبلغ قياس الحواف الجانبية لكل لوح (1 سم) باستثناء الحافة الرابعة الطولية من كل لوح والتي تحمل المفاصل، فهي أعرض بزيادة (4 ملم) وذلك من أجل تشكيل تجاويف (فوهات) لاحتواء دبائيس المفاصل المسؤولة عن ربط الألواح مع بعضها، وقد بلغ عدد هذه المفاصل التي تربط كل لوح مع الآخر تسعة مفاصل صنعت على الأرجح من الذهب، أما الدبائيس الرابطة فإنها تسير على كامل طول جانب الألواح التي تحمل المفاصل، وتتأوب الدبائيس بالظهور والاختفاء داخل تجاويف المفاصل ⁽²⁾ وهذه الأخيرة حملت رموز وإشارات كان المغزى منها أن تكون دليل لتجميع الألواح الفردية ⁽³⁾، وأما سطوح الألواح العاجية الملساء فقد تم تخشينها عبر حفر خطوط متقاطعة باستخدام أداة حادة (الشكل) وذلك لتثبيت شمع النحل على سطوحها ⁽⁴⁾

في حين أظهرت تحليلات الخبراء لبقايا قطع الشمع المكتشفة على سطوح الألواح، أن الشمع قد مُزج مع مادة كبريتيد الزرنيخ (sulphide of arsenic) (As₂S₃ orpiment) الزرنيخ الأصفر، وقد تبين أن إضافة مادة الزرنيخ الأصفر يجعل شمع النحل بلاستيكي أكثر كما يجعل الشمع ينساب بحرية وبشكل مستوٍ فوق السطح كله ⁽⁵⁾ وهذا ما يعكس تطوراً علمياً كبيراً لدى أصحاب هذا الإبداع.

ب- مضمون الكتاب وتاريخه :

يمكن التعرف على محتوى الكتاب من خلال العنوان الّذي نقش على صفحة الغلاف الخارجي والذي أمكن استعادة بعضاً منه حيث يُقرأ فيه :

((قصر شاروكين، ملك العالم، ملك آشور، سلسلة النص (عندما أنو إنليل) كُتبت على لوح كتابة عاجي، وخُزنت في قصره في دور شاروكين)) ⁽⁶⁾

1)- Wiseman .D.J, Assyrian writing boards ,p3

2)- Howard .margaret , technical description of the Ivory writing boards from nimrud , Iraq ,17,1955,pp1,2

3)-Wiseman.D.J , Assyrian writing –boards ,p15

4)- Howard, M, po.cit , p1

5)- Wiseman .D.J, Assyrian writing – boards , p5

6)- Mallowan .M,Nimrud and its remains ,vol.1 ,p156

من خلال هذا العنوان يمكن أن يستنتج المرء ببساطة أن محتوى الألواح (الكتاب) هو عبارة عن نسخة لنص السلسلة الفلكية المشهورة " عندما آنو إنليل " وهي سلسلة نذور وتتجيم سبق الحديث عنها.

كتب نص السلسلة على الألواح العاجية بخط دقيق ومرتب يشبه نسخ السلسلة ذاتها المكتوبة على الألواح الطينية التي كُشف عنها في نينوى.

وباستثناء لوح (صفحتي) الغلاف يبقى 30 سطحاً على كل منها عمودان، احتويا على (125) سطراً للوجه الواحد للوح و (250) سطراً لوجهي اللوح الواحد، ليكون المجموع العام لأسطر السلسلة (7500) سطر⁽¹⁾.

أما تاريخ هذا العمل الفني الفريد فيمكن أن يُستشف من عنوان العمل ذاته. والذي يشير إلى أن سلسلة (إنوما آنو إنليل) قد نسخت على ألواح عاجية بأمر من الملك شاروكين (خورسباد) هذا ما يوحي به عنوان السلسلة للوهلة الأولى.

لكن السؤال المحير كيف انتقلت الألواح واستقرت في بئر القصر الشمالي الغربي في مدينة كلخو؟

كان شاروكين الثاني قد اتخذ من كلخو مركزاً لحكمه، حينما عمل على ترميم بعض أجزاء القصر الشمالي الغربي واستقر فيه، وهذا يعني أن نسخ السلسلة (إنوما آنو إنليل) قد تم في مدينة كلخو، التي كانت مركزاً مهماً للنسخ والكتابة، وبذات الوقت كانت مركزاً فلكياً لمراقبة النجوم، وقد يكون لذلك علاقة بمحتوى الألواح من حيث تضمينها السلسلة الفلكية المذكورة آنفاً

أو قد يعكس اهتمام شاروكين الثاني بمسألة النذور والتتجيم والفؤول. أيضاً إذا كان العنوان يذكر صراحة أن الألواح العاجية قد تم إيداعها في القصر الملكي في مدينة دور شاروكين العاصمة الجديدة التي أنشأها هذا الملك، ومع ذلك عُثر على الألواح العاجية في كلخو ما يجعل المرء يتساءل فيما إذا كانت الألواح قد سُلمت فعلاً إلى القصر الملكي في دور شاروكين؟ على ما يبدو أن هذا الأمر لم يحصل إطلاقاً بدليل أنه لم يظهر على الألواح آثار استعمال أو إصلاح⁽²⁾ تبقى قضية تحديد تاريخ الألواح العاجية :

نعلم أن شاروكين الثاني لم ينتقل إلى عاصمته الجديدة إلا في أواخر العام 707 ق.م ومقتله حدث نحو العام 705 ق.م، وبالمقابل كان قد شرع في عملية بناء قصره الملكي منذ العام 717 ق.م إلى 705 ق.م وبما أنه لم يتم نقل سلسلة الألواح العاجية إلى مكانها المنشود، هذا الأمر يجعل المرء

1)-Wiseman .D.J,vassyrian writing boards , pp7-8

2)- Ibid , p8

يفترض أنها (الألواح) قد شعلت في السنوات الأخيرة في عهد شاروكين الثاني وتحديداً بين 707-705 ق.م.

أخيراً يمكن القول بأن تاريخ الكتاب المتعدد الألواح قد ظهر منذ عهد الملك شاروكين الثاني وبلغ الذروة في عهد آشور بانيبال، ما يعني أن الكتاب المتعدد الألواح كان إبداعاً آشورياً خالصاً ليضاف بذلك هذا الإنجاز إلى جملة الإنجازات الحضارية للشعب الآشوري وللحضارة الآشورية.

الخاتمة:

يمكن اختتام البحث بمجموعة من النتائج الرئيسة الهامة، فعلى الصعيد السياسي: لوحظ من خلال العرض المقتضب للتاريخ السياسي الآشوري أن الدولة الآشورية كانت تتحول لقوة سياسية مهيمنة على الساحة الدولية مع تراجع القوى السياسية الأخرى، وعندما تركز بملك طموح توجهه أهدافه نحو بناء الدولة سياسياً وإدارياً وعسكرياً. وقد أوجبت عملية بناء الدولة شن حملات عسكرية على مختلف الجبهات لاسيما المناطق السورية وأبرزها منطقة الفرات الأوسط إذ أدرك الآشوريون الأهمية الإستراتيجية التي ينطوي عليها هذا الموقع لاسيما كمعبر مهم يؤدي إلى الساحل السوري وهو الأمر الذي لطالما ناضل لأجله الملوك الآشوريين.

ولوحظ أيضاً أن أعظم الانجازات العمرانية والثقافية تمت بشكل خاص في عهد السلالة الشاروكينية وقد يُفسر ذلك بمدى ما وصلته الإمبراطورية الآشورية من عظمة وقوة منذ عهد تجلات بليصر الثالث الذي أُعتبر مؤسساً لإمبراطورية آشورية جديدة امتلكت كل مقومات القوة السياسية والعسكرية والاقتصادية وهذا ما وفر أرضية مناسبة لخلفائه للتفرغ للمجال العمراني والثقافي، على الرغم من الأحداث العسكرية الكبيرة التي حدثت في عهودهم.

أيضاً من النقاط السياسية الهامة أن أغلب ملوك العصر الآشوري الحديث كانت لهم نشاطاتهم العمرانية سواء كانت بنائية جديدة أو ترميم وتجديد للأبنية القديمة ولكنهم كانوا على نسب متفاوتة في ذلك وكان للاستقرار السياسي والازدهار الاقتصادي الدور الحاسم في ذلك.

كما تم استنتاج الدوافع التي حدثت بملوك العصر الآشوري الحديث لأن يغيروا عواصمهم وأجملناها بالدوافع السياسية والاستراتيجية والعسكرية والاقتصادية والشخصية.

أما على الصعيد العمراني: نجد أن الآشوريون ركزوا على مسألة إنشاء الدفاعات والتحصينات لمدنهم التي تحولت لما يشبه الحصون أو القلاع، وقد صبغت هذه السمة فن العمارة الآشورية في عصرها الحديث لدرجة أنه تأثرت فيها الأبنية الدينية، كما هو الأمر في أبراج زقورة مدينة كلخو. وهنا يمكن للمرء أن يفترض أن تلك التحصينات والدفاعات مستمدة من الدونو (قلعة حصينة) التي ظهرت في العصر الآشوري الوسيط نحو القرن الثالث عشر ق.م.

أما مادة البناء فقد اعتبر الآجر المادة الأساسية في إنشاء الأبنية الآشورية الدينية والمدنية والعسكرية على السواء، وهذا عائد إلى وفرة مادة الطين الذي جادت به أرض الرافدين، إلا أن المشكلة في مدى مقاومة الآجر للظروف المناخية، إذ كان سريع التحلل مع تحول الفصول ونتيجة لذلك كانت الأبنية الآشورية من قصور ومعابد تحتاج إلى الترميم والتجديد بشكل متكرر. أضف إلى ذلك أن الشعور بالواجب الديني لدى ملوك العصر الآشوري حافزاً قوياً على الاستمرار في تنفيذ أعمال التجديد

والترميم لاسيما معابد الآلهة، كما حرصت السلطة الملكية الآشورية على تجميل عواصمها ومدنها لتظهر بمظهر يليق بالعظمة والجبروت الآشوري، ناهيك عن أن الهوى الشخصي لبعض الملوك الآشوريين في حب العمارة والتشييد وتخليد الذكر كان دافعاً للإنجاز.

أيضاً تم التوصل من خلال البحث إلى الآلية التي نفذت وأديرت بها المشاريع العمرانية الآشورية، ففيما يتعلق باليد العاملة شكّل أسرى الحروب والمهجرين والعبيد القوة الرئيسية في تنفيذ العمل، ومع ذلك تبين أن هناك يداً عاملة أخرى تم إشراكها في تنفيذ الأعمال العمرانية لا بل أن أجزاءً أساسية من عمليات البناء تم توزيعها على حكام المقاطعات حيث يعهد إلى كل حاكم بإنجاز عمل معين من عمليات البناء. كذلك تم تسخير عناصر الجيش الآشوري في الأوقات التي لا يكون فيها حملات عسكرية، وكذلك تم تسخير السكان الآشوريون في البناء.

ومن النتائج الأساسية أنه مخطط القصر الآشوري شكّل من ثلاثة عناصر أساسية، هي البابانو وهو القسم الخاص بالإدارة والبيتانو وهو القسم الخاص بالسكن الملكي وفي الوسط أقيمت قاعة العرش الملكية، أديرت هذه الأقسام من خلال عدد من الساحات والأفنية التي انتشرت على جوانبها الأجنحة السكنية المتنوعة والأجنحة الإدارية والإستقبالية والخدمية إضافةً للمكاتب الإدارية والغرف المتنوعة، كما أدخل على هذا المخطط في كثير من الأحيان لاسيما في عهد السلالة الشاروكينية مخطط بيت خيلاني العمراني المأخوذ من الشمال السوري فشكل ذلك نوعاً من التمازج بين المخططين الآشوري والسوري الذي عكس بدوره تمازجاً حضارياً لابل وحدة حضارية بين أرض الرافدين وسورية.

أما المعبد الآشوري الحديث فقد استمد مخططه من مخطط معبد العصر الآشوري الوسيط إذ تكوّن من مدخل فخم وحجرة انتظار عبر مدخل مسقوف وهي حجرة عرضانية، وحرّم طولاني يقوم في العمق منه قدس الأقداس الذي قامت فيه منصة يعلوها محراب يحمل تمثال الإله.

أما على الصعيد الفني: فقد أبدع الآشوريون المنحوتات النافرة منذ عهد آشور ناصر بال الثاني في القرن التاسع ق.م، حيث قاموا بنحتها على البلاطات الحجرية أو الكلسية (الأورتوستات) المأخوذة عن الشمال السوري بصيغتها الأولى التي تميزت بكونها بلاطات صغيرة الحجم وغير منقوشة، ثم عمل الآشوريون على توظيفها بما يتناسب مع أفكارهم فزادوا في أحجامها التي تجاوزت أحياناً المترين بهدف تغطية الأقسام السفلية من الجدران، ثم نُفذت عليها بواسطة النحت النافر العديد من المشاهد المتنوعة المواضيع. إذ من خلال الاطلاع على مواضيع المنحوتات النافرة والرسوم الجدارية والعاجيات والشرائط البرونزية في العصر الآشوري الحديث، يلاحظ أن موضوعاتها الأساسية تركزت على مشاهد الحملات العسكرية والحروب التي خاضتها الجيوش الآشورية، وعلى مشاهد صيد الحيوانات بأنواعها المختلفة، ومشاهد تقديم الجزية والخضوع من قبل المهزومين. وأنت تلك المشاهد مفعمة بالحياة

والحركة لاسيما في عهد آشور ناصر بال الثاني، واتصفت بكونها روائية سردية تعنى بالتفاصيل الدقيقة.

أما الرسوم الجدارية القادمة من تل برسيب (تل أحمر) فقد شكلت انتصاراً لفن الرسم على الجدران، ناهيك عن كونها كسرت قاعدة أن فن الشرق نما وازدهر مع ازدهار الملكيات فيه، إذ أن الفترة التي أبدعت فيها الرسوم الجدارية كانت فترة ضعف وتراجع شديد بالنسبة للإمبراطورية الآشورية الحديثة.

في حين شكلت الشرائط البرونزية التي زينت بوابات مدينة بلوات (إمكور - إنليل) إبداعاً آشورياً ومثالاً فريداً على تطور فن صناعة الروبوسا (فن الطرق على المعدن) لدى الآشوريين، كما أنها جاءت دليلاً أكد الاستعمال الواسع لهذه الشرائط في كل العواصم والمدن الآشورية الهامة. ومع ذلك اعتبرت الشرائط البرونزية من قبل بعض الباحثين تراجعاً فنياً بعد أن كانت المنحوتات النافرة هي الغالبة. ومهما يكن من أمر فقد أبدى الفنان الآشوري خبرة كبيرة على صعيد تصوير مشاهد صيد الحيوانات بأدق تفاصيلها الأمر الذي أكد معرفة الفنان الآشوري بالصفات التشريحية لتلك الحيوانات، ومرافقته لحملات الصيد الملكية.

يمكن القول أبدى الآشوريون انفتاحاً حضارياً كبيراً على الغير، فأخذوا عن الشعوب الأخرى ما يتناسب مع أهوائهم، فعن الشمال السوري أخذوا - كما ذكر آنفاً - نمط بناء بيت خيلاني/عيلاني، والبلاطات الحجرية (الأورتوستات)، وأخذوا عن الساحل الفينيقي فن صناعة العاجيات، في حين أخذوا عن مصر تماثيل أبو الهول... الخ.

أما على صعيد الري وفن صناعة الحدائق الملكية:

فمن خلال دراسة مشاريع الري المنفذة في العواصم الآشورية الثلاثة كلخو و دور شاروكين و نينوى، يمكن القول أن الآشوريين كانوا بحق سادة في مجال هندسة الري واستغلال المياه على أكمل وجه، وما إعادة إحياء مشروع سنحريب المائي في العصر الحديث من قبل مسؤولي هندسة الري في الحكومة العراقية إلا دليلاً دامغاً على مستوى التقدم والرقى الذي بلغه الآشوريون في هذا المجال.

وليس ببعيد عن هذا المجال تقدم الآشوريين في مجال البستنة وإنشاء الحدائق الملكية التي اعتبرت الأهم في تاريخ الشرق القديم. وقد شكلت المنحوتات النافرة التي صورت الحدائق الملكية بمزروعاتها ونباتاتها المتنوعة مادة أساسية يمكن القول عنها إضافة للنقوش الملكية أنها من أهم المصادر التي زودتنا بالمعارف التاريخية الهامة عن تاريخ الحدائق الآشورية، فمن خلالها أمكن التعرف على آلية تنظيم الحدائق وتخطيطها وعلى الأنواع النباتية الأصلية والمجلوبة التي تمت زراعتها في الحدائق والبساتين الملكية.

كذلك عكست حدائق الحيوان الملكية فكراً متميزاً في محاولة جمع غرائب الحيوانات وتكييفها مع طبيعة ومناخ بلاد آشور، وبذلك كان الملوك الآشوريين سباقين في مجال إنشاء حدائق الحيوان في المشرق العربي القديم.

أما على الصعيد الثقافي:

عايشت الإمبراطورية الآشورية الحديثة أوج ازدهارها الثقافي والحضاري في الفترة الزمنية الأخيرة من تاريخها (بدءاً من عهد الملك شاروكين الثاني وحتى قبيل الانهيار النهائي) وهذا ناجم عن حقيقة أن الإمبراطورية الآشورية كانت قد أصبحت حقيقة ماثلة للعيان، وقوة ضاربة في الأرض الأمر الذي أتاح لملوك الأسرة الشاروكينية الانصراف للقيام بمشاريع ثقافية تجلت بالدرجة الأولى بالمكتبات الملكية لاسيما مكتبة آشوربانيبال التي حفظت التراث الرافدي من الضياع، إذ اعتبر الملك آشوربانيبال صاحب الفكرة الأولى من نوعها في محاولة إنشاء أول مكتبة تضم مختلف علوم أرض الرافدين.

وتم التوصل إلى حقيقة أن المكتبات الخاصة كانت منتشرة في أنحاء بلاد الرافدين وهذا يعتبر دليلاً هاماً على المستوى الثقافي المتطور الذي بلغه أهل الرافدين بشكل عام.

لقد شكلت مكتبات الرافدين وسوريا الأصل الأول لنظام الفهرسة وتنظيم المكتبات في الشرق القديم عموماً.

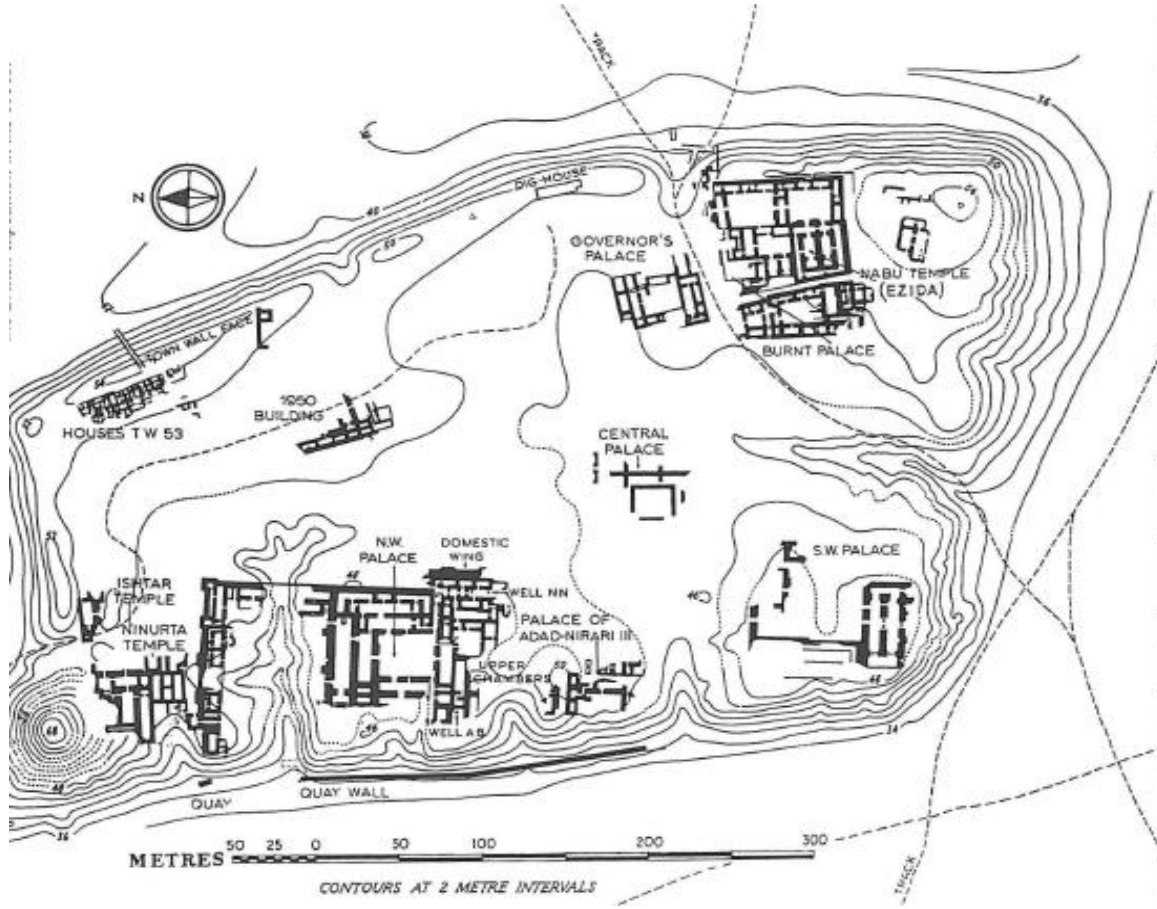
أخيراً لابد من القول أن هذه الدراسة لا تحيط بشكل كامل بمختلف المواضيع التي تم التطرق إليها إذ ركزت على بعض المحاور في حين بقيت محاور وإشكاليات أخرى عديدة لم تُطرق فمثلاً تم تناول إشكالية التجديدات العمرانية من خلال الأدلة النصية التي خلفها ملوك العصر الآشوري الحديث، في حين ذكرت أحياناً بعض الأدلة الأثرية لمخططات الأبنية لاسيما أعمال الملك سنحريب في نينوى، إلا أنها لم تعط حقها من الدراسة والبحث، إذ كان الهدف من هذه الدراسة التعرف على الأعمال العمرانية التجديدية للملوك الآشوريين دون الخوض في تفاصيل عمرانية واسعة التي تحتاج بدورها إلى بحث مستقل، وهنا نترك الباب مفتوحاً لدراسات أكثر شمولية تتعلق بالعمارة الآشورية الحديثة، وبمشاريع الري المنفذة في العصر الآشوري الحديث ليس في العواصم الآشورية وحسب وإنما في مختلف المدن الآشورية الهامة على امتداد بلاد آشور. كذلك يبقى المجال مفتوحاً لدراسات معمقة وجادة حول محتويات مكتبة آشوربانيبال لاسيما النصوص المتعلقة بالرقى والتمائم والتعاويذ التي تقدم مادة غنية جداً تستحق الدراسة.

وأيضاً نترك الباب مفتوحاً لدراسات أكثر تفصيلاً فيما يتعلق بإشكالية علاقات التأثير والتأثير الحضارية بين شعوب المشرق العربي القديم لاسيما بلاد الرافدين وسورية ومصر، وكذلك العلاقات الحضارية مع الشعوب الأخرى كشعوب الأناضول وإيران وغيرها من الشعوب.

قائمة الأشكال:

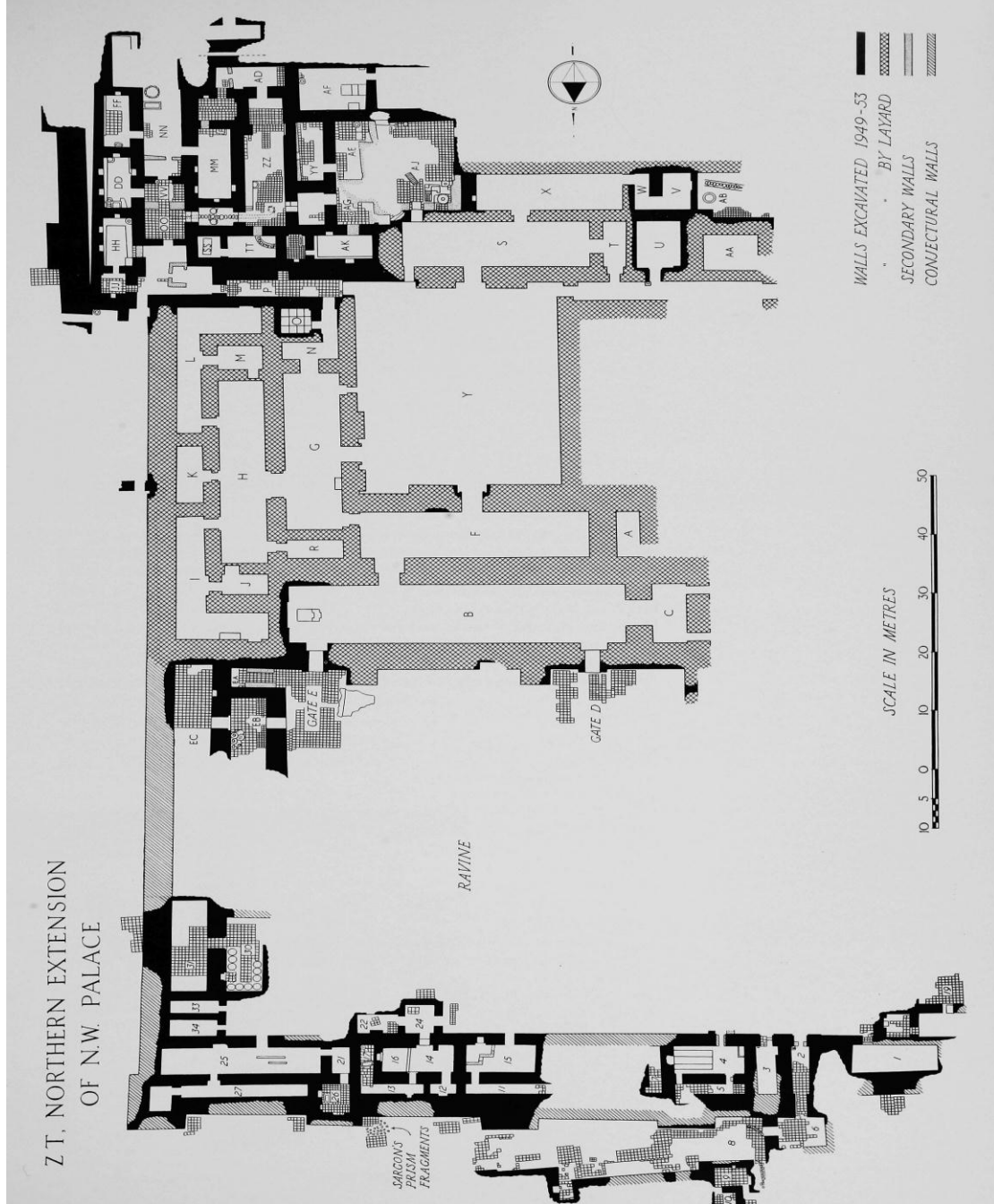
- الشكل (1) مخطط القلعة وأبنيتها في مدينة كلخو (نمرود).
- الشكل (2) مخطط القصر الشمالي الغربي في كلخو.
- الشكل (3) مخطط الجناح الشمالي (ZT) من القصر الشمالي الغربي.
- الشكل (4) منحوتة الشجرة المقدسة وعلى جانبيها آشورناصرپال الثاني.
- الشكل (5) مونايزا نمرود، القصر الشمالي الغربي.
- الشكل (6) عاجية اللبوة تقترس زنجياً، القصر الشمالي الغربي.
- الشكل (7) مخطط قصر الحاكم في كلخو.
- الشكل (8) مخطط القصر المحروق في كلخو.
- الشكل (9-10) مخطط حصن شلمنصر في كلخو.
- الشكل (11) منصة العرش في حصن شلمنصر.
- الشكل (12) مخطط معبد نابو في كلخو.
- الشكل (13) مخطط منطقة معبد نينورتا في كلخو.
- الشكل (14) مخطط مدينة دور شاروكين.
- الشكل (15) مخطط قلعة دور شاروكين.
- الشكل (16) مخطط القصر الملكي في دور شاروكين.
- الشكل (17) منحوتة البطل جلجامش على مدخل الفناء 8 من قصر شاروكين الثاني في دور شاروكين.
- الشكل (18) منحوتات من مدخل الفناء 8 في قصر شاروكين الثاني.
- الشكل (19) مخطط منطقة المعابد في قصر شاروكين الثاني.
- الشكل (20) واجهة مدخل معبد الإله سن في دور شاروكين.
- الشكل (21) مخطط معبد نابو في دور شاروكين.
- الشكل (22) مخطط القصر K في دور شاروكين.
- الشكل (23) لوحة جدارية من القصر K في دور شاروكين.
- الشكل (24) شريطة برونزية من بوابات شلمنصر الثالث في بلوات.
- الشكل (25) مخطط مدينة آشور.
- الشكل (26) مخطط مدينة نينوى.
- الشكل (27) مخطط القصر الجنوبي الغربي في نينوى.
- الشكل (28) البلاطات 14-15 من قاعة عرش القصر الجنوبي الغربي.
- الشكل (29) مخطط القصر الشمالي في مدينة نينوى.
- الشكل (30) رسم جداري من الغرفة 24 في قصر تل برسيب.
- الشكل (31) رسم جداري لثور مجنح من قصر تل برسيب.
- الشكل (32) رسم جداري لمخلوق يمسك برقبة ثور، من قصر تل برسيب.
- الشكل (33) رسم جداري من الغرفة 46 في قصر تل برسيب.
- الشكل (34) الإناء السومري الفوار.

- الشكل (35) مسلة المأدبة لآشور ناصر بال الثاني.
- الشكل (36) مشهد صيد النعام من القصر الشمالي الغربي في كلخو.
- الشكل (37) عاجية الفينيقي وطائر النعام.
- الشكل (38) مسلة شلمنصر الثالث السوداء.
- الشكل (39) محيط مدينة كلخو وخط سير قناة آشور ناصر بال الثاني.
- الشكل (40) منحوتة من دور شاروكين تصور قطع أشجار أورارتو.
- الشكل (41) منحوتة من قصر شاروكين تصور جانب من عمارة القصر والحديقة.
- الشكل (42) منحوتة تصور الملك شاروكين الثاني متوجهاً إلى الصيد.
- الشكل (43) الملك شاروكين الثاني أثناء رحلة الصيد.
- الشكل (44) منحوتة من قصر سنحريب في نينوى تظهر بحيرة سنحريب.
- الشكل (45) منحوتة من قصر سنحريب تمثل مشهد نقل تمثال وسط بيئة طبيعية.
- الشكل (46) منحوتة من القصر الشمالي تظهر جانباً من حدائق سنحريب في نينوى.
- الشكل (47) منحوتة تصور حديقة آشور بانيبال الملكية في قصره الشمالي في نينوى.
- الشكل (48) منحوتة تصور زوج من الأسود في حديقة آشور بانيبال.
- الشكل (49) منحوتة من قصر آشور بانيبال في نينوى تصور مشهد إطلاق أسد من قفصه.
- الشكل (50) منحوتة صيد الغزلان من القصر الشمالي في نينوى.
- الشكل (51) مشهد صيد الحمر الوحشية.
- الشكل (52-53) كتاب كلخو العاجي.



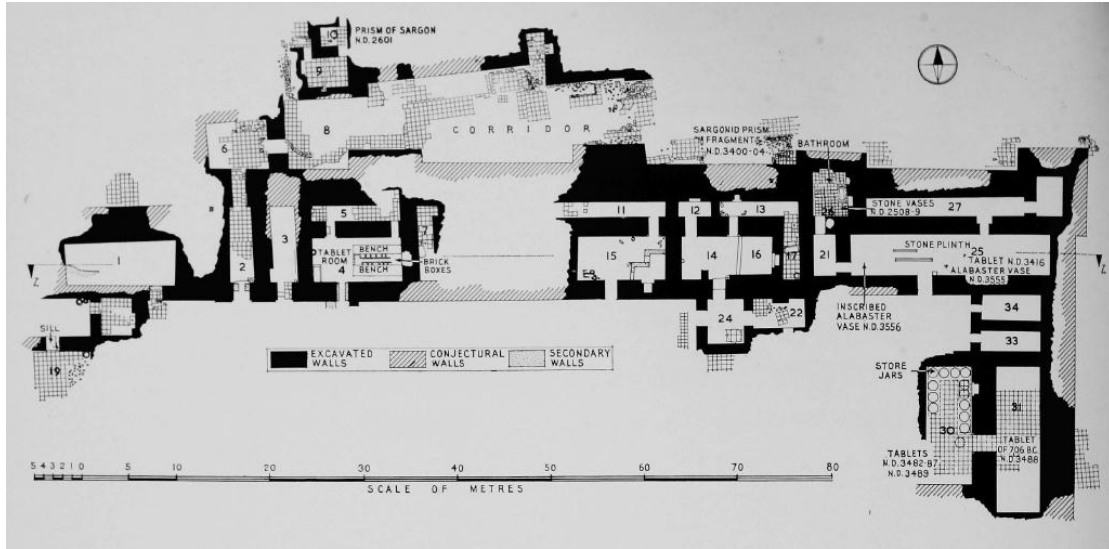
الشكل (1) مخطط قلعة كلخو، عن

Oates, Joan and David, 2001, fig10 , p.29.



الشكل (2) مخطط القصر ش.غ في كلخوعن:

Mallowan.M,Nimrud and its remains,I,1966,fig.42



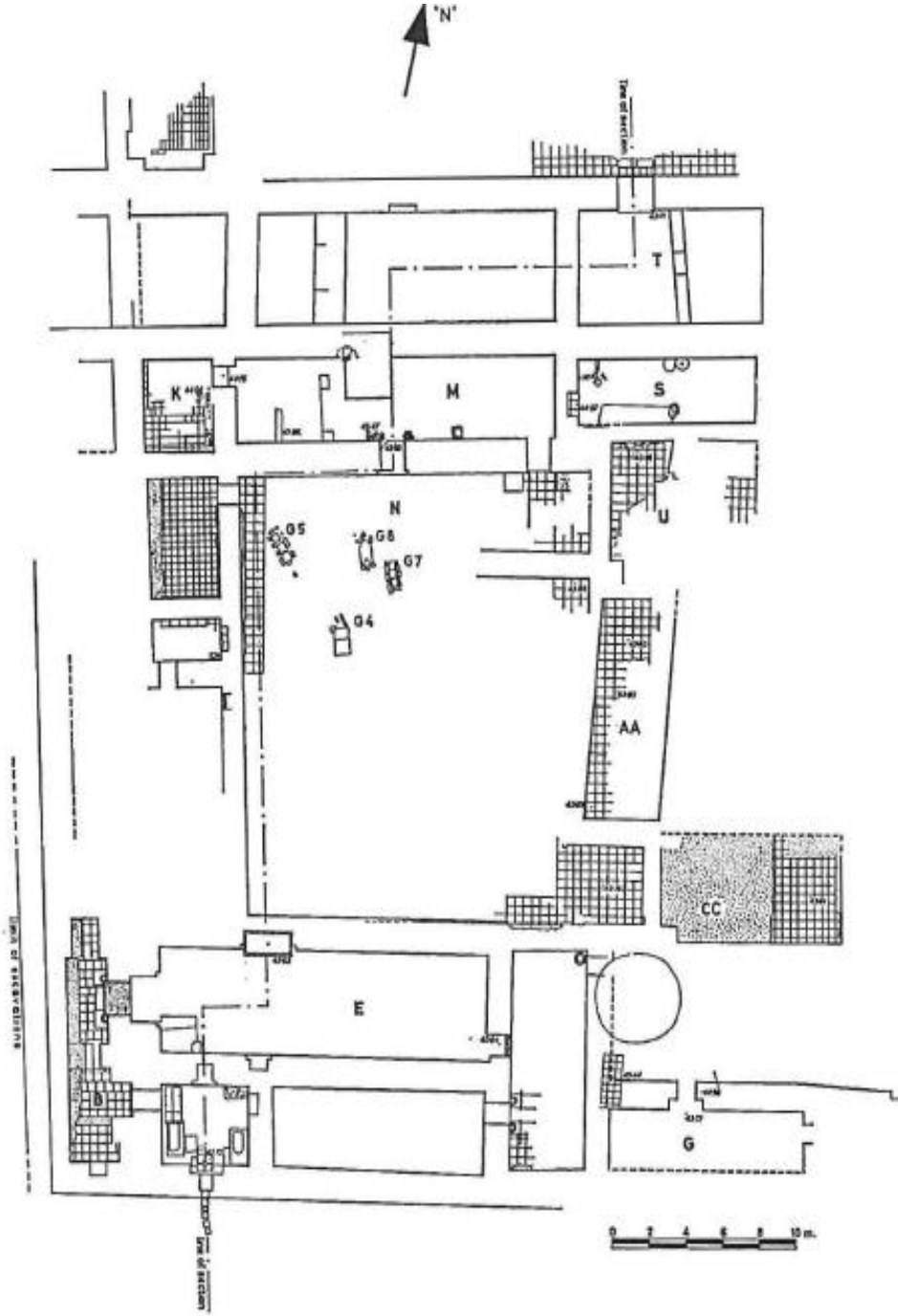
الشكل (3) مخطط الجناح الشمالي من القصر ش.غ في كلخو، عن:
Mallowan.M, Nimrud and its remains, I, 1966, fig.100



الشكل (4) منحوتة الشجرة المقدسة وعلى جانبيها الملك آشورناصربال الثاني، قاعة عرش القصر ش.غ، عن:
Mallowan.M, Nimrud and its remains, I, 1966, fig.43.

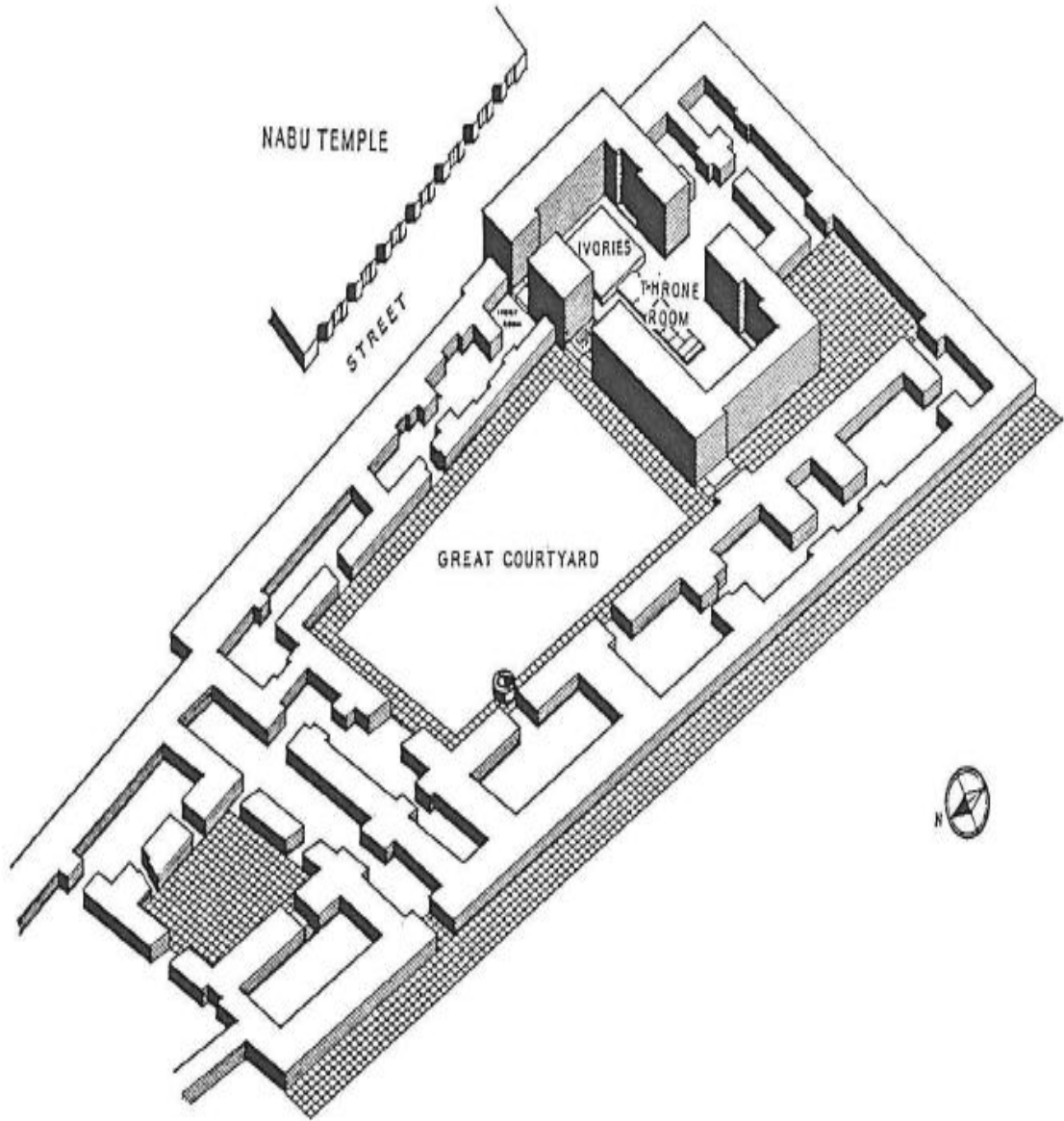


الشكل (5) مونا ليزا نمرود، عن: Mallowan.M, Nimrud and its remains, I, 1966, fig. 71.
الشكل (6) منحوتة عاجية من القصر ش.غ تصور لبوة تفترس زنجياً، عن: Mallowan.M, Nimrud And its remains, I, 1966, fig. 81.

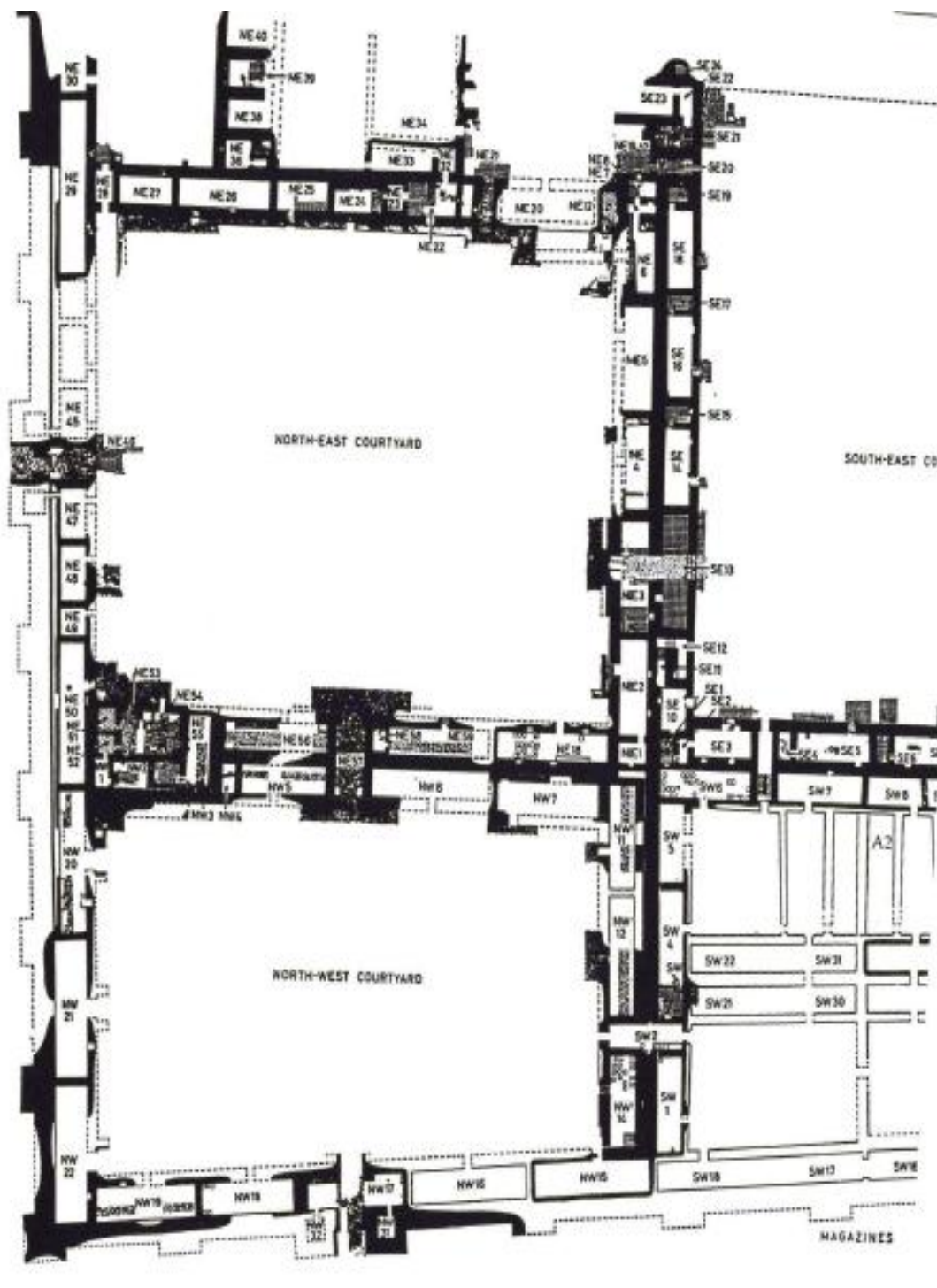


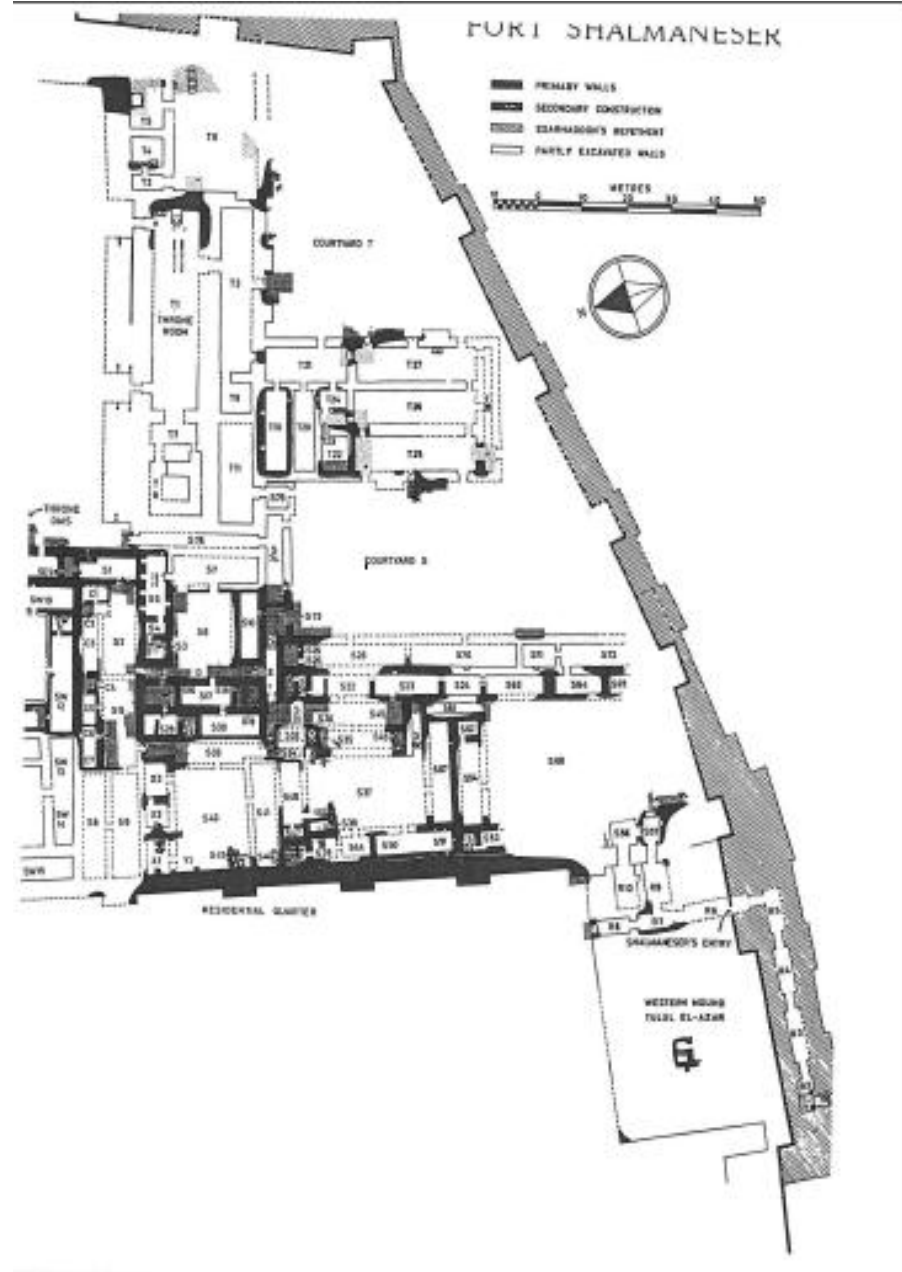
الشكل (7) مخطط قصر الحاكم في كلخو، عن:

Oates, Joan and David, 2001, fig. 83.



الشكل (8) مخطط القصر المحروق بعد إعادة تصور بناءه كما كان عليه نهاية القرن الثامن وبداية القرن السابع،
عن: Oates, Joan and David, 2001, fig. 78.



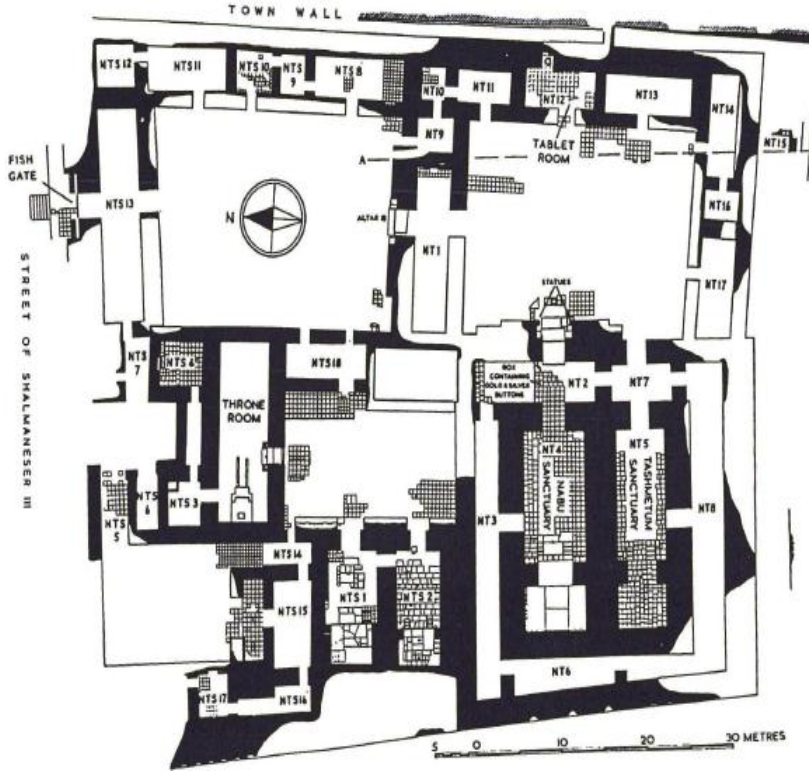


الشكل (9-10) مخطط حصن شلمنصر في كلخو، عن:

Oates, Joan and David, 2001, fig. 91.

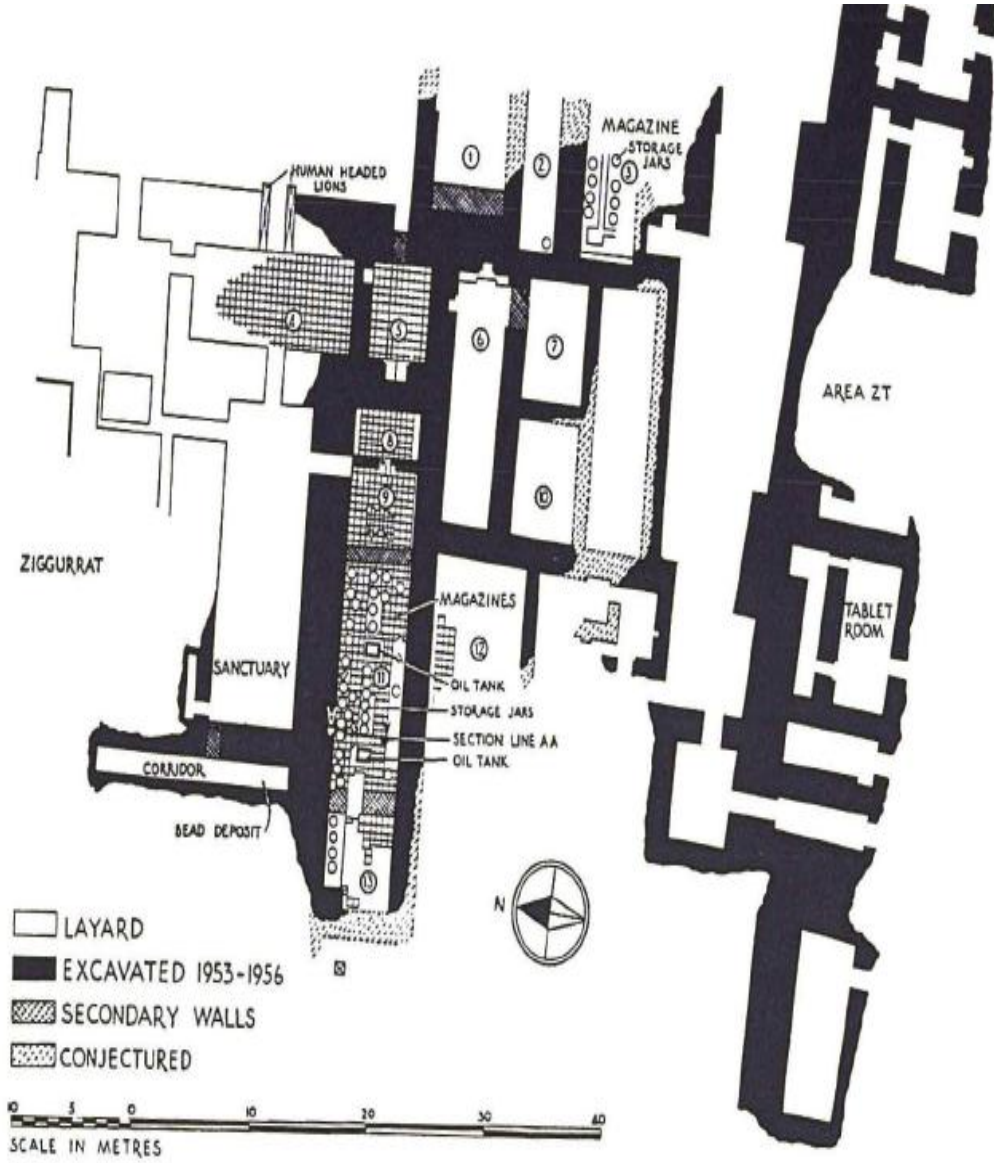


الشكل (11) منصة عرش حصن شلمنصر، عن:
Oattes, Joan and David, 2001, fig109..



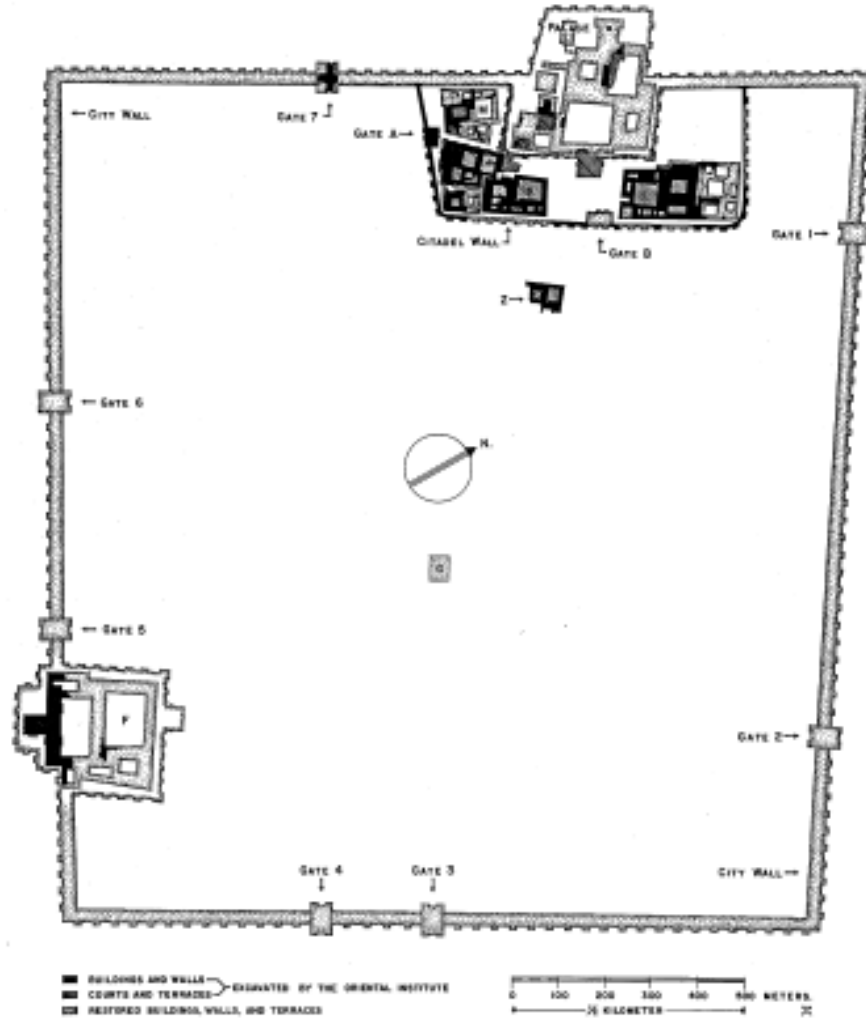
الشكل (12) مخطط معبد الإله نابو في كلخو يظهر فيه حرمي نابو وزوجه تاشميتوم إضافة لقاعة العرش التي يعتقد أن طقوس الزواج المقدس كانت تتم فيها بمشاركة ملكية، عن:

Oates, Joan and David, 2001, fig. 67 ,

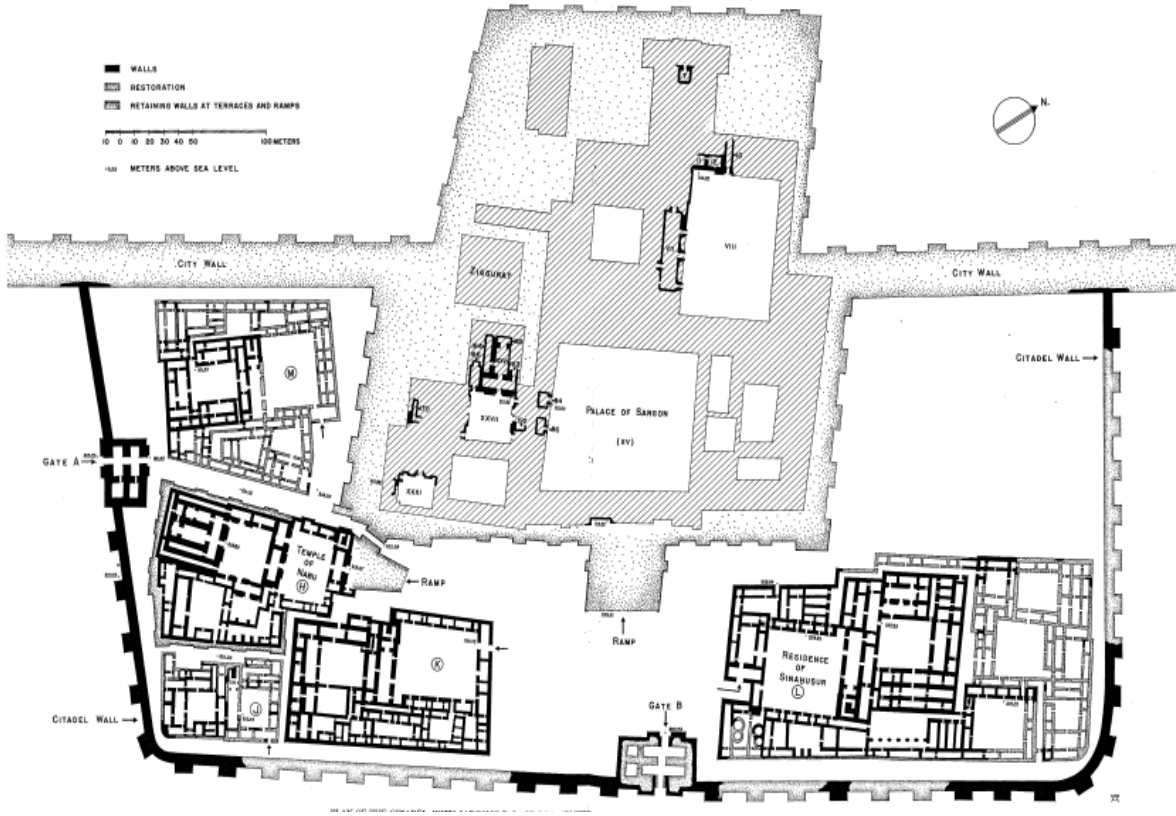


الشكل (13) مخطط منطقة معبد الإله نينورتا بحسب تنقيبات عام 1953 عن:

Oates, Joan and David, 2001, fig. 65.

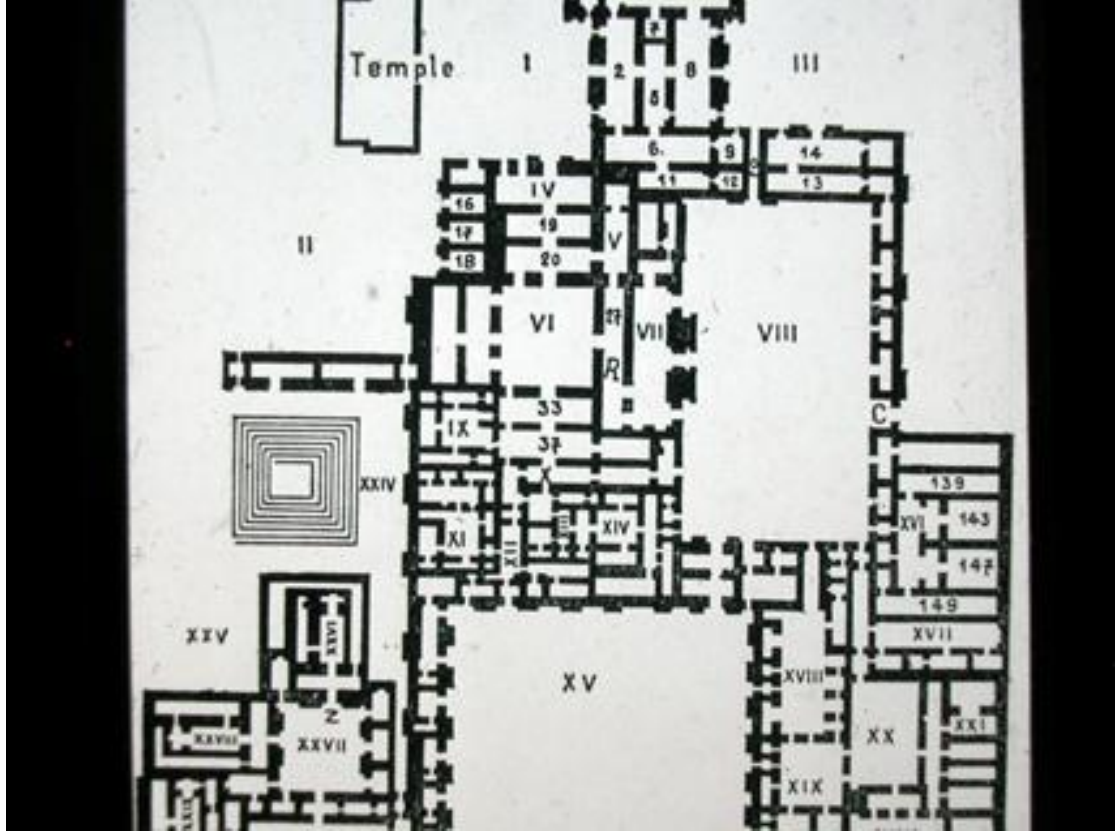


الشكل (14) مخطط مدينة دور شاروكين بعد اكمال تنقيبها من قبل معهد الشرق، عن:
Loud.G, and Altman.C, Khorsabad,II,1938,fig.69.



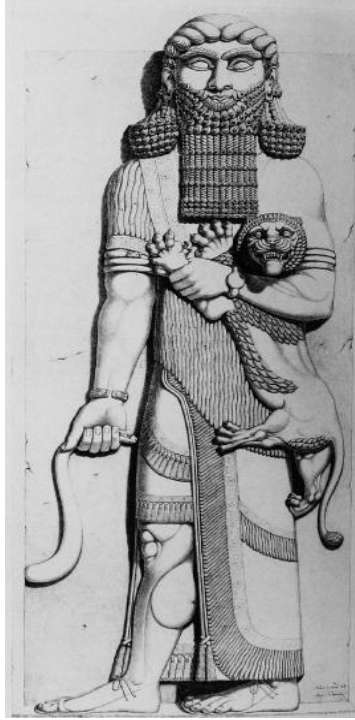
الشكل (15) مخطط قلعة دور شاروكين عن:

Loud.G, and Altman.C, Khorsabad,II,1938,fig.70.



(الشكل 16) مخطط القصر الملكي في دور شاروكين، عن:

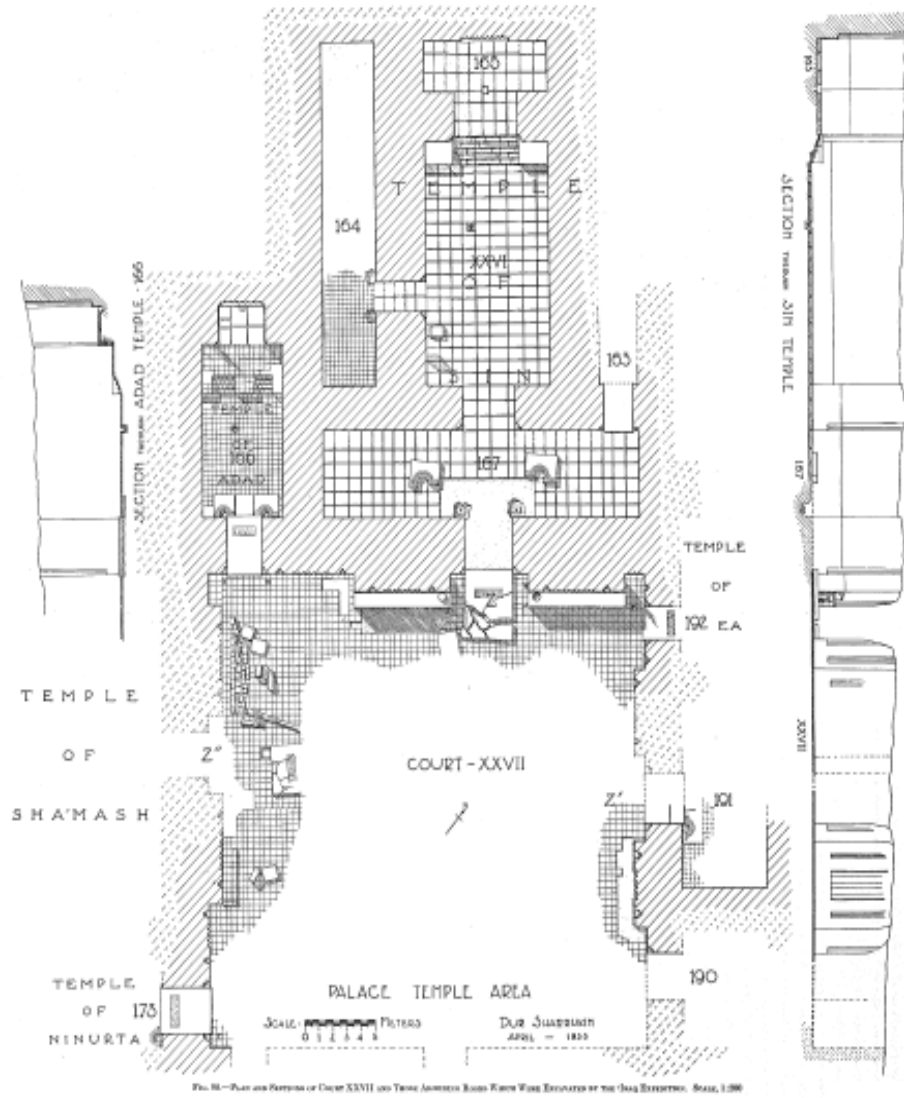
Loud.G, and Altman.C,1938,fig.76.



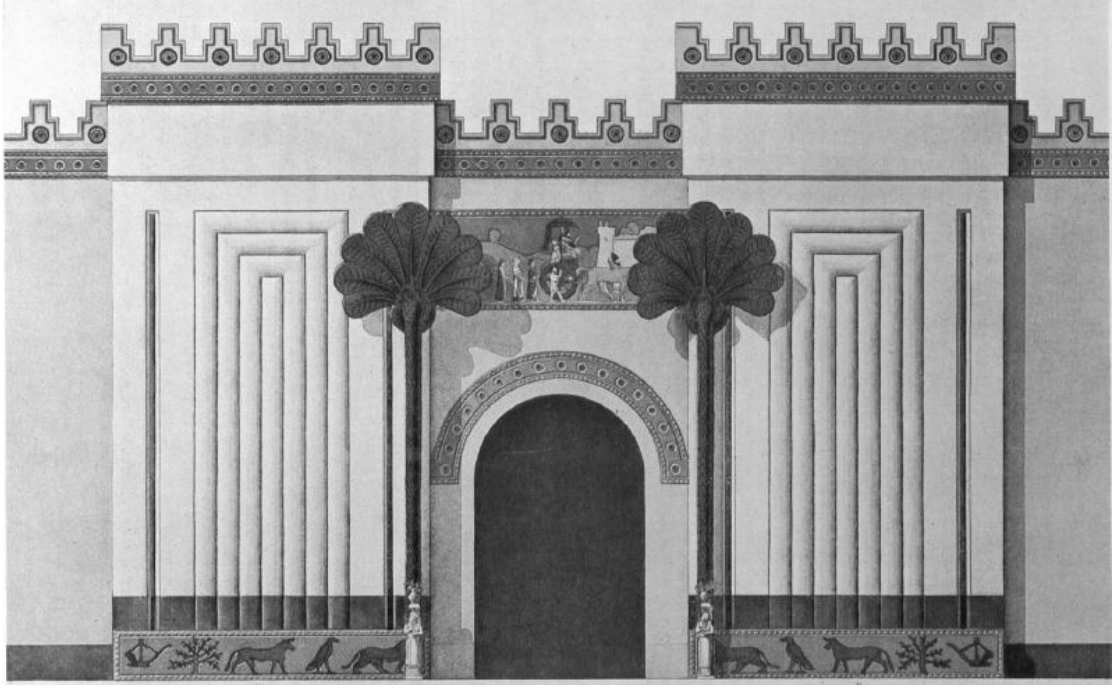
الشكل (17) منحوتة البطل جلجامش
على مدخل الفناء 8 في قصر دور شاروكين
عن: Albenda.P, the palace of Sargon,
1986, fig. 17.



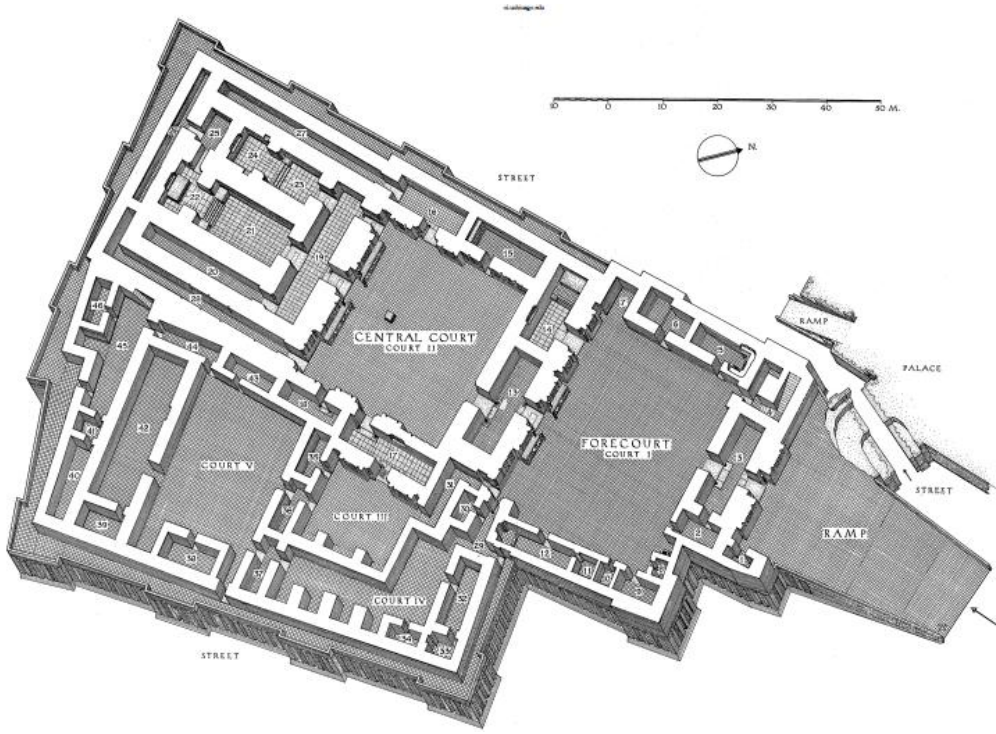
الشكل (18) منحوتات من مدخل الفناء 8 في قصر شاروكين الثاني الملكي تظهر فيها مشاهد المواكب وتماثيل
اللاماسو المجنحة والبطل جلجامش، عن: Albenda.P. 1986, fig 40.



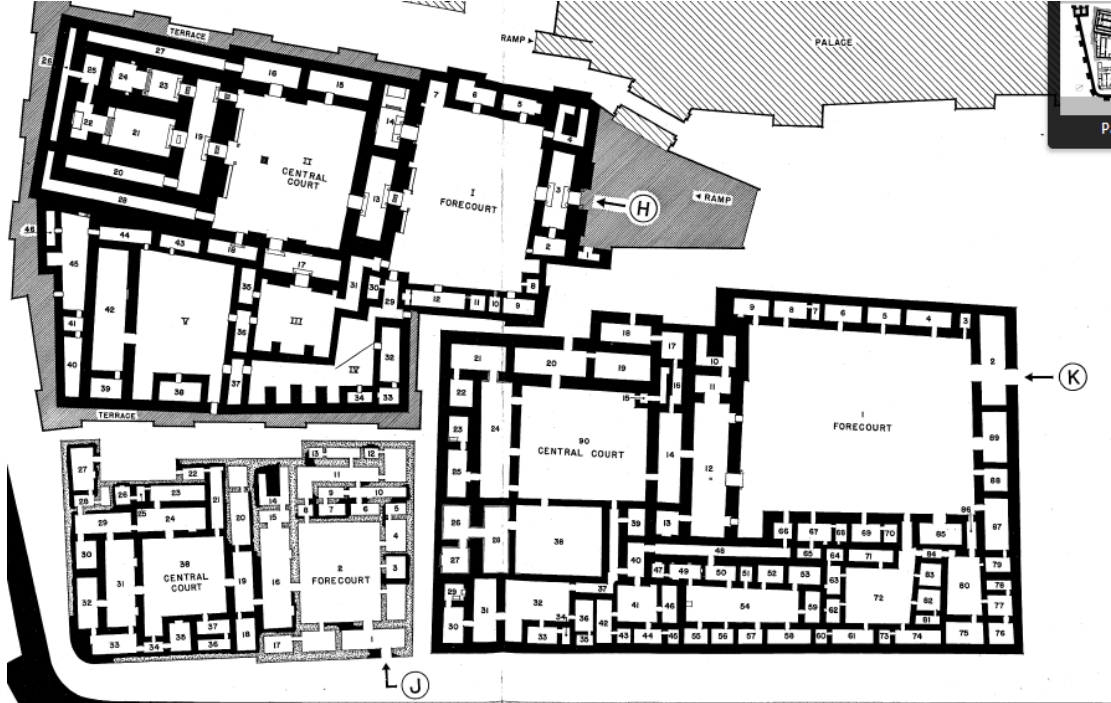
الشكل (19) منطقة المعابد في قصر شاروكين الثاني، عن: Loud.G, 1936, fig. 98.



الشكل (20) واجهة مدخل معبد الإله سن في دور شاروكين بعد إعادة رسمها، عن: Loud.G, 1936, fig. 99.

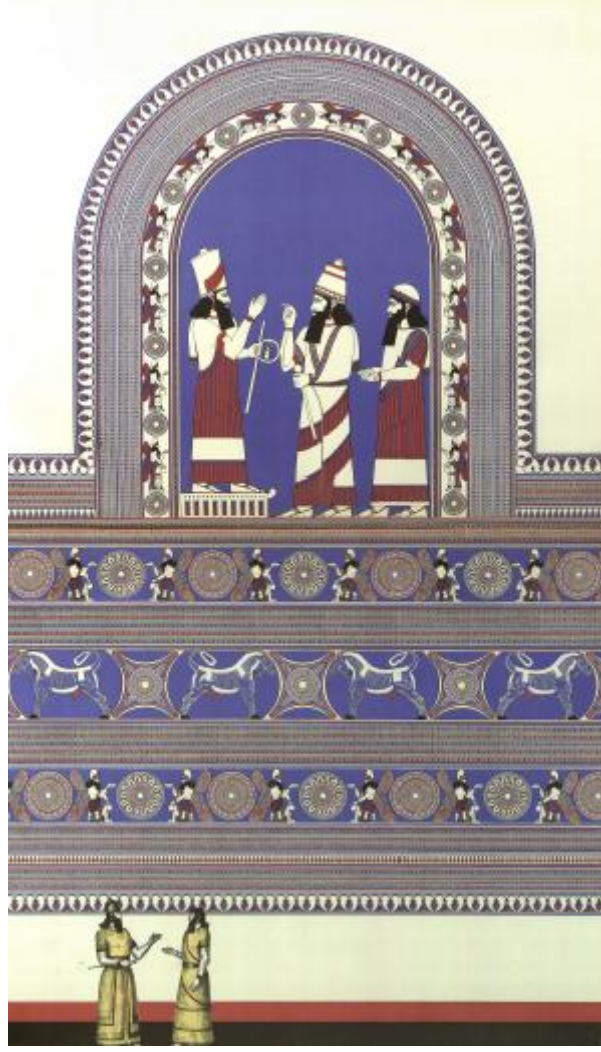


الشكل (21) مخطط معبد نابو في دور شاروكين عن Loud.G, and Altman.C,1938, fig.79.



الشكل (22) مخطط القصر K والأبنية المجاورة له في دور شاروكين، عن:

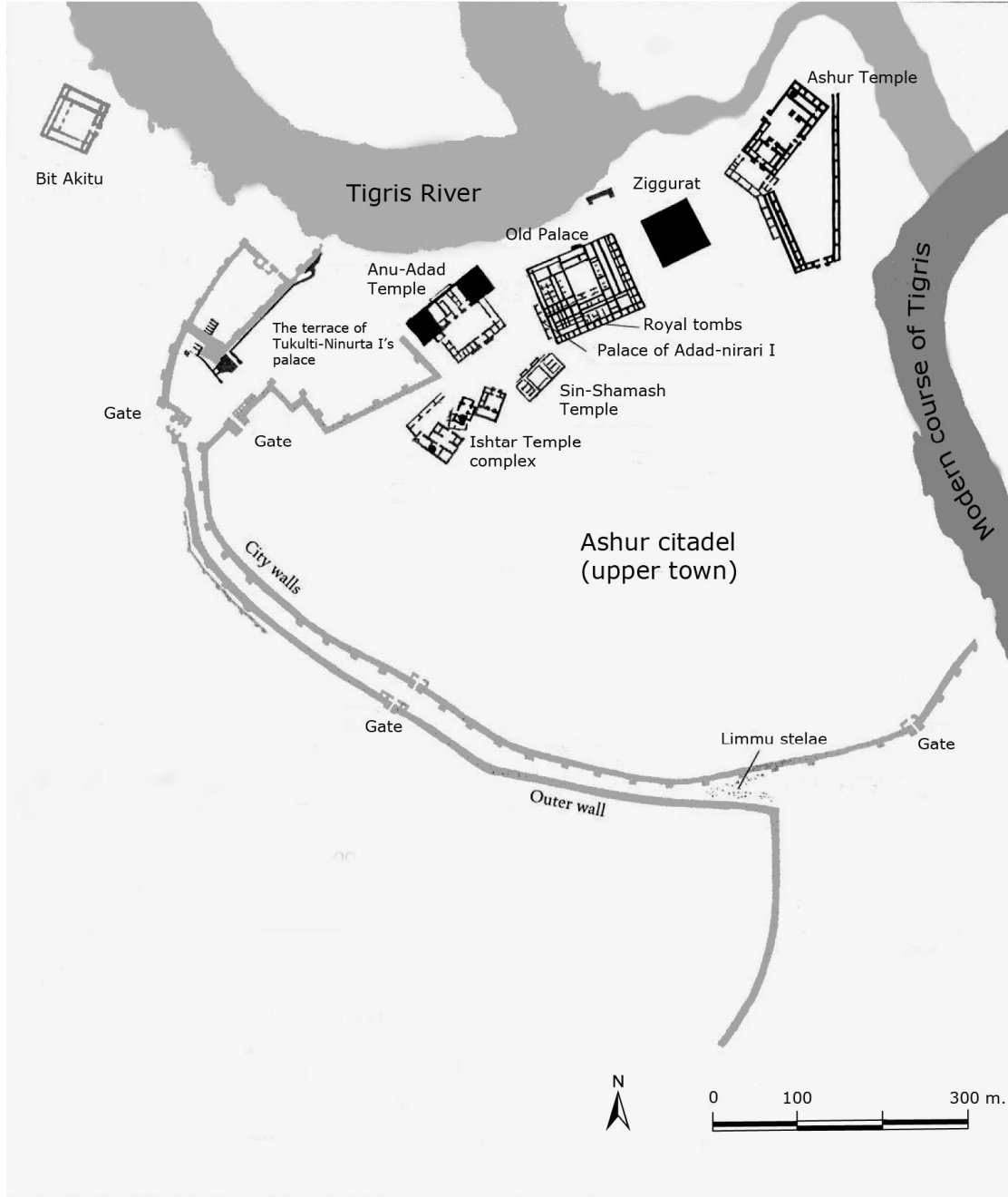
Loud.G, and Altman.C,1938.fig.71.



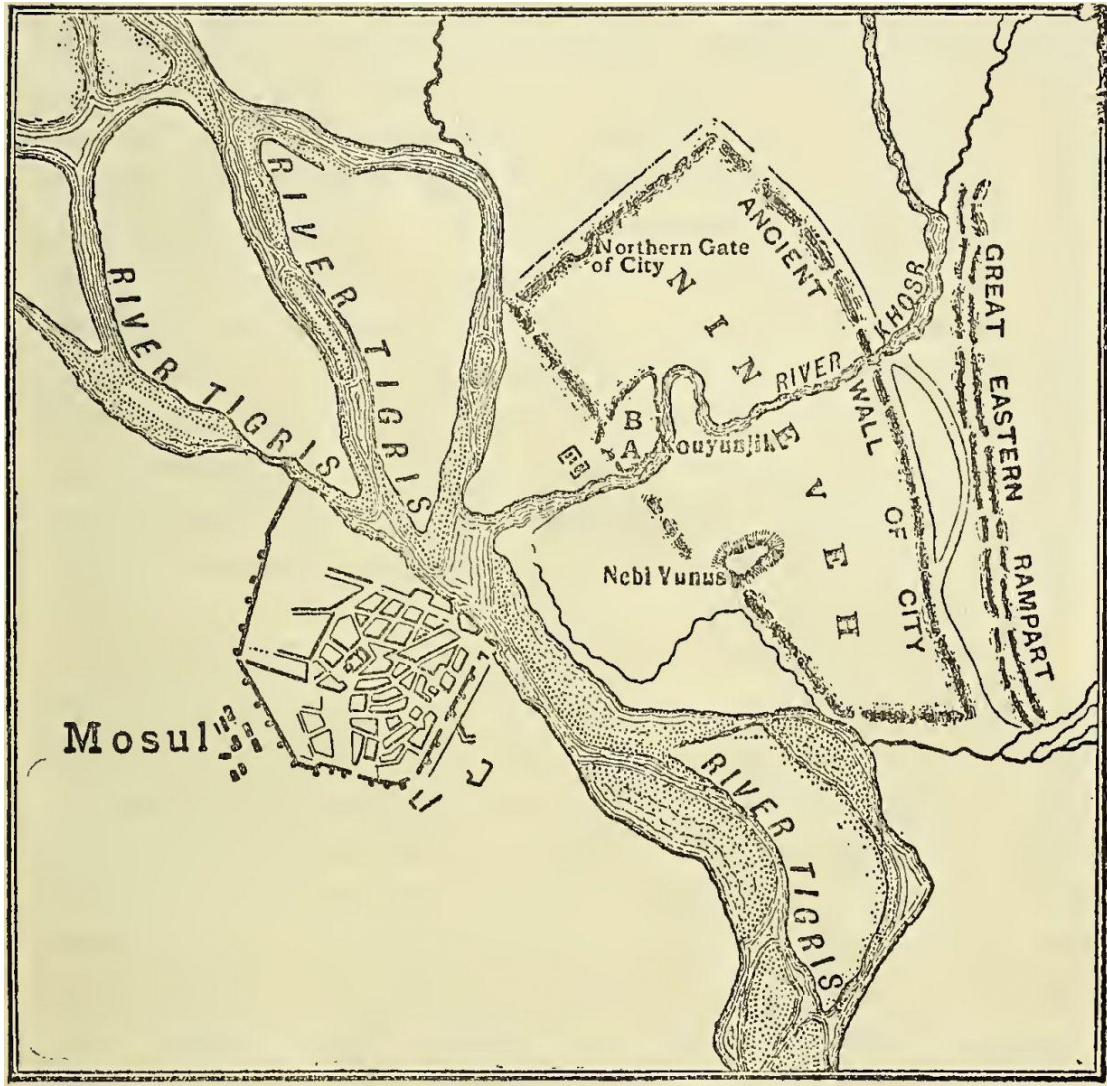
الشكل (23) لوحة جدارية من القصر K في دور شاروكين، تظهر الملك في وضع تعبدى أمام الإله،
عن: Loud.G, and Altman.C, 1938, fig. 89



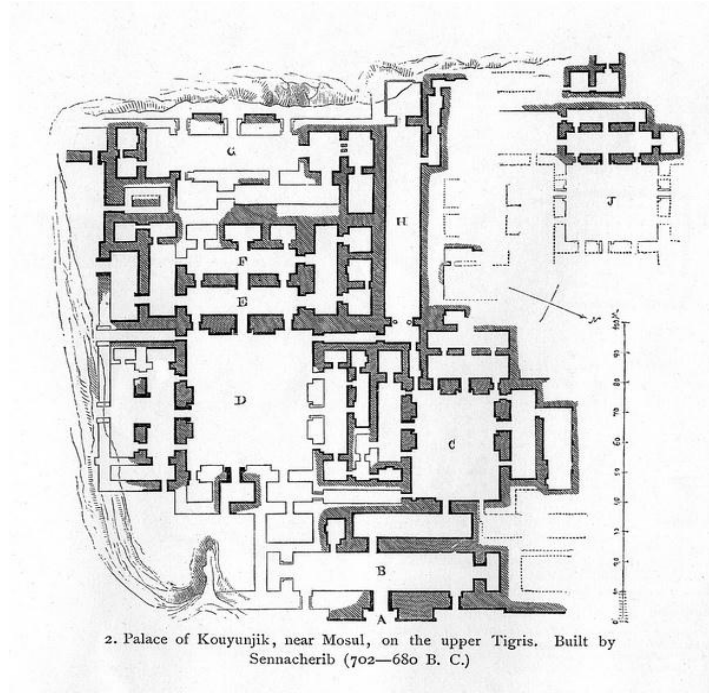
الشكل (24) شريطة برونزية من بوابات شلمنصر تصور مشهد الجزية المقدمة من مدينة صور خلال حملة شلمنصر عام 859 ق.م ضد الفينيقيين. عن: King.W, 1915, fig.13.



الشكل (25) مخطط مدينة آشور، عن: Harper.P, and others, 1995, fig. 2.

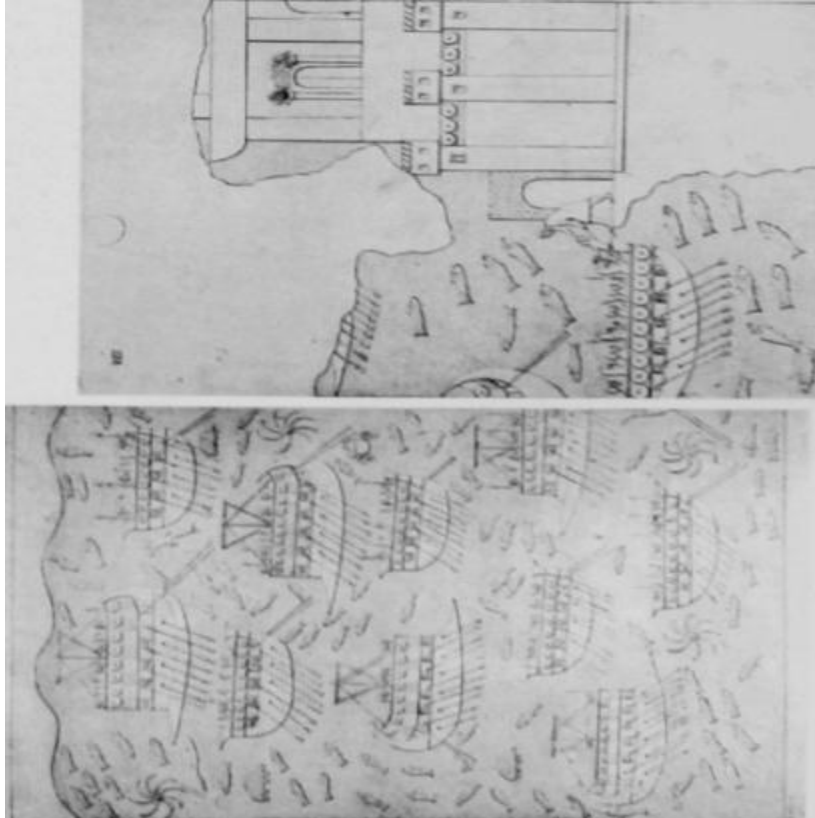


الشكل (26) مخطط مدينة نينوى، عن: Thompson.C, and Hutchinson.R,fig.1.



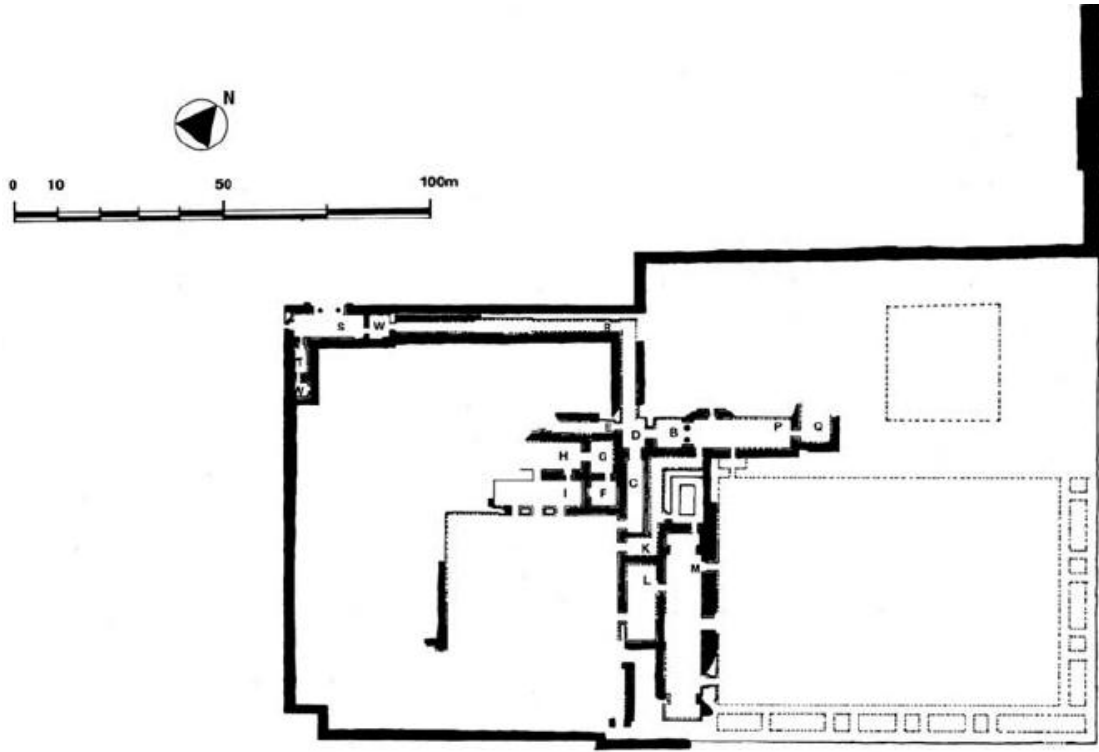
الشكل (27) مخطط القصر الجنوبي الغربي في نينوى عن:

Thompson.C, and Hutchinson.R,fig.3.



الشكل (28) البلاطات 14-15 من قاعة عرش سنحريب تصور قلعة على البحر، عن:

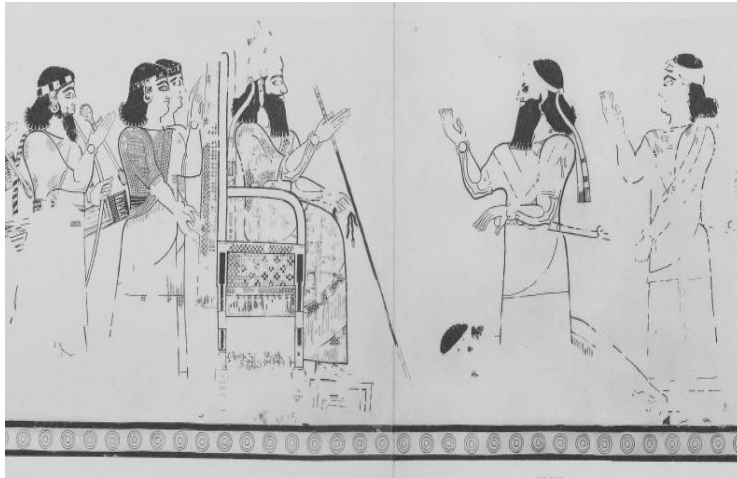
Barnett.R, and Others,1998, fig. 38.



الشكل (29) مخطط القصر الشمالي في نينوى، عن:

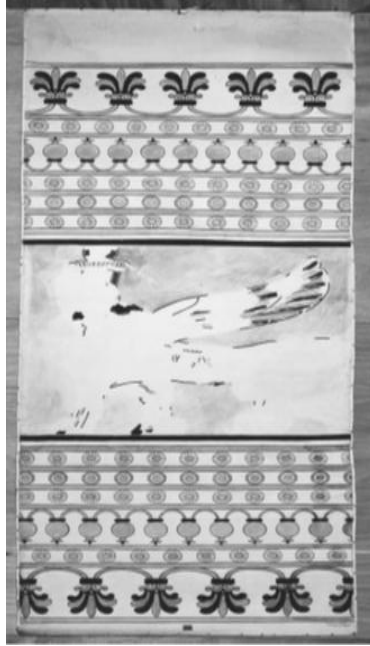
Barnett.R, Sculptures from the North

Palace of Ashurbanipal at Nineveh, 1976, fig. 7.



الشكل (30) رسم جداري من الغرفة 24 من قصر تل برسيب يظهر فيه الملك أو ربما يكون القائد شمشي إيلو

ويظهر أمامه شخص راكع لعله أسير من أحد الأعداء، عن: Albenda.P, 2005, fig. 23.



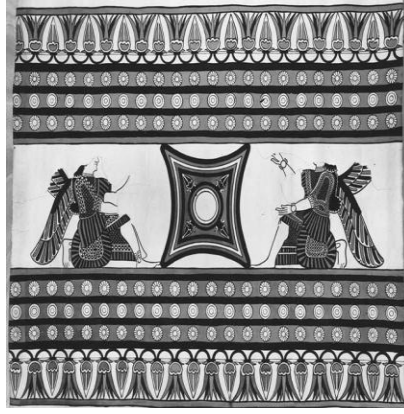
الشكل (31) رسم جداري لثور مجنح من الغرفة 24

من قصر تل برسيب، عن: Albenda.P, 2005, fig. 19.



الشكل (32) رسم جداري لمخلوق مجنح من الغرفة 47 في قصر تل برسيب، عن:

Albenda.P, 2005, fig. 14.



الشكل (33) رسم جداري من الغرفة 46 من

قصر تل برسيب، عن: Albenda.P, 2005, fig.13



(الشكل 34) الإناء السومري الفوار الذي يرمز لدجلة والفرات،

عن: سوسة، أحمد.



الشكل (35) مسلة المأدبة لآشور ناصر بال الثاني عن:

Mallowan.M, Nimrud and its remains, I, 1966, fig.27.



الشكل (36) مشهد صيد النعام من القصر الشمالي الغربي في كلخو، عن:

Mallowan.M, Nimrud and its remains, I, 1966, fig. 61.



الشكل (37) عاجية لفينيقي يسوق طائر النعام من رقبتة،

من إحدى غرف حصن شلمنصر، عن:

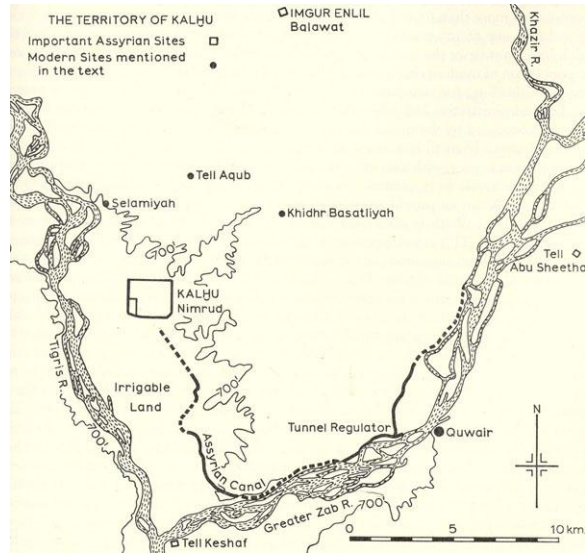
Herman.G, 1992,

Fig. 61. p. 100.



الشكل (38) جانب من مسلة شلمنصر الثالث السوداء، يظهر أنواع من الحيوانات المقدمة كجزية وهدايا، عن: مورتكات، الفن في العراق القديم، 1975، اللوح 270.

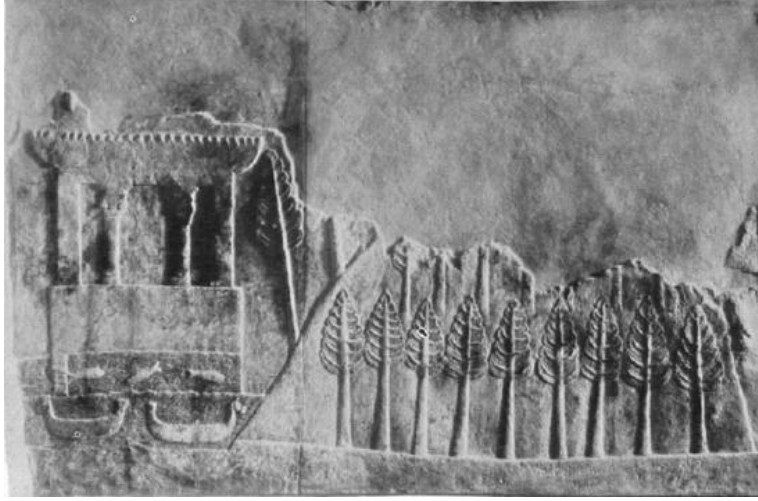
الانجازات العمرانية والحضارية في العصر الآشوري الحديث (912-612 ق.م)



الشكل (39) محيط مدينة كلخو وخط سير قناة آشور ناصر بال الثاني.



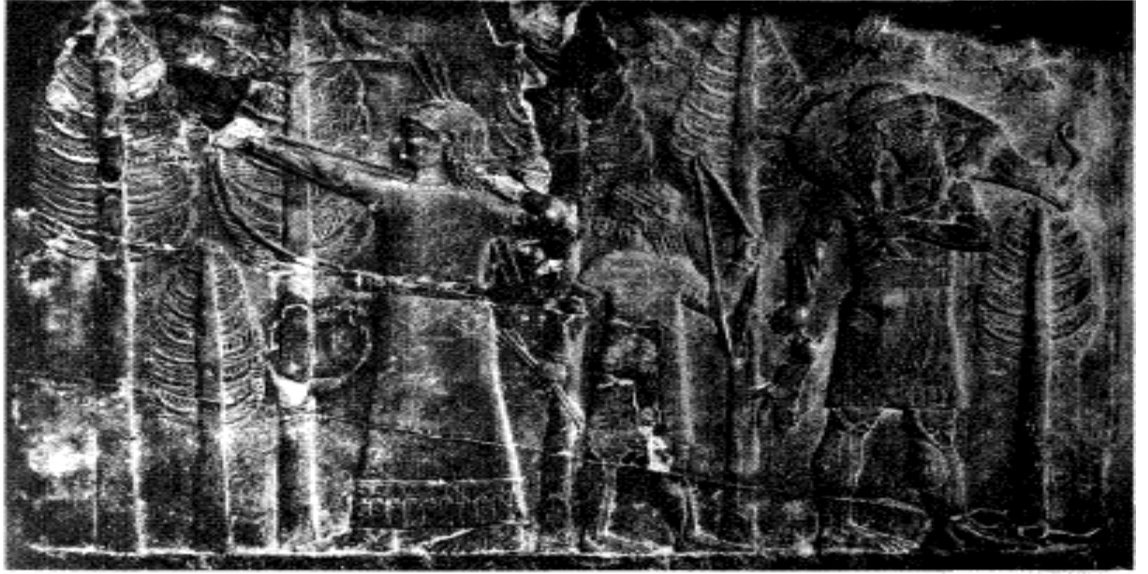
الشكل (40) منحوتة من دور شاروكين تصور قطع
أشجار أورارتو، عن: Power.B.A,1999,p.263.



الشكل (41) منحوتة نافرة من القصر الملكي في دور شاروكين، والتي أُثبت أنها تصور جانب من عمارة القصر الملكي وجزء من الحديقة الملكية في دور شاروكين، المنحوتة محفوظة في متحف معهد الشرق، عن: Radner.K,2000,fig.3.

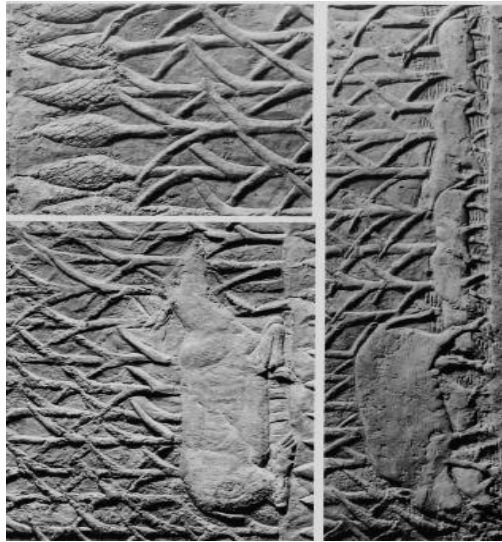


(الشكل 42) الملك شاروكين الثاني في عربته الملكية متوجها إلى الصيد في إحدى البقاع الآشورية، عن: Albenda.P,1986,fig.89.



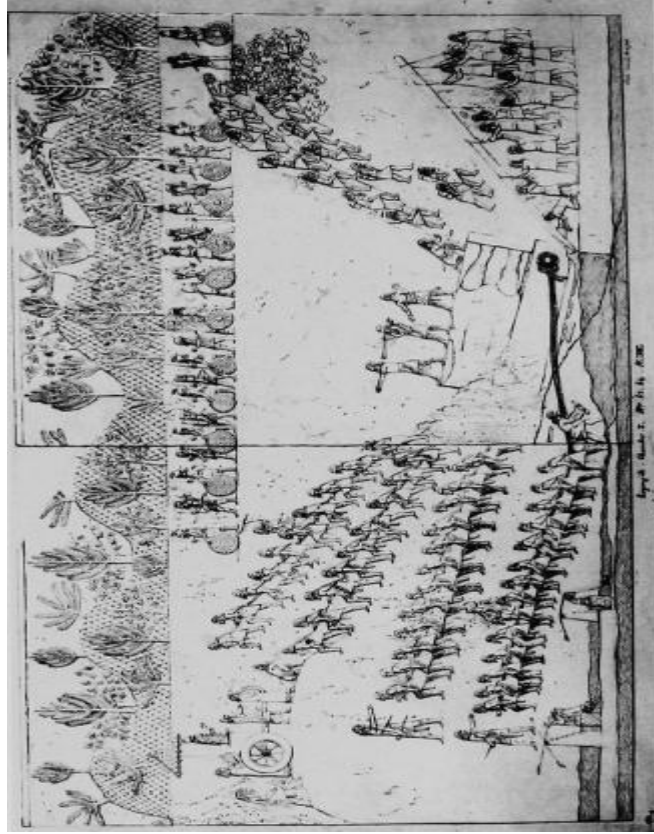
(الشكل 43) منحوتة من قصر شاروكين الثاني تمثل شاروكين الثاني خلال رحلة الصيد، عن:

Frankfort, H, The Art and Architecture of ancient Orient, Penguin Books, 1954, p. 171 .



الشكل (44) منحوتة من قصر سنحريب في نينوى تظهر جانباً

من النباتات والحيوانات في البحيرة، عن: Read, J, Assyrian Sculpture, 1983, fig. 54:



الشكل (45) منحوتة من قصر سنحريب الجنوبي الغربي تمثل عملية نقل تمثال وسط بيئة، عن:

Barnett.R, and Others, 1998, fig. 79.



الشكل (46) منحوتة من القصر الشمالي لآشوربانيبال تظهر جانب من الحدائق التي أقامها سنحريب في

نينوى، عن: Radner.K, 2000, fig. 4.



الشكل (47) منحوتة تظهر حديقة آشور بانيبال الملكية في القصر الشمالي، عن: Radner.K,2000,fig.5.



الشكل (48) جزء من منحوتة نافرة من قصر آشور بانيبال تظهر زوج من الأسود في حالة استرخاء وسط إحدى

الحدائق الملكية، عن: Dalley.S,1993,fig3.



الشكل (49) منحوتة من قصر آشور بانينبال في نينوى تصور مشهد إطلاق أسد من قفصه، عن

Layard.A, Nineveh and Babylon, 1876, p.24



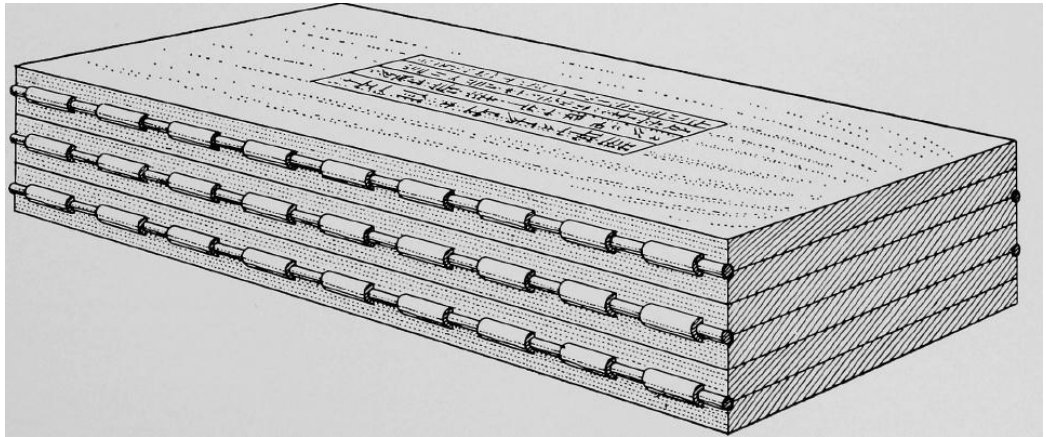
الشكل (50) منحوتة من قصر آشور بانينبال في نينوى تظهر مشهد صيد الغزلان، عن:

Curtis.J and Read.J, 1995, fig.27, p.84



الشكل (51) مشهد صيد الحمر الوحشية، عن

Seton Lloyd, The art of the ancient near east, 1965, fig. 169.



الشكل (52-53) كتاب كلخو العاجي، عن: Mallowan, M, Nimrud and its remains, I, 1966, fig. 89-90.

المراجع العربية والمعربة:

1. أبو عساف، علي، الآراميون (تاريخياً ولغة وفناً) دار الأمانى، طرطوس، 1988.
2. أبو عساف، علي، أثار الممالك القديمة في سورية، 8500 ق.م إلى 535 ق.م، منشورات وزارة الثقافة دمشق، 1988.
3. أبو عساف، علي، أثار الممالك القديمة في الجزيرة و طور عابدين، وزارة الثقافة، دمشق، 2011.
4. الأحمد، سامي سعيد، الزراعة والري، حضارة العراق، نخبة من الباحثين، ج2، بغداد، 1985.
5. آغا، عبد الله الأمين، ملاحظات حول مخطط بناية إيزيدا: معبد نابو في نمرود، سومر، مجلد 44، ج1+2، 1985-1986، ص42-54.
6. بابلون، أرنت، الآثار الشرقية لحضارات كلدية وآشور وبابل وفارس وسورية وفينيقية واليهودية وقرطاجة وقبرص، ترجمة مارون عيسى الخوري، دار جروس برس ودار حكمت شريف، طرابلس، لبنان، 1987.
7. باقر، طه، مقدمة في أدب العراق القديم، دار الحرية، بغداد 1976.
8. باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، دار الوراق، 2009.
9. بايك، رويستن أي، قصة الآثار الآشورية، ترجمة يوسف داود عبد القادر، مطبعة أسعد، بغداد، 1972.
10. بشور، أمل مخايل، تاريخ الإمبراطوريات السامية في بابل وأشور، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان 2008.
11. بيتاننتو، جيوفاني، سميراميس ملكة آشور وبابل، ترجمة: عيد مرعي، روافد للثقافة والفنون، دمشق، 2008.
12. بيكوريل، باولو، التنقيبات الإيطالية في تل بري كخت، الحوليات الأثرية السورية، تعريب وتلخيص قاسم طوير، مج34، 1984، ص271-272.
13. بيكوريل، باولو، التنقيب في تل بري ((كخت)) بالجزيرة 1980-1982، تعريب عبد الرزاق زقزوق، الحوليات الأثرية السورية، مج33، ج1، 1983، ص201-204.
14. توفيق، سيد، تاريخ الفن في الشرق الأدنى القديم (مصر والعراق)، دار النهضة العربية، القاهرة، 1987.
15. الجميلي، عامر عبد الله، الكاتب في بلاد الرافدين القديمة، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005.
16. الحديدي، أحمد زيدان خلف، الحملات العسكرية الآشورية إلى الجهات الغربية (883-626 ق.م) في ضوء المشاهد الفنية، دراسات موصلية، العدد 21، 2008.
17. الحموي، ياقوت، معجم البلدان، مادة بلاباد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1، (د.ت.).

18. الحموي، ياقوت، معجم البلدان، باب الصاد والراء، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، ج3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
19. حنون، نائل، مدن قديمة ومواقع أثرية - دراسة في الجغرافية التاريخية للعراق الشمالي خلال العصور الآشورية، دار الزمان، دمشق سورية، 2009.
20. حنون، نائل، المدافن والمعابد في حضارة بلاد الرافدين القديمة - المعابد وزقوراتها، دار الخريف، دمشق، 2006.
21. الخلف، جاسم محمد، محاضرات في جغرافية العراق الطبيعية والاقتصادية والبشرية، معهد الدراسات العربية العالمية، جامعة الدول العربية، 1959.
22. دامروش، ديفيد، كتاب بين الركاب - ملحمة جلجامش العظيمة، كيف ضاعت وكيف اكتشفت، ترجمة موسى الحالول، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2012.
23. الدسوقي، خالد، دراسات في شعوب الشرق القديم، الآشوريين، الكنعانيون، الأراميون، العبريون، الفلسطينيون، دار مكتبتي، مصر جامعة عين شمس، 1982.
24. الدوري، رياض عبد الرحمن، العمارة المدنية والدينية في عصر آشور بانيبال، سومر، مج49، ج1 و2، -1997-1998، ص236-246.
25. دوسان، جورج، موقع مدينة كخت، ترجمة أبو الفرج العشي، الحوليات الأثرية السورية، مج11+1962، 12، ص209-219.
26. زاماروفسكي، فوتيك، في البدء كانت سومر، ترجمة أحمد حسان، وزارة التعليم العالي، مطبعة جامعة دمشق، 2015 م.
27. سازونوف، ماتقييف، حضارة ما بين النهرين العريقة، ترجمة: حنا آدم، دار المجد، دمشق، د.ت.
28. ساغس، هنري، جبروت آشور، ترجمة: آحو يوسف، دار الينابيع، دمشق، 1995.
29. سالفيني، ماريو، قضية الوريين بعلاقتهم مع مدينة كخت ((تل بري)) - معطيات جديدة، تعريب وتلخيص بشير زهدي، الحوليات الأثرية السورية، مج34، 1984، ص267-269.
30. ستبنتشفتش، الكسندر، تاريخ الكتاب، القسم الأول، ترجمة محمد الأرناؤوط، عالم المعرفة، 169، الكويت / 1993.
31. السعدون، نصار سليمان، بلاد الرافدين وعيلام، دار إنانا، دمشق، 2010.
32. سفر، فؤاد، آشور، مديرية الآثار العامة، بغداد، 1960.
33. سليمان، مؤيد محمد، وصفات لعلاج لدغة العقرب والأفعى وعضة الكلب في ضوء نصوص مسمارية من مكتبة آشور بانيبال، كلية الآثار، جامعة الموصل، د.ت.

34. سوسة، أحمد، مشروع سنحريب لإرواء منطقة نينوى، المجمع العلمي العراقي، مج9، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1381هـ-1962م.
35. سوسة، أحمد، تاريخ حضارة وادي الرافدين في ضوء مشاريع الري الزراعية والمكتشفات الأثرية والمصادر التاريخية، ج2، دار الحرية، بغداد، 1986.
36. عواد، كوركيس، خزائن الكتب القديمة في العراق، منذ أقدم العصور حتى سنة 1000 للهجرة، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، 1948.
37. غافليكوفسكا، كريستينا، الفن في بلاد ما بين النهرين، ترجمة كبرو لحدو، دار الينابيع، دمشق، 1995.
38. غي، بوننز، تل برسيب في الفترة ما قبل الآشورية، مجلة الحوليات الأثرية السورية 45-46 (2002) - (2003)، الجزء المعرب.
39. فان لير. و. ج، لمحة جغرافية عن مدينة كخت ((تل بري))، الحوليات الأثرية السورية، مج 11+12، 1961-1962، ص189-190.
40. فوستر، كارين بولنغر، أقدم حدائق النبات وحدائق الحيوان، ترجمة: مجلة العلوم الكويتية عن مجلة العلوم الأمريكية، مجلة العلوم، الكويت، مج 16، 2000، ص1-7.
41. فون زودن، ف، مدخل إلى حضارات الشرق القديم، ترجمة: فاروق اسماعيل، دار المدى، دمشق، سورية، 2003.
42. قابلو، جباغ، تاريخ الحضارة القديمة في الوطن العربي، ط4، منشورات جامعة دمشق، 2006.
43. قرانجي، فؤاد يوسف، مكتبة آشور بانيبال: أعظم مكتبة في التاريخ القديم، بغداد، دار الشؤون الثقافية، 2003.
44. كونتينو، جورج، الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور، ترجمة سليم طه التكريتي وبرهان عبد التكريتي، منشورات الجمل، بيروت، بغداد، 2015.
45. كونه، هارتموت، مواقع التنقيب الأثري في سورية، ترجمة قاسم طوير وأسعد محمود، المديرية العامة للآثار والمتاحف، دمشق، 1982.
46. كيرشباوم، إيفا كانجيك: تاريخ الآشوريين القديم، ترجمة فاروق اسماعيل، دار الزمان، طبعة أولى، دمشق، 2008.
47. لويد، ستيون: آثار بلاد الرافدين من العصر الحجري القديم حتى الغزو الفارسي، ترجمة: محمد طلب، دار دمشق، 1992-1993.
48. محمد علي، ياسمين عبد الكريم، المنحوتات الجدارية خلال عصر السلالة السرجونية- دراسة تحليلية بين النص المسماري والمشهد الفني، جامعة الموصل، 2011، أطروحة دكتوراه غير منشورة.

49. مرعي، عيد، الكتابة والتعليم في بلاد الرافدين، مجلة دراسات تاريخية 41-42، ص 7-42.
50. مرعي، عيد: آثار الوطن العربي القديم (الجزيرة العربية وبلاد الرافدين)، جامعة دمشق، 2009 - 2008.
51. مرعي، عيد، المكتبات في العالم القديم، مجلة دراسات تاريخية 101-102، 2008، ص 33-53.
52. مرعي، عيد، تاريخ سورية القديم (3000 - 333 ق.م)، الهيئة السورية للكتاب، دمشق، 2010.
53. مرعي، عيد، تاريخ مملكة إبلا وآثارها، الهيئة السورية للكتاب، دمشق، 2015.
54. مرعي، عيد، رحلة في عالم الآثار - آثاريون ومدن أثرية، روافد للثقافة والفنون، دمشق، 2010.
55. مرعي، عيد، حران في تاريخ الشرق القديم، مجلة دراسات تاريخية، العددان (107، 108)، 2009، ص 3-25.
56. مرعي، عيد، عبدالله، فيصل، تاريخ الوطن العربي القديم (بلاد الرافدين)، ط4، جامعة دمشق، 2001 - 2002.
57. مرعي، عيد، عبدالله، فيصل، أحمد، محمود عبد الحميد: آثار الوطن العربي القديم: العراق، سورية، مصر، منشورات جامعة دمشق، ط 2، 2003 - 2004.
58. مرعي، عيد، فرزات، محمد حرب: دول وحضارات في الشرق العربي القديم: سومر وأكاد - بابل وأشور - أمورو وأرام، دار طلاس، دمشق، 1990.
59. المشعل، أحمد. الامارات الآرامية في منطقة الفرات الأوسط في العصر الآشوري الحديث 1000-612 ق.م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة دمشق، 2012.
60. مظلوم، طارق، نينوى، مديرية الآثار العامة، بغداد، 1971.
61. مورتكات، أنطون، تاريخ الشرق الأدنى القديم، تعريب توفيق سليمان وآخرون، دمشق، 1967.
62. مورتكات، أنطون، الفن في العراق القديم، ترجمة: عيسى سليمان وسليم طه التكريتي، مطبعة الأديب البغدادية، بغداد 1975.

المراجع الأجنبية:

1. Ahmad. Ali. Y, Ashurbanipal's «Restoration of Nabu's Temple at Nineveh» ,*Sumer* ,vol:49, part1+2, 1997-1998,pp.104-105.
2. Albenda. Pauline. ornamental wall painting in the art of the Assyrian Empire. leiden.2005.
3. Albenda, Pauline, Grapevines in Ashurbanipal's Garden, The American Schools of Oriental Research, No.215,1974.
4. Albenda, Pauline, the Palace of Sargon, *King of Assyri*, Paris,1986.
5. Barnett. D.Richard, Bleibtreu. Erika and Turner. Geoffry, Sculptures from the Southwest Palace of Sennacherib at Nineveh, British Museum press , London,1998.
6. Bienkowski, Pieter and Millard, Alan, Dictionary of the ancient, Near East, British Museum press, London, 2000.
7. Buccellati, Giorgio: A primer of Mesopotamian political history, The International Institute for Mesopotamian area studies, 1981.
8. Bunnes. Guy. carved Ivories from Tell Barsib. *American journal of Archaeology*. vol.101.no.3 (jul. 1997).
9. Chiera, Edward , the wrote on cuneiform – the Babylonian tablets speak today , the university of Chicago press. Chicago , 1938.
10. Curtis, John, Balawat in: (Fifty Years of Mesopotamian Discovery: the work of the British School of Archaeology in Iraq 1932-1982), London, 1982.
11. Curtis. J and Reade. J, Art and Empire Treasures from Assyria in the British Museum, British Museum Press, 1995.
12. Curtis. J, Collon. D and Green. A, British Museum Excavations at Nimrud and Balawat in 1989 ,*Iraq*, vol:55 , 1993.
13. Dalley. Stephanie, Nineveh, Babylon and the Hanging Gardens: Cuneiform and Classical sources Reconciled, *Iraq*, vol.56, 1994.
14. Davey. J. Christopher, The Negub Tunnel, *Iraq*, vol.47, 1985.
15. Ellison, Elizabeth. Rosemary, A Study of Diet in Mesopotamia (3000-600B.C) and associated Agricultural Techniques and Methods of food preparation , University of London, 1978.
16. Farham. Eckart, Royal hermeneutics: observations on the commentaries from Ashurbanipal's libraries at Nineveh , *Iraq* ,vol.66, 2004.
17. Fincke, Jeanette, The Babylonian texts of Nineveh – Report on the British Museum Ashurbanipal library project, *archive for orient research*, 50, 2003.
18. Fincke. C. Jeanette, the British Museum's Asarbanipal library project, *Iraq* ,vol. 66, 2004.
19. Foster, Karen, Polinger, The Hanging Gardens of Nineveh, *Iraq*, vol. 66, 2004.
20. Frame. G and George A.R, the royal libraries of Nineveh: New evidence for King Ashurbanipal's Tablet collecting, *Iraq*, vol.67 ,part 1, 2005 .

21. Frame. Grant and Georgw.A.R.The royal libraries of Nineveh : New evidence for king ashurbanipal's Tablets collecting , *Iraq* ,vol,67 , part 1,2005.
22. Frankfort,Henri,Tell Asmar,Khafage and Khorsabad , Secend preliminary report of the Iraq Expedition, the Oriental Institute of the University of Chicago press,Chicago ,1933.
23. Geller.Makham , Utukka lemnutu. In (Ira.Spar and lambert.W.G , Cuneiform texts the metropolitan museium of art ,library and scholastic texts of the first millennium.BC vol 2. the metropolitan museum of art , New york , 2005
24. Grayson. A. K , Assyria : Ashur dan II to Ashur Nirari V (934 – 745 B.C), *C. A. H* , vol 1 , 1882.
25. Grayson. A. K. Assyrian Rulers of the Early first Millennium B.C. 858.745.B.C),vol.2, University of Toronto press. Toronto.1996.
26. Grayson.A.K : Assyrian Rulers of early first Millenniun B. C (1114 – 859 B. C) , vol. 1 , Toronto ,London , 1991.
27. Grayson.A.K, Assyrian; Tiglath. Pileser III to go II (744-705 B.C), (*A H* , second edition, vol.3, part2, Cambridge, University Press, 2008.
28. Grayson.A.K,Assyria: Sennacherib and Esarhaddon (704 -669 B.C), *C.A.H*, Second edition, Vol.3, Part.2.
29. Grayson.Kirk and Novotny,Jamie,The Royal Inscriptions of Sennacherib , King of Assyria(704-681B.C),part1,New York,2012.
30. Harper. Proudén,Brandt.Evelyn,Aruz.Joan and Benzél.Kim , Discoveries at Ashur on the Tigeris ,Assyrian Origins ,The Metroplitan Museum of Art ,New York , 1995.
31. Heidel.Alxander,A new Hexagonal prism of Esarhaddon ,*Sumer* ,vol:12, part1+2,1956.
32. Herrman,Georgina,The small collections from Fort Shalmaneser,in:Ivories from Nimrud (1949-1963),fascicle V,The British School of Archaeology in Iraq, London,1992.
33. Howard.margaret , technical description of the Ivory writing boards from nimrud , *Iraq* ,17,1955.
34. Huxley. Margaret, the Gates and Guardinsin Sennachrib's addition to the Temple of Asssur, *Iraq*, Vol.62, 2000.
35. Jacobson.Thorkild and Lloyd.Seton,Sennacherib's Aqueduct at Jerwan, the Uviversity of Chicago press, Chicago, 1935.
36. Joan and oats, Nimrud an Assyrian Imperial city revealed, London , 2001.
37. Kertal David, Kalhus Palaces of War and peace: Palace of Architecture at Nimrud in the ninth Century B.C, *Iraq*, vol.71.
38. King.L.W, Bronze Relief from the Gates of Shalmaneser,King of Assyria ,Oxford University press,London,1915.
39. Konig.Jason, Oikonomopoulou.Katerina and woolf.Greg. Ancient libraries ,Campridge university press,Cambridge ,2013.
40. Layard.Austen.Henry,Nineveh and Babylon. A Narrative of a Second Expedition to Assyria during the Years 1849-1850-1851,London, 1876.
41. Lloyd.Seton,The Art of the ancient Near East,London,1965.

42. Loud, Gordon and Altman, Charles, Khorsabad II : The Citadel and the town , the University of Chicago press, Chicago, 1938.
43. Loud, Gordon, Khorsabad I: Excavations in the Palace and at a City Gate, The University of Chicago press, Chicago, 1930.
44. Lucas, Christopher, J, S scribal tablet-house in ancient Mesopotamia , history of education quarterly , vol.19.no.3, 1979.
45. Luckenbill, D.D, Ancient Records of Assyria and Babylonia , Historical Records of Assyria from the Earliest times to Sargon , vol.1, The University of Chicago Press, Chicago , 1926.
46. Luckenbill, D.D, Ancient Records of Assyria and Babylonia, vol.2, The University of Chicago Press, Chicago, 1929.
47. Luckenbill, D.D, The Annals of Sennacherib, The University of Chicago press, Chicago, 1924.
48. Madhloum, Tariq, Excavations at Nineveh. A preliminary Report (1965-1967), *Sumer*, vol:23, part1, 1967.
49. Mallowan, M.E.L, the excavations at Nimrud (kalha) 1956 , *Iraq* , vol.19 , part 1, 1957.
50. Mallowan, Nimrud and its remains,. II, the British School of Archaeology in Iraq, London, 1966.
51. Mallowan, M. E. L , The Excavations at Nimrud , 1957, *Iraq*, Vol.20, part 2, 1958.
52. Mallowan. The Excavations at Nimrud , 1957, *Iraq*, Vol.20, part.2, 1958.
53. Mallowan, M.E.L, Nimrud and its Remains, vol.1, London, 1966.
54. Mizejewski, A and Sobolewski, R, polish excavations at Nimrud. Kalhu 1974-1976, *Sumer*, vol36, 1980.
55. Novak, Mirko, From Ashur to Nineveh :The Assyrian Town-planning Programme, *Iraq*, vol:66, 2004.
56. Novak, Mirko, From Ashur to Nineveh: The Assyrian Town-planning Programm, *Iraq*, vol.66, 2004.
57. Oates , D , Fort Shalmaneser –an interim report, *Iraq*, vol.21, part.2, 1959.
58. Oates , D , The Excavations at Nimrud , (Kalhu), 1960, *Iraq*, vol.23, part.1, 1961.
59. Oates , D , The Excavations at Nimrud , (Kalhu), 1961, *Iraq*, vol.24, part.1, 1962.
60. Oates , D , The Excavations at Nimrud, *Iraq*, 1962, Vol.25, part.1, 1963.
61. Oates, Joan and David, Nimrud an Assyrian Imperial city revealed, The British School of Archaeology in Iraq, London 2001.
62. Oates. D, the excavations of the British School of Archaeology in Iraq. in (Curtis, Mc call, Collon and AL-Gilani. Werr, New Light on Nimrud, British Institute for the study of Iraq in association with the British Museum, London, 2008.
63. Oates, D and Reade. J.H The burnt palace and The Nabu Temple. Nimrud Excavations, *Iraq*, vol.18, part.1, 1956.
64. Parker, Barbara, Economic Tablets from the Temple of Mamu, *Iraq* , vol:25, part 1, 1963.
65. Parpola , siom, Assyrian library records , *Journal of near Eastern studies* , vol42 no1, 1983 .

66. Parpola.Simo , the Royal archives of Nineveh in Cveeenhof klass.R, Cueiform Archives libraries , leiden , 1986,p223 Robson.Eleanor, Reading in the libraries of assyria and Babylonian in : (konig J and others ,Ancient libraries.
67. Parpola, Simo, and Porter, Miichal, The Helsinki Atlas of the Near East in the New-Assyrian Period, Helsinki.
68. Parpola.S,"The construction of Dur-Sharrukin in the Royal correspondence " Korsabad le Palais de Sargon II Roi d' Assyrie ,Louvre,1994.
69. Pecorella.Paolo.Emilio,Tell Barri-Kahat 1997,in:((Chronique Archeologique en Syrie – Rapports des Campagnes 1994-1997 ,vol.2 , 1998.
70. Pedersen olof. Archives and libraries in the Ancient near east 1500-300 B.c. CDL press-1998.
71. Postgat.J.N,An Assyrian Altar from Nineveh , *Sumer*,vol:26 ,1970.
72. Postgate , Nicholas , The Assyrian empire , Cambridge University press , Cambridge , 1980 ,
73. Postgate.J.J,The Bit Akiti in Assyrian Nabu Temples ,*Sumer* , vol:30 , part1+2 ,1974.
74. Power,Bruce.Arthur,Iconographic Windows to Ezekiel's World, University of Toronto,1999.
75. Radner.Karen, "How did the Neo-Assyrian King perceive his Land and its resources" in:Rainfall and Agriculture in Northern Mesopotamia-Proceedings of the Third Mos symposium (Leiden1999),Pihans,vol.88,2000.
76. Raede,Julian,Assyrian Sculpture ,British Museum press , London , 1983.
77. Reade ,Julian, Nimrude in: (Curtis, John, Fifty years of Mesopotamian Discovery: the work of the British School of Archaeology in Iraq (1932-1982), London, 1982.
78. Reade,Julian ,Real and imagined ''Hittite Palaces ''at Khorsabad and elsewhere,*Iraq*,vol:70,2008.
79. Reade. J.E, The Ziggurat and the Temples of Nimrud, *Iraq*, vol.64, 2002.
80. Reade.Julian, The Ishtar Temple at Nineveh,*Iraq*, vol:67, part1, 2005.
81. Reade.Julian,Assyrian Sculpture,British Museum press,London,1983.
82. Roux , George , Ancient Iraq , Third edition , Penguin Books , 1992.
83. Safar,Fuad,Sennacherib's Project for supplying Erbil with Water, *Sumer*, vol.3, part.1,1947.
84. Safar,Fuad,The Temple of Sibitti at Khorsabad ,*Sumer*,vol:13, part1+2.
85. Smith,George,Assyrian Discoveries,an account of Explorations and Discoveris on the site of Nineveh during 1873-1874 ,New York ,1875.
86. Soltysiak,Arkadiusz,Sort field work Report: Tell Barri (Syria) , Seasons 1980-2006, Institute of Archaeology ,University of Warsaw, Poland,2008. ,
87. Spar.ira and.lambert.W.G,cuneiform texts the metropolitan museum of art.literary and scholastic texts of the first millennium B.C, vol 2.new York ,2005.
88. Thompson.Cammphell and Hutchinson.R.W,A century of Exploration at Nineveh ,London,1929..
89. Tucker.D.J.Representations of Imgur-Enlil on the Balawat Gates , *Iraq* , vol:56,1994.

90. Turner, Geoffery, The State Apartments of Late Assyrian Palace, Iraq, vol.32, part.2, 1970.
91. Turner.Geoffrey,Tell Nebi Yunus :The Ekal Masarti of Nineveh,Iraq , vol:32,part1.
92. Ur.Jason, Sennacherib's Northern Assyrian Canals:New insights from satellite imagery and aerial Photography, Iraq, vol.67, part1, 2005.
93. Welhisch.Hans.H,Ebla : the worlds oldest library , *the Journal of library history* , Vol.16,No.3, 1981.
94. Wilson ,kinnier ,J.V, the Nimrud cataloge of Medical and physiognomecal omina , Iraq , vol.24 , part 1,1962.
95. Wiseman,D,J,A New Stela of Assur-Nasir-pal II,Iraq,vol.24,part 1, 1952.
96. Woolf.Greg ,Histories of ancient libraries in(konig.Jason,oikonomopoulo.katerina and woolf.Greg , ancient libraries ,(cambrdg university press , New York ,2013.

ABSTRACT

It is well known that the cultural prosperity of any people and of any nation can only come from economic ,which in turn can succeed only if accompanied by political stability supervised and supported by political power.

The relationship between these three factors is a relationally interrelated relationship, and in no case can any of them occur in isolation. The Assyrian Empire in the Neo-Assyrian era (912-916 B.C), brought together those factors and created a flourishing civilization that was characterized by its special character which distinguished it from other civilizations of the ancient Near east. This does not mean the absence of the usual cultural influence within the chain of civilizations. (Mesopotamia north), which originated in it was subject to cultural dialogue.

The cultural prosperity of the Neo- Assyrian Empire was reflected in many cultural achievements that the kings themselves were faithful to. The architectural and architectural appearance of many modern Assyrian capitals and the renewal of ancient cities and capitals reflected their fortified buildings and decorations, and its arched gardens, orchards and royal gardens. Of plants, trees and strange animals stuffed and developed irrigation projects.

And the creation of their own libraries and the attempt to create the first book in history under King Sharrukin II until their concerns culminated in the attempt of King Ashur panipal and the establishment of the first it is a comprehensive library in history that combines the diasporas of the Mesopotamian heritage.

All these elements and other elements reflected the nature of Assyrian thought at the time and the translation of the Assyrians creations at various levels.